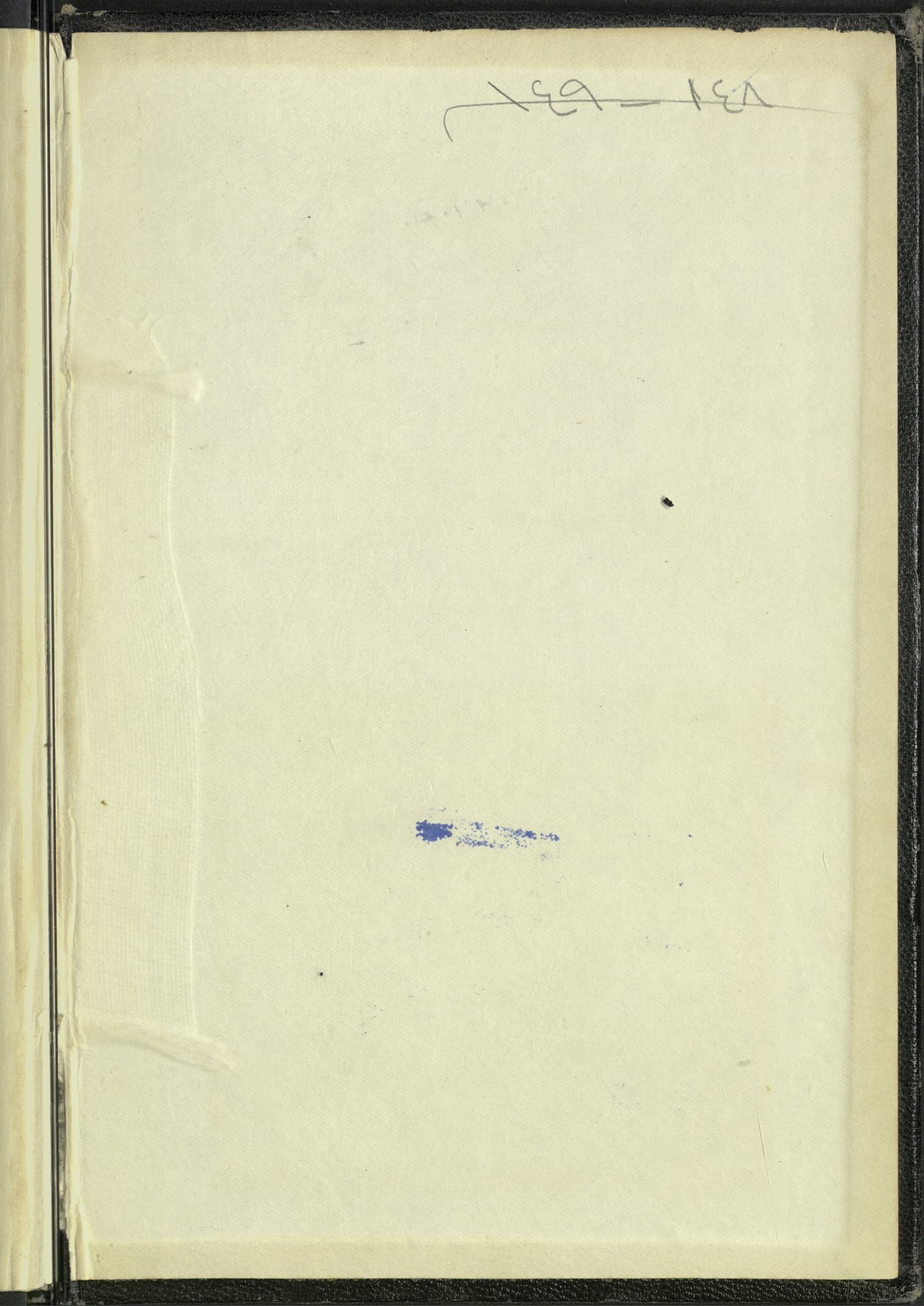
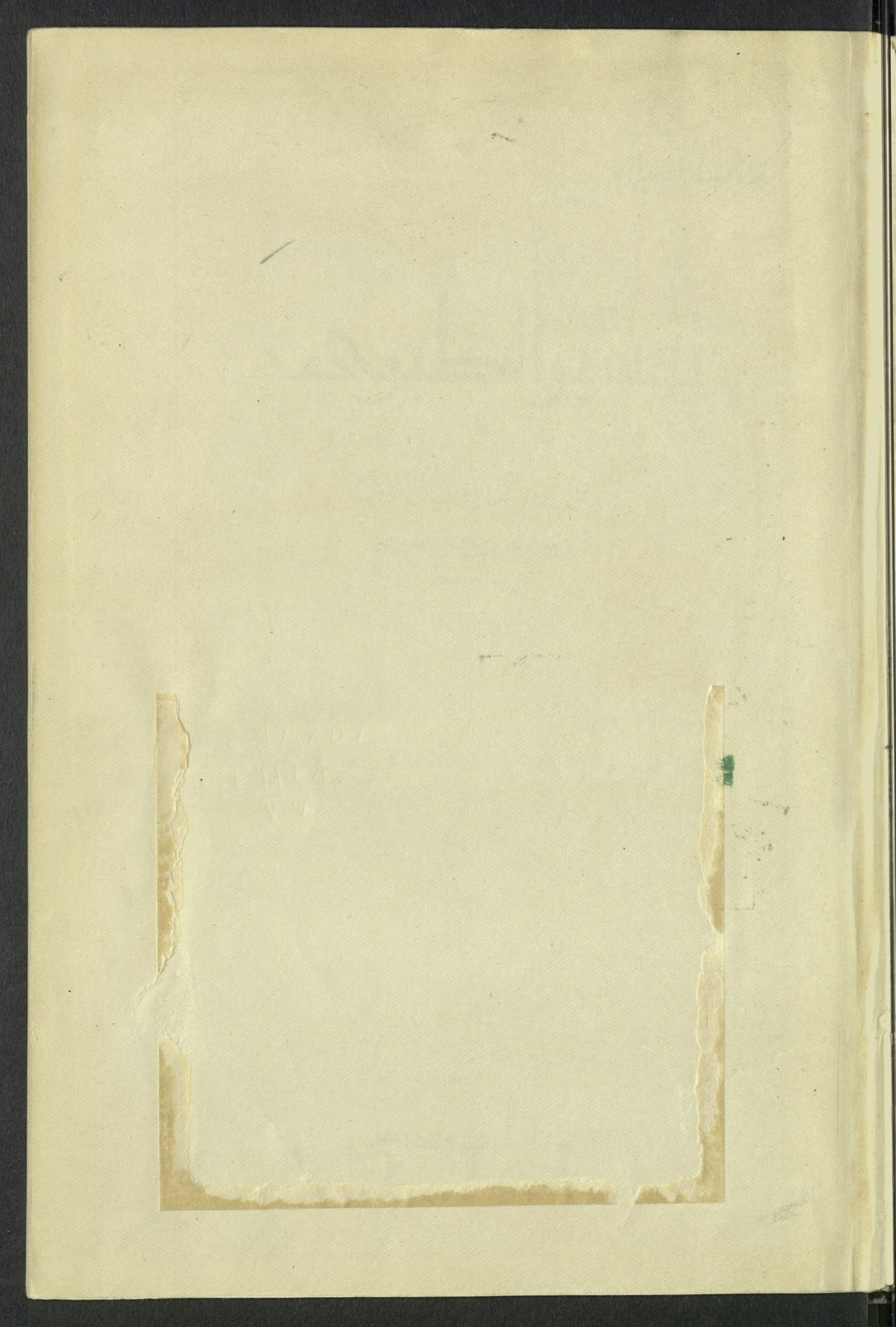
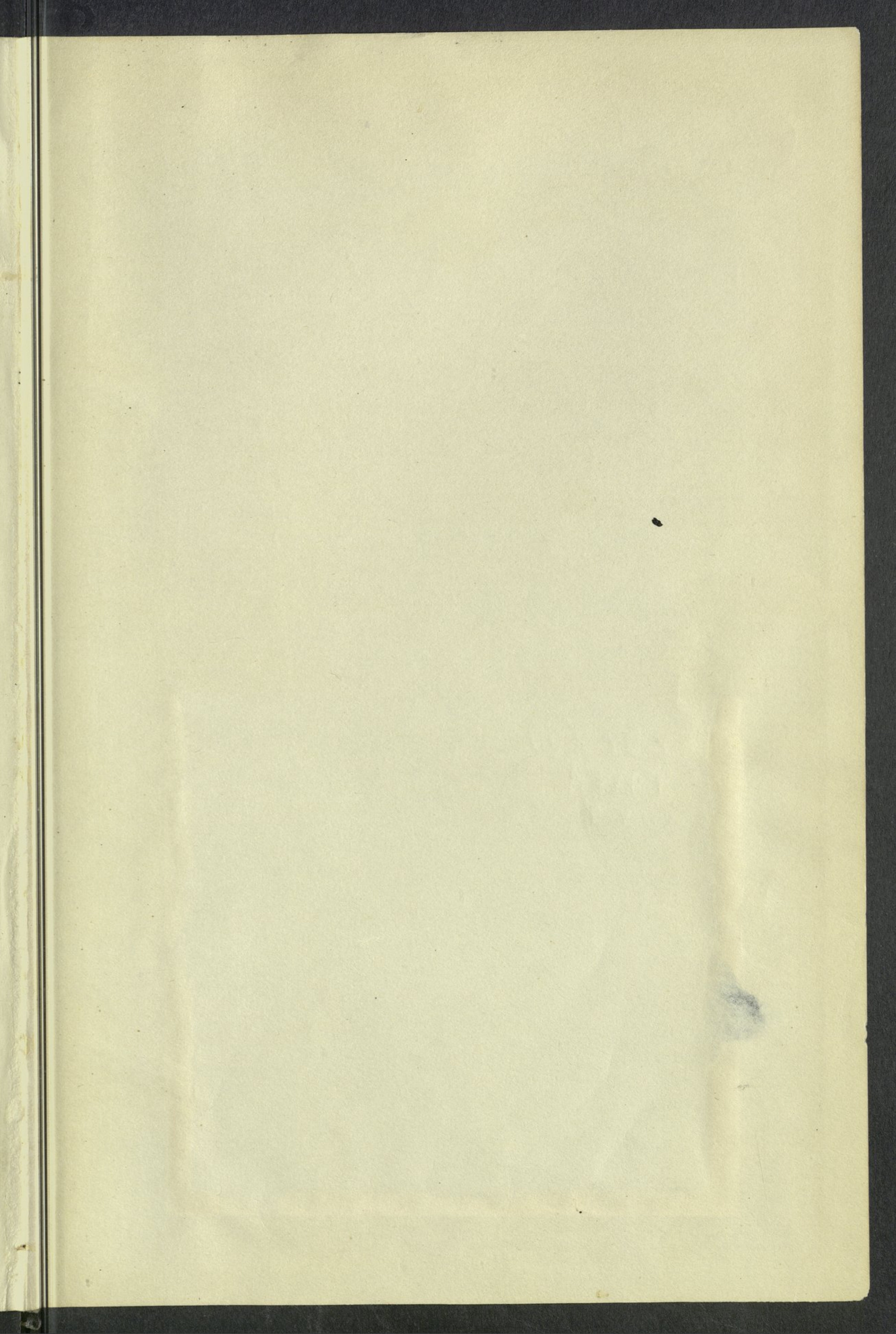

AUB Libraries







تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
٢٢٤ - ٣١٠ هـ

٧

حققه وعلق حواشيه
محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه
أحمد محمد شاكر

دار المعارف بمصر

الجزء السابع

وفيه

تفسير سورة آل عمران

من ٩٣ - ٢٠٠

وتفسير سورة النساء

من ١ - ٧

والآثار من ٧٣٩٩ - ٨٦٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذى ذَلّت لِعزّته الرقابُ ، وسَجَد له ما فى السّمٰوات والأرضِ طوعًا وكرهًا وظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصالِ . خلعنا لله ربِّنا الأندادَ والشركاءَ ، وأخلصْنا له وحدَهُ العبادة ، وآمنّا بما أنزل على عبده النبيِّ العربىّ الأمىّ صلى الله عليه وسلم ، جعله رسولاً إلى عبادِه ، ورحمةً مُهْداة إلى خلقِه ، وأمّةً فى العلم بدينه ، حتى هَدَى به العبادَ إلى الحقِّ ، جامعًا له سجايا الخير من أطرافِها ، مُبيناً به عن شَريعته فى أرضه . فعلَّم الناس بعد الجهل ، وسَدّدَ الخُطَى بعد الحيرة ، صلّى الله عليه وسلم صلاةً طيبة مباركة ما اختلفَ الليلُ والنهارُ .

اللّهم أنت وحدك مالِكُ الأرضِ ومَنْ عليها ، بيدِكَ مقاليدُ كُلّ شىء ، فافتح لنا ربَّنا أبوابَ الخير والهدى ، وقِنا شرَّ أنفسنا ، واقبضْ قلوبنا عن معصيتك ، وابسطها فى طاعتك .

اللّهُمّ أنت وحدَكَ مُذِلّ الجبابرةِ ، وقاهرُ البُغاةِ الفَجَرة ، ومنشىء النَّصْر للضعيفِ حتى ينالَ حقّه من القوىّ الظالم .

اللّهُمَّ إنّما نحنُ عبادُك المؤمنون ، عَصَيْناك حتى أظَلّتنا عُقُوبتك ، فاللّهم ارفع عَنّا غَضَبك ، ولا تُخْلِنا من لطيف رحمتك وعفوِك ، واجعل عاصِينا مذعناً لك بالطاعة ، وأخْرِجْ منّا مَنْ ينادى بالحقِّ حتى يستمعَ إليه مَنْ صَمَّ عَنه .

اللَّهُمَّ هذه أمتك العَاصِيَة قد تداعتْ عليها الأُمَمُ بالعدوانِ والظُّلْم ، فنجأرُ إليك ربّنَا أن تثبِّتَ أقدامنَا حتى نلقَى العدوّ صابرين للبلاء ، مصابرين للملحمة ، مرابطين على ثغور دينك .

اللَّهُمَّ خُذْ بنواصِي وُلاة أمورِنا إلى ما ترضاه لأمّتك ، وانزع من قلوبِهِم رهبَة عَدُوِّهِمْ وعدُوِّك ، واجمعْ كلمتنا على العمل بأمرِك ، واضمم شملنا على الجهاد فى سبيلك .

اللَّهُمَّ هذه ساعةُ الجهادِ ، فاكتبْ لنا الشهادةَ مقاتلين فى سبيلك ، واكتب لمن بقى منا النَّصْر الذى لا يؤتيه إلَّا ربُّنا الواحد القهّارِ .

ربَّنا عَصَينَا فاغفر لنا ، وتُبْنَا إليك فاصفحْ عنَّا ، ولا تجعلنَا عبيدًا لأعداء دينِكَ بخذلاننا ، وكنْ لنَا حامياً من باغٍ يبغى لأمة العربِ الغوائِل ، وسدِّد خُطى الناطقين بالتوحيد إلى إعلاء كلمتك ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٩٣) ٢/٤

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أنه لم يكن حرَّم على بنى إسرائيل = وهم ولد يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن = شيئاً من الأطعمة من قبل أن تنزّل التوراة ، بل كان ذلك كله لهم حلالاً إلاّ ما كان يعقوب حرّمه على نفسه ، فإن ولَده حرّموه استناناً بأبيهم يعقوب ، من غير تحريم الله ذلك عليهم فى وحى ولا تنزيل ، ولا على لسان رسولٍ له إليهم ، من قبل نزول التوراة .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تحريم ذلك عليهم ، هل نزل فى التوراة أم لا ؟

فقال بعضهم : لما أنزل الله عز وجل التوراةَ ، حرّم عليهم من ذلك ما كانوا يحرِّمونه قبل نزولها .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٩٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « كل الطعام كان حلالبنى إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزّل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، قالت اليهود : إنما نحرِّم ما حرّم إسرائيل على نفسه ، وإنما حرّم

إسرائيل العرُوق ،[١] كان يأخذه عِرق النَّسا ، كان يأخذه بالليل ويتركه بالنهار ، فحلف لئن الله عافاه منه لا يأكل عِرْقاً أبداً. فحرّمه الله عليهم . ثم قال : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، ما حرّم هذا عليكم غيرى ببغيكم ، فذلك قوله : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾

[سورة النساء : ١٦٠]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية على هذا القول : كل الطعام كان حِلاً لبنى إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، فإن الله حرّم عليهم من ذلك ما كان إسرائيل حرَّمه على نفسه فى التوراة ، ببغيهم على أنفسهم وظلمهم لها . قل يا محمد : فأتوا ، أيها اليهود ، إن أنكرتم ذلك بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين أنّ الله لم يحرم ذلك عليكم فى التوراة ، وأنكم إنما تحرّمونه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه . ٣/٤

* * *

وقال آخرون : ما كان شىءٌ من ذلك عليهم حراماً ولا حرّمه الله عليهم فى التوراة ، وإنما هو شىء حرّموه على أنفسهم اتباعاً لأبيهم ، ثم أضافوا تحريمه إلى الله . فكذبهم الله عز وجل فى إضافتهم ذلك إليه ، فقال الله عز وجل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد : إن كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فاتلوها حتى ننظر هل ذلك فيها أم لا ؟ فيتبين كذبهم لمن يجهلُ أمرهم .[٢]

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) العروق هى عروق اللحم ، وهو الأجوف الذى يكون فيه الدم ، وأما غير الأجوف فهو العصب .

(٢) فى المطبوعة : « ليتبين » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٧٤٠٠ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله: « إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه »، إسرائيل هو يعقوب، أخذه عرق النسا فكان لا يَبيتُ الليل من وجعه،[١] وكان لا يؤذيه بالنهار، فحلف لئن شفاهُ الله لا يأكل عِرْقاً أبداً، وذلك قبل نزول التوراة على موسى. فسأل نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم اليهود: ما هذا الذى حرم إسرائيل على نفسه؟ فقالوا: نزلت التوراة بتحريم الذى حرَّم إسرائيل. فقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم: « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » إلى قوله: « فأولئك هم الظالمون »، وكذبوا وافتروا، لم تنزل التوراةُ بذلك.

* * *

وتأويل الآية على هذا القول: كلّ الطعام كان حِلا لبنى إسرائيل من قبل أن تنزَّل التوراة وبعد نزولها، إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة = بمعنى: لكن إسرائيل حرّم على نفسه من قبل أن تنزَّل التوراة بعض ذلك.[٢] وكأنّ الضحاك وجّه قوله: « إلا ما حرم إسرائيل على نفسه »، إلى الاستثناء الذى يُسميه النحويون « الاستثناء المنقطع ».

* * *

وقال آخرون: تأويل ذلك: كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، فإنّ ذلك حرامٌ على ولده بتحريم إسرائيل إياه على ولده، من غير أن يكون الله حرّمه على إسرائيل ولا على ولده.

---

(١) فى المطبوعة: «لا يثبت الليل»، وليست بشىء، وسبب ذلك أن ناسخ المخطوطة قد استكثر من النقط على حروف هذه الكلمة، فاختلط الأمر على الناشر. وليس معنى «يبيت»: ينام، فإن أهل اللغة قالوا: «بات: دخل فى الليل، ومن قال: بات فلان، إذا نام، فقد أخطأ. ألا ترى أنك تقول: بت أرعى النجوم؟ معناه: بت أنظر إليها، فكيف ينام وهو ينظر إليها؟» ومعنى «لا يبيت الليل»، أى يسكن الليل ولا يستريح، لأن البتوتة هى دخول الليل، والليل سكن للناس، فمن ضافه هم، أو أقلقه ألم، لم يسكن، فكأن الليل لم يشمله بهدأته. وفى ألفاظ أخرى لهذا الخبر: «لا ينام الليل من الوجع». ثم انظر الأثر رقم: ٧٤٠٢: «لا يبيت بالليل».

(٢) انظر «إلا» بمعنى «لكن» فيما سلف ٣: ٢٠٦.

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٠١ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه » ، فإنه حرّم على نفسه العروقَ ، وذلك أنه كان يشتكي عرق النسا ، فكان لا ينام الليل ، فقال : والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولد = وليس مكتوباً في التوراة ! وسأل محمد صلى الله عليه وسلم نفراً من أهل الكتاب فقال : ما شأن هذا حراماً ؟ فقالوا : هو حرام علينا من قِبَل الكتاب . فقال الله عز وجل : « كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل » إلى « إنْ كنتم صادقين » .

٧٤٠٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : أخذه – يعني إسرائيل – عرقُ النسا ، فكان لا يبيتُ بالليل من شدّة الوجع ، [1] وكان لا يؤذيه بالنهار ، فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عِرقاً أبداً ، وذلك قبل أن تنزل التوراة . فقال اليهود للنبيّ صلى الله عليه وسلم : نزلت التوراة بتحريم الذي حرم إسرائيل على نفسه . قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : « قل فأتوا بالتوراةِ فاتلوها إن كنتم صادقين » ، وكذبوا ، ليس في التوراة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ، قول من قال : « معنى ذلك : كل الطعام كان حلاّ لبني إسرائيل من قبل أن تنزّل التوراة ، إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه من غير تحريم الله ذلك عليه ، فإنه كان حراماً عليهم بتحريم أبيهم إسرائيل ذلك عليهم ، من غير أن يحرمه الله عليهم في تنزيل ولا وحي قبل التوراة ، حتى نزلت التوراةُ ، فحرّم الله عليهم فيها ما شاءَ ، وأحلّ لهم فيها ما أحبّ » .

وهذا قول قالته جماعة من أهل التأويل ، وهو معنى قول ابن عباس الذي ذكرناه قبل .

* ذكر بعض من قال ذلك :

---

(١) في المطبوعة : « لا يثبت » ، وفي المخطوطة : « لا يبيت » ، واضحة . وانظر التعليق السالف رقم : ١ ص : ٩ .

٧٤٠٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « كل الطعام كان حلاًّ لبنى إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة » ، وإسرائيل ، هو يعقوب = « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، يقول : كلّ الطعام كان حلاًّ لبنى إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة ، إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه ، فلما أنزل الله التوراة حرّم عليهم فيها ما شاء وأحلّ لهم ما شاء .

٧٤٠٤ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة بنحوه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى الذى كان إسرائيل حرَّمه على نفسه .

فقال بعضهم : كان الذى حرّمه إسرائيل على نفسه : العُرُوق . ٤/٤

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٠٥ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن يوسف بن مَاهَك قال : جاء أعرابى إلى ابن عباس فقال إنه جعل امرأته عليه حراماً ، قال : ليست عليك بحرام . قال : فقال الأعرابى : ولم ؟ والله يقول يقول فى كتابه : « كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلاّ مَا حرَّم إسرائيل على نفسه » ؟ قال : فضحك ابن عباس وقال : وما يدريك ما كان إسرائيل حَرّم على نفسه ؟ قال : ثم أقبل على القوم يحدثهم فقال : إسرائيل عرَضتْ له الأنساءُ فأضنته ،[1] فجعل لله عليه إن شَفاه الله منها لا يطعم عِرْقاً . قال : فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم .

٧٤٠٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ،

---

(١) الأنساء جمع نسا : وهو هذا العرق الذى يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ، ثم يمر حتى يبلغ الكعب . وهو الذى يأخذه المرض المعروف .

عن أبي بشر . قال : سمعت يوسف بن ماهك يحدثُ : أنّ أعرابيًّا أتى ابن عباس ، فذكر رجلاً حرّم امرأته فقال : إنها ليست بحرام . فقال الأعرابى : أرأيت قول الله عز وجل : « كل الطعام كان حِلاّ لبنى إسرائيل إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه » ؟ فقال : إن إسرائيل كان به عِرْق النسا ، فحلف لئن عافاه الله أن لا يأكل العرُوق من اللحم ، وإنها ليست عليك بحرام .

٧٤٠٧ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمى ، عن أبي مجلز فى قوله : « كل الطعام كان حِلاّ لبنى إسرائيل إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه » ، قال : إن يعقوب أخذه وجع عرق النسا ، فجعل لله عليه = أو : أقسم ، أو : آلى = : لا يأكله من الدواب.[1] قال : والعروق كلها تبعٌ لذلك العرق .

٧٤٠٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنّ الذى حرّم إسرائيل على نفسه : أنّ الأنساء أخذته ذات ليلة فأسهرته ، فتألَّى إنِ الله شفاه لا يطعم َنساً أبداً ، فتتبعت بنوهُ العروق بعد ذلك يخرجونها من اللحم .[2]

٧٤٠٩ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة بنحوه = وزاد فيه . قال : فتألَّى لئن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً . فجعل بنوه بعد ذلك يتتبعون العروق فيخرجونها من اللحم . وكان « الذى حرّم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة » ، العُرُوق .

٧٤١٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه » ، قال : اشتكى

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أو أقسم أو قال لا يأكله من الدواب » ، وهو غير مستقيم ، وأشبه بالصواب ما أثبت . وانظر الأثر التالى وفيه « تألى » ، أى أقسم ، ومنه استظهرت هذا التصويب .

(٢) فى المخطوطة : « يخرجونه » ، فلعل ما قبلها « العرق » مفرداً ، ولكنى تركت ما فى المطبوعة فهو أجود ، لما فى الأثر الذى يليه .

إسرائيل عرق النسا فقال : إن الله شفاني لأحرِّمنّ العروق ! فحرَّمها .

٧٤١١ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا سفيان الثورى ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان إسرائيل أخذه عرق النسا ، فكان يبيتُ له زُقاء ،[1] فجعل لله عليه إن شفاه أن لا يأكل العروق ، فأنزل الله عز وجل : « كلّ الطعام كان حِلاّ لبنى إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه » = قال سفيان : « له زقاء » ، يعنى : صياحٌ .

٧٤١٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه » ، قال : كان يشتكى عرق النسا ، فحرَّم العروق .

٧٤١٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٤١٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب ابن أبي ثابت ، عن ابن عباس فى قوله : « كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة » ، قال : كان إسرائيل يأخذه عرق النسا ، فكان يبيت وله زقاء ، فحرَّم على نفسه أن يأكل عرقاً .

* * *

وقال آخرون : بل « الذى كان إسرائيل حرَّم على نفسه » ، لحوم الإبل وألبانُها .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤١٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن

---

(١) فى المطبوعة : « يبيت وله زقاء » ، بالواو ، وأثبت ما فى المخطوطة وهو جيد أيضاً . الزقاء : صوت الباكى وصياحه . زقا الصبى يزقو : اشتد بكاؤه وصاح . وسيأتى مشروحاً فى الأثر .

جريج ، عن عبد الله بن كثير قال : سمعنا أنه اشتكى شكوى ، فقالوا : إنه عرق النسا ، فقال : رَبِّ ، إنَّ أحب الطعام إلىّ لحومُ الإبل وألبانُها ، فإن شفيتنى فإنى أحرمها علىّ = قال ابن جريج ، وقال عطاء بن أبى رباح : لحومَ الإبل وألبانَها حرّم إسرائيل .

٧٤١٦ — حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « كل الطعام كان حلاّ لبنى إسرائيل » ، قال : كان إسرائيل حرّم على نفسه لحومَ الإبل ، وكانوا يزعمون أنهم يجدون فى التوراة تحريم إسرائيل على نفسه لحومَ الإبل ، وإنما كان حرّم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل قبل أن تنزل التوراة ، فقال الله : « فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، فقال : لا تجدون فى التوراة تحريم إسرائيل على نفسه ، أى لحم الإبل .[١]

٥/٤

٧٤١٧ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا حبيب بن أبى ثابت قال ، حدثنا سعيد ، عن ابن عباس : أنّ إسرائيل أخذه عرق النسا ، فكان يَبيت بالليل له زُقاء = يعنى : صياح = قال : فجعل على نفسه لئن شفاه الله منه لا يأكله = يعنى : لحوم الإبل = قال : فحرمه اليهود ، وتلا هذه الآية : « كل الطعام كان حلاّ لبنى إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، أى : إن هذا قبل التوراة .

٧٤١٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى : « إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه » ، قال : حرّم العروقَ ولحوم الإبل . قال : كان به عرق النسا ، فأكل من لحومها فباتَ بليلةٍ يَزْقُو ، فحلف أن لا يأكله أبداً .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « إلا لحم الإبل » وهو لا يستقيم ، وظننتها تحريف « أى » ، فأثبتها كذلك ، ولو حذفت كان الكلام مستقيما .

٧٤١٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد فى قوله : « إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » . قال : حرم لحم الأنعام .[١]

* * *

قال أبو جعفر :[٢] وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قولُ ابن عباس الذى رواه الأعمش ، عن حبيب ، عن سعيد عنه : أن ذلك، العروقُ ولحومُ الإبل . لأن اليهود مجمعة إلى اليوم على ذلك من تحريمهما ، كما كان عليه من ذلك أوائلُها . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك خبر ، وهو : ما : —

٧٤٢٠ — حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن عبد الحميد ابن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس : أن عصابة من اليهود حضرت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، أخبرنا أى الطعام حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزّل التوراة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنشُدكم بالذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرضَ مرضاً شديداً فطال سقمه منه ، فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من سُقْمه ليحرّمن أحبّ الطعام والشراب إليه ، وكان أحبّ الطعام إليه لُحمان الإبل ، وأحبّ الشراب إليه ألبانها ؟ فقالوا : اللهم نعم .[٣]

* * *

وأما قوله : « قل فأتوا بالتوراه فاتلوها إن كنتم صادقين » ، فإن معناه : قل ، يا محمد ، للزاعمين من اليهود أن الله حرم عليهم فى التوراة العروقَ ولحومَ الإبل وألبانها = : « ائتوا بالتوراة فاتلوها » ، يقول : قل لهم : جيئوا بالتوراة فاتلوها ، حتى يتبين لمن خفى عليه كذبهم وقيلهم الباطلَ على الله من أمرهم : أن ذلك ليس مما

---

(١) فى المطبوعة : « لحوم الأنعام » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « قال أبو جعفر رضى الله عنه » .

(٣) الأثر : ٧٤٢٠ — هذا مختصر الأثر السالف رقم : ١٦٠٥ ، وإسناده صحيح ، وقد مضى تخريجه هناك .

أنزلته فى التوراة = « إن كنتم صادقين » ، يقول : إن كنتم محقّين فى دعواكم أنّ الله أنزل تحريمَ ذلك فى التوراة ، فأتونا بها ، فاتلوا تحريمَ ذلك علينا منها .

* * *

وإنما ذلك خبر من الله عن كذبهم ، لأنهم لا يجيئون بذلك أبداً على صحّته ، فأعلم الله بكذبهم عليه نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وجعل إعلامه إياه ذلك حجةً له عليهم . لأن ذلك إذْ كان يخفى على كثير من أهل ملّتهم ، فمحمد صلى الله عليه وسلم وهو أمىٌّ من غير ملتهم ، لولا أن الله أعلمه ذلك بوحى من عنده = كان أحرَى أن لا يعلمَه . فكان ذلك له صلى الله عليه وسلم ،(١) من أعظم الحجة عليهم بأنه نبىٌّ لله ، صلى الله عليه وسلم ، إليهم . لأن ذلك من أخبار أوائلهم كان من خفىّ عُلومهم الذى لا يعلمه غير خاصة منهم ، إلاّ من أعلمه الذى لا يخفى عليه خافية من نبى أو رسول ، أو من أطلعه الله على علمه ممن شاء من خلقه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ ﴿٩٤﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : فمن كذَب على الله منا ومنكم ، من بعد مجيئكم بالتوراة وتلاوتكم إياها ، وَعَدَمِكم ما ادّعيتم من تحريم الله العروقَ ولحومَ الإبل وألبانها فيها = « فأولئك هم الظالمون » ، يعنى : فمن فعل ذلك منهم = « فأولئك » ، يعنى : فهؤلاء الذين يفعلون ذلك = « هم الظالمون » ، يعنى : فهم الكافرون ، القائلون على الله الباطل ، كما : —

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فكان فى ذلك له صلى الله عليه وسلم » ، و « فى » زيادة لا شك فيها من سبق قلم الناسخ .

٧٤٢١ـ حدثنا المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، حدثنا هشيم، عن زكريا، عن الشعبى: «فأولئك هم الظالمون»، قال: نزلت فى اليهود.

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه: «قل»، يا محمد= «صدق الله»، فيما أخبرنا به من قوله: «كلّ الطعام كان حلاّ لبنى إسرائيل»، وأن الله لم يحرم على إسرائيل ولا على ولده العروقَ ولا لحومَ الإبل وألبانَها، وأنّ ذلك إنما كان شيئاً حرّمه إسرائيل على نفسه ووَلده بغير تحريم الله إياه عليهم فى التوراة= وفى كل ما أخبر به عباده من خبر،[1] دونكم. وأنتم، يا معشر اليهود، الكذبةُ فى إضافتكم تحريم ذلك إلى الله عليكم فى التوراة،[2] المفتريةُ على الله الباطل فى دعواكم عليه غير الحق= «فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»، يقول: فإن كنتم، أيها اليهود، محقين فى دعواكم أنكم على الدّين الذى ارتضاه الله لأنبيائه ورُسله= «فاتبعوا ملة إبراهيم»، خليل الله، فإنكم تعلمون أنه الحق الذى ارتضاه الله منْ خلقه ديناً، وابتعث به أنبياءه، ذلك الحنيفية ـ يعنى: الاستقامة على الإسلام وشرائعه ـ دون اليهودية والنصرانية والمشركة.

٦/٤

* * *

(١) فى المخطوطة «فى كل ما أخبر...» بحذف الواو، والصواب ما فى المطبوعة. وهو معطوف على قوله آنفاً: «صدق الله فيما أخبرنا به...». وقوله: «دونكم»، سياقه «صدق الله ... دونكم»، يعنى فأنتم غير صادقين.

(٢) فى المطبوعة: «أنتم يا معشر اليهود الكذبة...» والصواب إثبات الواو كما فى المخطوطة. وسياقه «وأنتم ... الكذبة ... المفترية ...» بالرفع فيهما، خبر «أنتم».

وقوله : « وما كان من المشركين » ، يقول : لم يكن يشرك فى عبادته أحداً من خلقه . فكذلك أنتم أيضاً ، أيها اليهود ، فلا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله تطيعونهم كطاعة إبراهيم ربّه = وأنتم يا معشرَ عبدة الأوثان ، فلا تتخذوا الأوثان والأصنام أرباباً ، ولا تعبدوا شيئاً من دون الله ، فإن إبراهيم خليل الرحمن كان دينُه إخلاص العبادة لربه وحدَه ، من غير إشراك أحد معه فيه . فكذلك أنتم أيضاً ، فأخلصوا له العبادة ولا تشركوا معه فى العبادة أحداً ، فإن جميعكم مقرُّون بأنّ إبراهيم كان على حقّ وَهدْى مستقيم ، فاتبعوا ما قد أجمع جميعُكم على تصويبه من ملته الحنيفية ، ودعوا ما اختلفتم فيه من سائر الملل غيرها ، أيها الأحزاب ، فإنها بِدَع ابتدعتموها إلى ما قد أجمعتم عليه أنه حق ، فإن الذى أجمعتم عليه أنه صوابٌ وحق من ملة إبراهيم ، هو الحق الذى ارتضيتُه وابتعثتُ به أنبيائى ورسلى ، وسائرُ ذلك هو الباطل الذى لا أقبله من أحد من خلقى جاءَنى به يوم القيامة .

* * *

وإنما قال جل ثناؤه : « وما كان من المشركين » ، يعنى به : وما كان من عَدَدهم وأوليائهم . وذلك أن المشركين بعضهم من بعض فى التظاهر على كفرهم . ونصرةِ بعضهم بعضاً . فبرأ الله إبراهيم خليله أن يكون منهم أو [من] نصرائهم وأهل ولايتهم .[1] وإنما عنى جل ثناؤه بالمشركين ، اليهودَ والنصارَى وسائرَ الأديان ، غير الحنيفية . قال : لم يكن إبراهيم من أهل هذه الأديان المشركة ، ولكنه كان حنيفاً مسلماً .

* * *

(١) الزيادة بين القوسين يستقيم بها الكلام على وجهه .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٩٦)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : إنّ أول بيت وضع للناس ، يُعبَد الله فيه مباركاً وهـدًى للعالمين ، الذى ببكة . قالوا : وليس هو أوّل بيت وضع فى الأرض ، لأنه قد كانت قبله بيوت كثيرة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٢٢ — حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عرعرة قال : قام رجل إلى علىّ فقال : ألا تخبرنى عن البيت ؟ أهو أوّل بيت وُضع فى الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع فى البركة مقامِ إبراهيم ، ومن دَخَله كان آمناً .(١)

٧٤٢٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك قال : سمعت خالدَ بن عرعرة قال : سمعت عليًّا ، وقيل له : « إن أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة » ، هو أوّل بيت كان فى الأرض ؟ قال : لا ! قال : فأين كان قَوْم نُوح ؟ وأين كان قوم هود ؟ قال : ولكنه أوّل بيت وُضع للناس مبارَكاً وهـدًى .(٢)

---

(١) الأثر ٧٤٢٢ — هو مختصر الأثر السالف رقم : ٢٠٥٨ ، وفى المخطوطة والمطبوعة هنا أيضاً « وضع فى البركة » ، كما كان فى المطبوعة والمخطوطة هناك . ولكنى صححته من المستدرك والدر المنثور : « فيه البركة » ، غير أنى أعود فأقول إنى أرجح أن ما كان هناك صواب ، وأنه غير مستساغ أن يكون هذا الخطأ قد تكرر فى موضعين متباعدين من الكتاب . وإعراب الكلام فيما أرجح « مقام إبراهيم » بالجر ، بدلا من « البركة » ، على غير ما ضبطته هناك برفع « مقام إبراهيم » . هذا ، وقد مضى الكلام على رجال إسناده فى الأثر السالف .

(٢) الأثر : ٧٤٢٣ — مضى إسناده برقم : ٢٠٥٩ ، ولم يذكر لفظه . وقد مضى ذكر رجاله هناك .

٧٤٢٤ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء قال: سأل حفصٌ الحسنَ وأنا أسمع عن قوله: «إنّ أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً»، قال: هو أول مسجد عُبد الله فيه في الأرض.

٧٤٢٥ – حدثنا عبد الجبار بن يحيي الرملي قال، حدثنا ضمرة، عن ابن شوذب، عن مطر في قوله: «إنّ أول بيت وضع للناس للذى ببكة»، قال: قد كانت قبله بيوتٌ، ولكنه أوّل بيت وُضع للعبادة.(١)

٧٤٢٦ – حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي قال، حدثنا عباد، عن الحسن قوله: «إن أوّل بيت وضع للناس»، يُعبد الله فيه = «للذى ببكة».

٧٤٢٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك، عن سالم، عن سعيد: «إنّ أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً»، قال: وضع للعبادة.

* * *

وقال آخرون: بل هو أوّل بيت وضع للناس.

٤/٧

ثم اختلف قائلو ذلك في صفة وضعه أوّل.

فقال بعضهم: خُلق قبل جميع الأرَضين، ثم دُحِيت الأرَضون من تحته.

* ذكر من قال ذلك:

٧٤٢٨ – حدثنا محمد بن عمارة الأسدى قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال، أخبرنا شيبان، عن الأعمش، عن بكير بن الأخنس، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قال: خلق الله البيتَ قبل الأرض بألفي سنة، وكان – إذ كان عرشه على الماء – زَبْدةً بيضاءَ، فدحيتُ الأرض من تحته.

(١) الأثر: ٧٣٢٥ – «عبد الجبار بن يحيي الرملي»، شيخ الطبري، لم أجد ترجمته في مكان. وسيأتي برقم: ٧٤٤٦.

(٢) «الزبدة»: الطائفة من زبد الماء، الأبيض الذى يعلوه.

٧٤٢٩ — حدثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد ابن زياد قال ، حدثنا خصيف قال : سمعت مجاهداً يقول : إنّ أول ما خلق الله الكعبةَ ، ثم دَحى الأرض من تحتها .

٧٤٣٠ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « إن أول بيت وضع للناس » ، كقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٠] .

٧٤٣١ — حدثني محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين » ، أما « أول بيت » ، فإنه يوم كانت الأرض ماء ، كان زَبْدَةً على الأرض ، فلما خلق الله الأرضَ خلق البيت معها ، فهو أوّل بيت وضع فى الأرض .

٧٤٣٢ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « إن أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً » ، قال : أوّل بيت وَضَعه الله عز وجل ، فطاف به آدم ومَنْ بعده .

* * *

وقال آخرون : موضع الكعبة ، موضع أوّل بيت وضعه الله فى الأرض .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٣٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذُكر لنا أن البيتَ هبط مع آدم حين هبط ، قال : أهبِط معك بيتى يُطاف حوله كما يطاف حول عرشى . فطاف حوله آدم ومن كان بَعده من المؤمنين ، حتى إذا كان ، زمنُ الطوفان ، زَمنَ أغرقَ الله قوم نوح ، رَفعه الله وطهَّره من أن يصيبه عُقوبة أهل الأرض ، فصار معموراً فى السماء . ثم إنّ إبراهيم تتبع منه أثراً بعد ذلك ، فبناه على أساسٍ قديم كان قَبله .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ما قال جل ثناؤه فيه : إن أول بيت مباركٍ وهدًى وُضع للناس ، للذى ببكة . ومعنى ذلك : « إن أول بيت وُضع للناس » ، أى : لعبادة الله فيه = « مباركاً وهدًى » ، يعنى بذلك : ومآباً لنُسْك الناسكين وطواف الطائفين ، تعظيماً لله وإجلالاً له = « للذى ببكة » = لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك ، ما : —

٧٤٣٤ — حدثنا به محمد بن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن أبى ذر قال ، قلت : يا رسول الله ، أىُّ مسجد وضع أوّل ؟ قال : المسجدُ الحرام . قال : ثم أىٌّ ؟ قال : المسجد الأقصى . قال : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة .(١)

* * *

فقد بين هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ المسجد الحرام هو أوّل مسجد وضعه الله فى الأرض ، على ما قلنا . فأما فى موضعه بيتاً ، بغير معنى بيتٍ للعبادة والهدى والبركة ،(٢) ففيه من الاختلاف ما قد ذكرت بعضَه فى هذا الموضع ، وبعضه فى سورة البقرة وغيرها من سُور القرآن ، وبينتُ الصواب من القول عندنا فى ذلك ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(٣)

* * *

---

(١) الحديث : ٧٤٣٤ — سليمان : هو الأعمش .

إبرهيم التيمى : هو إبرهيم بن يزيد بن شريك . مضى هو وأبوه فى : ٢٩٩٨ .

والحديث رواه أحمد فى المسند ٥ : ١٦٦ — ١٦٧ (حلبى) ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، به ، بزيادة فى آخره .

ورواه أيضاً ٥ : ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ (حلبى) ، بأسانيد ، عن الأعمش ، مطولا .

وكذلك رواه مسلم ١ : ١٤٦ — ١٤٧ ، من طريق على بن مسهر ، عن الأعمش .

وذكره ابن كثير ٢ : ١٩٠ ، من رواية المسند (٥ : ١٥٠) ، ثم قال : « وأخرجه البخارى ، ومسلم — من حديث الأعمش ، به » .

وذكره السيوطى ٢ : ٥٢ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، والبيهقى فى الشعب .

(٢) فى المطبوعة : « فأما فى وضعه بيتاً . . . » ، غيروا ما فى المخطوطة وهو صواب .

(٣) انظر ما سلف ٣ : ٥٧ — ٦٤ .

وأما قوله : « للذى ببكة مباركاً » ، فإنه يعنى : للبيت الذى بمُزْدَحم الناس لطوافهم فى حجهم وعُمَرهم .

* * *

وأصل « البكّ » الزحم ، يقال: منه : « بكّ فلانٌ فلاناً » إذا زحمه وصدمه — « فهو يبُكه بكًّا ، وهم يتباكُّون فيه » ، يعنى به : يتزاحمون ويتصادمون فيه . فكأن «بكّة» «فَعْلة» من « بكّ فلان فلاناً» زحمه، سُميت البقعة بفعل المزدحمين بها .

* * *

فإذ كانت « بكة » ما وصفنا ، وكان موضع ازدحام الناس حَوْل البيت ، وكان لا طوافَ يجوز خارج المسجد = كان معلوماً بذلك أن يكون ما حَوْل الكعبة من داخل المسجد ، وأن ما كان خارجَ المسجد فمكة ، لا « بكة » . لأنه لا معنى خارجَه يوجب على الناس التَّباكّ فيه . وإذْ كان ذلك كذلك ، كان بيّناً بذلك فسادُ قول من قال : « بكة » اسم لبطن « مكة » ، ومكة اسم للحرم . [1]

* * *

* ذكر من قال فى ذلك ما قلنا : من أن « بكة » موضع مزدحم الناس للطواف :

---

(١) انتهى جزء من التقسيم القديم ، وفى المخطوطة ما نصه :

« يتلوهُ ذكر مَنْ قال فى ذلك ما قُلنا من أن بكة
موضع مزدحم الناس للطواف
والحمد لله على عونه و إحسانه ، وصلى الله على محمد
وآله الطاهرين وسلم تسليمًا »

ثم يتلوه ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم
ربّ يَسِّر

أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان البغدادى قال
حدثنا محمد بن جرير »

فأعاد إسناد المخطوطة التى نقل عنها ، كما سلف فى تعليقنا ٦ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ رقم : ٥ ، وهذا هو الموضع الثانى لذكر هذا الإسناد الجديد .

٧٤٣٥ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك الغفاري في قوله : « إن أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة » ، قال : « بكة » موضع البيت ، « ومكة » ما سوى ذلك . ٨/٤

٧٤٣٦ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم مثله.

٧٤٣٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن أبي جعفر قال : مرّت امرأة بين يدى رجل وهو يصلى وهى تطوف بالبيت، فدفعها. قال أبو جعفر : إنها بَكّة، يبكّ بعضُها بعضاً.

٧٤٣٨ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الصمد قال، حدثنا شعبة قال، حدثنا سلمة، عن مجاهد قال: إنما سميت « بكة »، لأن الناس يتباكُّون فيها، الرجالَ والنساءَ.

٧٤٣٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان، عن حماد، عن سعيد قال : قلت : لأىّ شىء سُميت « بكة » ؟ قال : لأنهم يتباكُّون فيها = قال : يعنى : يزدحمون.(١)

٧٤٤٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان، عن الأسود بن قيس، عن أبيه، عن ابن الزبير قال : إنما سميت « بكة »، لأنهم يأتونها حُجّاجاً.(٢)

٧٤٤١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « إنّ أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً »، فإن الله بَكّ به الناس جميعاً، فيصلى النساءُ قدّام الرجال، ولا يصلح ببلد غيره.

٧٤٤٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة : « بكة »، بكّ الناس بعضُهم بعضاً، الرجال والنساء، يصلى بعضُهم بين يدَىْ بعض، لا يصلح ذلك إلاّ بمكة.

---

(١) فى المطبوعة : « يتزاحمون » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ٧٤٤٠ — « الأسود بن قيس العبدى » ، روى عن أبيه وجماعة ، وروى عنه شعبة والثورى وشريك وغيرهم . وأبوه : « قيس العبدى » الكوفى ، مترجم فى الكبير ١٤٩/١/٤ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عن أخيه » ، وهو تصحيف والصواب ما أثبت .

٧٤٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى قال : « بكة » ، موضع البيت ، و « مكة » ، ما حولها .

٧٤٤٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى يحيى بن أزهر ، عن غالب بن عبيد الله : أنه سأل ابن شهاب عن « بكة » ، قال : « بكة » البيتُ والمسجد . وسأله عن « مكة » ، فقال ابن شهاب : « مكة » ، الحرمُ كله .

٧٤٤٥ — حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن عطاء ومجاهد قالا : « بكة » ، بكّ فيها الرجالَ والنساءَ .

٧٤٤٦ — حدثنى عبد الجبار بن يحيى الرملى قال : قال ضمرة بن ربيعة ، « بكة » المسجد ، و « مكة » ، البيوت .[1]

* * *

وقال بعضهم بما : —

٧٤٤٧ — حدثنى به يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « إن أوّل بيت وُضع للناس للذى ببكة » ، قال : هى مكة .

* * *

وقيل : « مباركاً » ، لأنّ الطواف به مغفرةٌ للذّنوب .[2]

* * *

فأما نصب قوله : « مباركاً » ، فإنه على الخروج من قوله : « وضع » ، لأن فى « وضع » ذكراً من « البيت » هو به مشغول ، وهو معرفة ، و « مبارك » نكرة ، لا يصلح أن يتبعه فى الإعراب .[3]

* * *

(١) الأثر : ٧٤٤٦ — « عبد الجبار بن يحيى الرملى » شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٧٤٢٥ .

(٢) هذا كلام الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٢٧ .

(٣) « الخروج » هنا ، كأنه الحال ، وقد سلف فى ٥ : ٢٥٣ ، ٢٥٤ ما يشبه أن يكون أيضاً بمعنى الحال . وانظر ما سلف ٦ : ٥٨٦ « أن الحال يجىء بعد فعل قد شغل بفاعله ، فينصب كما ينصب المفعول الذى يأتى بعد الفعل الذى شغل بفاعله » .

وأما على قول من قال : « هو أول بيت وضع للناس » ، على ما ذكرنا فى ذلك قولَ من ذكرنا قوله ، فإنه نصبٌ على الحال من قوله : « للذى ببكة » . لأن معنى الكلام على قولهم : إن أول بيت وضع للناس البيتُ [الذى] ببكة مباركاً . ف « البيت » عندهم من صفته « الذى ببكة » ، و « الذى » بصلته معرفته ، و « المبارك » نكرة ، فنصب على القطع منه ، فى قول بعضهم = وعلى الحال فى قول بعضهم[1] = « وهدى » فى موضع نصب على العطف على قوله : « مباركاً » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[2]

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه قرأة الأمصار : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ على جماع « آية » ، بمعنى : فيه علاماتٌ بيناتٌ .

* * *

وقرأ ذلك ابن عباس : ﴿ فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ ﴾ ، يعنى بها : مقام إبراهيم ، يراد بها : علامةٌ واحدةٌ .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فيه آيات بينات » ، وما تلك الآيات ؟ فقال بعضهم : مقامُ إبراهيم والمشعرُ الحرام ونحو ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٤٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ،

---

(١) « القطع » كأنه باب من الحال ، انظر ما سلف ٦ : ٢٧٠ ، ٣٧١، ٤١٥ وما قبلها فى فهرس المصطلحات من الأجزاء السالفة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة ، لم يكن « مقام إبراهيم » ، وأثبت تمام التلاوة .

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فيه آيات بينات » ، مقامُ إبراهيم والمشعر .

٧٤٤٩ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ومجاهد : « فيه آيات بينات مَقامُ إبراهيم » ، قال : مقامُ إبراهيم ، من الآيات البينات .[1]

* * *

وقال آخرون : « الآيات البينات » ، مقام إبراهيم = « ومن دخله كانَ آمناً » .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥٠ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « فيه آيات بينات » ، قال : « مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً » .

وقال آخرون : « الآيات البينات » ، هو مقام إبراهيم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « فيه آيات بَينات مقام إبراهيم » ، أما « الآيات البينات » فمقام إبراهيم .

* * *

قال أبو جعفر : وأما الذين قرأوا ذلك : « فيه آية بينة » على التوحيد ، فإنهم عنوا بـ « الآية البينة » ، مقام إبراهيم . ٤/٩

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥٢ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « إسحق بن يحيي » ، والصواب « الحسن بن يحيي » ، وهو إسناد يدور دوراناً فى التفسير أقربه رقم : ٧٤٤٢ .

نجيح ، عن مجاهد : « فيه آية بينة »،[١] قال : قدَماه في المقام آية بينة . يقول : « ومن دخله كان آمناً » ، قال : هذا شيء آخر .

٧٤٥٣ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن ليثٌ ، عن مجاهد : « فيه آية بينة مقام إبراهيم » ، قال : أثرُ قدميه فى المقام ، آية بينة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، قولُ من قال : « الآيات البينات ، منهنّ مقام إبراهيم » ، وهو قول قتادة ومجاهد الذى رواه معمر عنهما . فيكون الكلام مراداً فيه « منهن » ، فترك ذكرُه اكتفاء بدلالة الكلام عليها .

* * *

فإن قال قائل : فهذا المقامُ من الآيات البينات ، فما سائر الآيات التى من أجلها قيل : « آيات بينات » ؟

قيل : منهنّ المقام ، ومنهن الحجرَ ، ومنهن الحطيمُ .

* * *

وأصحّ القراءتين فى ذلك قراءة من قرأه :[٢] « فيه آياتٌ بيناتٌ » على الجماع ، لإجماع قرأة أمصار المسلمين على أن ذلك هو القراءة الصحيحة دون غيرها .

* * *

وأما اختلاف أهل التأويل فى تأويل : « مقام إبراهيم » ، فقد ذكرناهُ فى « سورة البقرة » ، وبينا أولى الأقوال بالصواب فيه هنالك ، وأنه عندنا المقامُ المعروف به .[٣]

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « فيه آيات بينات » ، وهو هنا يذكر قول مجاهد فى قراءة ابن عباس على الإفراد ، فكتبها الناسخ على قراءته بالجمع . ورددتها إلى ما ينبغى ، ودليل ذلك السهو من الناسخ فى الأثر التالى .

(٢) فى المطبوعة : « من قرأ » . وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) انظر ما سلف ٣ : ٣٣ – ٣٧ .

فتأويل الآية إذاً : إنّ أول بيت وُضع للناس مباركاً وهدًى للعالمين ، للّذى ببكة ، فيه علاماتٌ بيناتٌ من قدرة الله وآثار خليله إبراهيم ، منهن أثر قدَم خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم فى الحجر الذى قامَ عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : الخبرُ عن أنّ كل من جرّ فى الجاهلية جريرةً ثم عاذَ بالبيت ، لم يكن بها مأخوذاً .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومن دخله كان آمناً » ، وهذا كان فى الجاهلية ، كان الرّجل لو جرّ كل جريرة على نفسه ، ثم لجأ إلى حَرَم الله ، لم يُتناول ولم يُطلب . فأما فى الإسلام فإنه لا يمنع من حدود الله ، مَنْ سرَق فيه قُطع ، ومن زَنى فيه أقيمَ عليه الحدّ ، ومن قَتل فيه قُتل = وعن قتادة : أن الحسن كان يقول : إنّ الحرم لا يمنع من حدود الله . لو أصاب حدًّا فى غير الحرم ، فلجأ إلى الحرم ، لم يمنعه ذلك أن يُقام عليه الحدّ .

* * *

* ورأى قتادةُ ما قاله الحسن .

٧٤٥٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « ومن دخله كان آمناً » ، قال : كان ذلك فى الجاهلية .

فأما اليوم ، فإن سرق فيه أحدٌ قطع ، وإن قتل فيه قُتل ، ولو قُدِر فيه على المشركين قُتِلوا .

٧٤٥٦ — حدثنا سعيد بن يحيي الأموى قال، حدثنا عبد السلام بن حرب قال ، حدثنا خصيف ، عن مجاهد = فى الرجل يقتل ثم يدخل الحرم = قال : يؤخَذ، فيخرج من الحرم ، ثم يقام عليه الحد . يقول : القتل .

٧٤٥٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، حماد ، مثل قول مجاهد .

٧٤٥٨ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا هشام ، عن الحسن وعطاء = فى الرجل يصيب الحدّ ويلجأ إلى الحرم = يُخرج من الحرم ، فيقامُ عليه الحد .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية على قول هؤلاء : فيه آيات بينات مقام ُ إبراهيم ، والذى دخله من الناس كان آمناً بها فى الجاهلية .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن يَدْخله يكن آمناً بها = بمعنى الجزاء ، كنحو قول القائل : « من قامَ لى أكرمته » ، بمعنى : من يَقم لى أكرمه . وقالوا : هذا أمرٌ كان فى الجاهلية ، كان الحرمُ مَفزَع كل خائف . وملجأ كل جانٍ ، لأنه لم يكن يُهاجُ به ذو جريرة ، ولا يَعرِض الرّجل فيه لقاتل أبيه وابنه بسوء . قالوا : وكذلك هو فى الإسلام ، لأن الإسلام زادَه تعظيماً وتكريماً .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥٩ — حدثنى محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد ابن زياد قال ، حدثنا خصيف قال ، حدثنا مجاهد قال ، قال ابن عباس : إذا أصاب الرجل الحدّ : قتل أو سرق ، فدخل الحرم ، لم يُبايع ولم يُؤوَ ، حتى يتبرّم فيخرج من الحرم ، فيقام عليه الحد . قال : فقلت لابن عباس : ولكنى لا أرَى

ذلك ! أرى أن يؤخذ برُمّته ،[1] ثم يخرج من الحرَم ، فيقام عليه الحد ، فإن الحرم لا يزيده إلاّ شدّة .

٧٤٦٠ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا عبد الملك ، عن عطاء قال : أخذَ ابن الزبير سعداً مولى معاوية — وكان فى قلعة بالطائف — فأرسل إلى ابن عباس من يُشاوره فيهم : إنهم لنا عَدوّ .[2] فأرسل إليه ابن عباس : لو وجدت قاتل أبى لم أعرض له . قال : فأرسل إليه ابن الزبير : ألا نخرجهم من الحرم ؟ قال : فأرسل إليه ابن عباس : أفلا قبل أن تدخلهم الحرم ؟ = زاد أبو السائب فى حديثه : فأخرجهم فصلبهم ، ولم ينظر إلى قول ابن عباس .[3] ١٠/٤

٧٤٦١ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : من أحدَث حدَثاً فى غير الحرم ، ثم لجأ إلى الحرم لم يُعرَض له ، ولم يبايع ، ولم يكلَّم ، ولم يؤوَ ، حتى يخرج من الحرم . فإذا خرج من الحرم ، أخِذ فأقيم عليه الحد . قال : ومن أحدث فى الحرم حدَثاً أقيم عليه .[4]

---

(١) الرمة (بضم الراء وتشديد الميم المفتوحة) : قطعة حبل يشد بها الأسير أو القاتل إذا قيد إلى القتل للقود . وقوله : أخذ برمته (بالبناء للمجهول) : أى أخذ قسراً حتى يقتل .

(٢) فى المطبوعة « لنا عين » ، ولا معنى لها . وفى المخطوطة : « لنا عرق » ، ولم أجد لها وجهاً ، وهى مصحفة ، فرأيت أن أقرب ذلك إليها « عدو » فأثبتها ، مع مخافتى أن لا تكون كذلك .

(٣) فى المطبوعة : « ولم يصغ إلى قول ابن عباس » ، وفى المخطوطة « لم ينطق إلى قول ابن عباس » وهى لا معنى لها ، وهى مصحفة ، وأقرب ما يكون صوابها ، هو ما أثبته .

هذا ولم أجد هذا الأثر فى مكان بعد الجهد ، وقد أشاروا إلى خبر ابن عباس وابن الزبير فى كثير من الكتب ، ولكنهم لم يأتوا فيه بهذا النص . وقد روى الأزرقى فى أخبار مكة ٢ : ١١١ معنى هذا الأثر فقال : « حدثنا أبو الوليد ، قال حدثنى جدى ، عن سعيد بن سالم ، عن ابن جريج ، عن عطاء : أنكر ابن عباس قتل ابن الزبير سعداً مولى عتبة وأصحابه . . . » ولم يقل « مولى معاوية » . وأخشى أن يكون « مولى عتبة » ، يعنى : عتبة بن أبى سفيان . وقد ذكر الطبرى سعداً مولى معاوية فى تاريخه ٦ : ١٨٣ ، ١٨٤ فقال : « وكان على حجابه سعد مولاه » . وهذا يحتاج إلى تحقيق لم يتيسر لى عند كتابة هذا . فأرجو أن أبلغ منه ما أريد إن شاء الله .

(٤) فى المطبوعة : « أقيم عليه الحد » ، زاد « الحد » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو صواب .

٧٤٦٢ - حدثنا أبوكريب قال، حدثنا إبراهيم بن إسمعيل بن نَصر السُّلمى، عن ابن أبى حبيبة، عن داود بن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: من أحدث حدَثًا ثم استجار بالبيت فهو آمن، وليس للمسلمين أن يعاقبوه على شىء إلى أن يخرج. فإذا خرَج أقاموا عليه الحدّ.(١)

٧٤٦٣ - حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، حدثنا حجاج، عن عطاء عن ابن عمر قال: لو وجدتُ قاتل عمر فى الحرَم، ما هِجْتُه.

٧٤٦٤ - حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس قال، حدثنا ليث، عن عطاء: أن الوليد بن عتبة أرادَ أن يُقيم الحدّ فى الحرم، فقال له عُبيد بن عمير: لا تقم عليه الحد فى الحرَم، إلا أن يكون أصابه فيه.

٧٤٦٥ - حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس قال، أخبرنا مطرف، عن عامر قال: إذا أصاب الحدّ ثم هرب إلى الحرم، فقد أمن. فإذا أصابه فى الحرم، أقيم عليه الحدّ فى الحرم.

٧٤٦٦ - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن فراس، عن الشعبى قال: من أصاب حدًّا فى الحرم أقيم عليه فى الحرم. ومن أصابه خارجاً من الحرم ثم دخل الحرم، لم يكلَّم ولم يبايع حتى يخرج من الحرم، فيقام عليه.

٧٤٦٧ - حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال، حدثنا عبد السلام بن حرب قال، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير= وعن عبد الملك، عن عطاء ابن أبى رباح= فى الرجل يقتل ثم يدخل الحرم= قال: لا يبيعه أهلُ مكة ولا يشترون منه، ولا يسقونه ولا يطعمونه ولا يؤونه= عدّ أشياء كثيرة= حتى

---

(١) الأثر: ٧٤٦٢ - «إبراهيم بن إسماعيل بن نصر السلمى» هو التبان، مضى فى مثل هذا الإسناد رقم: ٣٤٣٩، ٣٤٨٤، ٣٥٢١. «وابن أبى حبيبة»، هو إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة الأشهلى. مضى فيها وفى رقم: ٤٣١٩.

يخرج من الحرَم ، فيؤخذ بذنبه .

٧٤٦٨ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنّ الرجل إذا أصاب حدًّا ثم دخل الحرم ، أنه لا يُطعَم ، ولا يُسقى ، ولا يؤوَى ، ولا يكلَّم ، ولا يُنكح ، ولا يبايع . فإذا خرج منه أقيم عليه الحد .

٧٤٦٩ — حدثني المثنى قال ، حدثني حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عمرو ابن دينار ، عن ابن عباس قال : إذا أحدث الرجل حدَثاً ثم دخل الحرم ، لم يُؤْوَ ، ولم يجالس ، ولم يبايع ، ولم يطعَم ، ولم يُسْق ، حتى يخرج من الحرَم .

٧٤٧٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

٧٤٧١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما قوله : « ومن دخله كان آمناً » ، فلو أنّ رجلا قتلَ رجلاً ، ثم أتى الكعبة فعاذَ بها ، ثم لقيه أخو المقتول لم يحلّ له أبداً أن يقتله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن دخله يَكن آمناً من النار .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٧٢ — حدثنا على بن مسلم قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا رزيق ابن مسلم المخزومى قال ، حدثنا زياد بن أبي عياش ، عن يحيى بن جعدة فى قوله : « ومن دخله كان آمناً » ، قال : آمناً من النار .[1]

* * *

(١) الخبر : ٧٤٧٢ — هذا أثر ليس بحجة فى نفسه على أحد . هو قول فى معنى الآية قاله تابعى ، رأى من الآراء . فإن يحيى بن جعدة بن هبيرة القرشى المخزومى : تابعى ثقة . ولكنه فى هذا الخبر لم يرو شيئاً عن غيره .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب ، قول ابن الزبير ومجاهد والحسن ، ومن قال : « معنى ذلك : ومن دخله من غيره ممن لجأ إليه عائذاً به ، كان آمناً ما كان فيه ، ولكنه يُخرج منه فيقام عليه الحد ، إن كان أصاب ما يستوجبه فى غيره ثم لجأ إليه . وإن كان أصابه فيه أقيمَ عليه فيه » .

* * *

فتأويل الآية إذاً : فيه آيات بينات مقامُ إبراهيم ، ومن يدخله من الناس مستجيراً به ، يكن آمناً مما استجارَ منه ما كان فيه ، حتى يخرج منه .

* * *

فإن قال قائل : وما منعك من إقامة الحد عليه فيه ؟

١١/٤ قيل : لاتفاق جميع السلف على أنّ من كانت جريرته فى غيره ثم عاذ به ،

إنما المشكل هنا رجال الإسناد !

رزيق بن مسلم المخزومى : هكذا ثبت هنا فى المطبوعة والمخطوطة ، ولكن المخطوطة لم تنقط فيها الزاى ، فاحتمل أن يكون « رزيق » بتقديم الراء ، أو « زريق » بتقديم الزاى . ووقع فى ابن كثير ٢ : ١٩٣ ، نقلا عن إسناد هذا الأثر من تفسير ابن أبى حاتم « زريق بن مسلم الأعمى مولى بنى مخزوم » — بتقديم الزاى . وليست مطبوعة ابن كثير بعمدة فى التصحيح .

ولم أجد لهذا الرجل ترجمة بعد طول البحث والعناء . إلا أن الحافظ الذهبى فرق فى المشتبه ، ص : ٢٢٠ — ٢٢٤ بين تقديم الراء وتأخيرها فى هذا الرسم ، مستوعباً كل الأعلام فيه أو يكاد . وتبعه الحافظ فى تحرير المشتبه (مخطوط) . وزاد عليه ما فاته. فقال الذهبى — فى تقديم الراء — : « ورزيق بن هشام ، عن زياد بن أبى عياش » . ثم ذكر آخر ، ثم قال : « ورزيق الأعمى ، عن أبى هريرة . واه » . وهذا الواهى مترجم بإيجاز فى لسان الميزان .

ولم أستطع الجزم بأن هذين أو أحدهما هو المذكور فى هذا الإسناد . فإن اتفاق روايتى الطبرى وابن أبى حاتم على تسميته « رزيق بن مسلم » — يبعد معه الظن بتحريفه عن « رزيق بن هشام » . ولكن اتفاق اسم شيخه عند ابن أبى حاتم مع ما ذكره الذهبى يكاد يرجح أنه هو .

وأما ترجيح أنه بتقديم الراء ، خلافاً لما ثبت فى مطبوعة ابن كثير ، فرده إلى ارتفاع الثقة بتصحيحها .

وشيخه « زياد بن أبى عياش » : لم أجد له ترجمة أيضاً ، إلا ذكره فى المشتبه والتحرير . وثبت فى مطبوعة الطبرى هنا « زياد بن أبى عياض » ، بالضاد . وهو تحريف ، صوابه ما فى ابن كثير عن إسناد ابن أبى حاتم . وكذلك ثبت فى مخطوطة الطبرى ، ولكن بدون نقط على الشين ، كأنه « عباس » . وهو خطأ واضح ، أو تساهل فى إعجام الحرف . ورجح إعجامه ثبوته بالشين معجمة فى المشتبه والتحرير . وزادنا توثيقاً الحافظ حين نص عليه فى تحرير المشتبه ، فقال فيما زاده على الذهبى استكمالا لمن عرف باسم « عياش » — : « وزياد بن أبى عياش ، عن يحيى بن جعدة » .

فإنه لا يؤخذ بجريرته فيه . وإنما اختلفوا فى صفة إخراجه منه لأخذه بها .

فقال بعضهم : صفة ذلك : منعه المعانىَ التى يضطرّ مع منعه وفقدِه إلى الخروج منه .

وقال آخرون : لا صفة لذلك غيرُ إخراجه منه بما أمكن إخراجه من المعانى التى تُوصِّل إلى إقامة حدّ الله عليه معها .

فلذلك قلنا : غيرُ جائز إقامة الحد عليه فيه إلاّ بعد إخراجه منه . فأما من أصاب الحدّ فيه ، فإنه لا خلاف بين الجميع فى أنه يقامُ عليه فيه الحد . فكلتا المسألتين أصل مُجْمَع على حكمهما على ما وصفنا .

* * *

فإن قال لنا قائل : وما دِلالتك على أن إخراج العائذ بالبيت = إذا أتاه مستجيراً به من جريرة جرّها . أو من حدٍّ أصابه = من الحرم ، جائزٌ لإقامة الحد عليه ، وأخذه بالجريرة ، وقد أقررتَ بأن الله عز وجل قد جَعل من دخله آمناً ، ومعنى « الآمن » غير معنى « الخائف » ؟ فبما هما فيه مختلفان ؟[1]

قيل : قلنا ذلك ، لإجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة ، على أنّ إخراج العائذ به = من جريرة أصابها أو فاحشةٍ أتاها وجبتْ عليه بها عقوبة منه = ببعض معانى الإخراج لأخذه بما لزمه ، واجبٌ على إمام المسلمين وأهلِ الإسلام معه .[2]

وإنما اختلفوا فى السبب الذى يُخرَج به منه .

فقال بعضهم : السبب الذى يَجوز إخراجه به منه : ترك جميع المسلمين مبايَعته وإطعامَه وسقيه وإيواءَه وكلامه ، وما أشبه ذلك من المعانى التى لا قَرار للعائذ به

---

(١) فى المطبوعة : « فيما هما فيه مختلفان » ، وفى المخطوطة « فما » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبته ، على الاستفهام . يقول : فبم يختلف معنى الآمن ومعنى الخائف فى الحرم ؟

(٢) سياق هذه الجملة : « . . . على أن إخراج العائذ به . . . ببعض معانى الإخراج . . . واجب على إمام المسلمين . . . » .

فيه مع بعضها ، فكيف مع جميعها ؟

وقال آخرون منهم : بل إخراجه لإقامة ما لزمه من العقوبة ، واجبٌ بكل معانى الإخراج .

= فلما كان إجماعاً من الجميع على أنّ حكم الله — فيمن عاذ بالبيت من حدّ أصابه أو جريرة جرّها — إخراجه منه ، لإقامة ما فرض الله على المؤمنين إقامته عليه ، ثم اختلفوا فى السبب الذى يَجوز إخراجُه به منه = كان اللازم لهم ولإمامهم إخراجه منه بأىّ معنى أمكنهم إخراجه منه ، حتى يقيموا عليه الحدّ الذى لزمه خارجاً منه إذا كان لجأ إليه من خارج ، على ما قد بينا قبل .

* * *

وبعدُ ، فإن الله عز وجل لم يضع حدًّا من حُدُوده عن أحد من خلقه من أجل بُقعة وموضع صار إليها من لزمه ذلك ، وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٧٤٧٣ — « إنى حرمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة » .(١)

* * *

= ولا خلاف بين جميع الأمة أنّ عائذاً لو عاذَ من عقوبة لزمته بحرَم النبى صلى الله عليه وسلم ، يؤاخذ بالعقوبة فيه . ولولا ما ذكرت من إجماع السلف على أنّ حرَم إبراهيم لا يقام فيه على من عاذَ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه ، لكان أحقّ البقاع أن تؤدَّى فيه فرائض الله التى ألزمها عبادَه من قتل أو غيره ، أعظمَ البقاع إلى الله ، كحرم الله وحرَم رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكنا أمرنا بإخراج من أمرنا بإخراجه من حَرَم الله لإقامة الحد ، لما ذكرنا من فعل الأمة ذلك وراثةً .

* * *

(١) الأثر : ٧٤٧٣ — رواه أبو جعفر بغير إسناد ، وهو حديث صحيح ، ولفظه فى مسلم : ٩ : ١٣٤ والبخارى (الفتح ٤ : ٢٩٠) .

فمعنى الكلام = إذ كان الأمر على ما وصفنا =: ومن دخله كان آمناً ما كان فيه . فإذ كان ذلك كذلك ، فمن لجأ إليه من عقوبة لزمته عائذاً به ، ، فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه ، وإنما يصير إلى الخوف بعد الخروج أو الإخراج منه ، فحينئذ هو غيرُ داخله ولا هو فيه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وفرضٌ واجبٌ لله = على من استطاع من أهل التكليف السبيلَ إلى حجّ بيته الحرام = الحج إليه .

* * *

وقد بينا فيما مضى معنى « الحج » ، ودللنا على صحة ما قلنا من معناه ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله عز وجل : « من استطاع إليه سبيلاً » ، وما السبيل التى يجبُ مع استطاعتها فرض الحج ؟

فقال بعضهم : هى الزّاد والراحلة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٧٤ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن بكر قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « من استطاع إليه سبيلا » ، قال : الزاد والراحلة .

٧٤٧٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن بكر قال ، أخبرنا ابن

(١) انظر ما سلف ٣ : ٢٢٨ ، ٤/٢٢٩ : ٢١ .

جريج قال ، قال عمرو بن دينار : الزاد والراحلة .

٧٤٧٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن أبي جناب ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : الزاد والبعير .[1]

٧٤٧٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، والسبيل ، أن يصحّ بدن العبد ، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يُجْحف به .

١٢/٤

٧٤٧٨ — حدثنا خلاد بن أسلم قال ، حدثنا النضر بن شميل قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي عبد الله البجلى قال : سألت سعيد بن جبير عن قوله : « من استطاع إليه سبيلاً » ، قال قال ابن عباس : من ملك ثلثمئة درهم فهو السبيل إليه .

٧٤٧٩ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن إسحق بن عثمان قال : سمعت عطاء يقول : السبيلُ ، الزاد والراحلة .

٧٤٨٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « من استطاع إليه سبيلا » ، فإن ابن عباس قال : السبيلُ ، راحلةٌ وزادٌ .

٧٤٨١ — حدثنى المثنى وأحمد بن حازم قالا ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن سوقة ، عن سعيد بن جبير : « من استطاع إليه سبيلا » ، قال : الزاد والراحلة .

---

(١) الأثر : ٧٤٧٦ — « أبو جناب الكلبى » . هو « يحيى بن أبي حية » ، واسم « أبي حية » حى . روى عن أبيه ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، والضحاك بن مزاحم ، والحسن البصرى وغيرهم . روى عنه الثورى ، وابن عيينة ، وهشيم ، ووكيع وغيرهم . فتكلم فيه لأنه كان يدلس فأفسد أحاديثه ، كان يحدث بما لم يسمع . مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة : « أبو خباب » ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة : « أبو حباب » غير منقوطة .

٧٤٨٢ - حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال ، أخبرنا الربيع ابن صبيح ، عن الحسن ، قال : الزادُ والراحلة .

٧٤٨٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير، عن منصور، عن الحسن قال : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، فقال رجلٌ : يا رسول الله ، ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة .

* * *

واعتل قائلو هذه المقالة بأخبار رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ما قالوا فى ذلك .

* ذكر الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٧٤٨٤ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إبراهيم بن يزيد الخوزى قال : سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث ، عن ابن عمر قال : قام رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة .(١)

---

(١) الحديث : ٧٤٨٤ - إبرهيم بن يزيد المكى الخوزى : ضعيف جداً . ضعفه أحمد ، وابن معين ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، وغيرهم .

« الخوزى » بضم الخاء المعجمة : نسبة إلى « شعب الخوز بمكة » ، كما فى اللباب وغيره .

محمد بن عباد بن جعفر المخزومى المكى : تابعى ثقة .

والحديث جزء من حديث مطول، رواه الترمذى ٤ : ٨١ - ٨٢ ، عن عبد بن حميد ، عن عبد الرزاق ، بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث إبرهيم بن يزيد الخوزى المكى . وقد تكلم بعض أهل العلم فى إبرهيم بن يزيد من قبل حفظه » .

ورواه قبل ذلك ٢ : ٧٩ ، مختصراً ، من طريق وكيع ، عن إبرهيم بن يزيد ، بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث حسن » . ثم ذكر علته بإبرهيم الخوزى .

ورواه الشافعى فى الأم ٢ : ٩٩ - مطولا - عن سعيد بن سالم ، عن إبرهيم الخوزى . وأشار إلى ضعف إسناده . ومن طريقه رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٤ : ٣٣٠ .

ورواه ابن ماجة : ٢٨٩٦ - مطولا أيضاً - من طريق وكيع ، عن إبرهيم الخوزى .

وسيأتى عقب هذا ، من رواية أبى حذيفة ، عن سفيان ، وهو الثورى ، عن إبرهيم الخوزى .

وكذلك رواه البيهقى ٤ : ٣٢٧ ، من طريق ثلاثة أحدهم أبو حذيفة ، عن سفيان .

٧٤٨٥ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا سفيان ، عن إبراهيم الخوزى ، عن محمد بن عباد ، عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى قوله عز وجل : « من استطاع إليه سبيلا » ، قال : السبيل إلى الحج ، الزاد والراحلة .(١)

٧٤٨٦ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا يونس = وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن يونس = عن الحسن قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، قالوا : يا رسول الله ، ما السبيل ؟ قال : الزادُ والراحلة .(٢)

وذكره السيوطى ٢ : ٥٥ — ٥٦ ، مطولا ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن عدى ، وابن مردويه .

وذكره ابن كثير ٢ : ١٩٥ — ١٩٦ ، من رواية الترمذى المطولة . ثم أشار إلى روايته الأخرى ، وإلى رواية ابن ماجة . ثم قال : « لا يشك أن هذا الإسناد رجاله كلهم ثقات ، سوى الخوزى هذا ، وقد تكلموا فيه من أجل هذا الحديث . لكن قد تابعه غيره » . ثم ذكره من رواية ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عبد العزيز بن عبد الله العامرى ، عن محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى ، عن محمد ابن عباد بن جعفر ، عن عبد الله بن عمر — بهذا الحديث نحوه ، مختصراً . ثم ذكر أنه « رواه ابن مردويه ، من رواية محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير ، به » .

وهذا الإسناد الآخر الذى نقله ابن كثير عن ابن أبي حاتم وابن مردويه — ضعيف أيضاً :

محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى المكى : ضعيف جداً . قال البخارى فى الكبير ١/١/١٤٢ : « ليس بذاك الثقة » . وروى ابن أبي حاتم ٣/٢/٣٠٠ عن ابن معين قال : « ليس حديثه بشىء » . وقال النسائى فى الضعفاء ، ص ٢٦ : « متروك الحديث » . وانظر ترجمته فى لسان الميزان ٥ : ٢١٦ — ٢١٧ .

وانظر الأحاديث الآتية : ٧٤٨٥ — ٧٤٩١ .

وانظر أيضاً قول الطبرى ، الآتى ، ص : ٤٥ ، « أنها أخبار فى أسانيدها نظر ، لا يجوز الاحتجاج بمثلها فى الدين » .

(١) الحديث : ٧٤٨٥ — أبو حذيفة : هو النهدى البصرى ، موسى بن مسعود . وقد مضى توثيقه : ٢٨٠ ، ١٦٩٣ .

سفيان : هو الثورى .

والحديث مكرر ما قبله . وقد بينا هناك أن البيهقى رواه ٤ : ٣٢٧ ، من طريق أبي حذيفة — هذا — وغيره ، عن الثورى .

(٢) الحديث : ٧٤٨٦ — هذا حديث مرسل عن الحسن البصرى .

٧٤٨٧ — حدثنا أبو عثمان المقدمى والمثنى بن إبراهيم قالا ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلى قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن الحارث ، عن على ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من ملك زاداً وراحلةً تبلغه إلى بيت الله فلم يحجّ ، فلا عليه أن يموتَ يهودياً أو نصرانياً . وذلك أن الله عز وجل يقول فى كتابه : « ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً » الآية .[1]

٧٤٨٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ،

وقد رواه الطبرى هنا بإسنادين من طريق يونس ، عن الحسن .

وسيأتى : ٧٤٨٨ ، ٧٤٩١ ، من رواية قتادة ، عن الحسن .

ثم : ٧٤٩٠ ، من رواية قتادة وحميد ، عن الحسن .

ورواه البيهقى ٤ : ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، بأسانيد ، عن الحسن .

وذكره ابن كثير ٢ : ١٩٦ ، من رواية الطبرى عن يعقوب ، التى هنا — ثم قال : « ورواه وكيع فى تفسيره ، عن سفيان ، عن يونس ، به » .

وذكره السيوطى ٢ : ٥٦ ، وزاد نسبته لسعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والدارقطنى . ونسى أن ينسبه لوكيع .

ونقل الحافظ فى التلخيص ، ص : ٢٠٢ ، عن أبى بكر بن المنذر ، قال : « لا يثبت الحديث فى ذلك مسنداً . والصحيح من الروايات رواية الحسن المرسلة » . يريد أن أسانيدها إلى الحسن أسانيد صحاح ، لا أن الحديث المرسل صحيح ، لأنه لاشك فى ضعف الأحاديث المراسيل .

(١) الحديث : ٧٤٨٧ — مسلم بن إبرهيم : هو الأزدى الفراهيدى الحافظ . مضى فى : ١٢١٩ .

هلال بن عبد الله ، أبوهاشم ، مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلى : ضعيف جداً . قال البخارى « منكر الحديث » . وقال الترمذى : « مجهول » . ولم يذكروا له رواية إلا هذا الحديث . ولذلك أشار إليه المزى فى التهذيب ، والذهبى فى الميزان . وقال ابن عدى : « هو معروف بهذا الحديث ، وليس هو بمحفوظ » .

ووقع اسم أبيه فى المطبوعة « عبيد الله » . وهو خطأ ، صوابه « عبد الله » بالتكبير .

أبو إسحق : هو السبيعى الهمدانى .

الحارث : هوابن عبد الله الأعور الهمدانى . وهو ضعيف جداً ، كما بينا فى : ١٧٤ .

والحديث رواه الترمذى ٢ : ٧٨ ، عن محمد بن يحيى القطعى ، عن مسلم بن إبرهيم ، بهذا الإسناد .

وقال : « هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وفى إسناده مقال . وهلال بن عبد الله : مجهول . والحارث : يضعف فى الحديث » .

وسيأتى هذا الحديث : ٧٤٨٩ ، من رواية شاذ بن فياض ، عن هلال أبى هاشم ، بهذا الإسناد .

عن الحسن قال : بلغنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال له قائل ، أو رجل : يا رسول الله ، ما السبيل إليه ؟ قال : من وجد زاداً وراحلة .

٧٤٨٩ — حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال ، حدثنا شاذ بن فياض البصرى قال ، حدثنا هلال أبو هاشم ، عن أبى إسحق الهمدانى ، عن الحارث ، عن على بن ابن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ملك زاداً وراحلة فلم يحجّ ، ماتَ يهوديًّا أو نصرانيًّا . وذلك أن الله يقول فى كتابه : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » الآية .(١)

٧٤٩٠ — حدثنى أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة وحميد ، عن الحسن : أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما السبيل إليه ؟ قال : الزاد والراحلة .

٧٤٩١ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا

وقد ذكره ابن كثير ٢ : ١٩٧ ، من رواية ابن مردويه ، من الوجهين اللذين رواه منهما الطبرى : من رواية مسلم بن إبرهيم ، وشاذ بن فياض .

ونقل عن ابن عدى قال : هذا الحديث ليس بمحفوظ » .

(١) الحديث : ٧٤٨٩ — أحمد بن الحسن بن جنيدب ، أبو الحسن الترمذى ، الحافظ العلم الرحال : ثقة من أصحاب أحمد بن حنبل ، ومن شيوخ البخارى والترمذى . مترجم فى التهذيب وطبقات الحنابلة لأبى يعلى ١ : ٣٧ — ٣٨ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ١٠٦ — ١٠٧ .

« جنيدب » : بضم الجيم وفتح النون ، وبعد الدال المهملة باء موحدة . ووقع فى تذكرة الحفاظ « جنيد » بحذف الباء ، وهو خطأ طابع أو ناسخ ، وثبت على الصواب فى التهذيب ، وأصله «تهذيب الكمال» مخطوط ، والتقريب ، والخلاصة .

شاذ بن فياض اليشكرى ، أبو عبيدة البصرى : ثقة ، وثقه أبو حاتم وغيره . وتكلم فيه بعضهم بغير حجة . واسمه « هلال بن فياض » ، و « شاذ » : لقب غلب عليه . وقد ترجمه البخارى فى الكبير ٤/٢/٢١١ ، والصغير ، ص : ٢٣٨ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٧٨ — فى اسم « هلال » .

هلال أبو هاشم : هو « هلال بن عبد الله ، مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلى » — كما بينا فى : ٧٤٨٧ . وثبت هنا فى المطبوعة « هلال بن هشام » . وهو خطأ واضح .

والحديث مكرر : ٧٤٨٧ ، وقد أشرنا إليه هناك . وذكر ابن كثير ٢ : ١٩٧ ، أن ابن أبى حاتم رواه « عن أبى زرعة الرازى ، حدثنا هلال بن الفياض ، حدثنا هلال أبو هاشم . . . » — إلخ »

حماد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله .

* * *

وقال آخرون : السبيل التى إذا استطاعها المرء كان عليه الحج : الطاقةُ للوصول إليه . قالوا :[1] وذلك قد يكون بالمشى وبالركوب ، وقد يكون مع وجودهما العجز عن الوصول إليه : بامتناع الطريق من العدوّ الحائل ، وبقلة الماء ، وما أشبه ذلك . قالوا : فلا بيان فى ذلك أبين مما بيَّنه الله عز وجل ، بأن يكون مستطيعاً إليه السبيل ، وذلك : الوصولُ إليه بغير مانع ولا حائل بينه وبينه ، وذلك قد يكون بالمشى وحده وإنْ أعوزَه المركب ، وقد يكون بالمركب وغير ذلك . ١٣/٤

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٩٢ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن خالد بن أبى كريمة ، عن رجل ، عن ابن الزبير قوله : « ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : على قدر القوّة .

٧٤٩٣ – حدثنا يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : الزاد والراحلة . فإن كان شابّاً صحيحاً ليس له مال ، فعليه أن يُؤاجر نفسه بأكله وغُفَّتِـه حتى يقضى حجته به ،[2] فقال له قائل : كلَّف الله الناسَ أن يمشوا إلى البيت ؟ فقال : لو أنّ لبعضهم ميراثاً بمكة ، أكان تاركهَ ؟ والله لانطلقَ إليه ولو حَبواً ! كذلك يجبُ عليه الحج .

٧٤٩٤ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن بكر قال ، أخبرنا ابن

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « قال » ، والسياق بعد يقتضى ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « بأكله وعقبه حتى يقضى حجته » ، وليس فيها « به » ، وهى فى المخطوطة ، ومثل هذا فى تفسير القرطبى ٤ : ١٤٨ ، إلا أنه قال : « بأكله أو عقبه » ، ولم أجد لذلك معنى . وهى فى المخطوطة « وعفته » غير منقوطة ، فاستظهرت قراءتها « وغفته » . والغفة (بضم الغين ، وتشديد الفاء المفتوحة) : البلغة من العيش والقليل منه . وهى هنا أنسب معنى ، فأثبتها كذلك .

جريج قال ، قال عطاء : من وجد شيئاً يبلِّغه، فقد وَجد سبيلاً ، كما قال الله عز وجل : « من استطاع إليه سبيلاً » .

٧٤٩٥ — حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا أبو هانئ قال ، سئل عامر عن هذه الآية : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ؟ قال : السبيلُ ، ما يسَّره الله .(١)

٧٤٩٦ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن : من وجد شيئاً يُبلْغه ، فقد استطاع إليه سبيلاً .

* * *

وقال آخرون : السبيلُ إلى ذلك ، الصحةُ .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٩٧ — حدثنا محمد بن حميد ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمثنى بن إبراهيم قالوا ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ قال ، حدثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة قالا ، أخبرنا شرحبيل بن شريك المعافري : أنه سمع عكرمة مولى ابن عباس يقول في هذه الآية : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : السبيلُ الصحةُ .

* * *

وقال آخرون بما : —

٧٤٩٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله عز وجل : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، قال : من وجد قُوّة في النفقة والجسد والحُمْلان .(٢) قال : وإن كان في جَسده ما لا يستطيع

---

(١) الأثر : ٧٤٩٥ — « أبو هانئ » ، هو : « عمر بن بشير أبو هانئ الهمداني » . مضت ترجمته رقم : ٤٤٢٢ ، و « عامر » هو : عامر الشعبي . وكان في المخطوطة والمطبوعة هنا شيء عجيب ، كان « قال حدثنا أبو هانئ ، قال حدثنا سهل بن عامر » ، زاد « حدثنا » وجعل « سئل » ، « سهل » وزاد بعدها « بن » ، فكان خلطاً عجباً . وسيأتي على الصواب برقم : ٧٥١٦ .

(٢) الحملان (بضم الحاء وسكون الميم) : ما يحمل عليه من الدواب .

الحج ، فليس عليه الحج ، وإن كان له قوة فى مال ، كما إذا كان صحيحَ الجسد ولا يجد مالاً ولا قوة ، يقولون : لا يكلف أن يَمشى .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب ، قولُ من قال بقول ابن الزبير وعطاء : إنّ ذلك على قدر الطاقة . لأن « السبيل » فى كلام العرب : الطريقُ ، فمن كان واجداً طريقاً إلى الحج لا مانعَ له منه من زَمانة ، أو عَجز ، أو عدوّ ، أو قلة ماء فى طريقه ، أو زاد ، أو ضعف عن المشى ، فعليه فرضُ الحج ، لا يجزيه إلا أداؤه . فإن لم يكن واجداً سبيلاً = أعنى بذلك : فإن لم يكن مطيقاً الحجَّ ، بتعذُّر بعض هذه المعانى التى وصفناها عليه = فهو ممن لا يجدُ إليه طريقاً ولا يستطيعه . لأن الاستطاعة إلى ذلك ، هو القدرة عليه . ومن كان عاجزاً عنه ببعض الأسباب التى ذكرنا أو بغير ذلك ، فهو غير مطيق ولا مستطيع إليه السبيلَ .

وإنما قلنا : هذه المقالة أولى بالصحة مما خالفها ، لأن الله عز وجل لم يخصُص ، إذ ألزم الناسَ فرضَ الحج ، بعض مستطيعى السبيل إليه بسقوط فرض ذلك عنه . فذلك على كل مستطيع إليه سبيلاً بعموم الآية .

فأما الأخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك بأنه : « الزاد والراحلة » ، فإنها أخبار : فى أسانيدها نظر ، لا يجوز الاحتجاج بمثلها فى الدّين .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف القرأة فى قراءة « الحج » .

فقرأ ذلك جماعة من قرأة أهل المدينة والعراق بالكسر : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ .

* * *

وقرأ ذلك جماعة أخر منهم بالفتح : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ ﴾ .

* * *

وهما لغتان معروفتان للعرب ، فالكسر لغة أهل نجد ، والفتح لغة أهل العالية . ولم نر أحداً من أهل العربية ادّعى فرقاً بينهما فى معنى ولا غيره ، غير ما ذكرنا من اختلاف اللغتين ؛ إلاّ ما : -

٧٤٩٩ - حدثنا به أبو هشام الرفاعى قال، قال حسين الجعفى « الَحج » . مفتوح ، اسم ، « والِحج » مكسورٌ ، عملٌ .[١]

* * *

وهذا قول لم أرَ أهل المعرفة بلغات العرب ومعانى كلامهم يعرفونه ، بل رأيتهم مجمعين على ما وصفت ، من أنهما لغتان بمعنى واحد .

* * *

والذى نقول به فى قراءة ذلك : أنّ القراءتين = إذ كانتا مستفيضتين فى قراءة أهل الإسلام ، ولا اختلاف بينهما فى معنى ولا غيره = فهما قراءتان قد جاءتا مجىءَ الحجة ، فبأىّ القراءتين - أعنى : بكسر « الحاء » من « الحج » أو فتحها - قرأ القارئ ، فمصيبٌ الصوابَ فى قراءته .

* * *

١٤/٤ وأما « مَنْ » التى مع قوله : « من استطاع » ، فإنه فى موضع خفض على الإبدال من « الناس » . لأن معنى الكلام : ولله على من استطاع من الناس سبيلاً إلى حجّ البيت ، حَجُّه . فلما تقدم ذكر « الناس » قبل « مَنْ » ، بيَّن بقوله : « من استطاع إليه سبيلا » ، الذى عليه فرضُ ذلك منهم . لأن فرضَ ذلك على بعض الناس دون جميعهم .

* * *

---

(١) الأثر : ٧٤٩٩ - « حسين الجعفى » هو : « حسين بن على بن الوليد » ، سلفت ترجمته برقم : ٢٩ ، ١٧٤ ، وفى المخطوطة والمطبوعة : « حسن الجعفى » ، وهو خطأ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٩٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حجّ بيته ، فأنكره وكفر به ، فإن الله غنىّ عنه وعن حجه وعمله ، وعن سائر خلقه من الجن والإنس ، كما : —

٧٥٠٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا عبد الواحد ابن زياد ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن محمد بن أبى المجالد قال : سمعت مقسماً ، عن ابن عباس فى قوله : « ومن كفر » ، قال : من زعم أنه ليس بفرض عليه .

٧٥٠١ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا الحجاج ، عن عطاء = وجويبر ، عن الضحاك فى قوله : « ومن كفر فإنّ الله غنى عن العالمين » ، قالا : من جحد الحجّ وكفر به .

٧٥٠٢ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا هشيم ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن عطاء قال : من جحد به .

٧٥٠٣ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا عمران القطان يقول : من زعم أن الحجّ ليس عليه .[١]

٧٥٠٤ — حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « ومن كفر فإنّ الله غنىّ عن العالمين » ، قال : من أنكره ، ولا يَرَى أن ذلك عليه حقًّا ، فذلك كُفْرٌ .

٧٥٠٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ومن كفر » ، قال : من كفر بالحج .

---

(١) الأثر : ٧٥٠٣ — « عمران القطان » هو : « عمران بن داور العمى » أبو العوام القطان ، كان من أخص الناس بقتادة . روى عنه عبد الرحمن بن مهدى ، وأبو داود الطيالسى ، وأبو عاصم .

٧٥٠٦ - حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، أخبرنا إسحق بن يوسف، عن أبي بشر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: «ومن كفر فإن الله غني عن العالمين»، قال: من كفر بالحج، كفر بالله.

٧٥٠٧ - حدثني المثنى قال، حدثنا يعلى بن أسد قال، حدثنا خالد، عن هشام بن حسان، عن الحسن في قول الله عز وجل: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا وَمَنْ كفر»، قال: من لم يره عليه واجباً.(١)

٧٥٠٨ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «ومن كفر»، قال: بالحج.

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك: «أن لا يكون معتقِداً في حجه أن له الأجرَ عليه، ولا أن عليه بتركه إثماً ولا عقوبةً».

* ذكر من قال ذلك:

٧٥٠٩ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال، أخبرنا ابن جريج قال، حدثني عبد الله بن مسلم، عن مجاهد في قوله: «ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين»، قال: هُو ما إن حجّ لم يره برًّا، وإن قعد لم يره مأثماً.

٧٥١٠ - حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، أخبرنا إسحق بن يوسف، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: هو ما إنْ حجّ لم يره برًّا، وإن قعد لم يره مأثماً.

٧٥١١ - حدثني أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا فِطْر، عن أبي داود نفيع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين»

(١) الأثر: ٧٥٠٧ - «خالد»، هو «خالد بن الحارث الهجيمي». روى عن حميد الطويل وأيوب، وابن عون، وهشام بن حسان، وغيرهم. وروى عنه أحمد، وإسحق بن راهويه، والفلاس وغيرهم.

فقام رجل من هذيل فقال : يا رسول الله ، من تركه كفر ؟ قال : من تركه ولا يخاف عقوبته ، ومن حجّ ولا يرجو ثوابه ، فهو ذاك .(١)

٧٥١٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » ، يقول : من كفر بالحج ، فلم يَر حجه برًّا ، ولا تركه مأثماً .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن كفر بالله واليوم الآخر .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥١٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد قال : سألته عن قوله : « ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين » ، ما هذا الكفر ؟ قال : من كفر بالله واليوم الآخر .

٧٥١٤ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله : « ومن كفر » ، قال : من كفر بالله واليوم الآخر .

٧٥١٥ — حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، قال : لما نزلت آية الحج ، جَمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الأديان كلّهم فقال : يا أيها الناس ، إن الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجُّوا ، فآمنتْ به ملة

(١) الأثر : ٧٥١١ — « أبو داود ، نفيع » ، هو : « نفيع بن الحارث ، أبو داود الأعمى الهمداني القاص» . روى عن عمران بن حصين ومعقل بن يسار وابن عباس وابن عمر . روى عنه أبو إسحق والأعمش والثوري . قال أبو حاتم : « منكر الحديث ضعيف الحديث » . وقال النسائي : « ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه » . وقال ابن حبان : « يروى عن الثقات الموضوعات توهماً ، لا يجوز الاحتجاج به » وقال ابن عبد البر : « أجمعوا على ضعفه ، وكذبه بعضهم ، وأجمعوا على ترك الرواية عنه » . مترجم في التهذيب . و « فطر » هو « فطر بن خليفة » مضى مراراً . وكان في المطبوعة : « مطر » ، والصواب من المخطوطة .

واحدة ، وهى من صدّق النبىّ صلى الله عليه وسلم، وآمن به ، وكفرَتْ به خمس ملل ، قالوا : لا نؤمن به، ولا نصلى إليه ، ولا نستقبله ، فأنزل الله عز وجل : « ومن كفر فإنّ الله غنى عن العالمين » .

٤/١٥ ٧٥١٦ – حدثنى أحمد بن حازم قال، أخبرنا أبو نعيم قال ، حدثنا أبو هانئ قال ، سئل عامر عن قوله : « ومن كفر » ، قال : من كفر من الخلق ، فإن الله غنىّ عنه .[1]

٧٥١٧ – حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا سفيان ، عن إبراهيم ، عن محمد بن عباد ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله: « ومن كفر » ، قال : من كفر بالله واليوم الآخر .

٧٥١٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن عكرمة مولى ابن عباس فى قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً﴾ [سورة آل عمران : ٨٥] ، فقالت الملل : نحن مسلمون ! فأنزل الله عز وجل: « ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين »، فحج المؤمنون ، وقعد الكفار .[2]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك: ومن كفر بهذه الآيات التى فى مقام إبراهيم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥١٩ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » ، فقرأ : « إنّ أوّل بيت وُضع للناس للذى ببكة مباركاً » ، فقرأ حتى بلغ: « من استطاع إليه سبيلا ومن كفر » ، قال : من كفر بهذه الآيات = « فإن الله غنى عن العالمين » ، ليس كما يقولون : « إذا

---

(١) الأثر : ٧٥١٦ – انظر إسناد الأثر السالف رقم : ٧٤٩٥ والتعليق عليه .

(٢) الأثر : ٧٥١٨ – مضى برقم : ٧٣٥٦ .

لم يحج وكان غنياً وكانت له قوة » ، فقد كفر بها .[1] وقال قوم من المشركين : فإنا نكفر بها ولا نفعل ! فقال الله عز وجل : « فإن الله غنى عن العالمين » .

* * *

وقال آخرون بما : —

٧٥٢٠ — حدثنى إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال ، أخبرنا أبو عمر الضرير قال ، حدثنا حماد ، عن حبيب بن أبى بقية ، عن عطاء بن أبى رباح فى قوله : « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » ، قال : من كفر بالبيت .[2]

* * *

وقال آخرون : كفره به ، تركه إياه حتى يموت .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٢١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « من كفر » ، فمن وجدَ ما يحج به ثم لم يحجَّ ، فهو كافر .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات بالصواب فى ذلك قولُ من قال : « معنى « ومن كفر » ، ومن جحد فرضَ ذلك وأنكرَ وُجوبه ، فإن الله غنى عنه وعن حَجه وعن العالمين جميعاً » .

وإنما قلنا ذلك أولى به ، لأن قوله : « ومن كفر » بعقب قوله : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، بأن يكون خبراً عن الكافر بالحج ، أحقُّ منه بأن يكون خبراً عن غيره ، مع أنّ الكافر بفرض الحج على مَن فرضه

---

(١) قوله : « فقد كفر بها » ، أى بهذه الآيات المذكورة فى الآية .

(٢) الأثر : ٧٥٢٠ — « إبراهيم بن عبد الله بن مسلم » ، و « أبو عمر الضرير » وهو : « حفص بن عمر البصرى » مضت ترجمتهما برقم : ٣٥٦٢ ، و « حماد » ، هو « حماد بن سلمة » . وأما « حبيب بن أبى بقية » ويقال : « حبيب بن أبى قريبة » فهو : « حبيب المعلم » أبو محمد البصرى . ذكره ابن حبان فى الثقات . وقال أحمد وابن معين وأبو زرعة : « ثقة » ، وقال أحمد : « ما أحتج بحديثه » . مترجم فى التهذيب .

الله عليه ، بالله كافر= وأن « الكفر » أصله الجحود ، ومن كان له جاحداً ، ولفرضه منكراً ، فلا شك إن حج لم يرج بحجه براً ، وإن تركه فلم يحج لم يره مأثماً . فهذه التأويلات ، وإن اختلفت العبارات بها ، فمتقاربات المعانى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : يا معشر يهود بنى إسرائيل وغيرهم من سائر من ينتحل الديانة بما أنزل الله عز وجل من كتبه ، ممن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد نبوته : = « لم تكفرون بآيات الله » ، يقول : لم تجحدون حجج الله التى آتاها محمداً فى كتبكم وغيرها ، التى قد ثبتت عليكم بصدقه ونبوته وحجته .[١] وأنتم تعلمون : يقول : لم تجحدون ذلك من أمره ، وأنتم تعلمون صدقه ؟[٢] فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم متعمدون الكفر بالله وبرسوله على علم منهم ، ومعرفة من كفرهم ، وقد : —

٧٥٢٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله » ، أما « آيات الله » ، فمحمد صلى الله عليه وسلم .

٧٥٢٣ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات والله شهيد على ما تعملون » ، قال : هم اليهود والنصارى .

* * *

---

(١) هذه العبارة ، هى هى فى المخطوطة والمطبوعة ، وأنا فى شك منها ، وإن كانت قريبة من الاستقامة على بعض وجه الكلام .

(٢) ظاهر أن أبا جعفر وهم ، وترك تفسير بقية هذه الآية ، وفسر مكانها « وأنتم تعلمون » ، وهى ليست من هذه الآية فى شىء .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يا معشر يهود بنى إسرائيل وغيرهم ممن ينتحل التصديق بكتب الله : = « لم تصدُّون عن سبيل الله » ، يقول : لم تُضِلُّون عن طريق الله ومحجَّته التى شرَعها لأنبيائه وأوليائه وأهل الإيمان =[1] « من آمن » ، يقول : من صدَّق بالله ورسوله وما جاء به من عند الله = « تبغونها عوجاً » ، يعنى : تبغون لها عوجاً .

* * *

« والهاء والألف » اللتان فى قوله : « تبغونها » عائدتان على « السبيل » ، وأنثها لتأنيث « السبيل » .

* * *

ومعنى قوله : « تبغون لها عوجاً » ، من قول الشاعر ، وهو سحيم عبدُ بنى الحسحاس

بَغَاكَ ، وَمَا تَبْغِيهِ حَتَّى وَجَدْتَهُ كَأَنَّكَ قَدْ وَاعَدْتَهُ أَمْسِ مَوْعِدَا[2] ١٦/٤

يعنى : طلبك وما تطلبه .[3] يقال : « ابغنى كذا » ، يراد ابتغه لى . فإذا أرادوا أعِنِّى على طلبه وابتغِه معى قالوا : « أبغِنى » بفتح الألف . وكذلك يقال : « احلُبْنى » بمعنى : اكفنى الحلب — « وأحلبنى » أعِنِّى عليه . وكذلك جميع ما وَرَد من هذا النوع ، فعلى هذا .[4]

* * *

وأما « العِوَج » فهو الأوَدُ والميْل . وإنما يعنى بذلك : الضلال عن الهدى .

* * *

---

(١) انظر معنى « الصد » فيما سلف ٤ : ٣٠٠ .

(٢) سلف تخريجه فى ٤ : ١٦٣ ، تعليق : ٢ .

(٣) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ٣ : ٥٠٨/٤ : ١٦٣/٦ : ١٩٦، ٥٦٤، ٥٧٠

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

يقول جل ثناؤه : لم تصدُّون عن دين الله مَنْ صَدّق الله ورسوله تبغون دينَ الله اعوجاجاً عن سَننه واستقامته ؟

وخرج الكلام على « السبيل » ، والمعنى لأهله . كأن المعنى : تبغون لأهل دين الله ، ولمن هو على سبيل الحق ، عوجاً = يقول : ضلالاً عن الحق ، وزيغاً عن الاستقامة على الهدى والمحجَّة .

* * *

« والعِوج » بكسر أوله : الأوَد فى الدين والكلام . « والعَوَج » بفتح أوله : الميل فى الحائط والقناة وكل شىء منتصب قائم .(١)

* * *

وأما قوله : « وأنتم شهداء » . فإنه يعنى : شهداء على أنّ الذى تصدّون عنه من السبيل حقٌّ ، تعلمونه وتجدونه فى كتبكم = « وما الله بغافل عما تعملون » ، يقول : ليس الله بغافل عن أعمالكم التى تعملونها مما لا يرضاه لعباده وغير ذلك من أعمالكم ، حتى يعاجلكم بالعقوبة عليها معجَّلة ، أو يؤخر ذلك لكم حتى تلقَوْهُ فيجازيكم عليها .

* * *

وقد ذكر أن هاتين الآيتين من قوله : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله » والآياتُ بعدَهما إلى قوله : « فأولئك لهم عذاب عظيم » ، نزلت فى رجل من اليهود حاول الإغراء بين الحيَّين من الأوس والخزرج بعد الإسلام ، ليراجعوا ما كانوا عليه فى جاهليتهم من العداوة والبغضاء . فعنَّفه الله بفعله ذلك ، وقبَّح له ما فعل ووبَّخه عليه ، ووعظ أيضاً أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونَهاهم عن الافتراق والاختلاف ، وأمرهم بالاجتماع والائتلاف .

* ذكر الرواية بذلك :

---

(١) انظر مجاز القرآن ١ : ٩٨ .

٧٥٢٤ ـ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني الثقة ، عن زيد بن أسلم ، قال : مرّ شأسُ بن قيس = وكان شيخاً قد عَسَا في الجاهلية ،[١] عظيمَ الكفر ، شديد الضِّغن على المسلمين ، شديدَ الحسد لهم = على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج ، في مجلس قد جمعهم يتحدّثون فيه . فغاظه ما رأى من جَماعتهم وألفتهم وصَلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع مَلأ بني قَيْلة بهذه البلاد !؟[٢] لا والله ما لنا معهم ، إذا اجتمع ملأهم بها ، من قرار ![٣] فأمر فَتى شابًّا من يهودَ وكان معه ،[٤] فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم ، وذَكّرهم يَوْم بعاث وما كان قبله ، وأنشدْهم بعض ما كانوا تقاوَلوا فيه من الأشعار = وكان يوم بُعَاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفرُ فيه للأوس على الخزرج = ففعل . فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا ، حتى تواثب رجُلان من الحيَّين على الرُّكَب : أوسُ بن قَيْظي ، أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس ــ وجبّار بن صخر ، أحد بني سَلمة من الخزرج . فتقاولاَ ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رَدَدْناها الآن جَذَعَةً ![٥] وغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاحَ السلاحَ !! موعدُكم الظاهرة = والظاهرةُ : الحرَّة = فخرجوا إليها . وتحاوز الناس .[٦] فانضمت الأوس بعضها إلى بعض ،

---

(١) عسا الشيخ يعسو عسوا وعسياً : كبر وأسن ، ويقال أيضاً في مثله « عتا » . وقوله : « في الجاهلية » ليست في نص ابن هشام عن ابن إسحق .

(٢) الملأ : الرؤساء وأشراف القوم ووجوههم ومقدموهم ، الذين يرجع إلى قولهم ورأيهم . و بنو قيلة : هم الأنصار من الأوس والخزرج ، وقيلة : اسم أم لهم قديمة ، هي قيلة بنت كاهل ، سموا بها .

(٣) في المطبوعة : « والله مالنا » ، أسقط « لا » ، وهي في المخطوطة وابن هشام .

(٤) في المطبوعة : « من اليهود » ، وأثبت ما في المخطوطة وابن هشام .

(٥) ردها جذعة : أي جديدة كما بدأت . والجذع والجذعة : الصغير السن من الأنعام ، أول ما يستطاع ركوبه . يعني أعدناها شابة فتية .

(٦) « تحاوز الناس » ، مثل « تحوز وتحيز وانحاز » ، أي تنحى ناحية وانضم إلى جماعته ،

والخزرج بعضها إلى بعض ، على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية . فبلغَ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : يا معشرَ المسلمين ، اللهَ اللهَ ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهُرِكم ، بعد إذْ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألَّف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً ؟ فعرف القوم أنها نَزْغة من الشيطان ، وكيدٌ من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكَوْا ، وعانقَ الرجال من الأوس والخزرج بعضُهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيدَ عدوِّ الله شأس بن قيس وما صنع . فأنزل الله فى شأس بن قيس وما صنع : « قل يا أهل الكتاب لم تكفرُون بآيات الله والله شهيدٌ على ما تعملون * قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً »[١] الآية . وأنزل الله عز جل فى أوس بن قَيْظىّ وجبّار بن صخر ومَنْ كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس بن قيس من أمر الجاهلية :[٢] « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردُّوكم بعد إيمانكم كافرين » ، إلى قوله : « أولئك لهم عذابٌ عظيم » .[٣]

١٧/٤

* * *

والذى يلى هذه الكلمة هو تفسيرها قوله : « فانضمت الأوس . . . » وفى المطبوعة : « تحاور » بالراء ، ولا معنى لها هنا . والجملة كلها من أول قوله « وتحاوز . . . » إلى « التى كانوا عليها فى الجاهلية » مما أسقطه ابن هشام من نص ابن إسحق ، وليس فى السيرة . ونص الطبرى هنا أتم من نص ابن هشام فى مواضع من هذا الأثر .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة ، أسقط الناسخ « قل » من أول الآيتين سهواً منه .

(٢) فى المطبوعة : « مما أدخل عليهم . . . » ، غيروا ما فى المخطوطة ، وهو المطابق لنص ابن هشام . وقوله : « عما أدخل عليهم » ، أى بسبب ما أدخل عليهم ومن جرائه ومن أجله . و « عن » تأتى بهذا المعنى فى كلامهم .

(٣) الأثر : ٧٥٢٤ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٤ — ٢٠٦ ، وهو بقية الآثار السالفة التى كان آخرها رقم : ٧٣٣٣ ، ٧٣٣٤ .

وقيل إنه عنى بقوله : « قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله » ، جماعة يهود بنى إسرائيل الذين كانوا بين أظهر مدينة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أيام نزلت هذه الآيات ، والنصارى = وأن صدّهم عن سبيل الله كانَ بإخبارهم من سألهم عن أمر نبىّ الله محمد صلى الله عليه وسلم : هل يجدون ذكره فى كتبهم ؟ أنهم لا يجدون نعتَه فى كتبهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٢٥ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً » ، كانوا إذا سألهم أحدٌ : هل تجدون محمداً ؟ قالوا : لا ! فصدّوا عنه الناس ، وبغوْا محمداً عوجاً ، َهلاكاً .

٧٥٢٦ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله » ، يقول : لم تصدون عن الإسلام وعن نبى الله ، من آمن بالله ، وأنتم شهداء فيما تقرأون من كتاب الله : أن محمداً رسول الله ، وأنّ الإسلام دين الله الذى لا َيقبل غيره ولا يجزى إلا به ، تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة والإنجيل .

٧٥٢٧ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، نحوه .

٧٥٢٨ ــ حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله » ، قال : هم اليهودُ والنصارى ، نهاهم أنْ يصدّوا المسلمين عن سبيل الله ، ويريدون أن يعدِلوا الناسَ إلى الضلالة .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية على ما قاله السدى : يا معشر اليهود ، لم

تصدّون عن محمد، وتمنعون من اتباعه المؤمنين به ، بكتمانكم صفتَه التى تجدونها فى كتبكم ؟ و«محمد» على هذا القول هو « السبيل » ، = «تبغونَـها عوجاً » ، تبغون محمداً هلاكاً .

وأما سائر الروايات غيره والأقوال فى ذلك، فإنه نحو التأويل الذى بيّناه قبل: من أن معنى « السبيل » التى ذكرها فى هذا الموضع : الإسلام ، وما جاء به محمد من الحقّ من عند الله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن عنى بذلك .

فقال بعضهم : عنى بقوله : « يا أيها الذين آمنوا » ، الأوس والخزرج ، وبـ « الذين أوتوا الكتاب » ، شأس بن قيس اليهودى ، على ما قد ذكرنا قبلُ من خبره عن زيد بن أسلم .[1]

* * *

وقال آخرون ، فيمن عُنى بالذين آمنوا ، مثل قول زيد بن أسلم = غير أنهم قالوا : الذى جرى الكلام بينه وبين غيره من الأنصار حتى همّوا بالقتال ، ووجد اليهودىّ به مغمزاً فيهم : ثعلبة بن عَنَمة الأنصارى .[2]

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٢٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا

(١) هو الأثر السالف رقم : ٧٥٢٤ .

(٢) فى المطبوعة : « بن غنمة » ، والصواب بالعين المهملة ، وهى فى المخطوطة تحتها حرف « ع » ، وهو الصواب .

الكتاب يردُّوكم بعد إيمانكم كافرين»، قال: نزلت فى ثعلبة بن عَنمة الأنصارى،[١] كان بينه وبين أناسٍ من الأنصار كلام، فمشى بينهم يهودىٌّ من قَيْنُقاع، فحمَل بعضَهم على بعضٍ،[٢] حتى همت الطائفتان من الأوس والخزرج أن يحملوا السلاحَ فيقاتلوا، فأنزل الله عز وجل: «إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين»، يقول: إن حملتم السلاحَ فاقتتلتم، كفرتم.

٧٥٣٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن حميد الأعرج، عن مجاهد فى قوله: «يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب»، قال: كان جِماعُ قبائل الأنصار بطنين: الأوس والخزرج، وكان بينهما فى الجاهلية حربٌ ودماء وشنَـآنٌ، حتى منّ الله عليهم بالإسلام وبالنبى صلى الله عليه وسلم، فأطفأ الله الحرب التى كانت بينهم، وألّف بينهم بالإسلام. قال: فبينا رجل من الأوس ورجلٌ من الخزرج قاعدان يتحدّثان، ومعهما يهودىّ جالسٌ، فلم يزل يذكّرهما أيامهما والعداوةَ التى كانت بينهم، حتى استَبّا ثم اقتتلا. قال: فنادى هذا قومه وهذا قومه، فخرجوا بالسلاح، وصفّ بعضهم لبعض. قال: ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم شاهدٌ يومئذ بالمدينة، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يزل يمشى بينهم إلى هؤلاء وإلى هؤلاء ليسكنهم، حتى رجعوا ووضعوا السلاح، فأنزل الله عز وجل القرآن فى ذلك: «يا أيها الذين آمنوا إن تُطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب» إلى قوله: «عذابٌ عظيم». ١٨/٤

* * *

قال أبو جعفر: فتأويل الآية: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وأقرُّوا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله، إن تطيعوا جماعة ممن ينتحل الكتابَ من أهل التوراة والإنجيل، فتقبلوا منهم ما يأمرونكم به، يُضِلُّوكم

---

(١) انظر ص ٥٨ تعليق ٢.

(٢) حمل بنى فلان على بنى فلان: إذا أرش بينهم وأوقع.

فيردّوكم بعد تصديقكم رسولَ ربكم ، وبعد إقراركم بما جاء به من عند ربكم ، كافرين = يقول : جاحدين لما قد آمنتم به وصدّقتموه من الحقّ الذى جاءكم من عند ربكم. فنهاهم َجلّ ثناؤه : أن ينتصِحوهم ويقبلوا منهم رأياً أو مشورةً ، ويعلّمهم تعالى ذكره أنهم لهم منطوُون على غِلٍّ وغِش وحسد وبغض، كما : —

٧٥٣١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ،حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين » ، قد تقدّم الله إليكم فيهم كما تسمعون ، وحذّركم وأنبأكم بضلالتهم ، فلا تأتمنوهم على دينكم، ولا تنتصحوهم على أنفسكم ، فإنهم الأعداءُ الحسَدَة الضُّلاّل. كيف تأتمنون قوماً كفروا بكتابهم ،وقتلوا رُسلهم ، وتحيّروا فى دينهم ، وعجزوا َعنْ أنفسهم ؟ أولئك والله هم أهل التُّهَمة والعداوة !

٧٥٣٢ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ،حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « وكيف تكفرون » ، أيها المؤمنون بعد إيمانكم بالله وبرسوله ، فترتدّوا على أعقابكم = «وأنتم تتلى عليكم آيات الله » ، يعنى حججُ الله عليكم التى أنزلها فى كتابه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم = « وفيكم رسوله » ، حجةٌ أخرَى عليكم لله ، مع آى كتابه ، يدعوكم جميع ذلك إلى الحقّ ، ويبصّركم الهدَى والرشاد ، وينهاكم عن الغىّ والضلال ؟ يقول لهم تعالى ذكره : فما وجه عُذْركم عند ربكم فى جحودكم نبوّة نبيّكم ، وارتدادكم على أعقابكم ، ورجوعكم إلى أمر جاهليتكم ، إنْ أنتم راجعتم ذلك وكفرتم ، وفيه هذه الحجج الواضحة والآياتُ البينة على خطأ فعلكم ذلك إن فعلتموه ؟ كما : —

٧٥٣٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله » الآية ، علَمان بيّنان : وُجْدان نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وكتابُ الله . فأما نبىّ الله فمضى صلى الله عليه وسلم . وأما كتاب الله ، فأبقاه الله بين أظهُركم رحمة من الله ونعمة ، فيه حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .

* * *

وأما قوله : « ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم » ، فإنه يعنى : ومن يتعلق بأسباب الله ويتمسّك بدينه وطاعته = « فقد هدى » ، يقول : فقد وُفّق لطريق واضح ، ومحجةٍ مستقيمة غير معوجّة ، فيستقيم به إلى رضى الله ، وإلى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته ، كما : —

٧٥٣٤ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ومن يعتصم بالله فقد هدى » ، قال : يؤمن بالله .

* * *

وأصل « العَصْم » المنع ، فكل مانع شيئاً فهو « عاصمه » ، والممتنع به « معتصم به » ، ومنه قول الفرزدق :

أَنَا ابنُ العَاصِمينَ بَنِى تَمِيمٍ إذَا مَا أَعْظَمُ الحَدَثَانِ نَابَا(١)

ولذلك قيل للحبل « عِصام » ، وللسبب الذى يتسبب به الرجل إلى حاجته « عِصام » ، ومنه قول الأعشى :

إِلَى المَرْءِ قَيْسٍ أُطِيلُ السُّرَى وَآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ(٢)

يعنى بـ « العُصُم » الأسباب ، أسبابَ الذمة والأمان . يقال منه : « اعتصمت بحبل من فلان » و « اعتصمت حبلاً منه » و « اعتصمت به واعتصمته » ، وأفصح اللغتين إدخال « الباء » ، كما قال عز وجل : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ﴾ ، وقد جاء : « اعتصمته » ، كما الشاعر :(٣)

إذَا أَنْتَ جَازَيْتَ الإخَاءَ بِمِثْلِهِ وَآسَيْتَنِى ، ثُمَّ اعْتَصَمْتَ حِبَالِيَا(٤)

١٩/٤

---

(١) ديوانه : ١١٥ ، والنقائض : ٤٥١ ، مطلع قصيدة ينقض بها هجاء جرير .

(٢) ديوانه : ٢٩ من قصيدته فى ثنائه على صاحبه قيس بن معد يكرب الكندى ، وقد مضت منها أبيات فى ١ : ٢٤٢ / ٥ : ٤٢٢ . والسرى : سير الليل كله . والعصم جمع عصام ، وهكذا ضبط فى شعره ، وجائز أن يضبط « عصم » (بكسر العين وفتح الصاد) جمع « عصمة » (بكسر العين وسكون الصاد) وكلاهما مجاز فى معنى العهود . وقوله : « وآخذ من كل حى عصم » ، يعنى أن سطوة قيس فى الأحياء ، ورهبته فى صدورهم ، تجعل له عند كل حى عهداً يأخذه ليجوز به أرضهم آمناً ، لا يمسه أحد ولا ينال منه . وسيأتى مثل هذا المعنى فى بيت آخر يأتى بعد قليل ص : ٧٠ ، تعليق : ٣

(٣) لم أعرف قائله :

(٤) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٢٨ ، وضبطه « ثم » هكذا ، وبقى جواب « إذا » فى بيت بعده فيما أرجح . ولو قرأته « ثَم » بفتح الثاء ، أى هناك ، كان جواب « إذا » ، « اعتصمت حباليا » . وتم البيت ، وانفرد عما بعده . ولكنى لا أستطيع أن أرجح هذا حتى أعرف بقية الأبيات .

فقال : « اعتصمت حباليا » ولم يدخل « الباء » . وذلك نظير قولهم : « تناولت الخِطام ، وتناولت بالخطام » ، و « تعلّقت به وتعلقته » ، كما قال الشاعر :[١]

تَعَلَّقَتْ هِنْدًا ناشِـئًا ذَاتَ مِئْزَرٍ وَأَنْتَ، وَقَدْ قَارَفْتَ، لَمْ تَدْرِ مَا الحِلْمُ[٢]

* * *

وقد بينت معنى « الهدى » ، « والصراط » ، وأنه معنىٌّ به الإسلام ، فيما مضى قبل بشواهده ، فكرهنا إعادته فى هذا الموضع .[٣]

* * *

وقد ذكر أن الذى نزل فى سبب تَحاوُز القبيلين :[٤] الأوس والخزرج ، كان منْ قوله :[٥] « وكيف تكفرُون وأنتم تتلى عليكم آيات الله » .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٣٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا حسن بن عطية قال ، حدثنا قيس ابن الربيع ، عن الأغرّ بن الصبّاح ، عن خليفة بن حُصَين ، عن أبى نصر ، عن ابن عباس قال : كانت الأوس والخزرج بينهم حرب فى الجاهلية كل شهر ،[٦]

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) معانى القرآن ١ : ٢٢٨ . يقال : « غلام ناشىء ، وجارية ناشئة » ، ولكنه وصف « هنداً » على التذكير فقال : « ناشئاً » ، وقد زعم الليث أنه لم يسمع هذا النعت فى الجارية ، فكأن الشاعر وصفها به ، وأمره على التذكير . وقوله : « وقد قارفت » ، أى قاربت ودنوت من الكبر ، والجملة حال معترضة . يقول : تعلقها صغيرة لم تحجب بعد ، وبلغت ما بلغت ، ولم تدر بعد ما الحلم ، وهو الأناة والعقل ومفارقة الصبا وطيش الشباب .

(٣) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف ١ : ١٦٦ — ١٧٠ ، وفهارس اللغة / وانظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ١ : ١٧٠ — ١٧٧ وفهارس اللغة .

(٤) فى المطبوعة : « تحاور » ، وقد أسلفت قراءتى لهذا الحرف وبيانه فيما سلف : ص٥٥ تعليق : ٦ ، وفى المطبوعة : « القبيلتين » بالتاء ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « كان منه قوله » ، وهو خطأ ، والصواب ما فى المخطوطة . ويعنى أن الآيات التى نزلت فى شأن تحاوز الأوس والخزرج واقتتالهما ، كان من أول هذه الآية ، لا الآيتين قبلها .

(٦) قوله : « كل شهر » ، هكذا جاء فى المخطوطة واضحاً ، والذى فى الدر المنثور ٢ : ٥٨ : « كانت الأوس والخزرج فى الجاهلية بينهم شر » ، وفى القرطبى ٤ : ١٥٦ : « كان بين الأوس

فبينما هم جلوس إذْ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا ، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح ، فنزلت هذه الآية : « وكيف تَكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله » إلى آخر الآيتين ، « واذكروا نعمة الله عليكم إذْ كنتم أعداءً » إلى آخر الآية .[١]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : يا معشر من صدّق الله ورسوله = « اتقوا الله » ، خافوا الله وَراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه = « حقّ تُقاته » ، حقّ خوفه ،[٢] وهو أن يُطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويُذكر فلا يُنسى =

والخزرج قتال وشر في الجاهلية » ، ويخشى أن يكون ما في المخطوطة : « كل شهر » ، تصحيف « وكل شر » ، ولكن ليس هذا موضع الرأي ، فإن الذين نقلوا هذا الأثر فيما بين يدي ، لم ينقلوه بإسناده هذا ، ولا بتمام لفظه كما هنا .

(١) الأثر : ٧٥٣٥ — « حسن بن عطية بن نجيح القرشي » ، سلفت ترجمته في رقم : ٤٩٦٢ . و « قيس بن الربيع الأسدي » أبو محمد الكوفي . روى عن أبي إسحق السبيعي ، والأغر بن الصباح ، وسماك بن حرب وغيرهم . روى عنه الثوري ، وهو من أقرانه ، وشعبة ، ومات قبله ، وعبد الرزاق ووكيع . تكلموا فيه ، وثقه الثوري وشعبة وغيرهما . وضعفه آخرون وقالوا : « ليس بقوي ، يكتب حديثه ولا يحتج به » . مترجم في التهذيب . و « الأغر بن الصباح التميمي المنقري » . روى عن خليفة ابن حصين ، روى عنه الثوري وقيس بن الربيع ، وأبو شيبة . قال ابن معين والنسائي : « ثقة » ، وقال أبو حاتم « صالح » مترجم في التهذيب . و « خليفة بن حصين بن قيس بن عاصم التميمي المنقري » روى عن أبيه وجده ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن أرقم ، وأبي نصر الأسدي . وروى عنه الأغر بن الصباح . ثقة . مترجم في التهذيب . و « أبو نصر الأسدي » . روى عن ابن عباس ، وعنه خليفة بن حصين . قال البخاري : « لم يعرف سماعه من ابن عباس » ، وقال أبو زرعة : « أبو نصر الأسدي الذي يروي عن ابن عباس : ثقة » . مترجم في التهذيب ، والكنى للبخاري : ٧٦ ، وأشار إلى هذا الأثر ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٤٤٨ .

(٢) انظر القول في بيان « تقاة » فيما سلف ٦ : ٣١٣ — ٣١٧

« ولا تموتن » ، أيها المؤمنون بالله ورسوله = « إلا وأنتم مسلمون » لربكم ، مذعنون له بالطاعة ، مخلصون له الألوهة والعبادة.[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٣٦ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان = وحدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثورى = عن زبيد، عن مُرّة، عن عبد الله : « اتقوا الله حق تقاته »، قال : أن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.[2]

٧٥٣٧ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا شعبة، عن زبيد، عن مرة الهمدانى، عن عبد الله مثله.

٧٥٣٨ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن زبيد، عن مرة الهمدانى، عن عبد الله مثله.

٧٥٣٩ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت ليثاً، عن زبيد، عن مرة بن شراحيل البَكيلى، عن عبد الله بن مسعود مثله.[3]

٧٥٤٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا جرير، عن زبيد، عن عبد الله مثله.

---

(١) فى المطبوعة : « الألوهية » ، وهى صواب ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى صواب أيضاً بمعناها ، ولكن هكذا يكتبها أبو جعفر ، وانظر ما سلف ٦ : ٢٧٥ ، تعليق : ٢.

(٢) الأثر : ٧٥٣٧ — والآثار التى تليه أسانيد مختلفة لهذا الأثر. وأخرجه الحاكم فى المستدرك من طريق أبى نعيم ، عن مسعر ، وهو الأثر رقم : ٧٥٤١ ، وليس فيه « ويشكر فلا يكفر » ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى.

(٣) الأثر : ٧٥٣٩ — فى المطبوعة : « مرة بن شراحيل الهمدانى ». غير ما فى المخطوطة ، وكلاهما صحيح وصواب ، وانظر الأثر رقم : ٢٥٢١ ، والتعليق عليه.

٧٥٤١ـ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا مسعر ، عن زبيد ، عن مرة، عن عبد الله مثله .

٧٥٤٢ـ حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن المسعودى ، عن زبيد الإيامى ، عن مرة ،عن عبد الله مثله .

٧٥٤٣ـ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور، عن زبيد ، عن مرة، عن عبد الله مثله .

٧٥٤٤ـ حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا يحيي ، عن سفيان ، عن أبي إسحق،عن عمرو بن ميمون: « اتقوا الله حق تقاته »، قال: أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى .[١]

٧٥٤٥ـ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق، عن عمرو بن ميمون نحوه .

٧٥٤٦ـ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يحيي بن سعيد قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا عمرو بن مرة، عن مرة، عن الربيع بن خُثَيم قال: أن يطاع فلا يعصى ، وُيشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى . ٤/٢٠

٧٥٤٧ـ حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة قال ، سمعت مرة الهمدانى يحدث ، عن الربيع بن خُثيم فى قول الله عز وجل : « اتقوا الله حق تقاته »، فذكره نحوه .[٢]

٧٥٤٨ـ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) الأثر : ٧٥٤٤ - « يحيى » هو : « يحيى بن أبي بكير الأسدى » مضى فى رقم : ٥٧٩٧ ، « وسفيان » هو الثورى ، و « أبو إسحق » هو : أبو إسحق السبيعى ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « حدثنا يحيى بن سفيان » ، وليس فى الرواة من يسمى بهذا ، والصواب ما أثبته .

(٢) الأثران : ٧٥٤٦ ، ٧٥٤٧ - « الربيع بن خثيم الثورى» مضت ترجمته فى رقم : ١٤٣٠ ، وكان فى المطبوعة « بن خيثم »، وهو خطأ مضى مثله فى الأثر الآخر ، وفى مواضع غيره، وصححته من المخطوطة .

قيس بن سعد ، عن طاوس : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » ، أن يطاع فلا يُعصى .

٧٥٤٩ — حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تُقاته » ، قال « حق تقاته » ، أن يطاع فلا يُعصى .

٧٥٥٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم تقدم إليهم — يعنى إلى المؤمنين من الأنصار — فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون » ، أما « حق تقاته » ، يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا يُنسى ، ويشكر فلا يُكفر .

٧٥٥١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ، عن قتادة : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » ، أن يطاع فلا يعصى ، قال : « ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون » .

* * *

وقال آخرون : بل تأويل ذلك ، كما : —

٧٥٥٢ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « اتقوا الله حق تقاته » ، قال : « حق تقاته » ، أن يجاهدوا فى الله حق جهاده ، ولا يأخذهم فى الله لومةُ لائم ، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم .[1]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى هذه الآية : هل هى منسوخة أم لا ؟

---

(١) الأثر : ٧٥٥٢ — رواه أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ٨٨ ، مع بعض الخلاف فى لفظه . وفى المخطوطة : « أن تجاهد فى الله » بالإفراد ، والسياق يقتضى الجمع ، وجاءت على الصواب فى المطبوعة وفى الناسخ والمنسوخ ، إلا أنه قال : « أن تجاهدوا . . . ولا يأخذكم . . . وتقوموا . . . ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم » على الخطاب .

فقال بعضهم : هى محكمة غيرُ منسوخة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٥٣ـ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية بن صالح، عن على، عن ابن عباس قوله: « اتقوا الله حق تقاته » أنها لم تنسخ، ولكن « حق تقاته »، أن تجاهدَ فى الله حق جهاده = ثم ذكر تأويله الذى ذكرناه آنفاً.[1]

٧٥٥٤ـ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن قيس بن سعد، عن طاوس: « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته »، فإن لم تفعلوا ولم تستطيعوا، فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون .

٧٥٥٥ـ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قال، قال طاوس قوله: « ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون »، يقول: إن لم تتقوه، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون .

* * *

وقال آخرون : هى منسوخة، نسخها قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن : ١٦].

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٥٦ـ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون»، ثم أنزل التخفيف واليُسر، وعاد بعائدته ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه فقال : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾، فجاءت هذه الآية، فيها تخفيفٌ وعافيةٌ ويُسر.

٧٥٥٧ـ حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال الأنماطى قال،

---

(١) الأثر : ٧٥٥٣ - هو الأثر السالف، وفى المخطوطة والمطبوعة : « أن تجاهد »، وانظر التعليق السالف .

حدثنا همام، عن قتادة : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، قال : نسختها هذه الآية التي في « التغابن » : ﴿ فاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ ، وعليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطاعوا .

٧٥٥٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : لما نزلت : « اتقوا الله حق تقاته » ، ثم نزل بعدها ﴿ فاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ، فنسخت هذه الآية التي في « آل عمران » .

٧٥٥٩ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، فلم يطق الناس هذا ، فنسخه الله عنهم فقال : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ .

٧٥٦٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » ، قال : جاء أمر شديد ! قالوا : ومن يعرف قدر هذا أو يبلغه ؟ فلما عرف أنه قد اشتد ذلك عليهم ، نسخها عنهم ، وجاء بهذه الأخرى فقال : ﴿ فاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ، فنسخها .[1]

* * *

(١) ترك أبو جعفر رضي الله عنه ، ترجيح أحد القولين على الآخر ، وكان حقاً عليه أن يبينه . وقد بينه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ : ٨٨ ، ٨٩ ، قال بعد سياقه الأثر : ٧٥٤٢ ، وروايته عن قول قتادة : « قال أبو جعفر : محال أن يقال هذا ناسخ ولا منسوخ إلا على حيلة ، وذلك أن معنى نسخ الشيء : إزالته والمجيء بضده ، فمحال أن يقال : « اتقوا الله » منسوخ ، ولا سيما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم مما فيه بيان الآية ، كما قرأ على أحمد بن محمد بن الحجاج ، عن يحيى بن سليمان قال ، حدثنا أبو الأحوص قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن عمرو بن ميمون ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاذ ، أتدري ما حق الله على العباد ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ! قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » ، أفلا ترى أنه محال أن يقع في هذا نسخ . . . قال أبو جعفر : « فكل ما ذكر في الآية واجب على المسلمين أن يستعملوه ، ولا يقع فيه نسخ ، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً » وكذا على المسلمين — كما قال ابن مسعود : « أن تطيعوا الله فلا تعصوه ، وتذكروه فلا تنسوه ، وأن تشكروه فلا تكفروه ، وأن تجاهدوا فيه حق جهاده . وأما قول قتادة ، مع محله من العلم : أنها نسخت ، فيجوز أن يكون معناه : نزلت : فاتقوا الله ما استطعتم — بنسخه : اتقوا الله حق تقاته ، وأنها مثلها ، لأنه لا يكلف أحداً إلا طاقته » .

وأما قوله : « ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، فإن تأويله ، كما : —

٧٥٦١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن قيس بن سعد ، عن طاوس : « ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، قال : على الإسلام ، وعلى حُرْمة الإسلام .[١]

٢١/٤

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وتعلقوا بأسباب الله جميعاً . يريد بذلك تعالى ذكره : وتمسَّكوا بدين الله الذى أمركم به ، وعهده الذى عَهده إليكم فى كتابه إليكم ، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق ، والتسليم لأمر الله .

* * *

وقد دللنا فيما مضى قبلُ على معنى « الاعتصام » .[٢]

* * *

وأما « الحبل » ، فإنه السبب الذى يُوصَل به إلى البُغية والحاجة . ولذلك سمى الأمان « حبلا » ، لأنه سبب يُوصَل به إلى زوال الخوف ، والنجاة من الجزَع والذّعر ، ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

وَإِذَا تُجَوِّزُهَا حِبَالُ قَبِيلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا[٣]

---

(١) انظر تفسير أبي جعفر فى نظيرة هذه الآية فيما سلف ٣ : ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) انظر تفسير « الاعتصام » فيما سلف قريباً ص : ٦٢ ، ٦٣

(٣) ديوانه : ٢٤ ، ومشكل القرآن : ٣٥٨ ، والمعانى الكبير : ١١٢٠ ، واللسان (حبل) وغيرها . من قصيدته فى قيس بن معد يكرب ، ومضت منها أبيات فى ٤ : ٢٣٨ ، ٣٢٧ ، وهذا البيت فى ذكر ناقته ، يقول قبله :

فَتَرَكْتُهَا بَعْدَ المِرَاحِ رَذِيَّةً وَأَمِنْتُ عِنْدَ رُكُوبِهَا إِعْجَالَهَا

فَتَنَاوَلَتْ قَيْسًا بِجُرِّ بِلَادِهِ فَأَتَتْهُ بَعْدَ تَنُوفَةٍ فَأَنَالَهَا

فَإِذَا تُجَوِّزُهَا . . . .

ومنه قول الله عز وجل : ﴿ إِلّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾
[سورة آل عمران : ١١٢]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٦٢ـ حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا العوّام ، عن الشعبى ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال فى قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، قال : الجماعة .

٧٥٦٣ـ حدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن العوّام ، عن الشعبى ، عن عبد الله فى قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، قال : حبلُ الله ، الجماعة .

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك القرآنَ والعهدَ الذى عَهِدَ فيه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٦٤ـ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، حبل الله المتين الذى أمر أن يُعتصم به : هذا القرآن .

٧٥٦٥ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، قال : بعهد الله وأمره .

وقد مضى قبل مثل هذا البيت الأخير ص : ٦٢ ، تعليق : ٢

إِلَى المرءِ قيسٍ أُطِيلُ السُّرَى وَآخذُ من كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ

يقول : إذا أخذت من قبيلة عهودها حتى أجتاز ديارها آمناً ، أعطتها القبيلة التى تليها عهداً وذماماً أن تخترق ديارها آمنة لا ينالها أحد بسوء . وذلك أن القبائل كلها ترهب قيساً وتخافه ، فكل قاصد إليه ، واجد الأمان حيث سار ، لأنه بقصده قيساً جار له ، لا يطيق أحد أن يناله بسوء .

٧٥٦٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن شقيق، عن عبد الله قال: إن الصراط مُحْتَضَر، تحضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله، هلمّ هذا الطريق! ليصدّوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله، فإن حبلَ الله هو كتاب الله.[1]

٧٥٦٧ ــ حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد بن المفضل، عن أسباط، عن السدى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً»، أما «حبل الله»، فكتاب الله.

٧٥٦٨ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: «بحبل الله»، بعهد الله.

٧٥٦٩ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء: «بحبل الله»، قال: العهد.

٧٥٧٠ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبى وائل، عن عبد الله: «واعتصموا بحبل الله»، قال: حبلُ الله، القرآن.

٧٥٧١ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك فى قوله: «واعتصموا بحبل الله جميعاً»، قال: القرآن.

٧٥٧٢ ــ حدثنا سعيد بن يحيى قال: حدثنا أسباط بن محمد، عن عبد الملك ابن أبى سليمان العرزمى، عن عطية، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كتابُ الله، هو حبل الله الممدودُ من السماء إلى الأرض.[2]

* * *

(١) الأثر: ٧٥٦٦ ــ رواه فى مجمع الزوائد بغير هذا اللفظ، وهو قريب منه. ونسبه إلى الطبرانى وقال: «رواه عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبى مريم، وهو ضعيف». وهذا الذى رواه الطبرى إسناد صحيح.

(٢) الحديث: ٧٥٧٢ ــ عبد الملك بن أبى سليمان العرزمى ــ بسكون الراء ثم زاى مفتوحة ــ أحد الأئمة: مضى توثيقه: ١٤٥٥.

عطية: هو ابن سعد بن جنادة ــ بضم الجيم ــ العوفى. وقد بينا فى: ٣٠٥ أنه ضعيف.

وقد سقط من المخطوطة والمطبوعة هنا قوله [عن عطية]. وزدناه من نقل ابن كثير ٢: ٢٠٣،

وقال آخرون : بل ذلك هو إخلاص التوحيد لله .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٧٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، يقول : اعتصموا بالإخلاص لله وحده .

٧٥٧٤ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، قال : الحبل ، الإسلام . وقرأ : « ولا تفرقوا » .

* * *

عن هذا الموضع من الطبري .

ثم الحديث — من حديث أبي سعيد — يدور في كل ما رأينا من طرقه على عطية العوفي ، كما سيأتي :

فرواه أحمد في المسند : ١١٢٢٩ ، ١١٥٨٢ (ج ٣ ص ٢٦ ، ٥٩ حلبي) ، عن ابن نمير ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد ، بنحوه ، مرفوعاً مطولا .

ورواه أيضاً : ١١١٢٠ (ج ٣ ص ١٤) ، من طريق إسمعيل بن أبي إسحق الملائي ، عن عطية .

ورواه أيضاً : ١١١٤٨ (ج ٣ ص ١٧) ، عن أبي النضر ، عن محمد بن طلحة ، عن الأعمش عن عطية العوفي .

وكذلك رواه الترمذي ٤ : ٣٤٣ ، من طريق محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد — وعن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن زيد بن أرقم ، مرفوعاً ، نحوه مطولا . فهو عنده عن أبي سعيد وعن زيد بن أرقم . ثم قال : « هذا حديث حسن غريب » .

فأما حديث أبي سعيد ، فقد بينا أنه ضعيف ، من أجل عطية العوفي .

وأما حديث زيد بن أرقم ، فإنه حديث صحيح . وهو قطعة من قصة مطولة ، رواها أحمد في المسند ٤ : ٣٦٦ — ٣٦٧ (حلبي) . ورواها مسلم ٢ : ٢٣٧ — ٢٣٨ ، مطولة ومختصرة .

وروى ابن حبان في صحيحه ، رقم : ١٢٣ (بتحقيقنا) — قطعة منه ، فيها أن « كتاب الله ، هو حبل الله » .

ثم نعود لحديث أبي سعيد :

فذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٣ ، مطولا ، بنحو رواية الترمذي . ثم قال : « رواه الطبراني في الأوسط . وفي إسناده رجال مختلف فيهم » !

ولست أدري ، لم ذكره في الزوائد ، وهو في الترمذي ؟ ثم لم ترك نسبته للمسند ، وهو مروي فيه أربع مرات ؟ !

وذكره السيوطي ٢ : ٦٠ ، مختصراً كما هنا . ولم ينسبه إلا لابن أبي شيبة وابن جرير . ثم ذكر الرواية المطولة عن أبي سعيد . ونسبه لابن سعد ، وأحمد ، والطبراني .

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه : بقوله : « ولا تفرقوا » ، ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذى عهد إليكم فى كتابه ، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والانتهاء إلى أمره ، كما : —

٧٥٧٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم » ، إنّ الله عز وجل قد كره لكم الفُرْقة ، وقدّم إليكم فيها ، وحذّركموها ، ونهاكم عنها ، ورضى لكم السمعَ والطاعة والألفة والجماعة ، فارضوا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استطعتم ، ولا قوّةَ إلا بالله .

٧٥٧٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « ولا تفرّقوا » ، لا تعادَوْا عليه ، يقول : على الإخلاص لله ، وكونوا عليه إخواناً .(١)

٢٢/٤

٧٥٧٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح : أن الأوزاعى حدثه ، أنّ يزيد الرقاشى حدّثه أنه سمع أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ بنى إسرائيل افترقت على إحدى وَسبعين فرقة ، وإن أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة ، كلهم فى النار إلا واحدة . قال : فقيل : يا رسول الله ، وما هذه الواحدة ؟ قال : فقبض يَدَه وقال : الجماعة ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا » .(٢)

---

(١) فى المخطوطة « وتكونوا عليه إخوانا » ، والصواب ما فى المطبوعة ، والدر المنثور ٢ : ٦١

(٢) الحديث : ٧٥٧٧ — يزيد الرقاشى : هو يزيد أبان ، أبو عمرو ، البصرى القاص . وقد أشرنا فى شرح : ٦٦٥٤ ، ٦٧٢٨ إلى أنه ضعيف . وقال البخارى فى الكبير ٣٢٠/٢/٤ : « كان شعبة يتكلم فيه » ، وقال النسائى فى الضعفاء : « متروك » ، وقال ابن سعد ١٣/٢/٧ : « كان ضعيفاً قدرياً » .

٧٥٧٨ — حدثني عبد الكريم ابن أبي عمير قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، سمعت الأوزاعي يحدث، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه .[١]

٧٥٧٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا المحاربي ، عن ابن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن ثابت بن قُطْبَة المدنيّ ، عن عبد الله : أنه قال : «يا أيها الناس ، عليكم بالطاعة والجماعة ، فإنها حبل الله الذي أمرَ به ، وإنّ ما تكرهون في الجماعة والطاعة ، هو خيرٌ مما تستحبون في الفرقة » .[٢]

٧٥٨٠ — حدثنا عبد الحميد بن بيان السكريّ قال ، أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن ثابت بن قطبة قال : سمعت ابن مسعود وهو يخطب وهو يقول : يا أيها الناس ، ثم ذكر نحوه .[٣]

والحديث رواه ابن ماجة : ٣٩٩٣ ، من طريق الوليد بن مسلم : « حدثنا أبو عمرو [هو الأوزاعي] ، حدثنا قتادة ، عن أنس . فذكره نحوه مرفوعاً ، ولكن آخره عنده : « كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة » .

وقال البوصيري في زوائده : « إسناده صحيح . رجاله ثقات » . وهو كما قال .

فيكون الأوزاعي رواه عن شيخين ، أحدهما ضعيف ، والآخر ثقة . وأن الضعيف — يزيد الرقاشي — زاد الاستشهاد بالآية . ولا بأس بذلك ، فالمعنى قريب .

وذكره السيوطي ٢ : ٦٠ ، وزاد نسبته لابن أبي حاتم .

(١) الحديث : ٧٥٧٨ — هذا الحديث تكرار للحديث قبله .

وعبد الكريم بن أبي عمير — شيخ الطبري : ذكره الذهبي في الميزان ٢ : ١٤٤ بلقب « الدهان » ، وقال : « فيه جهالة . والخبر منكر » . يريد حديثاً آخر ، بينه الحافظ في لسان الميزان ٤ : ٥٠ — ٥١ ، عن تاريخ بغداد . في ترجمة رجل آخر . وهو في تاريخ بغداد ٣ : ٢٤٢ . وفيه اسم هذا الشيخ في ذاك الإسناد : « عبد الكريم بن أبي عمير الدهقان » . ولم أجد له ترجمة ولا ذكراً في موضع آخر .

(٢) الأثر : ٧٥٧٩ — « ثابت بن قطبة المدني الثقفي » ، مترجم في الكبير ١/٢/١٦٨ ، والجرح ١/١/٤٥٧ ، قال البخاري : « سمع ابن مسعود ، روى عنه أبو إسحق ، والشعبي » وزاد ابن أبي حاتم : « وزياد بن علاقة ، وسالم بن أبي الجعد » . وكان في المطبوعة في هذا الموضع وفي الأثرين التاليين « ثابت بن قطنة » بالنون من « قطنة » ، وهو خطأ . وفي المخطوطة في هذا الأثر « قطنه » غير منقوطة ، ونقطت الباء في الأثرين التاليين . وفي المخطوطة والمطبوعة : « المرى » في هذا الأثر وفي رقم : ٧٥٨١ ، والصواب « المدني » كما أثبته ، وثابت ثقفي ، لا مرى .

(٣) الأثر : ٧٥٨٠— في المطبوعة: «عبد الحميد بن بيان اليشكري » ، وهو خطأ ، والصواب المخطوطة . وقد سلف مثل هذا الخطأ في رقم : ٧٣٧٨ ، فانظر التعليق عليه .

٧٥٨١ — حدثنا إسمعيل بن حفص الأبُلِّىّ قال، حدثنا عبدالله بن نمير أبو هشام قال ، حدثنا مجالد بن سعيد ، عن عامر ، عن ثابت بن قطبة المدنى قال: قال عبد الله : عليكم بالطاعة والجماعة ، فإنها حبل الله الذى أمرَ به ، ثم ذكر نحوه.[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « واذكروا نعمة الله عليكم » ، واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام .

* * *

واختلف أهل العربية فى قوله: « إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم » .

فقال بعض نحويى البصرة فى ذلك : انقطع الكلام عند قوله : « واذكروا نعمة الله عليكم » ، ثم فسر بقوله : « فألف بين قلوبكم » ، وأخبرَ بالذى كانوا فيه قبل التأليف ، كما تقول : « أمسكْ الحائط أن يميل » .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة قوله: « إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم »، تابع قوله : « واذكروا نعمة الله عليكم » غير منقطعة منها .

* * *

(١) الأثر : ٧٥٨١ — « إسماعيل بن حفص بن عمرو الأبلى ، أبو بكر الأودى البصرى ، و « الأبلى » (بضم الهمزة والباء الموحدة ، واللام المشددة المكسورة) نسبة إلى « الأبلة » . وفى بعض الكتب « الأيلى » بالياء . روى عن أبيه ، وحفص بن غياث ، ومعتمر بن سليمان وغيرهم . روى عنه النسائى وابن ماجة ، وابن خزيمة وجماعة . وسمع منه أبو حاتم ، قال ابن أبى حاتم : « وسألت أبى عنه فقال : كتبت عنه وعن أبيه ، وكان أبوه يكذب ، وهو بخلاف أبيه . قلت : لا بأس به ؟ قال : لا يمكننى أن أقول لا بأس به » . وذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١٦٥/١/١ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن قوله : « إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم » ، متصل بقوله : « واذكروا نعمة الله عليكم » ، غير منقطع عنه .

وتأويل ذلك : واذكروا ، أيها المؤمنون ، نعمة الله عليكم التى أنعمَ بها عليكم ، حين كنتم أعداء فى شرككم ،[1] يقتل بعضكم بعضاً عصبيةً فى غير طاعة الله ولا طاعة رسوله ، فألف الله بالإسلام بين قلوبكم ، فجعل بعضكم لبعض إخواناً بعد إذ كنتم أعداءً ، تتواصلون بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه ، كما : —

٧٥٨٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم » ، كنتم تذابحون فيها ، يأكل شديدكم ضعيفكم ، حتى جاء الله بالإسلام فآخى به بينكم ، وألَّف به بينكم . أما والله الذى لا إله إلا هو ، إنّ الألفة لرحمة ، وإن الفرقة لعذابٌ .

٧٥٨٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء » ، يقتل بعضكم بعضاً ، ويأكل شديدُكم ضعيفكم ، حتى جاء الله بالإسلام فألف به بينكم ، وجمع جمعكم عليه ، وجعلكم عليه إخواناً .

* * *

قال أبو جعفر : فالنعمة التى أنعم الله على الأنصار التى أمرهم تعالى ذكره فى هذه الآية أن يذكرُوها ، هى ألفة الإسلام ، واجتماع كلمتهم عليها = والعداوةُ التى كانت بينهم التى قال الله عز وجل : « إذ كنتم أعداء » ، فإنها عداوة الحروب التى كانت بين الحيين من الأوس والخزرج فى الجاهلية قبل الإسلام ، يزعم العلماء بأيام العرب أنها تطاولت بينهم عشرين ومئة سنة ، كما : —

---

(١) فى المطبوعة : « أى بشركم » ، وليست بشىء ، وفى المخطوطة « أى شركم » ولا معنى لها ، وفيها زيادة ألف « أى » ، و « ى » هى « فى » فالذى أثبته هو الصواب والسياق .

٧٥٨٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومئة سنة ، حتى قام الإسلام وهم على ذلك ، فكانت حربهم بينهم وهم أخوان لأب وأم ، فلم يسمع بقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم . ثم إنّ الله عز وجل أطفأ ذلك بالإسلام ، وألف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم .(١)

٢٣/٤

* * *

فذكَّرهم جل ثناؤه إذ وعظهم ، عظيمَ ما كانوا فيه فى جاهليتهم من البلاء والشقاء بمعاداة بعضهم بعضاً ، وقتل بعضهم بعضاً ، وخوفِ بعضهم من بعض ، وما صارُوا إليه بالإسلام واتباع الرّسول صلى الله عليه وسلم ، والإيمان به وبما جاء به ، من الائتلاف والاجتماع ، وأمن بعضهم من بعض ، ومصير بعضهم لبعض إخواناً ، وكان سبب ذلك ما : —

٧٥٨٥ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال ، حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة المدنى ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدم سُوَيد بن صامت ، أخو بنى عمرو بن عوف ، مكةَ حاجًّا أو معتمراً . قال : وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم : « الكامل » ، لجلده وشعره ونسبه وشَرفه . قال : فتصدّى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام ، قال : فقال له سويد : فلعل الذى معَك مثلُ الذى معى ! قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال : مجلة لقمان — يعنى : حكمة لقمان — فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعرضْها علىّ » . فعرضها عليه ، فقال : إن هذا لكلام حسنٌ ،(٢) معى أفضل من هذا ، قرآنٌ أنزله الله علىّ ، هدًى ونورٌ . قال : فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآنَ ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يُبعد منه ، وقال : إن هذا لقولٌ حسن ! ثم

(١) الأثر : ٧٥٨٤ — لم أستطع أن أهتدى إلى مكانه من سيرة ابن هشام فى هذه الساعة .
(٢) فى المطبوعة : « إن هذا الكلام » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة وسيرة ابن هشام .

انصرف عنه وقدم المدينةَ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج . فإن كان قومه ليقولون : قد قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل يوم بُعاثٍ .[١]

٧٥٨٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق قال، حدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ،[٢] أحد بنى عبد الأشهل : أن محمودَ بن لبيد،[٣] أحدَ بنى عبد الأشهل قال : لما قدم أبو الحَيْسر أنس بن رافع مكة،[٤] ومعه فتية من بنى عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج،[٥] سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاهم فجلس إليهم فقال : هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : أنا رسولُ الله، بعثنى إلى العباد أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً،[٦] وأنزل علىَّ الكتاب . ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ، وكان غلاماً حَدَثاً :[٧] أىْ قوم، هذا والله خير مما جئتم له ! قال : فيأخذ أبو الحَيْسَر أنس بن رافع حَفنةً من البطحاء،[٨] فضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقال : دعنا منك، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا ! قال : فصمت إياس بن معاذ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنهم، وانصرفوا

(١) الأثر : ٧٥٨٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٦٧ — ٦٩ .

(٢) فى المطبوعة : «الحسين بن عبد الرحمن ...»، وهو خطأ، صوابه من المخطوطة وسيرة ابن هشام، وهو مترجم فى التهذيب .

(٣) فى المطبوعة : «محمود بن أسد»، وهو خطأ، صوابه فى المخطوطة، ولم يحسن الناشر قراءتها لخلوها من النقط، وصوابه أيضاً فى ابن هشام . و «محمود بن لبيد الأشهلى» تابعى، واختلف فى صحبته . مترجم فى التهذيب .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : «أبو الجيش أنس بن رافع»، وهو خطأ فاحش، صوابه من سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩، وسائر كتب التاريخ .

(٥) فى المخطوطة والمطبوعة : «على قوم من الخزرج»، والصواب ما فى سيرة ابن هشام . كما أثبت .

(٦) فى المخطوطة : «أن يعبدون الله ...» سهو من الناسخ، وفى ابن هشام «أدعوهم إلى أن يعبدوا الله» .

(٧) غلام حدث (بفتح الحاء وضم الدال) : كثير الحديث حسن السياق له .

(٨) فى المطبوعة : «فأخذ أبو الجيش»، والصواب ما أثبت من سيرة ابن هشام .

إلى المدينة، وكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج . قال : ثم لم يلبث إياسُ ابن معاذ أن هلك . قال : فلما أراد الله إظهارَ دينه، وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم، وإنجازَ موعده له، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه النفرَ من الأنصار يَعرض نفسه على قبائل العرب،[١] كما كان يصنع فى كل موسم . فبينا هو عند العقبة، إذ لقى رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .[٢]

= قال ابن حميد قال، سلمة قال، محمد بن إسحق، فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج . قال : أمن موالى يهود ؟[٣] قالوا : نعم . قال: أفلا تجلسون حتى أكلمكم؟ قالوا: بلى! قال: فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله، وعرَض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن . قال : وكان مما صَنع الله لهم به فى الإسلام ،[٤] أنّ يهود كانوا معهم ببلادهم ، وكانوا أهلَ كتاب وعلم ، وكانوا أهل شرك أصحابَ أوثان،[٥] وكانوا قد غزوهم ببلادهم . فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إنّ نبيًّا الآن مبعوث قد أظلّ زمانه ، نتبعه ونقتلكم معه قتلَ عاد وإرَم ! فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفرَ ودعاهم إلى الله عز وجل ، قال بعضهم لبعض : يا قوم، تعلمون والله إنه للنبى الذى تَوَعّدُكم به يهود، فلا يسبقُنّكم إليه ![٦] فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدّقوه وقبلوا منه

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : «خرج رسول الله صلى الله وسلم الموسم . . .» بإسقاط «فى» وأثبتها من ابن هشام . وفى ابن هشام : «فعرض نفسه» بالفاء ، وما فى مخطوطة الطبرى ، جيد .

(٢) فى المطبوعة : «لهم خيراً» ، والصواب من المخطوطة وابن هشام .

(٣) «موالى يهود» : أى من حلفائهم ، والمولى : الحليف .

(٤) هذا هو النص الصحيح ، لما أثبت ناشر سيرة ابن هشام ، مخالفاً أصول السيرة ، وما جاء هنا .

(٥) فى ابن هشام : «وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان» ، وما فى الطبرى صواب أيضاً .

(٦) فى المطبوعة والمخطوطة : «ولا يسبقنكم» بالواو ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام .

ما عَرَض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : [١] إنا قد تركنا قومَنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسَى الله أن يجمعهم بك ، وسنَقْدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ؛ فإن يجمعهم الله عليه فلا رجلَ أعزّ منك . ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا وصدّقوا = وهم فيما ذكر لى ستة نفر . قال : فلما قدموا المدينةعلى قومهم ، ذكرُوا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فَشا فيهم ، فلم تَبقَ دارٌ من دور الأنصار إلاّ وفيها ذكرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا كان العامُ المقبل ، وافى الموسمَ من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقوه بالعقبة ،وهى العقبة الأولى . فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيْعَة النساء ، [٢] وذلك قبل أن تُفترَض عليهم الحرب . [٣]

٢٤/٤

٧٥٨٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة : أنه لقىَ النبى صلى الله عليه وسلم ستةُ نفرٍ من الأنصار فآمنوا به وصدّقوه ، فأراد أن يذهبَ معهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : «قالوا» بإسقاط الواو ، والصواب ما فى سيرة ابن هشام .

(٢) بيعة النساء ، هى البيعة المذكورة فى [سورة الممتحنة : ١٢] ، ونصها فيما رواه ابن إسحق بإسناديه عن عبادة بن الصامت أنه قال (ابن هشام ٢ : ٧٥ ، ٧٦) : «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيلَةَ العقبة الأولى على أن لا نُشْرك بالله شيئاً ، ولا نَسْرِق، ولا نزنى ، ولا نقتُل أولادَنا ، ولا نأتى ببُهتانٍ نفتريهِ من بين أيدينا وأرجُلنا ، ولا نَعْصِيه فى معروفٍ = فإن وَفَيْتم ، فلكُمُ الجنَّة . وإن غَشِيتُم من ذلك شيئاً فأُخِذْتم بحدِّه فى الدنيا ، فهو كفَّارةٌ لكم . وإن سترتُم عليه إلى يوم القيامة ، فأمركم إلى الله ، إن شاءَ عذب وإن شاءَ غفر» . وهذه بيعة لم يذكر فيها القتال والجهاد ، مما كتبه الله على الرجال دون النساء ، ولذلك سميت بيعة النساء ، لأنها مطابقة لبيعتهن المذكورة فى سورة الممتحنة .

(٣) الأثر : ٧٥٨٦ — سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩ — ٧٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٧٥٨٥ .

بين قومنا حرباً ، وإنا نخافُ إن جئت على حالك هذه أن لا يتهيأ الذى تريدُ . فوعدوه العامَ المقبلَ ، وقالوا : يا رسول الله ، نذهب ، فلعلّ الله أن يُصْلح تلك الحرب ! قال : فذهبوا ففعلوا ، فأصلح الله عز وجل تلك الحرب ، وكانوا يُرَوْن أنها لا تَصْلُح = وهو يوم بُعاثٍ . فلقوه من العام المقبل سبعينَ رجلاً قد آمنوا ، فأخذ عليهم النقباءَ اثنى عشر نقيباً ، فذلك حين يقول : « واذكروا نعمة الله عليكم إذْ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم » .

٧٥٨٨ ــ حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « إذ كنتم أعداء » ، ففى حرب ابن سُمَير[١] = « فألف بين قلوبكم » ، بالإسلام .

٧٥٨٩ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة بنحوه = وزاد فيه : فلما كان من أمر عائشة ما كان ،[٢] فتثاوَرَ = الحيّان ، فقال بعضهم لبعض : مَوْعدُكم الحَرَّة ! فخرجوا إليها ، فنزلت هذه الآيةُ : « واذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ كنتم أعداء فألّف بين

(١) فى المخطوطة والمطبوعة « فى حرب فألف . . . » أسقط « ابن سمير » ، وسيأتى نص قول السدى ، كما أثبته بعد ص ٨٣ س : ٣

(٢) يعنى ما كان من حديث الإفك فى أمر عائشة أم المؤمنين ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب الناس فذكر لهم رجالا يؤذونه فى أهله ويقولون عليهن غير الحق ، وتولى كبر ذلك رأس النفاق عبد الله بن أبى ابن سلول فى رجال من الخزرج . فقام أسيد بن حضير الأوسى فقال : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفيكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا بأمرك ، فو الله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم . فقام سعد بن عبادة الخزرجى ، فقال : كذبت لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ! أما والله ما قلت هذه المقالة إلا لأنك عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ! فقال أسيد ابن الحضير : كذبت لعمر الله : ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ! وتثاور الناس حتى كاد أن يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر (تاريخ الطبرى ٣ : ٦٩) .

هذا ولم أجد ذكر هذا الخبر فى كتاب ، ولم أجد فى كتب أسباب النزول أن هذه الآية نزلت فى شأن عائشة رضى الله عنها ، ولا ما كان يومئذ بين الأوس والخزرج . ولم يذكر ذلك أبو جعفر مصرحاً فى هذا الموضع ، ولا ذكر ذلك فى تفسير سورة النور ، حيث آيات حديث الإفك وبراءة عائشة أم المؤمنين .

قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » ، الآية . فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يتلوها عليهم حتى اعتنق بعضهم بعضاً ، وحتى إن لهم لخنيناً = يعنى البكاءَ . (١)

* * *

« وسُمَير » الذى زعم السدى أن قوله : « إذ كنتم أعداء » عنى به حربه ، هو سُمير بن زيد بن مالك ، (٢) أحد بنى عمرو بن عوف ، الذى ذكره مالك بن العجلان فى قوله :

إنَّ سُمَيْرًا ، أَرَى عَشِيرَتَهُ قَدْ حَدِبُوا دُونَهُ وَقَدْ أَنِفُوا (٣)

إنْ يَكُنِ الظَّنُّ صَادِقِى بَبَنِى النَّجَّارِ لَمْ يَطْعَمُوا الَّذِى عُلِفُوا (٤)

---

(١) فى المطبوعة : « لحنيناً » بالحاء ، وأما فى المخطوطة ، فإن الناسخ على غير عادته نقط حروفها المعجمة جميعاً ، كما أثبتها ، وهو الصواب المحض . والخنين : تردد البكاء فى الأنف والخياشيم حتى يصير فى الصوت مثل الغنة ، لكتمان البكاء من ألم وحياء وخجل . وقد ورد فى كثير من الأحاديث من ذلك : « أنه كان يسمع خنينه فى الصلاة » ، وفى حديث أنس : « فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ، لهم خنين » .

(٢) فى الأغانى ٣ : ٤٠ « سمير بن يزيد بن مالك » ، وذكر فى ٣ : ٢١ أنه أخو « درهم بن يزيد بن ضبيعة » ، وقد رجحت فى التعليق على طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ٢٤٧ تعليق : ٦ أنه « درهم بن يزيد بن مالك » من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمر بن عوف . وقد جاء فى المطبوعتين « درهم بن زيد » كما جاء هنا فى ذكر أخيه « سمير بن زيد » .

(٣) جمهرة أشعار العرب : ١٢٢ ، والأغانى ٢٠ ، واللسان (سمر) وهذا البيت والذى يليه كتب فى المطبوعة بالقاف « أبقوا » ثم « علقوا » وهما فى المخطوطة غير منقوطتين ، وأوقعهم فى ذلك النقط ما جاء فى اللسان (سمر) ، « أبقوا » بالباء والقاف ، وهو خطأ محض ينبغى تصحيحه . فقصيدة مالك فائية لاشك فيها . رواها صاحب جمهرة أشعار العرب بطولها ، ورواها أبو الفرج ، وروى معها نقائضها ، لدرهم بن يزيد ، ثم لقيس بن الخطيم ، فيما بعد هذه الحرب بدهر ، ورد حسان ابن ثابت عليه ومناقضته له . وخبر هذا الشعر طويل ، هو فى الأغانى ٣ : ١٨ — ٢٦ ، ثم ٣٩ — ٤٢ . ثم انظر ما قاله الطبرى بعد الأبيات .

وقوله : « حدبوا دونه » ، يقال : « حدب عليه » ، إذا تعطف عليه وحنا عليه . وقوله : « دونه » ، عنى أنهم عطفوا عليه وحاموا دونه يمنعوه . وقوله : « أنفوا » ، يقال : « أنف الرجل من الشىء يأنف أنفاً » ، إذا حمى وغضب ، وأخذته الغيرة من أن يضام . وكان سمير هذا هو الذى قتل الرجل الثعلبى جار مالك بن العجلان — فى خبر الحرب — فطالب مالك بنى عمرو بن عوف أن يرسلوا إليه سميراً ليقتله بجاره ، أو يأخذ الدية كاملة ، فأبى أولئك ، وأبى مالك ، وحدب بنو عمرو بن عوف على صاحبهم سمير ، واستنفر مالك قبائل الخزرج ، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره ، فقال هذه الأبيات يحرض بنى النجار على نصرته .

(٤) فى رواية الجمهرة والأغانى : « صادقاً » ، وهما سواء . وفى شرح هذا البيت قال أبو الفرج فى

وقد ذكر علماء الأنصار : أنّ مبدأ العداوة التى هيَّجت الحروب التى كانت بين قبيلتَيها الأوسِ والخزرجِ وأوّلها ، كان بسبب قتل مَولى لمالك بن العجلان الخزرجيّ يقال له : « الحرُّ بن سُمَير » من مزينة ، (١) وكان حليفاً لمالك بن العجلان ، ثم اتصلت تلك العداوة بينهم إلى أن أطفأها الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . فذلك معنى قول السدى : « حرْب ابن سمير » .

* * *

وأما قوله : «فأصبحتم بنعمته إخواناً » ، فإنه يعنى : فأصبحتم بتأليف الله عز وجل بينكم بالإسلام وكلمة الحق ، والتعاون على نصرة أهل الإيمان ، والتآزر على من خالفكم من أهل الكفر ، إخواناً متصادقين ، لاضغائن بينكم ولا تحاسد ، كما : —

٧٥٩٠ — حدثنى بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

أغانيه : « علفوا الضيم : إذا أقروا به . أى ظنى أنهم لا يقبلون الضيم » ، وهذا مجاز قلما تظفر بتفسيره فى كتب اللغة . وقد جاء مثل ذلك فى هذا المعنى من قول سبيع بن زرارة ، أو خالد بن نضلة (الحماسة ١ : ١٨٦) .

إِذَا كُنْتَ فى قومٍ عِدًى لَسْتَ مِنْهُمُ فَكُلْ مَا عُلِفْتُ من خبيثٍ وطيِّبِ

وقول العباس بن مرداس (الحماسة ١ : ٢٢٥)

ولا تَطْعَمَنْ ما يَعْلِفُونَكَ إِنَّهُمْ أَتَوْكَ عَلَى قُرْبَاهُمْ ، بِالمُثَمَّلِ

وكأنهم يريدون بذلك : ما يقدم إليك ، مما يكون حسن الظاهر كأنه رعاية وكرم ، خبيث الباطن يراد به الأذى والضيم ، واستعملوا « العلف » لأنه كالاستغفال لمن يقدم إليه ، كأنه بهيمة لا تدرك الخفى الباطن .

هذا وقد ترك ناشرو هذا التفسير هذين البيتين على حالها من التصحيف . ثم جاء بعض المعلقين ، فكتب ما لا قبل لذى عقل بقبوله ، إلا على قول القائل : « فكل ما علفت » !

(١) لست على ثقة من هذا الاسم « الحر بن سمير » ، ولكنى لم أجده فى مكان آخر ، والذى يقولونه فى غير هذا الخبر أن اسمه « كعب بن العجلان » ، ويقال غير ذلك .

قوله : « فأصبحتم بنعمته إخواناً » ، وذكر لنا أن رجلاً قال لابن مسعود : كيف أصبحتم ؟ قال : أصبحنا بنعمة الله إخواناً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ فَأَنقذَكُم مِّنْهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وكنتم على شفا حفرة من النار » ، وكنتم ، يا معشر المؤمنين ، من الأوس والخزرج ، على حرف حُفرةٍ من النار . وإنما ذلك مثَل لكفرهم الذى كانوا عليه قبل أن يهديهم الله للإسلام . يقول تعالى ذكره : وكنتم على طرَف جهنم بكفركم الذى كنتم عليه قبل أن يُنعم الله عليكم بالإسلام ، فتصيروا بائتلافكم عليه إخواناً ، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على ذلك من كفركم ، فتكونوا من الخالدين فيها ، فأنقذكم الله منها بالإيمان الذى هداكم له . ٢٥/٤

* * *

و « شفا الحفرة » ، طرفها وحرفها ، مثل « شفا الركيَّة والبئر » ؛ ومنه قول الراجز :

نَحْنُ حَفَرْنَا لِلْحَجِيجِ سَجْلَهْ ... نَابِتَةً فَوْقَ شَفَاهَا بَقْلَهْ (١)

---

(١) لم أجد هذا الرجز بهذه الرواية فى كتاب غير هذا التفسير . أما « سجلة » فهى بئر المطعم ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، ويقال حفرها عدى بن نوفل ، ويقال حفرها هاشم بن عبد مناف ، ويقال حفرها قصى . وقد ذكرها ابن هشام فى سيرته ٢ : ١٥٧ ، والأزرقى فى تاريخ مكة ١ : ٦٤ ، ٦٥ / ٢ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، والبلاذرى فى فتوح البلدان : ٥٥ ، ٥٦ ، والبكرى فى معجم ما استعجم : ٧٢٤ ، ومعجم البلدان (سجلة) ، والروض الأنف ١ : ١٠١ ، وذكرها المصعب فى نسب قريش : ٣١ ، ١٩٧ ، ولم يذكر اسمها بل قال : « سقاية عدى ، التى بالمشعرين ، بين الصفا والمروة ، وفيها يقول مطرود الخزاعى ، يمدح عدى بن نوفل :

يعنى : فوق حرفها . يقال : « هذا شفا هذه الركية » مقصور « وهما شفواها »

* * *

وقال : « فأنقذكم منها » ، يعنى فأنقذكم من الحفرة ، فردّ الخبر إلى « الحفرة » ، وقد ابتدأ الخبر عن « الشفا » ، لأن « الشفا » من « الحفرة » . فجاز ذلك ، إذ كان الخبر عن « الشفا » على السبيل التى ذكرها فى هذه الآية = خبراً عن « الحفرة » ، كما قال جرير بن عطية :

رَأَتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّى كما أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلَالِ (١)

وَمَا النِّيلُ يَأْتِى بالسَّفِينِ يَكُفُّه بأَجْوَدَ سَيْباً من عَدِىّ بن نَوْفَلِ
وأنبطْتَ بين المَشْعَرَيْنِ سِقايةً لِحُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ أفْضَلَ مَنْهَلِ

ونسب أبو الفرج فى أغانيه ١٣ : ٥ هذا الشعر لقيس بن الحدادية من أبيات . وأما الرجز الذى يشبه هذا وذكروه فى المراجع السالفة ، فقد اختلف فى نسبته ، إلى قصى ، وإلى خلدة بنت هاشم ، تقول :

نَحْنُ وَهَبْنَا لِعَدِىّ سَجْلَهْ فى تُرْبَةٍ ذَاتِ عَذاةٍ سَهْلَهْ
تُرْوِى الحَجِيجَ زُغْلَةً فزُغْلَهْ

أى جرعة فجرعة . ولم يتيسر لى تحقيق ذلك الآن بأكثر من هذا .

(١) ديوانه : ٤٢٦ ، مجاز القرآن : ٩٨ ، الكامل ١ : ٣٢٤ ، وغيرها ، وسيأتى فى التفسير ١٢ : ١٣/٩٤ : ١٩/١٠٩ : ٣٩ (بولاق) ، من قصيدة يهجو الفرزدق ، لم تذكر فى نقائضهما ، يقول قبل البيت :

دَعِينى ، إنَّ شَيْبِى قَدْ نَهَانِى وَتَجْرِيبِى ، وَشَيْبِى ، وَاكْتِهالِى
رَأَتْ مَرَّ السِّنِينَ . . . .
وَمَنْ يَبْقَى عَلَى غَرَضِ المَنَايا وَأَيَّامٍ تَمُرُّ مَعَ اللَّيَالِى ؟ !

والسرار (بكسر السين وفتحها) : آخر ليلة من الشهر ، ليلة يستسر القمر ، أى يختفى ، وأراد جرير بالسرار فى هذا البيت : نقصان القمر حتى يبلغ آخر ما يكون هلالا ، حتى يخفى فى آخر ليلة ، فهذا النقصان هو الذى يأخذ منه ليلة بعد ليلة ، أما « السرار » الذى شرحه أصحاب اللغة ، فهو ليلة اختفاء القمر ، وذلك لا يتفق فى معنى هذا البيت .

فذكر : « مر السنين » ، ثم رجع إلى الخبر عن « السنين » ، وكما قال العجاج : [١]

طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي طَوَيْنَ طُولِي وَطَوَيْنَ عَرْضِي [٢]

وقد بيَّنتُ العلة التى من أجلها قيل ذلك كذلك فيما مضى قبل . [٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك من التأويل قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٩١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته » ، كان هذا الحىُّ من العرب أذلَّ الناس ذُلاًّ ، وأشقاه عيشاً ، [٤] وأبْيَنَه ضلالة ، وأعراه

---

(١) وينسب للأغلب العجلى ، كما سترى فى المراجع ، وقال أبو محمد الأعرابى فى فرحة الأديب . « ليس هذا الرجز للأغلب ، هو لغيره ، من شوارد الرجز » .

(٢) ديوان العجاج : ٨٠ ، سيبويه ١ : ٢٦ ، كتاب المعمرين : ٨٧ ، الأغانى ١٨ : ١٦٤ ، والبيان والتبيين ٤ : ٦٠ ، والخزانة ٢ : ١٦٨ ، العينى (هامش الخزانة) ٣ : ٣٩٥ ، وشرح شواهد المغنى : ٢٩٨ وغيرها . وقد اختلف فى رواية الرجز اختلاف كثير . ورواية أبى محمد الأعرابى :

أَصْبَحْتُ لا يَحْمِلُ بَعْضِى بَعْضِى مُنَفَّهاً ، أَرُوحُ مِثْلَ النِّقْضِ

مَرُّ اللَّيالى . . . .

ثُمَّ انْتَحَيْنَ عَنْ عِظَامِى نَحْضِى أَقْعَدْنَنِى مِنْ بَعْدِ طُول نَهْضِى

المنفه : الذى غلبه الكلال والإعياء . والنقض : البعير المهزول . انتحى العود من الشجر : قشر عنه لحاءه ، وهو قشره . والنحض : اللحم . يقول : تركته الليالى عظاماً ، قد أكلت لحمه .

(٣) ٥ : ٧٧ ، ٧٨

(٤) قوله : « وأشقاه عيشاً ، وأبينه ضلالة . . . » مع عودة الضمير إلى « الناس » ، لأن ضمير المثنى والجمع بعد « أفعل » التفضيل ، يجوز إفراده وتذكيره ، انظر ما سلف من التعليق على الآثار رقم : ٥٩٦٨ ، ٦١٢٩ ، ٧٠٢٨ ، ٧٠٢٩

جلوداً ، وأجوعه بطوناً، مَكْعُومين[١] ، على رأس حجر بين الأسدين فارس والروم ، لا والله ما فى بلادهم يومئذ من شىء يحسدون عليه . مَنْ عاش منهم عاش شقيًّا ، ومن مات رُدِّى فى النار ،[٢] يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً يومئذ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظًّا ، وأدق فيها شأناً ، منهم ، حتى جاء الله عز وجل بالإسلام ، فورَّثكم به الكتاب ، وأحل لكم به دار الجهاد ، ووضع لكم به من الرزق ،[٣] وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس. وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا نِعَمه ، فإن ربكم منعِمٌ يحب الشاكرين ، وإن أهل الشكر فى مزيد الله ، فتعالى ربُّنا وتبارك .

٧٥٩٢ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قوله : « وكنتم على شفا حفرة من النار » ، يقول : كنتم على الكفر بالله = « فأنقذكم منها » ، من ذلك ، وهداكم إلى الإسلام

٧٥٩٣ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » ، بمحمد صلى الله عليه وسلم . يقول : كنتم على طرَف النار ، من مات منكم أوبِقَ فى النار ،[٤] فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فاستنقذكم به من تلك الحفرة .

---

(١) فى المطبوعة : « معكومين » ، والصواب من المخطوطة : كعم فم البعير وغيره شد فاه فى هياجه لئلا يعض . ومنه قيل : « كعمه الخوف فهو مكعوم » ، أمسك فاه ، ومنعه من النطق ، وفى حديث على : « فهم بين خائف مقموع ، وساكت مكعوم » ، وفى شعر ذى الرمة يصف صحراء بعيدة الأرجاء ، يخافها سالكها :

بَيْنَ الرَّجَا والرَّجَا من جَنْبِ واصِيَةٍ يَهْمَاء ، خَابِطُهَا بالخوف مَكْعُومُ

(٢) ردى فى النار : ألقى فيها .

(٣) هكذا جاءت الجملتان فى المخطوطة ، ولست على ثقة من صوابهما ، ولا أدرى ما يعنى بقوله : « دار الجهاد » ، والذى نعرف أن الإسلام جاء فأحله للمجاهدين هو « الغنائم » غنائم الحرب والجهاد . فأخشى أن يكون فى الكلام تحريف . وقوله : « ووضع لكم به من الرزق » كأنه يعنى بقوله : « وضع » بسط ، كما فسروه فى حديث التوبة : « إن الله واضع يده لمسىء الليل ليتوب بالنهار ، ولمسىء النهار ليتوب بالليل » ، أى بسط ، كما جاء فى الرواية الأخرى : « إن الله باسط يده . . . » .

(٤) أوبقه : أهلكه ، وقوله : « أوبق » بالبناء للمجهول .

٧٥٩٤ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا حسن بن حيّ : « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » ، قال : عصبية.[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « كذلك » ، كما بيَّن لكم ربكم فى هذه الآيات ، أيها المؤمنون من الأوس والخزرج ، من غِلّ اليهود الذى يضمرونه لكم ،[٢] وغشهم لكم ، وأمره إياكم بما أمركم به فيها ، ونهيه لكم عما نهاكم عنه ، والحال التى كنتم عليها فى جاهليتكم ، والتى صرتم إليها فى إسلامكم=[٣] مُعَرِّفَكم فى كل ذلك مواقع نعمة قِبَلكم وصنائعه لديكم=[٤] فكذلك يبين سائر حججه لكم فى تنزيله وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم= « لعلكم تهتدون » ، يعنى : لتهتدوا إلى سبيل الرشاد وتسلكوها ، فلا تضِلوا عنها .[٥]

٢٦/٤

* * *

(١) الأثر : ٧٥٩٤ - « الحسن بن حى » ، هو : « الحسن بن صالح بن حى ، وهو حيان ، الهمدانى » قال البخارى : « يقال : حى ، لقب » ، وكان فى المطبوعة : « حسن بن يحيى » ، والصواب فى المخطوطة ، وهو مترجم فى التهذيب .

(٢) فى المطبوعة : « من علماء اليهود . . . » ، وهو فاسد جداً ، والصواب فى المخطوطة ، ولكنه لم يحسن قراءتها « من غل » غير منقوطة . والغل (بكسر الغين) : الحقد الدفين .

(٣) سياق الجملة : كما بين لكم فى هذه الآيات . . . من غل اليهود . . . ومن غشهم . . . ومن أمره . . . ومن نهيه . . . ومن الحال التى كنتم عليها . . . » معطوف بعضه على بعض .

(٤) فى المطبوعة : « يعرفكم » بالياء فى أوله ، والصواب ما فى المخطوطة ، وهو منصوب الفاء ، نصب على الحال .

(٥) عند هذا الموضع ، انتهى الجزء الخامس من مخطوطتنا ، وفى آخره ما نصه :

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ولتكن منكم » أيها المؤمنون= « أمة » ، يقول: جماعة[1] =« يدعون » الناس = « إلى الخير » ، يعنى إلى الإسلام وشرائعه

« نجز الجزء الخامس من كتاب البيان ، بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه ، أعان الله على ما بعده بمنه وكرمه ، وخفىّ لطفه وسعة رحمته ، إنه وَلِىّ ذلك والقادرُ عليه . يتلوه فى السادس إنْ شاء الله تعالى : القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلْتَكُنْ منكُمْ أمّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

* * *

وكان الفراغُ منه فى شهر الله المحرّم غُرّة سنة خمس عشرة وسبعمئة ، أحسن الله تَقَضِّيها وخاتمتها فى خيرٍ وعافية ، بمنّه وكرمه ولطفه — على يدِ العبد الفقير إلى رحمة مولاه ، الغنيِّ به عمن سواه : علىّ بن محمد بن عباد (أو : عنان) بن عبد الصمد بن صالح الدنديلى (؟؟) الشافعى ، غفر الله له ولوالديه ، ولصاحب هذا الكتاب ، ولمن قرأ فيه ودعا لهم بالتوبة والمغفرة ورضى الله تعالى والجنة ، ولجميع المسلمين . وذلك بالقاهرة المحروسة ، بحارة العطوفة .

الحمد لله ربّ العالمين »

ثم يتلوه الجزء السادس ، وأوله :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ أعِنْ »

---

(١) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ١ : ٣/٢٢١ : ٧٤ ، ١٠٠ ، ١٢٨ ، ١٤١ ، ٢٧٥ - ٢٧٧ .

التي شرعها الله لعباده[١]= « ويأمرون بالمعروف » ، يقول : يأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به من عند الله[٢]= « وينهون عن المنكر » ، يعني : وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله ، بجهادهم بالأيدي والجوارح حتى ينقادوا لكم بالطاعة .

* * *

وقوله : « وأولئك هم المفلحون » ، يعني المنجحون عند الله الباقون في جناته ونعيمه.

* * *

وقد دللنا على معنى « الإفلاح » في غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته ههنا .[٣]

* * *

٧٥٩٥ — حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا عيسى ابن عمر القارئ ، عن أبي عون الثقفي : أنه سمع صُبيحاً قال : سمعت عثمان يقرأ : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ اللهَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾ .[٤]

٧٥٩٦ — حدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا ابن

---

(١) انظر تفسير « الخير » فيما سلف ٢ : ٥٠٥ .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ٣ : ٢٩٣/٤ : ٥٤٧ ، ٥٤٨ / ٥ : ٤٤ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ١٣٧، ٥٢٠ .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٢٤٩ ، ٢٥٠/٣ : ٥٦١ .

(٤) الأثر : ٧٥٩٥ — « عيسى بن عمر الأسدي » المعروف بالهمداني ، القارئ الأعمى صاحب الحروف ، كوفي ثقة . مترجم في التهذيب وطبقات القراء ١ : ٦١٢ . « أبو عون الثقفي » هو : « محمد بن عبيدالله بن سعيد » الأعور ، كوفي تابعي ثقة . مترجم في التهذيب ، وطبقات القراء ٢ : ١٩٤ . أما « صبيح » ، فلم أجد له ترجمة إلا في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/١/٤٤٩ قال : «صبيح ، قال سمعت عثمان يقرأ : « ولتكن منكم أمة يهدون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم . روى عيسى بن عمر القارئ ، عن أبي عون ، عنه » . ولم يزد على ذلك ، وفي الجرح كما ترى « يهدون إلى الخير » على غير ما جاء في الطبري ، فإنه يوافق القراءة الموروثة. وفي التاريخ الكبير للبخاري « صبيح بن عبد الله العبسي » أنه قال : « استعمل عثمان أبا سفيان بن الحارث على الفروض » ، ولست أستطيع أن أرجح أنهما رجل واحد . وانظر الدر المنثور ٢ : ٦١ ، ٦٢ .

عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت ابن الزبير يقرأ ، فذكر مثل قراءة عثمان التي ذكرناها قبل سواءً .

٧٥٩٧ — حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، قال : هم خاصة أصحابِ رسول الله ، وهم خاصَّة الرواة .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٥)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : « ولا تكونوا » ، يا معشر الذين آمنوا = « كالذين تفرقوا » من أهل الكتاب = « واختلفوا » في دين الله وأمره ونهيه = « من بعد ما جاءهم البينات » ، من حجج الله فيما اختلفوا فيه ، وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه ، وخالفوا أمرَ الله ، ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله = « وأولئك لهم » ، يعني : ولهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم = « عذاب » من عند الله = « عظيم » ، يقول جل ثناؤه : فلا تتفرقوا ، يا معشر المؤمنين ، في دينكم تفرُّق هؤلاء في دينهم ، ولا تفعلوا فعلهم ، وتستنوا في دينكم بسنتهم ، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم ، كما :—

٧٥٩٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » ، قال : هم أهل الكتاب . نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا ويختلفوا كما

(١) الأثر ٧٥٩٧ — رواه ابن كثير في تفسيره ٢ : ٢٠٩ ولفظه : « قال الضحاك : هم خاصة الصحابة ، وخاصة الرواة » ثم بينه فقال : « يعني المجاهدين والعلماء » .

تفرق واختلف أهل الكتاب ، قال الله عز وجل : « وأولئك لهم عذابٌ عظيم » .

٧٥٩٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا » ونحو هذا فى القرآن ، أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة ، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله .

٧٦٠٠ – حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » ، قال : هم اليهود والنصارى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أولئك لهم عذاب عظيم فى يوم تبيض وجوه وتسودُّ وجوه .

* * *

وأما قوله : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم » ، فإن معناه : فأما الذين اسودت وجوههم ، فيقال لهم : أكفرتم بعد إيمانكم ؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . ولا بد لـ « أما » من جواب بالفاء ، فلما أسقط الجواب سقطت « الفاء » معه . وإنما جاز ترك ذكر « فيقال » ، لدلالة ما ذكر من الكلام عليه .

* * *

٢٧/٤ وأما معنى قوله جل ثناؤه : « أكفرتم بعد إيمانكم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عُنى به .

فقال بعضهم : عنى به أهل قبلتنا من المسلمين

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٠١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » ، الآية ، لقد كفر أقوامٌ بعد إيمانهم كما تسمعون . ولقد ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « والذى نفس محمد بيده ، ليردنّ على الحوض ممن صحبنى أقوامٌ ، حتى إذا رُفعوا إلىّ ورأيتهم ، اختُلِجوا دونى ، فلأقولن : ربّ ! أصحابى ! أصحابى ! فليقالنّ : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك »! = وقوله : « وأما الذين ابيضتْ وجوههم ففى رحمة الله » ، هؤلاء أهل طاعة الله ، والوفاء بعهد الله ، قال الله عز وجل : « ففى رحمة الله هم فيها خالدون » .

٧٦٠٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يوم تبيضُّ وجوه وتسودُّ وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » ، فهذا من كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا .

٧٦٠٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن حماد بن سلمة والربيع ابن صبيح ، عن أبى مجالد ، عن أبى أمامة : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم » ، قال : هم الخوارج .

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك : كلّ من كفر بالله بعد الإيمان الذى آمن ،

---

(١) الأثر : ٧٦٠١ — هذا أثر مرسل ، وقد أخرجه البخارى فى صحيحه بغير هذا اللفظ (الفتح ١١ : ٤٠٨ ، ٤١٢ وما بعدها) ومسلم فى صحيحه ١٧ : ١٩٤ ، وقوله : « رفعوا إلى » ، أى أظهرهم الله له فرآهم من بعيد . واختلج الشىء : نزعه وجذبه .

حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بيَّن فى كتابه.[١]

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٠٤ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا على بن الهيثم قال ، أخبرنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبىّ بن كعب فى قوله : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » ، قال : صاروا يوم القيامة فريقين ، فقال لمن اسودّ وجهه، وعيَّرهم : « أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذابَ بما كنتم تكفرون » ، قال : هو الإيمان الذى كان قبل الاختلاف فى زمان آدم ، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم ، وأقرُّوا كلهم بالعبودية ، وفطرهُمْ على الإسلام ، فكانوا أمة واحدة مسلمين. يقول : « أكفرتم بعد إيمانكم »، يقول : بعد ذلك الذى كان فى زمان آدم . وقال فى الآخرين : الذين استقاموا على إيمانهم ذلك ، فأخلصوا له الدين والعمل ، فبيَّض الله وجوههم ، وأدخلهم فى رضوانه وجنته .

* * *

وقال آخرون : بل الذين عنوا بقوله : « أكفرتم بعد إيمانكم » ، المنافقون .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٠٥ــ حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » الآية ، قال : هم المنافقون ، كانوا أعطوا كلمةَ الإيمان بألسنتهم ، وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التى ذكرناها فى ذلك بالصواب ، القولُ الذى ذكرناه عن أبى بن كعب أنه عنى بذلك جميع الكفار ، وأنّ الإيمان الذى يوبَّخُون على ارتدادهم عنه ، هو الإيمان الذى أقروا به يوم قيل لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] .

---

(١) يعنى آية « سورة الأعراف : ١٧٢ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ربك مِنْ بنى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الآية .

وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميعَ أهل الآخرة فريقين : أحدهما سوداً وجوهه ، والآخر بيضاً وجوهه.[١] فمعلوم — إذ لم يكن هنالك إلاّ هذان الفريقان — أن جميع الكفار داخلون فى فريق من سُوِّد وجهه ، وأن جميع المؤمنين داخلون فى فريق من بُيِّض وجهه . فلاوجه إذاً لقول قائل: «عنى بقوله : « أكفرتم بعد إيمانكم »، بعض الكفار دون بعض » ، وقد عمّ الله جل ثناؤه الخبرَ عنهم جميعهم . وإذا دخل جميعهم فى ذلك، ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعدُ إلا حالة واحدة ، كان معلوماً أنها المرادةُ بذلك. [٢]

* * *

فتأويل الآية إذاً : أولئك لهم عذاب عظيمٌ فى يوم تبيضُّ وجوه قوم وتسودُّ وجوه آخرين. فأما الذين اسودت وجوههم ، فيقال : أجحدتم توحيد الله وعهدَه وميثاقَه الذى واثقتموه عليه ، بأن لا تشركوا به شيئاً ، وتخلصوا له العبادة — بعد إيمانكم = يعنى : بعد تصديقكم به ؟ = « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » ، يقول : بما كنتم تجحدون فى الدنيا ما كان الله قد أخذ ميثاقكم بالإقرار به والتصديق = « وأما الذين ابيضّت وجوههم » ممن ثبتَ على عهد الله وميثاقه ، فلم يبدِّل دينه ، ولم ينقلب على عَقِبيه بعد الإقرار بالتوحيد ، والشهادة لربه بالألوهة : وأنه لا إله غيره = « ففى رحمة الله » ، يقول: فهم فى رحمة الله ، يعنى : فى جنته ونعيمها وما أعد الله لأهلها فيها = « هم فيها خالدون » ، أى : باقون فيها أبداً بغير نهاية ولا غاية .

٢٨/٤

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « سوداء . . . بيضاء » والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « أنها المراد » بغير تاء ، والصواب ما فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « تلك آيات الله » ، هذه آيات الله .

* * *

وقد بينا كيف وضعت العرب « تلك » و « ذلك » مكان « هذا » و « هذه » ، فى غير هذا الموضع فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .[١]

* * *

وقوله : « آيات الله » ،[٢] يعنى مواعظ الله وعبره وحججه = « نتلوها عليك » ،[٣] نقرؤها عليك ونقصُّها = « بالحق » ، يعنى بالصدق واليقين .

وإنما يعنى بقوله : « تلك آيات الله » ، هذه الآيات التى ذكر فيها أمورَ المؤمنين من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمور يهود بنى إسرائيل وأهل الكتاب ، وما هو فاعل بأهل الوفاء بعهده ، وبالمبدِّلين دينه ، والناقضين عهدَه بعد الإقرار به . ثم أخبر عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه يتلو ذلك عليه بالحق ، وأعلمه أنّ من عاقبَ من خلقه بما أخبر أنه معاقبه [به] :[٤] من تسويد وجهه ، وتخليده فى أليم عذابه وعظيم عقابه = ومن جازاه منهم بما جازاه : من تبييض وجهه وتكريمه وتشريف منزلته لديه ، بتخليده فى دائم نعيمه ، فبغير ظلم منه لفريق منهم ، بل بحق استوجبوه ،[٥] وأعمال لهم سلفت جازاهم عليها ، فقال تعالى ذكره : « وما الله يريد ظلماً للعالمين » ، يعنى بذلك : وليس الله يا محمد =

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٢٥ - ٣/٢٢٨ : ٣٣٥ .

(٢) انظر تفسير « آية » فيما سلف فى فهارس اللغة مادة « أيا » .

(٣) انظر تفسير « تلا » فيما سلف ٢ : ٤٠٩ - ٤١١ ، ٥٦٦ - ٥٧٠ / ٦ : ٤٦٦ .

(٤) فى المطبوعة : « أن من عاقبه » ، وأثبت ما فى المخطوطة فهو صواب . وما بين القوسين زيادة لا بد منها يقتضيها السياق .

(٥) فى المطبوعة : « بل لحق » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

بتسويد وجوه هؤلاء وإذاقتهم العذاب العظيم ، وتبييض وجوه هؤلاء وتنعيمه إياهم في جنته = طالباً وضعَ شيء مما فعل من ذلك في غير موضعه الذى هو موضعه = إعلاماً بذلك عباده أنه لن يصلح فى حكمته بخلقه غير ما وعد أهل طاعته والإيمان به ، وغير ما أوعد أهل معصيته والكفر به = وإنذاراً منه هؤلاء ، وتبشيراً منه هؤلاء.

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أنه يعاقب الذين كفروا بعد إيمانهم بما ذكر أنه معاقبهم به من العذاب العظيم وتسويد الوجوه ، ويثيب أهلَ الإيمان به الذين ثبتوا على التصديق والوفاء بعهودهم التى عاهدوا عليها بما وصفَ أنه مثيبهم به من الخلود فى جنانه ، من غير ظلم منه لأحد الفريقين فيما فعل ، لأنه لا حاجة به إلى الظلم . وذلك أن الظالم إنما يظلم غيره ليزداد إلى عزه عزة بظلمه إياه ، أو إلى سلطانه سلطاناً ، أو إلى ملكه ملكاً ،=[١] أو إلى نقصان فى بعض أسبابه يتمم بها ظلم غيره فيه ما كان ناقصاً من أسبابه عن التمام .[٢] فأما من كان له جميع ما بين أقطار المشارق والمغارب ، وما فى الدنيا والآخرة ، فلا معنى لظلمه أحداً ، فيجوز أن يظلم شيئاً ، لأنه ليس من أسبابه شيء ناقصٌ يحتاج إلى تمام ، فيتم ذلك بظلم

---

(١) فى المطبوعة : « وإلى ملكه » بالواو ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « وإلى ملكه ملكاً لنقصان فى بعض أسبابه يتمم بما ظلم غيره فيه ما كان ناقصاً من أسبابه عن التمام » ، وهى جملة تشبه أن تكون مستقيمة ، بيد أن الطبرى أراد أن الظالم يظلم ليزداد عزة إلى عزه – أو سلطاناً إلى سلطانه – أو ملكاً إلى ملكه – أو أن يتمم بظلمه ما كان ناقصاً من أسبابه . وعبارة الطبرى التى أثبتها مستقيمة جدا على طريقته فى العبارة .

غيره، تعالى الله علواً كبيراً. ولذلك قال جل ثناؤه عَقِيب قوله : « وما الله يريد ظلماً للعالمين » ، « ولله ما فى السموات وما فى الأرض وإلى الله ترجع الأمور » .

* * *

واختلف أهل العربية فى وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله: « وإلى الله ترجع الأمور » ظاهراً ، وقد تقدم اسمُه ظاهراً مع قوله : « ولله ما فى السموات وما فى الأرض » .

فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة: ذلك نظيرُ قول العرب: « أما زيدٌ فذهب زيدٌ » ، وكما قال الشاعر :[1]

لَا أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَىْءٌ نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الغِنَى وَالفَقِيرَا[2]

فأظهر فى موضع الإضمار .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : ليس ذلك نظير هذا البيت ، لأن موضع « الموت »

---

(١) هو عدى بن زيد ، وقد ينسب إلى ولده سوادة بن عدى ، وربما نسب لأمية بن أبى الصلت .

(٢) حماسة البحترى : ٩٨ ، وشعراء الجاهلية : ٤٦٨ ، وسيبويه ١ : ٣٠ ، وخزانة الأدب ١ : ١٨٣ ، ٢ : ٥٣٤ ، ٤ : ٥٥٤ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٤٣ ، ٢٨٨ ، وشرح شواهد المغنى : ٢٩٦ ، وهو من أبيات مفرقة فى هذه الكتب وغيرها من حكمة عدى فى تأمل الحياة والموت ، يقول قبل البيت :

إنّ للدّهْرِ صَوْلَةً فَاحْذَرنْهَا لَا تَبِيتَنَّ قَدْ أَمِنْتَ الدُّهُورَا

قَدْ يَنَامُ الفَتَى صَحِيحاً فَيَرْدَى ، وَلَقَدْ بَاتَ آمِناً مَسْرُورَا

لَا أَرَى المَوْتَ . . . .

ثم يقول بعد أبيات :

أَيْنَ أَيْنَ الفِرَارُ مِمَّا سَيَأْتِى لَا أَرَى طَائِراً نَجَا أَنْ يَطِيرَا

ويقول : غنى الناس وفقيرهم ، فى هم مفسد عليه حياته من مخافة هذا الموت . ومن ترقبه ، هذا يخاف أن يسبقه الموت إلى ماله الذى جمع ، وذاك يفزع أن يسبقه الردى إلى ما يؤمل من متاع الدنيا . وكان هذا البيت فى المخطوطة فاسداً محرفاً ناقصاً ، وهو فى المطبوعة سوى مستقيم .

الثانى فى البيت موضع كناية ، لأنه كلمة واحدة ،[١] وليس ذلك كذلك فى الآية ، لأن قوله : « ولله ما فى السموات وما فى الأرض » خبرٌ ، ليس من قوله : « وإلى الله ترجع الأمور » فى شىء . وذلك أنّ كلّ واحدة من القصتين مفارقٌ معناها معنى الأخرى ، مكتفية كل واحدة منهما بنفسها ، غير محتاجة إلى الأخرى . وما قال الشاعر : « لا أرى الموت » ، محتاجٌ إلى تمام الخبر عنه .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الثانى عندنا أولى بالصواب ، لأن كتاب الله عز وجل لا توجَّهُ معانيه وما فيه من البيان ،[٣] إلى الشواذ من الكلام والمعانى ، وله فى الفصيح من المنطق والظاهر من المعانى المفهوم ، وجهٌ صحيح موجودٌ .

٢٩/٤

* * *

وأما قوله : « وإلى الله ترجع الأمور » فإنه يعنى تعالى ذكره : إلى الله مصير أمر جميع خلقه ، الصالح منهم والطالح ، والمحسن والمسىء ، فيجازى كلاًّ على قدر استحقاقهم منه الجزاء ، بغير ظلم منه أحداً منهم .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

فقال بعضهم : هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة

(١) الكناية : هو الضمير فى اصطلاح بقية النحويين .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « كما قال الشاعر » ، وهو غير مستقيم ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « لا يؤخذ معانيه » ، وفى المخطوطة : « لا توحد » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت ، والناسخ كثير التصحيف كما علمت ، والدال هى الهاء فى آخر الكلمة .

إلى المدينة خاصة ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٠٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال في « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : هم الذين خرجوا معه من مكة .

٧٦٠٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة .

٧٦٠٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ، قال عمر بن الخطاب : لو شاء الله لقال : « أنتم » فكنا كلنا ، ولكن قال : « كنتم » في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل صنيعهم ، كانوا خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

٧٦٠٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قال ، عكرمة : نزلت في ابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل .

٧٦١٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا مصعب بن المقدام ، عن إسرائيل ، عن السدى عمن حدثه : قال عمر : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا .

٧٦١١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .[1]

---

(١) الأثر : ٧٦١١ — رواه أحمد في المسند رقم : ٢٤٦٣ ، ٢٩٢٨ ، ٢٩٨٩ ، ٣٣٢١ ،

٧٦١٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب قال فى حِجَّة حجّها ورأى من الناس رِعَة سيئة ،[1] فقرأ هذه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، الآية . ثم قال : يا أيها الناس ، من سره أن يكون من تلك الأمة ، فليؤدِّ شرط الله منها.[2]

٧٦١٣ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : هم أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، يعنى = وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم.[3]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، إذا كنتم بهذه الشروط التى وصفهم جل ثناؤه بها . فكان تأويل ذلك عندهم : كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، أخرجوا للناس فى زمانكم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦١٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، يقول : على هذا الشرط : أن تأمرُوا بالمعروف ، وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله = يقول : لمن أنتم بين ظهرانيه ، كقوله : ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى العَالَمِينَ ﴾ [سورة الدخان : ٣٢] .

٧٦١٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

وإسناده صحيح . وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٩٤ ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

(١) الرعة (بكسر الراء وفتح العين) أصلها من الورع ، مثل « العدة » من « الوعد » . والرعة : الهدى وسوء الهيئة أو حسن الهيئة ، أى هى بمعنى : الشأن والأمر والأدب . وفى حديث الحسن : « ازدحموا عليه فرأى منهم رعة سيئة فقال : اللهم إليك » ، أى سوء أدب ، لم يحسنوا الكف عما يشين .

(٢) قوله : « شرط الله منها » ، أى شرط الله الذى طلبه منها .

(٣) قد مضى تفسير معنى « الرواة » فى الأثر رقم ٧٥٩٧ ، والتعليق عليه .

ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال يقول : كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط : أن تأمروا بالمعروف ، وتنهوا عن المنكر . وتؤمنوا بالله = يقول : لمن بين ظهريه ، كقوله : ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الدخان : ٣٢] .

٣٠/٤

٧٦١٦ - وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ميسرة ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : كنتم خير الناس للناس ، تجيئون بهم فى السلاسل ، تدخلونهم فى الإسلام.[1]

٧٦١٧ - حدثنا عبيد بن أسباط قال، حدثنا أبى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية فى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال: خيرَ الناس للناس.

* * *

وقال آخرون : إنما قيل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، لأنهم أكثر الأمم استجابة للإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦١٨ - حدثت عن عمار بن الحسن قال،[2] حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ، قال : لم تكن أمة أكثر استجابة فى الإسلام من هذه الأمة ، فمن ثَمّ قال: « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

* * *

(١) الأثر : ٧٦١٦ - أخرجه البخارى من طريق محمد بن سفيان عن ميسرة . (الفتح ٨ : ١٦٩) وقال الحافظ : « ميسرة : هو ابن عمار الأشجعى ، كوفى ثقة ماله فى البخارى سوى هذا الحديث وآخر تقدم فى بدء الخلق » . و « أبو حازم » هو « سلمان الأشجعى الكوفى »، وفى الفتح « سليمان » ، وهو خطأ وتصحيف . ولفظ البخارى : « تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم ، حتى يدخلوا فى الإسلام » .

وقد استوفى الحافظ فى هذا الموضع ، الحديث عن معنى الآية ، وذكر أكثر الآثار التى سلفت ، والتى ستأتى بعد .

(٢) فى المطبوعة : « عمار بن الحسين » ، وهو خطأ ، والصواب فى المخطوطة .

وقال بعضهم : عنى بذلك أنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦١٩ - حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ، قال : قد كان ما تسمعُ من الخير فى هذه الأمة .

٧٦٢٠ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : نحن آخرُها وأكرمُها على الله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن ، وذلك أن :

٧٦٢١ - يعقوب بن إبراهيم حدثنى قال ، حدثنا ابن علية ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إنكم وفيتّم سبعين أمّة ، أنتم آخرها وأكرمها على الله .

٧٦٢٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده : أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : أنتم تتمّون سبعين أمة ، أنتم خيرُها وأكرمها على الله .[1]

---

(١) الحديثان : ٧٦٢١ ، ٧٦٢٢ - هما حديث واحد بإسنادين . وقد مضى بالإسنادين معاً مجموعين ، برقم : ٨٧٣ . وقد خرجناه هناك مفصلا ، وأشرنا إلى مواضعه هنا فى طبعة بولاق .

ونزيد هنا أنه رواه أيضاً الحاكم فى المستدرك ٤ : ٨٤ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، بالإسناد الثانى هنا . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

ثم أشار الحاكم إلى متابعة سعيد الجريرى ، بروايته إياه عن حكيم بن معاوية . ثم رواه من طريق يزيد بن هرون ، عن الجريرى .

ورواية الجريرى سبق أن خرجناها هناك من رواية أحمد فى المسند .

وذكره الحافظ فى الفتح ٨ : ١٦٩ ، مشيراً إلى رواية الطبرى إياه ، ثم قال : « وهو حديث حسن صحيح . أخرجه الترمذى وحسنه . وابن ماجة ، والحاكم وصححه » .

وقد ورد معناه أيضاً ، ضمن حديث مطول عن أبى سعيد الخدرى ، مرفوعاً ، رواه أحمد فى المسند : ١١٦٠٩ (ج ٣ ص ٦١ حلبى) . وإسناده صحيح .

٧٦٢٣ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم وهو مسند ظهره إلى الكعبة : نحن نكمل يوم القيامة سبعين أمة ، نحن آخرها وخيرُها .

* * *

وأما قوله : « تأمرون بالمعروف » ، فإنه يعنى : تأمرون بالإيمان بالله ورسوله ، والعمل بشرائعه = « وتنهون عن المنكر » ، يعنى : وتنهون عن الشرك بالله، وتكذيب رسوله ، وعن العمل بما نهى عنه ، كما : -

٧٦٢٤ - حدثنا على بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، يقول : تأمرونهم بالمعروف : أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلونهم عليه ، و « لا إله إلا الله» ، هو أعظم المعروف= وتنهونهم عن المنكر ، والمنكر هو التكذيب ، وهو أنكرُ المنكر .

* * *

وأصل « المعروف » كل ما كان معروفاً فعله ، جميلا مستحسناً ،[1] غير مستقبح فى أهل الإيمان بالله ، وإنما سميت طاعة الله « معروفاً » ، لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله .[2]

* * *

وأصل « المنكر » ، ما أنكره الله ، ورأوه قبيحاً فعلُه . ولذلك سميت معصية الله « منكراً » ، لأنّ أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها ، ويستعظمون رُكوبها .[3]

* * *

وقوله : « وتؤمنون بالله » ، يعنى : تصدّقون بالله، فتخلصون له التوحيد والعبادة .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « كل ما كان معروفاً ، ففعله جميل مستحسن » ، غيروا نص المخطوطة ، ظناً منهم أنه غير مستقيم ، وهو أحسن استقامة مما أثبتوا ! ! بل هو الصواب المحض .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف قريباً ص : ٩١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف قريباً ص : ٩١ .

قال أبو جعفر : فإن سأل سائل فقال : وكيف قيل : « كنتم خير أمة » ، وقد زعمتَ أن تأويل الآية : أنّ هذه الأمة خيرُ الأمم التى مضت ، وإنما يقال : « كنتم خير أمة » ، لقوم كانوا خياراً فتغيَّروا عما كانوا عليه ؟

قيل : إنّ معنى ذلك بخلاف ما ذهبتَ إليه ، وإنما معناه : أنتم خير أمة ، كما قيل : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾ [سورة الأنفال : ٢٦] ، وقد قال فى موضع آخر : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ [سورة الأعراف : ٨٦] ، فإدخال « كان » فى مثل هذا وإسقاطها بمعنى واحد ، لأن الكلام معروف معناه.(١)

ولو قال أيضاً فى ذلك قائل : « كنتم » ، بمعنى التمام ، كان تأويله : خُلقتم خير أمة = أو : وجدتم خير أمة ، كان معنى صحيحاً .

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك : كنتم خير أمة عند الله فى اللوح المحفوظ ، أخرجت للناس .

* * *

والقولان الأولان اللذان قلنا ، أشبهُ بمعنى الخبر الذى رويناه قبلُ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : كنتم خير أهل طريقة . وقال : « الأمّة » ، الطريقة .(٢)

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٢٩ .

(٢) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ١ : ٢٢١/ثم هذا ص ٩٠ ، والمراجع هناك فى التعليق .

٣١/٤

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ولو صدّق أهل التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند الله ، لكان خيراً لهم عند الله فى عاجل دنياهم وآجل آخرتهم =« منهم المؤمنون » ، يعنى : من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، المؤمنون المصدِّقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله، وهم: عبد الله بن سلام وأخوه ، وثعلبة بن سَعْيَة وأخوه ، [١] وأشباههم ممن آمنوا بالله وصدّقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، واتبعوا ما جاءهم به من عند الله = « وأكثرهم الفاسقون »، يعنى : الخارجون عن دينهم. [٢] وذلك أن من دين اليهود اتباعُ ما فى التوراة والتصديقُ بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن دين النصارى اتباعُ ما فى الإنجيل ، والتصديق به و بما فى التوراة ، وفى كلا الكتابين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه، [٣] وأنه نبى الله . وكلتا الفرقتين — أعنى اليهود والنصارى— مكذّبة ، فذلك فسقهم وخروجهم عن عن دينهم الذى يدعون أنهم يدينون به، الذى قال جل ثناؤه: « وأكثرهم الفاسقون » .

* * *

وقال قتادة بما : —

---

(١) فى المطبوعة : « ثعلبة بن سعيد » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبته من المخطوطة و « سعية » بالسين المهملة المفتوحة والياء المنقوطة باثنين . وسيأتى على الصواب فى خبر إسلامه و إسلام أخيه ، بعد قليل ، رقم : ٧٦٤٤ .

(٢) انظر تفسيره « الفسق » فيما سلف ١ : ٤٠٩ ، ٢/٤١٠ : ١١٨ ، ٤/٣٩٩ : ١٣٥ — ٦/١٤١ : ٩١

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وفى كل الكتابين . . . » ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبت .

٧٦٢٥ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » ، ذم الله أكثر الناس.

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : لن يضركم ، يا أهل الإيمان بالله ورسوله ، هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب بكفرهم وتكذيبهم نبيَّكم محمداً صلى الله عليه وسلم شيئاً = « إلا أذى » ، يعنى بذلك: ولكنهم يؤذونكم بشركهم ،وإسماعكم كفرهم ، وقولهم فى عيسى وأمه وعزير ،ودعائهم إياكم إلى الضلالة ،ولن يضروكم بذلك.(١)

* * *

وهذا من الاستثناء المنقطع الذى هو مخالف معنى ما قبله ، كما قيل : « ما اشتكى شيئاً إلا خيراً » ، وهذه كلمة محكية عن العرب سماعاً.

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٢٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لن يضروكم إلا أذى » ، يقول : لن يضروكم ، إلا أذى تسمعونه منهم.

٧٦٢٧ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « لن يضروكم إلا أذى » ، قال : أذى تسمعونه منهم .

٧٦٢٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « ولا يضرونكم » ، وفى المخطوطة : « ولا يضروكم » ، والصواب هو ما أثبت .

ابن جريج قوله : « لن يضروكم إلا أذى » ، قال : إشراكهم فى عُزير وعيسى والصَّليب .

٧٦٢٩ — حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « لن يضروكم إلا أذى » الآية ، قال : تسمعون منهم كذباً على الله ، يدعونكم إلى الضلالة .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن يقاتلكم أهلُ الكتاب من اليهود والنصارى يهزَموا عنكم ، فيولوكم أدبارهم انهزاماً .

* * *

فقوله : « يولوكم الأدبار » ، كناية عن انهزامهم ، لأن المنهزم يحوِّل ظهره إلى جهة الطالب هرباً إلى ملجأ وموئل يئل إليه منه ، خوفاً على نفسه ، والطالبُ فى أثره . فدبُر المطلوب حينئذ يكون محاذى وجه الطالب الهازِمِه .

* * *

= « ثم لا ينصرون » ، يعنى : ثم لا ينصرهم الله ، أيها المؤمنون، عليكم ، لكفرهم بالله ورسوله ، وإيمانكم بما آتاكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم . لأن الله عز وجل قد ألقى الرعب فى قلوبهم ، فأيدكم أيها المؤمنون بنصركم .[1]

* * *

(١) فى المطبوعة : « قد ألقى الرعب فى قلوب كائدكم » ، وهو تصحيح لما فى المخطوطة : « قد ألقى الرعب فى قلوب فأيدكم » ، وظاهر أن « قلوب » صوابها « قلوبهم » ، واستقام الكلام على ما فى المخطوطة .

وهذا وعدٌ من الله تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان ، نصرَهم على الكفرة به من أهل الكتاب .

* * *

وإنما رفع قوله : « ثم لا ينصرون » وقد جزَم قوله : « يولوكم الأدبار » ، على جواب الجزاء، ائتنافاً للكلام ، لأن رؤوس الآيات قبلها بالنون ، فألحق هذه بها ، كما قال: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [سورة المرسلات : ٣٦] ، رفعاً ، وقد قال فى موضع آخر : ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [سورة فاطر : ٣٦] ، إذْ لم يكن رأس آية .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ضُربت عليهم الذلة » ، ألزموا الذلة . و«الذلة» «الفعلة» من «الذل» ،وقد بينا ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع .(٢) ٣٢/٤

* * *

« أينما ثقفوا » يعنى : حيثما لقوا .(٣)

* * *

يقول جل ثناؤه : ألزِم اليهود المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم الذلة أينما كانوا من الأرض ، وبأى مكان كانوا من بقاعها ، من بلاد المسلمين والمشركين = « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، كما : —

٧٦٣٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ،حدثنا هوذة قال ، حدثنا عوف ، عن

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٢٩ .

(٢) انظر تفسير « ضربت عليهم الذلة » فيما سلف ٢ : ١٣٦ .

(٣) انظر تفسير « ثقف » فيما سلف ٣ : ٥٦٤ .

الحسن فى قوله : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة »، [١] قال : أدركتهم هذه الأمة، وإن المجوس لتجبيهم الجزية .

٧٦٣١ — حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال، حدثنا عباد، عن الحسن فى قوله : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس »، قال : أذلهم الله فلا مَنْعة لهم، وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين .

* * *

وأما « الحبل » الذى ذكره الله فى هذا الموضع، [٢] فإنه السبب الذى يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذراريهم، من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يُثْقَفوا فى بلاد الإسلام، كما : —

٧٦٣٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله : « إلا بحبل من الله »، قال : بعهد = « وحبل من الناس »، قال : بعهدهم .

٧٦٣٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس »، يقول : إلاّ بعهد من الله وعهد من الناس .

٧٦٣٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة مثله .

٧٦٣٥ — حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد، عن عثمان بن غياث قال، [٣] عكرمة يقول : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس »، قال : بعهد من الله وعهد من الناس .

---

(١) سقط من الناسخ : « وباءوا بغضب من الله »، ومضت على ذلك المطبوعة، فأثبت وجه التلاوة .

(٢) انظر تفسير « الحبل » فيما سلف قريباً ص : ٧٠، ٧١ .

(٣) فى المخطوطة : « عثمان بن عتاب »، والصواب ما فى المطبوعة .

٧٦٣٦ – حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، يقول : إلا بعهد من الله وعهد من الناس .

٧٦٣٧ – حدثت عن عمار قال : حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، يقول : إلا بعهد من الله وعهد من الناس .

٧٦٣٨ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، فهو عهد من الله وعهد من الناس ، كما يقول الرجل : « ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم » ، فهو الميثاق .

٧٦٣٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، قال : بعهد من الله وعهد من الناس لهم = قال ابن جريج ، وقال عطاء ، العهدُ حبلُ الله .

٧٦٤٠ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، قال : إلا بعهد ، وهم يهود . قال : والحبل العهد . قال : وذلك قول أبى الهيثم بن التَّيِّهان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتته الأنصار فى العقبة : « أيها الرجل ، إنا قاطعون فيك حبالاً بيننا وبين الناس » ، يقول : عهوداً ، قال : واليهود لا يأمنون فى أرضٍ من أرض الله إلا بهذا الحبل الذى قال الله عز وجل . وقرأ : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٥] ، قال : فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق يهود فى شرق ولا غرب ، هم فى البلدان كلها مستذَلُّون ، قال الله : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُم

فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [سورة الأعراف : ١٦٨] ، يهود .(١)

٧٦٤١ – حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك فى قوله : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، يقول : بعهد من الله وعهد من الناس .

٧٦٤٢ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك مثله .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل العربية فى المعنى الذى جلب « الباء » فى قوله : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، فقال بعض نحويى الكوفة :(٢) الذى جلب « الباء » فى قوله « بحبل » ، فعل مضمر قد تُرك ذكره . قال : ومعنى الكلام : ضُربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ، إلا أن يعتصموا بحبل من الله = فأضمر ذلك ، واستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر :(٣)

٣٣/٤

رَأَتْنِى بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِى الحَبْلِ رَوْعَاءُ الفُؤَادِ فَرُوقُ(٤)

وقال : أراد : أقبلت بحبليها ، وبقول الآخر :(٥)

---

(١) الأثر : ٧٦٤٠ – مضى مختصراً برقم : ٧١٥٥ .

(٢) هو الفراء ، فى معانى القرآن ١ : ٢٣٠ .

(٣) هو حميد بن ثور الهلالى .

(٤) ديوانه : ٣٥ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٠ ، واللسان (نسع) و (فرق) وفى رواية البيت فى مادة (فرق) خطأ قبيح وتصحيف ، صوابه ما فى التفسير هنا . وأما رواية الديوان فهى :

فَجِئْتُ بِحَبْلَيْهَا ، فَرَدَّتْ مَخَافَةً إِلَى النَّفْسِ رَوْعَاءُ الجنانِ فَرُوقُ

و « روعاء الجنان » : شديدة الذكاء ، حية النفس ، شهمة ، كأن بها فزعاً من حدتها وخفة روحها . و « فروق » : شديدة الفزع . لم يرد ذماً ، ولكنه مدح ناقته بحدة الفؤاد ، تفزع لكل نبأة من يقظتها ، كما قالوا فى مدحها : « مجنونة » . يقول ذلك فى ناقته : رأتنى أقبلت بالحبلين ، لأشد عليها رحلى ، فصدت خائفة . يصفها بأنها كريمة لم تبتذلها الأسفار . ثم قال : فلما شددت عليها الرحل ، كانت فى الحبل ذكية شهمة ، تتوجس لكل نبأة من يقظتها وتوقدها .

(٥) هو أبو الطمحان القينى ، حنظلة بن الشرقى ، من بنى كنانة بن القين . وهو أحد المعمرين وينسب هذا الشعر أيضاً لعدى بن زيد ، وللمسحاج بن سباع الضبى .

حَنَتْنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ أَدْنُو لِصَيْدِ[١]
قَرِيبُ الخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَآنِي وَلَسْتُ مُقَيَّدًا ، أَنِّي بِقَيْدِ

يريد : مقيداً بقيد.

فأوجب إعمال فعل محذوف ، وإظهار صلته وهو متروك.[٢] وذلك فى مذاهب العربية ضعيف ، ومن كلام العرب بعيد . وأما ما استشهد به لقوله من الأبيات ، فغير دالّ على صحة دعواه ، لأن فى قول الشاعر : « رأتنى بحبليها » دلالة بينة فى أنها رأته بالحبل ممسكاً . ففى إخباره عنها أنها « رأته بحبليها » ، إخبارٌ منه أنها رأته ممسكاً بالحبلين . فكان فيما ظهر من الكلام مستغنًى عن ذكر « الإمساك » ، وكانت «الباء» صلة لقوله : « رأتنى » ، كما قول القائل :[٣] « أنا بالله » ، مكتفٍ بنفسه ، ومعرفةِ السامع معناه ، أن تكون « الباء » محتاجة إلى كلام يكون لها جالباً غير الذى ظهر ، وأن المعنى : « أنا بالله مستعين » .

* * *

(١) كتاب المعمرين : ٥٧ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٠ ، والأغانى ٢ : ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، وفيه أيضاً ١٢ : ٣٤٧ ، وحماسة البحترى : ٢٠٢ ، وأمالى القالى ١ : ١١٠ ، وأمالى الشريف ١ : ٤٦ ، ٢٥٧ ، ومجموعة المعانى : ١٢٣ ، والمعانى الكبير : ١٢١٤ ، مع اختلاف كبير فى الرواية ، واللسان (ختل) ، وغيرها . هذا ، وقد اقتصرت المطبوعة والمخطوطة على البيت الأول ، وهو عمل فاسد جداً ، وليس من فعل أبى جعفر بلا شك ، ولكنه من سهو الناسخ . لأن أبا جعفر نقل مقالة الفراء فى معانى القرآن ، وإسقاط البيت الثانى ، وهو بيت الشاهد ، فساد عظيم ، فأثبت البيت ، وأثبت أيضاً تعقيب الفراء عليه ، وهو قوله : « يريد مقيداً بقيد » ، ولم أضع هذا بين أقواس ، لأن سهو الناسخ أمر مقطوع به بالدليل البين .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « أحنو لصيد » ، وهو تصحيف لا شك فيه . ذلك أن أبا جعفر إنما ينقل مقالة الفراء ، وهو فى كتاب الفراء ، وفيما نقله عنه الناقلون فى المراجع السالفة ، هو الذى أثبته . هذا مع ظهور التصحيف وقربه ، ومع فساد معنى هذا التصحيف ، ومع فقدان هذه الرواية الغريبة . وقوله : « خاتل » ، يعنى صائداً ، يقال : « ختل الصيد » ، أى : استتر الصائد بشىء ليرمى الصيد ، فهو فى سبيل ذلك يمشى قليلا قليلا فى خفية ، لئلا يسمع الصيد حسه . فهذا هو الختل والمخاتلة .

(٢) « الصلة » هنا : الجار والمجرور .

(٣) فى المطبوعة : « كما فى قول القائل » بزيادة « فى » ، وهى أشد إفساداً للكلام من تصحيف هذا الناسخ فى بعض ما يكتب. وقوله : « مكتف بنفسه » خبر لقوله : « كما قول القائل » وقوله : « ومعرفة السامع » معطوف على قوله : « بنفسه » أى : مكتف بنفسه وبمعرفة السامع معناه .

وقال بعض نحويى البصرة ، قوله : « إلاّ بحبل من الله » استثناء خارجٌ من أول الكلام . قال : وليس ذلك بأشد من قوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾
[سورة مريم : ٦٢]

* * *

وقال آخرون من نحويى الكوفة : هو استثناء متصل ، والمعنى : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ، أى : بكل مكان = إلاّ بموضع حبل من الله ، كما تقول : ضُربت عليهم الذلة فى الأمكنة إلاّ فى هذا المكان .

* * *

وهذا أيضاً طلب الحق فأخطأ المفصل . وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل ، ولو كان متصلا كما زعم ، لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة . وليس ذلك صفة اليهود ، لأنهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس ، أو بغير حبل من الله عز وجل وغير حبل من الناس ، فالذلة مضروبة عليهم ، على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل . فلو كان قوله : « إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس » ، استثناء متصلا ، لوجب أن يكون القوم إذا ثُقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلةُ مضروبةً عليهم . وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم ، وخلافُ ما هم به من الصفة ، فقد تبين أيضاً بذلك فساد قول هذا القائل أيضاً .

* * *

قال أبو جعفر : ولكن القول عندنا أن « الباء » فى قوله : « إلاّ بحبل من الله » ، أدخلت لأن الكلام الذى قبل الاستثناء مقتضٍ فى المعنى « الباء » . وذلك أن معنى قوله : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا » ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا = ثم قال : « إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس» على غير وجه الاتصال بالأول ، ولكنه على الانقطاع عنه . ومعناه : ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس ،

كما قيل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً ﴾ [سورة النساء : ٩٢] ، فالخطأ وإن كان منصوباً بما عمل فيما قبل الاستثناء ، فليس قوله باستثناء متصل بالأول بمعنى : « إلا خطأ » ، فإن له قتله كذلك = ولكن معناه : ولكن قد يقتله خطأ . فكذلك قوله : « أينما ثقفوا إلا بحبل من الله » ، وإن كان الذى جلب « الباء » التى بعد « إلا » الفعل الذى يقتضيها قبل « إلا » ، فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذى قبله ، بمعنى : أن القوم إذا لُقوا ، فالذلة زائلة عنهم ، بل الذلة ثابتة بكل حال . ولكن معناه ما بينا آنفاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « وباؤوا بغضب من الله » ، وتحمَّلوا غضب الله فانصرفوا به مستحقِّيه . وقد بينا أصل ذلك بشواهده ، ومعنى « المسكنة » وأنها ذل الفاقة والفقر وخُشوعهما ، ومعنى : « الغضب من الله » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وقوله : « ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله » ، يعنى جل ثناؤه بقوله : « ذلك » ، أى : بوْءُهم الذى باؤوا به من غضب الله وضرْبُ الذلة عليهم ، بدل مما كانوا

---

(١) انظر تفسير « باء » فيما سلف ٢ : ١٣٨ ، ٣٤٥ . وتفسير « غضب الله » ١ : ١٨٨ ، ٢/١٨٩ : ١٣٨ ، ٣٤٥ . وتفسير « ضربت عليهم » ٢ : ١٣٦/ ٧ : ١١٠ وتفسير « المسكنة » ٢ : ١٣٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ / ٣ : ٣٤٥ / ٤ : ٢٩٥ .

يكفرون بآيات الله = يقول : مما كانوا يجحدون أعلام الله وأدلته على صدق أنبيائه ، وما فرض عليهم من فرائضه = « ويقتلون الأنبياء بغير حق » ، يقول : وبما كانوا يقتلون أنبياءهم ورسل الله إليهم ، اعتداءً على الله وجرأة عليه بالباطل ، وبغير حق استحقوا منهم القتل .

٣٤/٤

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : ألزِموا الذلة بأى مكان لُقوا ، إلا بذمة من الله وذمة من الناس ، وانصرفوا بغضب من الله متحمِّليه ، وألزموا ذل الفاقة وخشوع الفقر ، بدلا مما كانوا يجحدون بآيات الله وأدلته وحججه ، ويقتلون أنبياءه بغير حق ظلماً واعتداء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فعلنا بهم ذلك بكفرهم ، وقتلهم الأنبياء ، ومعصيتهم ربَّهم ، واعتدائهم أمرَ ربهم .

* * *

وقد بينا معنى « الاعتداء » فى غير موضع فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن إعادته .[1]

* * *

فأعلم رُبنا جل ثناؤه عبادَه ما فعل بهؤلاء القوم من أهل الكتاب ، من إحلال الذلة والخزى بهم فى عاجل الدنيا ، مع ما ذخر لهم فى الآجل من العقوبة والنكال وأليم العذاب ،[2] إذ تعدوا حدودَ الله واستحلوا محارمه = تذكيراً منه تعالى ذكره

(١) انظر ما سلف ٢ : ١٤٢ ، ١٦٧ ، ٣/٣٠٧ : ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٥٦٤ ، ٥٨٠ /٤ : ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، وغيرها .

(٢) فى المطبوعة : « مع ما ادخر لهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهما سواء فى المعنى .

لهم ، وتنبيهاً على موضع البلاء الذى من قِبَله أتوا لينيبوا ويذّكروا ، وعِظة منه لأمتنا أن لا يستنُّوا بسنتهم ويركبوا مناهجهم ،[1] فيسلك بهم مسالكهم ، ويحل بهم من نقم الله ومثُلاته ما أحل بهم ، كما : —

٧٦٤٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ، اجتنِبُوا المعصية والعدوان ، فإن بهما أهلِك مَنْ أُهْلك قبلكم من الناس .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه « ليسوا سواء » ، ليس فريقا أهل الكتاب ، أهل الإيمان منهم والكفر : سواء . يعنى بذلك : أنهم غير متساوين . يقول : ليسوا متعادلين ، ولكنهم متفاوتون فى الصلاح والفساد ، والخير والشر .[2]

* * *

وإنما قيل : « ليسوا سواء » ، لأن فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله فى قوله : ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ،[3] ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الفريقين عنده ، المؤمنة منهما والكافرة فقال : « ليسوا سواء » ، أى : ليس هؤلاء سواء ، المؤمنون منهم والكافرون . ثم ابتدأ الخبرَ جل ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل

---

(١) فى المطبوعة : « منها جهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو أجود .

(٢) انظر تفسير « سواء » فيما سلف ١ : ٢٥٦ .

(٣) هى الآية السالفة قبل قليل : ١١٠ من سورة آل عمران .

الكتاب ، ومدحَهم وأثنى عليهم ، بعد ما وصف الفِرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ، ونَخْب الجَنان ،[١] ومحالفة الذل والصغار ، وملازمة الفاقة والمسكنة ، وتحمُّل خزى الدنيا وفضيحة الآخرة ، فقال : « من أهل الكتاب أمَّة قائمةٌ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » ، الآيات الثلاث إلى قوله : « والله عليم بالمتقين » .

* * *

فقوله :[٢] « أمة قائمة » مرفوعةٌ بقوله : « من أهل الكتاب » .

* * *

وقد توهم جماعة من نحويى الكوفة والبصرة والمقدَّمين منهم فى صناعتهم :[٣] أن ما بعد « سواء » فى هذا الموضع من قوله : « أمة قائمة » ، ترجمةٌ عن « سواء » وتفسيرٌ عنه ،[٤] بمعنى : لا يستوى مِنْ أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وأخرى كافرة . وزعموا أنّ ذكر الفرقة الأخرى ، ترك اكتفاء بذكر إحدى الفرقتين ، وهى « الأمة القائمة » ، ومثَّلوه بقول أبى ذؤيب :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا القَلْبَ : إِنِّى لِأَمْرِهَا سَمِيعٌ ، فَمَا أَدْرِى أَرُشْدٌ طِلَابُهَا؟[٥]

ولم يقل : « أم غير رشد » ، اكتفاء بقوله : « أرشد » من ذكر « أم غير رشد » ، وبقول الآخر :[٦]

أَرَاكَ فَلَا أَدْرِى أَهَمٌّ هَمَمْتَه ؟ وَذُو الهَمِّ قِدْماً خَاشِعٌ مُتَضَائِلُ[٧]

* * *

(١) النخب (بفتح فسكون) : الجبن وضعف القلب . ورجل منخوب الجنان ونخيب الجنان : جبان لا قلب له ، كأنه منتزع الفؤاد فلا فؤاد له .

(٢) فى المطبوعة : « قوله » بغير فاء فى أولها ، والصواب من المخطوطة .

(٣) يعنى الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، وهذا قريب من نص كلامه ، وبعض شواهده .

(٤) الترجمة : يعنى البدل ، وانظر تفسير ذلك فيما سلف ٢ : ٣٤٠ ، ٣٧٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، وغيرها من المواضع فى فهرس المصطلحات .

(٥) سلف البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ١ : ٣٢٧ .

(٦) لم أعرف قائله .

(٧) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣١ . وكان فى المطبوعة : « أزال فلا أدرى . . . » ، وهو

قال أبو جعفر : وهو مع ذلك عندهم خطأٌ قولُ القائل المريد أن يقول : « سواء أقمتَ أم قعدت » = : « سواء أقمت » ، حتى يقول : « أم قعدت » . وإنما يجيزون حذف الثانى فيما كان من الكلام مكتفياً بواحد ، دون ما كان ناقصاً عن ذلك ، وذلك نحو : « ما أبالى » أو « ما أدرى » ، فأجازوا فى ذلك : « ما أبالى أقمت » ، وهم يريدون : « ما أبالى أقمت أم قعدت » ، لاكتفاء « ما أبالى » بواحد = وكذلك فى « ما أدرى » . وأبوا الإجازة فى « سواء » ، من أجل نقصانه ، وأنه غير مكتفٍ بواحد ، فأغفلوا فى توجيههم قوله : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة » على ما حكينا عنهم ، إلى ما وجهوه إليه — مذاهبَهم فى العربية =[1] إذْ أجازوا فيه من الحذف ما هو غير جائز عندهم فى الكلام مع « سواء » ، وأخطأوا تأويل الآية . ف « سواء » فى هذا الموضع بمعنى التمام والاكتفاء ، لا بالمعنى الذى تأوّله من حكينا قوله .

٣٥/٤

* * *

وقد ذكر أن قوله : « من أهل الكتاب أمة قائمة » الآيات الثلاث ، نزلت فى جماعة من اليهود أسلموا فحسن إسلامهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٤٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، قال حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سَعْيَة ، وأسَيْد بن سعية ، وأسد ابن عُبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فآمنوا وصدّقوا ورغبوا فى الإسلام ، ورسخوا

لا معنى له ، والصواب من المخطوطة ومعانى القرآن . ولست أدرى أيخاطب امرأة فيقول لها : إن الهم يغلبنى إذا رأيتك . فأنا له خاشع متضائل = أم هو يريد الهم والفتك ، فيقول : إن الذى يضمر فى نفسه شيئاً يهم به من الفتك ، يخفى شخصه حتى يبلغ غاية ثأره بعدوه . ولا أرجح شيئاً حتى أجد إخوة هذا البيت

(١) قوله : « مذاهبهم » مفعول « فأغفلوا » . والسياق : فأغفلوا فى توجيههم قوله إلى ما وجهوه إليه — مذاهبهم فى العربية . . .

فيه ،[١] قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا ![٢] ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله » إلى قوله : « وأولئك من الصالحين ».[٣]

٧٦٤٥ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ،[٤] عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس بنحوه .[٣]

٧٦٤٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة » الآية ، يقول : ليس كل القوم هلك ، قد كان لله فيهم بقية .[٥]

٧٦٤٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : « أمة قائمة » ، عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سلام أخوه ، وسعية ،[٦] ومبشر ، وأسَيْد وأسد ابنا كعب .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ليس أهل الكتاب وأمة محمد القائمة بحق الله ، سواء عند الله .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « ومنحوا فيه » ، وفى المخطوطة : « ومحوا » غير منقوطة ، وهى تصحيف للذى أثبته من سيرة ابن هشام .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « أشرارنا » كما أثبتها ، والذى فى سيرة ابن هشام « شرارنا » . وهى أجود .

(٣) الأثران : ٧٦٤٤ ، ٧٦٤٥ - سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٦ .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « يونس عن بكير » ، وهو خطأ ، وهذا إسناد كثير الدوران فى التفسير أقربه رقم : ٧٣٣٤ .

(٥) فى المخطوطة « لله فيهم بلله » غير منقوطة ، وتركت ما فى المطبوعة ، لأنه وافق ما فى الدر المنثور ٢ : ٦٤ ، ٦٥ .

(٦) فى المطبوعة : « شعية » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٧٦٤٨ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن الحسن بن يزيد العجلى ، عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في قوله : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمه قائمة » ، قال : لا يستوى أهل الكتاب وأمةُ محمد صلى الله عليه وسلم .[1]

٧٦٤٩ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة » ، الآية ، يقول : ليس هؤلاء اليهود ، كمثل هذه الأمة التى هى قائمة .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا أن أولى القولين بالصواب فى ذلك ، قولُ من قال : قد تمت القصة عند قوله : « ليسوا سواء » ، عن إخبار الله بأمر مؤمنى أهل الكتاب وأهل الكفر منهم ، وأنّ قوله : « من أهل الكتاب أمة قائمة » ، خبر مبتدأ عن مدح مؤمنهم ووصفهم بصفتهم ، على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج .

* *

ويعنى جل ثناؤه بقوله : « أمة قائمة » ، جماعة ثابتةٌ على الحق .

* * *

وقد دللنا على معنى « الأمة » فيما مضى بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

وأما « القائمة » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناها : العادلة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الحديث : ٧٦٤٨ - أبو عاصم : هو النبيل ، الضحاك بن مخلد . مضى فى : ٢١٥٥ .
عيسى : هو ابن ميمون الجرشى المكى . مضى فى : ٢٧٨ .
الحسن بن يزيد العجلى : تابعى ثقة . ذكره ابن حبان فى الثقات ، وترجمه البخارى فى الكبير ، ٣٠٦/٢/١ ، وابن أبى حاتم ٤٢/٢/١ - فلم يذكرا فيه جرحاً .
وهذا الحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٢٢٤ ، عن ابن أبى نجيح ، غير منسوب لتخريج .
وسيأتى له بقية بهذا الإسناد : ٧٦٦٠ . وقد جمعهما السيوطى حديثاً واحداً ٢ : ٦٥ ، كما سيأتى هناك
(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ١٠٦ والتعليق : ٢ ، وفيه المراجع .

٧٦٥٠ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أمة قائمة » ، قال : عادلة .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنها قائمة على كتاب الله وما أمر به فيه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٥١ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : « أمة قائمة » ، يقول : قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده .

٧٦٥٢ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « أمة قائمة » ، يقول : قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه .

٧٦٥٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « من أهل الكتاب أمة قائمة » ، يقول : أمة مهتدية ، قائمة على أمر الله ، لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيَّعوه .

* * *

وقال آخرون : بل معنى « قائمة » ، مطيعة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٥٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أمة قائمة » ، الآية ، يقول : ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الأمة التي هي قانتة لله . و « القانتة » ، المطيعة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ، ما قاله ابن عباس وقتادة ومن قال بقولهما على ما روينا عنهم ، وإن كان سائر الأقوال الأخَر متقاربة المعنى من معنى ما قاله ابن عباس وقتادة في ذلك . وذلك أنّ معنى قوله : « قائمة » ، مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشرائع دينه ، والعدلُ والطاعةُ

٤ / ٣٦

وغير ذلك من أسباب الخير ، [١] من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونظير ذلك ، الخبرُ الذى رواه النعمان بن بشير ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٧٦٥٥ — «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم ركبوا سفينة» ، ثم ضرب لهم مثلا . [٢]

* * *

فالقائم على حدود الله : هو الثابت على التمسك بما أمره الله به ، واجتناب ما نهاهُ الله عنه .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله ، متمسكة به ، ثابتة على العمل بما فيه وما سن لهم رسوله صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « بالعدل والطاعة . . . » ، وهو خطأ وفساد كبير فى السياق ، والصواب ما أثبت ، لأن الطبرى فسر « قائمة » بمعنى مستقيمة ، ثم ذكر أقوال أهل التأويل التى قالوها قبل من « العدل » و « الطاعة » ، ثم قال إنها « من صفة أهل الاستقامة » . فهى بذلك داخلة فى معنى « قائمة » كما فسرها .

(٢) الحديث : ٧٦٥٥ — هذا حديث صحيح ، أشار إليه الطبرى إشارة ، دون أن يذكره بتمامه ، ولم يذكر إسناده .

وقد رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٦٨ (حلبى) ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن الشعبى ، عن النعمان بن بَشِير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَثَلُ القائم على حدود الله تعالى ، والمُدْهِنِ فيها ، كَمَثَلِ قوم اسْتَهَمُوا على سَفِينة فى البحر فأصاب بعضُهم أسْفَلَهَا ، وأصاب بعضَهم أعْلَاها ، فكان الذين فى أسفلها يَصْعَدُون فيَسْتَقُون الماء ، فيَصُبُّون على الذين فى أعلاها ، فقال الذين فى أعلاها : لا نَدَعُكم تَصْعَدون فتوءْذوننا ، فقال الذين فى أسفلها : فإننا نَنْقُبُها من أسفلها فنَسْتَقِى ! قال : فإن أخَذُوا على أيديهم فمَنَعُوهم نَجَوْا جميعاً ، وإن تركوهم غَرِقُوا جميعاً » .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « يتلون آيات الله » ، يقرأون كتاب الله آناء الليل . ويعنى بقوله : « آيات الله » ، ما أنزل فى كتابه من العبر والمواعظ . يقول : يتلون ذلك آناء الليل ، يقول : فى ساعات الليل فيتدبَّرونه ويتفكرون فيه .

* * *

وأما « آناء الليل » ، فساعات الليل ، واحدها « إِنْىٌ » ، كما قال الشاعر : (١)

حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعَطْفِ القِــدْحِ مِرَّتُهُ ... فِى كُلِّ إِنْىٍ حَذَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ (٢)

ثم رواه أحمد أيضاً ٤ : ٢٦٩ ، عن يحيى بن سعيد ، عن زكريا ، و ٢٧٠ ، عن إسحق بن يوسف ، عن زكريا بن أبى زائدة ، و ٢٧٣ — ٢٧٤ ، عن سفيان ، عن مجالد — كلاهما ، أعنى زكريا ومجالد ، عن الشعبى ، عن النعمان بن بشير ، نحوه .

ورواه البخارى ٥ : ٩٤ (فتح) ، عن أبى نعيم ، عن زكريا ، عن الشعبى .

ثم رواه أيضاً ٥ : ٢١٦ : ٢١٧ ، عن عمر بن حفص بن غياث ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن الشعبى ، به نحوه .

(١) هو المتنخل الهذلى ، ولكنه سيأتى فى الطبرى منسوباً إلى « المنخل السعدى » ، وهو خطأ حققته فى موضعه بعد .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ٣٥ ، ومجاز القرآن ١ : ١٠٢ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٦ ، واللسان « أنى » ، وسيأتى من التفسير ١٦ : ١٦٨ (بولاق) ، من قصيدته فى رثاء ابنه أثيلة ، والبيت فى صفة ولده ، وقد رواه ابن الأنبارى ، كما جاء فى اللسان :

السَّالِكُ الثَّغْرَ مَخْشِيًّا مَوَارِدُهُ ... بِكُلِّ إِنْىٍ قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

فذكر الأزهرى رواية ابن الأنبارى ، وقال : وأنشده الجوهرى ، ثم ساق البيت كما هو فى التفسير ، ثم قال : « ونسبه أيضاً للمنخل ، فإما أن يكون هو البيت بعينه ، أو آخر من قصيدة أخرى » . وهذا كلام لا شك فى ضعفه ، والذى رواه ابن الأنبارى خلط خلطه من بيت آخر فى القصيدة ، أخطأ فى روايته . وهو قوله قبل ذلك بأبيات :

السَّالِكُ الثُّغْرَةَ اليَقْظَانَ كَالِئُهَا ... مَشْىَ الهَلُوكِ عَلَيْهَا الخَيْعَلُ الفُضُلُ

وقد قيل إنّ واحد« الآناء »، « إنًى » مقصور ، كما واحد « الأمعاء» « مِعًى» .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : ساعات الليل ، كما قلنا .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٥٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يتلون آيات الله آناء الليل »، أى : ساعات الليل .

٧٦٥٧ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : « آناء الليل » ، ساعات الليل .

٧٦٥٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ، عبد الله بن كثير : سمعنا العرب تقول : « آناء الليل » ، ساعات الليل .

* * *

وقال آخرون : « آناء الليل » ، جوف الليل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٥٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يتلون آيات الله آناء الليل » ، أما « آناء الليل » ، فجوفُ الليل .

وأما معنى البيت الذى رواه فى التفسير ، فإنه يعنى بقوله : « حلو ومر » ، أنه سهل لمن لاينه ، صعب على من خاشنة . وقوله « كعطف القدح »، يريد أنه يطوى كما يطوى القدح ثم يعود إلى شدته واستقامته . والمرة : القوة والشدة . ورواية الديوان والطبرى « حذاه الليل » ، أى قطعه الليل حذاء ، وهو شبيه فى المعنى بقوله : « قضاه » ، لأن معنى « قضاه » : أى صنعه وقدره وفصله . وانتعل الليل : اتخذه نعلا ، يعنى سرى فيه ، غير حافل بما يلق .

هذا ، وقد كان فى المطبوعة من التفسير : « قضاه الليل » ، نقله ناشر من مكان غير التفسير ، لأن فى المخطوطة « حداه » غير منقوطة ، فلم يعرف معناها ، ولم يعرف صوابها فاستبدل بها ما أثبته من اللسان أو غيره .

وقال آخرون : بل عنى بذلك قومٌ كانوا يصلون العشاء الآخرة . (١)

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٠ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن الحسن بن يزيد العجلى ، عن عبد الله بن مسعود فى قوله : « يتلون آيات الله آناء الليل » ، صلاة العَتَمة ، هم يصلُّونها ، ومَنْ سواهم من أهل الكتاب لا يصلِّيها . (٢)

٧٦٦١ – حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني يحيي بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن سليمان ، عن زرّ بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود قال : احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، كان عند بعض أهله ونسائه : فلم يأتنا لصلاة العشاء حتى ذهب ليلٌ ، فجاء ومنا المصلى ومنا المضطجع ، فبشَّرنا وقال : إنه لا يصلى هذه الصلاة أحدٌ من أهل الكتاب ! فأنزل الله : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » . (٣)

---

(١) فى المطبوعة : « العشاء الأخيرة » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) الحديث : ٧٦٦٠ – هذا تتمة الحديث الماضى بهذا الإسناد : ٧٦٤٨ ، كما أشرنا هناك . وقد جمعهما السيوطى ٢ : ٦٥ حديثاً واحداً ، نسبه للفريابى ، والبخارى فى تاريخه . وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

ولم نر من هذه المصادر إلا ابن جرير ، وهو قد رواه مفرقاً حديثين ، كما ترى – وإلا التاريخ الكبير للبخارى ، وهو لم يروه كله . بل روى هذا القسم الأخير وحده موجزاً كعادته ، فى ترجمة الحسن بن يزيد ١/٢/٣٠٦ ، قال : «قال محمد بن يوسف ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن الحسن بن يزيد العجلى ، عن ابن مسعود (يتلون آيات الله آناء الليل) ، قال : صلاة العتمة . وروى عمر بن ذر ، عن الحسن بن يزيد العجلى ، مرسلا » .

وانظر الحديثين بعد هذا .

(٣) الحديث : ٧٦٦١ – عبيد الله بن زحر الضمرى الإفريقى : ثقة ، وثقه البخارى فيما نقل عنه الترمذى ، كما فى التهذيب ، وكذلك وثقه أحمد بن صالح ، فيما روى عنه أبو داود . وضعفه أحمد ، وابن معين ، وابن المدينى . وروى ابن أبي حاتم ٢/٢/٣١٥ عن أبيه ، أنه قال : « لين الحديث » . وعن أبي زرعة ، أنه قال : « لابأس به ، صدوق » . ولم يذكره البخارى ولا النسائى فى الضعفاء ،

٧٦٦٢ — حدثني يونس قال، حدثنا علي بن معبد، عن أبي يحيى الخراساني، عن نصر بن طريف، عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننتظر العشاء — يريد: العتَمة — فقال لنا، ما على الأرض أحدٌ من أهل الأديان ينتظر هذه الصلاة في هذا الوقت غيركم! قال: فنزلت: «ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون». (١)

* * *

ونرى أن من تكلم فيه إنما هو من أجل نسخة يرويها عن علي بن يزيد الألهاني، الحمل فيها على علي بن يزيد. وانظر التهذيب.

و «زحر»: بفتح الزاي وسكون الحاء المهملة.

سليمان: هو الأعمش.

وأنا أخشى أن يكون قد سقط من هذا الإسناد «عن عاصم» — بين سليمان الأعمش وزر بن حبيش. فإن الأعمش لم يذكر أنه يروي عن زر، وإنما روايته عنه بواسطة «عاصم بن أبي النجود» وأقرانه من هذه الطبقة.

والحديث سيأتي — نحوه — عقب هذا. وتخريجه هناك.

(١) الحديث: ٧٦٦٢ — علي بن معبد بن شداد العبدي الرقي، نزيل مصر: ثقة، روى عنه أبو حاتم ووثقه. وقال الحاكم: «شيخ من جلة المحدثين».

أبو يحيى الخراساني: لم أعرف من هو، بعد طول البحث والتتبع. وفي كنية «أبي يحيى»، وفي نسبة «الخراساني» كثرة.

نصر بن طريف، أبو جزي القصاب الباهلي: ضعيف جداً، أجمعوا على ضعفه. ترجمه البخاري في الكبير ٤/٢/١٠٥، وقال: «سكتوا عنه، ذاهب»، وابن سعد ٧/٢/٤١، وقال: «ليس بشيء، وقد ترك حديثه». وقال يحيى: «من المعروفين بوضع الحديث»؛ وذكره الفلاس فيمن «أجمع عليه من أهل الكذب أنه لا يروى عنهم».

وكنيته «أبو جزي»: بفتح الجيم وكسر الزاي، كما ضبطه الذهبي في المشتبه، ص ١٠٤.

والحديث ثابت، بنحوه — بإسناد آخر صحيح، يغني عن إسنادي الطبري هذين:

فرواه أحمد في المسند: ٣٧٦٠، عن أبي النضر وحسن بن موسى، كلاهما عن شيبان، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ٣١٢. وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني في الكبير»، ثم ذكره بنحوه، بلفظ يكاد يكون لفظ الرواية الماضية: ٧٦٦١. ثم قال: «ورجال أحمد ثقات، ليس فيهم غير عاصم بن أبي النجود، وهو مختلف في الاحتجاج به. وفي إسناد الطبراني عبيد الله بن زحر. وهو ضعيف».

وذكره السيوطي ٢: ٦٥، وزاد نسبته للنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك قومٌ كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء.

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن منصور قال : بلغنى أنها نزلت : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » ، فيما بين المغرب والعشاء .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التى ذكرتُها على اختلافها، متقاربة المعانى . وذلك أن الله تعالى ذكره وَصف هؤلاء القوم بأنهم يتلون آيات الله فى ساعات الليل ، وهى آناؤه ، وقد يكون تاليها فى صلاة العشاء تالياً لها آناء الليل ، وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ، ومن تلاها جوفَ الليل، فكلٌّ تالٍ له ساعات الليل . غير أن أولى الأقوال بتأويل الآية، قولُ من قال: « عنى بذلك تلاوةَ القرآن فى صلاة العشاء »، لأنها صلاة لا يصلِّيها أحد من أهل الكتاب» ، فوصف الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله .

٣٧/٤

* * *

وأما قوله : « وهم يسجدون » ، فإن بعض أهل العربية زعم أن معنى « السجود » فى هذا الموضع ، اسم للصلاة لا للسجود، [1] لأن التلاوة لا تكون فى السجود ولا فى الركوع . فكان معنى الكلام عنده : يتلون آيات الله آناء الليل وهم يصلون . [2]

* * *

وليس المعنى على ما ذهب إليه ، وإنما معنى الكلام : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل فى صلاتهم ، وهم مع ذلك يسجدون فيها ، فـ « السجود » ، هو « السجود » المعروف فى الصلاة .

* * *

(١) فى المطبوعة : « لا السجود » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٣١ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١١٤)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل وعز : « يؤمنون بالله واليوم الآخر » ، يصدّقون بالله وبالبعث بعد الممات ، ويعلمون أن الله مجازيهم بأعمالهم ، وليسوا كالمشركين الذين يجحدون وحدانية الله ، ويعبدون معه غيره ، ويكذبون بالبعث بعد الممات ، وينكرون المجازاة على الأعمال ، والثوابَ والعقابَ .

* * *

وقوله : « ويأمرون بالمعروف » ، يقول : يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله ، وتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به [١] = « وينهون عن المنكر » ، يقول : وينهون الناس عن الكفر بالله ، وتكذيب محمد وما جاءهم به من عند الله ، [٢] يعنى بذلك : أنهم ليسوا كاليهود والنصارى الذين يأمرون الناس بالكفر وتكذيب محمد فيما جاءهم به ، وينهونهم عن المعروف من الأعمال ، وهو تصديق محمد فيما أتاهم به من عند الله = « ويسارعون فى الخيرات » ، يقول : ويبتدرون فعل الخيرات خشية أن يفوتهم ذلك قبل معاجلتهم مناياهم .

* * *

ثم أخبر جل ثناؤه أن هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب ، هم من عداد الصالحين ، [٣] لأن من كان منهم فاسقاً ، قد باء بغضب من الله لكفره بالله وآياته ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وعصيانه ربّه واعتدائه فى حدوده .

* * *

---

(١) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ص : ١٠٥ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ص : ١٠٥ تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الصالح » فيما سلف ٣ : ٩١ / ٦ : ٣٨٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الكوفة : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوه ﴾ ، جميعاً ، ردًّا على صفة القوم الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

* * *

وقرأته عامة قرأة المدينة والحجاز وبعض قرأة الكوفة بالتاء فى الحرفين جميعاً : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ ﴾ ، بمعنى : وما تفعلوا ، أنتم أيها المؤمنون ، من خير فلن يكفُرَكموه ربُّكم .

٤/٨٦

* * *

وكان بعض قرأة البصرة يرى القراءتين فى ذلك جائزاً بالياء والتاء ، فى الحرفين .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : « وما يفعلوا ، من خير فلن يُكفروه » ، بالياء فى الحرفين كليهما ، يعنى بذلك الخبرَ عن الأمة القائمة التالية آيات الله .

وإنما اخترنا ذلك ، لأن ما قبل هذه الآية من الآيات ، خبر عنهم . فإلحاق هذه الآية = إذْ كان لا دلالة فيها تدل على الانصراف عن صفتهم = بمعانى الآيات قبلها ، أولى من صرفها عن معانى ما قبلها . وبالذى اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ .

٧٦٦٤ — حدثنى أحمد بن يوسف التغلبىّ قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون ، عن أبى عمرو بن العلاء قال : بلغنى عن ابن عباس أنه كان يقرأهما جميعاً بالياء .[1]

* * *

(١) الأثر : ٧٦٦٤ — « أحمد بن يوسف التغلبى » سلفت ترجمته فى رقم : ٥٩٥٤ ، وأما المطبوعة

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً ، على ما اخترنا من القراءة : وما تفعل هذه الأمة من خير ، وتعمل من عملٍ لله فيه رضًى ، فلن يكفُرهم الله ذلك . يعنى بذلك : فلن يبطل الله ثوابَ عملهم ذلك ، ولا يدعهم بغير جزاء منه لهم عليه ، ولكنه يُجزل لهم الثواب عليه ، ويُسنى لهم الكرامة والجزاء .

* * *

وقد دللنا على معنى « الكفر » فيما مضى قبل بشواهده ، وأنّ أصله تغطية الشيء .[1]

* * *

فكذلك ذلك فى قوله : « فلن يكفروه » ، فلن يغطّى على ما فعلوا من خير فيتركوا بغير مجازاة ، ولكنهم يُشكرون على ما فعلوا من ذلك ، فيجزل لهم الثواب فيه. ٣٨/٤

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك من التأويل ، تأوّل من تأوّل ذلك من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وما تفعلوا من خير فلن تكفروه » ، يقول : لن يضلّ عنكم .

٧٦٦٦ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله .

* * *

وأما قوله : « والله عليم بالمتقين » ، فإنه يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بمن اتقاه ، لطاعته واجتناب معاصيه ، وحافظٌ أعمالهم الصالحة حتى يثيبهم عليها ويجازيهم بها ، تبشيراً منه لهم جل ذكره فى عاجل الدنيا ، وحضًّا لهم على التمسك بالذى هم عليه من صالح الأخلاق التى ارتضاها لهم .

* * *

فقد حذفت « التغلبى » ، لأن الناشر لم يحسن قراءة الكلمة ، فإنها كانت فيها « الثعلبى » غير منقوطة ولا بينة ، فحذفها الناشر .

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥٥٢ ، ثم ما بعد ذلك فى فهارس اللغة من الأجزاء السالفة .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : وهذا وعيدٌ من الله عز وجل للأمة الأخرى الفاسقة من أهل الكتاب ، الذين أخبر عنهم بأنهم فاسقون، وأنهم قد باؤوا بغضب منه، ولمن كان من نظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله .

يقول تعالى ذكره: « إن الذين كفروا »، يعنى : الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به وبما جاءهم به من عند الله= « لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً » ، يعنى : لن تدفع أمواله التى جمعها فى الدنيا، وأولاده الذين ربَّاهم فيها، شيئاً من عقوبة الله يوم القيامة إن أخرها لهم إلى يوم القيامة، ولا فى الدنيا إنْ عجّلها لهم فيها .

* * *

وإنما خصّ أولاده وأمواله ، لأن أولاد الرجل أقربُ أنسبائه إليه ، وهو على ماله أقدر منه على مال غيره ،[1] وأمرُه فيه أجوز من أمره فى مال غيره . فإذا لم يغن عنه ولده لصلبه ، وماله الذى هو نافذ الأمر فيه ، فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسبائه وأموالهم ، أبعد من أن تغنى عنه من الله شيئاً .

* * *

ثم أخبر جل ثناؤه أنهم هم أهل النار الذين هم أهلها بقوله : « وأولئك أصحاب النار » . وإنما جعلهم أصحابها، لأنهم أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها،

---

(١) فى المطبوعة : « وهو على ماله أقرب . . . » ، وهى فى المخطوطة شبيهة بها ، إلا أنها سيئة الكتابة ، ولكن لا معنى لها ، والصواب ما أثبت ، فهو حق السياق .

كصاحب الرجل الذى لا يفارقه ، وقرينه الذى لا يزايله . [١] ثم وكد ذلك بإخباره عنهم أنهم « فيها خالدون » ، أنّ صحبتهم إياها صحبة لا انقطاع لها ، [٢] إذْ كان من الأشياء ما يفارق صاحبه فى بعض الأحوال ، ويُزايله فى بعض الأوقات ، وليس كذلك صحبة الذين كفروا النارَ التى أصْلَوها ، ولكنها صحبة دائمة لا نهاية لها ولا انقطاع . نعوذ بالله منها ومما قرَّب منها من قول وعمل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : شَبَهُ ما ينفق الذين كفروا ، أى : شَبَهُ ما يتصدق به الكافرُ من ماله ، [٣] فيعطيه من يعطيه على وجه القُربة إلى ربّه وهو لوحدانية الله جاحد ، ولمحمد صلى الله عليه وسلم مكذب ، فى أن ذلك غير نافعه مع كفره ، وأنه مضمحلّ عند حاجته إليه ، ذاهبٌ بعد الذى كان يرجو من عائدة نفعه عليه = كشبه ريح فيها برد شديد ، أصابت هذه الريح التى فيها البرد الشديد = « حرثَ قوم » ، [٤] يعنى : زرع قوم قد أمَّلوا إدراكه ، ورجَوْا رَيْعه وعائدة نفعه = « ظلموا أنفسهم » ، يعنى : أصحاب الزرع ، عصوا الله وتعدَّوا حدوده = « فأهلكته » ، يعنى : فأهلكت الريح التى فيها الصِّرُّ زرعهم ذلك ، بعد الذى كانوا عليه من الأمل ورجاء عائدة نفعه عليهم .

---

(١) انظر تفسير « أصحاب النار » فيما سلف ١ : ٢٨٦ ، ٢٨٧ / ٤ : ٣١٧ / ٥ : ٤٢٩ / ٦ : ١٤

(٢) فى المطبوعة أسقط « أن » من أول هذه العبارة ، وهى ثابتة فى المخطوطة . وفيهما جميعاً بعد : « إذا كان من الأشياء » ، وصواب السياق « إذ » ، كما أثبتها .

(٣) انظر تفسير « النفقة » فيما سلف ٥ : ٥٥٥ ، ٥٨٠ / ٦ : ٢٦٥

(٤) انظر تفسير « الحرث » فيما سلف ٤ : ٢٤٠ ، ٣٩٧ / ٦ : ٢٥٧

يقول تعالى ذكره : فكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته فى حياته ، حين يلقاه، يبطل ثوابها ويخيب رجاؤه منها . وخرج المثَل للنفقة ، والمراد بـ « المثل » صنيعُ الله بالنفقة . فبيَّن ذلك قوله : « كمثل ريح فيها صرٌّ » ، فهو كما قد بيَّنّا فى مثله قوله : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ [سورة البقرة : ١٧] ، وما أشبه ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام ، مثل إبطال الله أجرَ ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا ، كمثل ريح فيها صر . وإنما جاز ترك ذكر « إبطال الله أجر ذلك » ، لدلالة آخر الكلام عليه، وهو قوله : « كمثل ريح فيها صرٌّ » ، ولمعرفة السامع ذلك معناه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « النفقة » التى ذكرها فى هذه الآية .

فقال بعضهم : هى النفقة المعروفة فى الناس .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا » ، قال : نفقة الكافر فى الدنيا . ٣٩/٤

* * *

وقال آخرون : بل ذلك قوله الذى يقوله بلسانه ، مما لا يصدِّقه بقلبه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرثَ قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته » ، يقول : مثل ما يقول فلا يقبل

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٣١٨ — ٣٢٨ .

منه ، كمثل هذا الزرع إذا زرعه القوم الظالمون ، فأصابه ريح فيها صر ، أصابته فأهلكته . فكذلك أنفقوا ، فأهلكهم شِرْكهم .

* * *

وقد بينا أولى ذلك بالصواب قبل .

* * *

وقد تقدم بياننا تأويل « الحياة الدنيا » بما فيه الكفاية من إعادته فى هذا الموضع . (١)

* * *

وأما « الصر » فإنه شدة البرد ، وذلك بعُصُوف من الشمال فى إعصار الطَّلّ والأنداء ، فى صبيحة مُعْتِمة بعقب ليلة مصحية ، (٢) كما : —

٧٦٦٩ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان ابن غياث قال ، سمعت عكرمة يقول : « ريح فيها صر » ، قال : بردٌ شديد .

٧٦٧٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « ريح فيها صر » ، قال : برد شديد وزمهرير .

٧٦٧١ — حدثنا على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ريح فيها صر » ، يقول : برد .

٧٦٧٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن هرون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « الصر » ، البرد .

٧٦٧٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « كمثل ريح فيها صر » ، أى : برد شديد .

٧٦٧٤ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٧٦٧٥ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى « الصر » ، البرد الشديد .

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٣١٤ ، ٣١٦ .

(٢) هذا البيان عن معنى « الصر » قلما تصيب مثله فى كتب اللغة .

٧٦٧٦ – حدثنا محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنا عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس : « كمثل ريح فيها صر » ، يقول : ريح فيها برد .

٧٦٧٧ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: « ريح فيها صر » ، قال : « صر » ، باردة أهلكت حرثهم . قال : والعرب تدعوها « الضَّريب » ، تأتى الريح باردة فتصبح ضريباً قد أحرق الزرع ،[1] تقول : « قد ضُرب الليلة » ، أصابه ضريبُ تلك الصر التى أصابته .

٧٦٧٨ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ،حدثنا يزيد قال ،حدثنا جويبر ، عن الضحاك : « ريح فيها صر » ، قال : ريح فيها برد .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم ، من إحباطه ثواب أعمالهم و إبطاله أجورها ظلماً منه لهم = يعنى : وضعاً منه لما فعل بهم من ذلك فى غير موضعه وعند غير أهله ، بل وضَع فعله ذلك فى موضعه ، وفعل بهم ما هم أهله . لأن عملهم الذى عملوه لم يكن لله وهم له بالوحدانية دائنون ، ولأمره مُتبعون ، ولرسله مصدقون ، بل كان ذلك منهم وهم به مشركون ، ولأمره مخالفون ، ولرسله مكذبون ، بعد تقدُّم منه إليهم أنه لايقبل عملاً من عامل إلاّ مع إخلاص التوحيد له ،والإقرار بنبوة أنبيائه ، وتصديق ما جاؤوهم به ، وتوكيده الحجج بذلك عليهم . فلم يكن = بفعله ما فعل بمن كفر به وخالف أمره فى ذلك = بعد

---

(١) الضريب : الصقيع والجليد .

الإعذار إليه،[1] من إحباط وَفْر عمله = له ظالماً ، بل الكافرُ هو الظالم نفسه، لإكسابها من معصية الله وخلاف أمره ، ما أوردها به نار جهنم ، وأصلاها به سعير سقَرَ .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم = « لا تتخذوا بطانة من دونكم » ، يقول : لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم = « من دونكم » يقول : من دون أهل دينكم وملّتكم ، يعنى من غير المؤمنين .

* * *

وإنما جعل « البطانة » مثلا لخليل الرجل ، فشبهه بما ولى بطنه من ثيابه ، لحلوله منه — فى اطّلاعه على أسراره وما يطويه عن أباعده وكثير من أقاربه — محلَّ ما وَلِىَ جسده من ثيابه .

* * *

٤٠/٤

فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاّء وأصفياء ، ثم عرّفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة ، وبغيهم إياهم الغوائل ، فحذرهم بذلك منهم ومن

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « الاعتذار إليه » ، وهو خطأ صرف . وأعذر إعذاراً : أى بلغ الغاية فى البلاغ ، ومنه قولهم : « أعذر من أنذر » ، أى بالغ فى الإنذار حتى بان عذره ، إذا أنزل بمن أنذره ما يسوءه . وقوله : « وفر عمله » أى كثير عمله ووافره . و « الوفر » (بفتح فسكون) . وكان فى المطبوعة « وافر عمله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) سياق الجملة : « فلم يكن ... له ظالما » ، وما بينهما فصل للبيان متعلق بقوله : « ظالماً » ولكنه مقدم عليه .

مخالَّتهم ،[١] فقال تعالى ذكره : « لا يألونكم خبالا » ، يعنى : لا يستطيعونكم شرًّا ، من « ألوت آلو ألواً » ، يقال : « ما ألا فلان كذا » ، أي : ما استطاع ، كما قال الشاعر[٢] :

جَهْرَاءُ لا تَأْلُو ، إذَا هِيَ أَظْهَرَتْ ، بَصَرًا ، وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِينِي[٣]

يعنى : لا تستطيع عند الظهر إبصاراً .

* * *

وإنما يعنى جل ذكره بقوله : « لا يألونكم خبالا » ، البطانةَ التى نهى المؤمنين

---

(١) فى المطبوعة : « فحذرهم بذلك منهم عن مخالتهم » ، فك إدغام اللام وحذف الواو قبل « عن » ، وفى المخطوطة « وعن مخالتهم » ، والصواب فى قراءتها ما أثبت ، إلا أن يكون سقط من الكلام « نهاهم » فيكون « ونهاهم عن مخالتهم » .

(٢) هو أبو العيال الهذلى .

(٣) ديوان الهذليين ٢ : ٢٦٣ ، الحيوان ٣ : ٥٣٥ ، المعانى الكبير : ٦٩٠ ، اللسان (ألا) (جهر) . من شعر جيد فى مقارضات بينه وبين بدر بن عامر الهذلى ، قال بدر بن عامر أبياتاً ، حين بلغه أن ابن أخ لأبى العيال ، أنه ضلع مع خصمائه ، فانتفى من ذلك وزعم أنه ليس ممن يأتى سوءاً إلى أخيه أبى العيال ، فكذبه أبو العيال ، فبادر بدر يرده . وكله شعر حسن فى معناه . فشبه أبو العيال شعر بدر فيه وفى الثناء عليه بالشاة فقال له :

أَقْسَمْتَ لا تَنْسَي شَبَابَ قَصِيدَةٍ أبداً ! ! فَمَا هٰذا الَّذِي يُنْسِينِي ؟

فَلَسَوْفَ تَنْسَاهَا وَتَعْلَمُ أَنَّهَا تَبَعٌ لآبِيَةِ العِصَابِ زَبُونِ

وَمَنَحْتَنِي فَرَضِيتُ زِيَّ مَنِيحَتِي فَإِذَا بِهَا ، وَأَبِيكَ ، طَيْفُ جُنُونِ

جَهْرَاءُ لَا تَأْلُو . . . .

والجهراء : هى التى لا تبصر فى الشمس ، وهو ضعف فى البصر . ويقال : « عال يعيل عيلا وعيلة » افتقر . يقول : أهديت لى شعراً وثناء وقولا ، فرضيته ، ثم إذا هو لا شىء إلا قول وكلام ، إذا انكشف الأمر وظهر ، عمى هذا الشعر وانطفأ ، وإذا جد الجد ، لم يغن قولك شيئاً ، بل كنت كما قلت لك آنفاً :

« فَلَقَد رَمَقْتُكَ فِي المَجَالِسِ كُلِّهَا فَإِذَا ، وأَنتَ تُعِينُ من يَبْغِينِى »

عن اتخاذها من دونهم ، فقال : إن هذه البطانة لا تترككم طاقتها خبالا ، أى لا تدع جهدها فيما أورثكم الخبال .[١]

* * *

وأصل « الخبْل » و« الخبال » ، الفساد ، ثم يستعمل فى معان كثيرة ، يدل على ذلك الخبرُ عن النبى صلى الله عليه وسلم :

٧٦٧٩ - « من أصيب بخبْل = أو : جراح » .[٢]

* * *

وأما قوله : « ودوا ما عنِتُّم » ، فإنه يعنى : ودوا عنتكم . يقول : يتمنون لكم العنت والشر فى دينكم وما يسوءكم ولا يسرُّكم .[٣]

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم ، ويصافونهم المودّة بالأسباب التى كانت بينهم فى جاهليتهم قبل الإسلام ، فنهاهم الله عن ذلك وأن يستنصحوهم فى شىء من أمورهم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) لقد أبعد أبو جعفر المذهب فى احتياله فى تفسير « لا يألونكم » ، فإن بيان أهل اللغة عن معنى هذا الحرف من العربية ، أصدق وأكمل من بيانه ، فقد ذكروا المعنى الذى ذكره ثم قالوا : « ما ألوت ذلك : أى ما استطعته ؛ وما ألوت أن أفعله : أى ما تركت » وقالوا : « هى من الأضداد ؛ ألا : فتر وضعف = وألا : اجتهد » ، فراجع ذلك فى كتب العربية .

(٢) الأثر : ٧٦٧٩ - رواه أبو جعفر غير مسند ؛ ورواه أحمد فى مسنده ٤ : ٣١ ، والبيهقى فى السنن ٨ : ٥٣ ، ورواية أحمد من طريق شيخه « محمد بن سلمة الحرانى ، عن ابن إسحق = ويزيد ابن هرون قال أنبأنا محمد بن إسحق = عن الحارث بن فضيل ، عن فضيل ، عن سفيان بن أبى العوجاء - قال يزيد : السلمى - عن أبى شريح الخزاعى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقال يزيد : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - : من أصيب بدم أو خبل = الخبل : الجراح = فهو بالخيار بين إحدى ثلاث : إما أن يقتص ، أو يأخذ العقل ، أو يعفو ، فإن أراد رابعة فخذوا على يده ، فإن فعل شيئاً من ذلك ثم عدا بعد فقتل ، فله النار خالداً فيها مخلداً » .

يعنى بالدم : قتل النفس - وبالخبل أو الجراح : قطع العضو . وقد تركت ما فى الطبرى على حاله : « أو جراح » وبينت بالترقيم أنها كأنها رواية أخرى فى قوله : « خبل » ، شك من الراوى . ولكن سياق الخبر يرجح عندى أنها : « أى : جراح » ، لأنه قد جاء فى الحديث نفسه تفسير « الخبل » بالجراح .

(٣) انظر تفسير « العنت » فيما سلف ٤ : ٣٥٨ - ٣٦١ .

٧٦٨٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، قال ، قال محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحِلْف فى الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل فيهم ينهاهم عن مباطنتهم ، [١] تخوُّفَ الفتنة عليهم منهم : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم » إلى قوله : « وتؤمنون بالكتاب كله ». [٢]

٧٦٨١ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا » ، فى المنافقين من أهل المدينة . نهى الله عز وجل المؤمنين أن يتولَّوهم .

٧٦٨٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم » ، نهى الله عز وجل المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين ، [٣] أو يؤاخوهم ، أو يتولوهم من دون المؤمنين . [٤]

٧٦٨٣ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لا تتخذوا بطانة من دونكم » ، هم المنافقون .

٧٦٨٤ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « فنهاهم » بالفاء فى أوله ، والصواب من المخطوطة وابن هشام .

(٢) الأثر : ٧٦٨٠ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٧ ، وهو تابع الأثرين السالفين رقم : ٧٦٤٤ ، ٧٦٤٥ .

(٣) قوله : « يستدخلوا » أى يتخذوهم أخلاء . استدخله : اتخذه دخيلا ، مثل قولهم استصحبه : اتخذه صاحباً ، والدخيل والمداخل : الذى يداخل الرجل فى أموره كلها . وهذا البناء « استدخله » مما أغفلته كتب اللغة ، وهو عربى معرق كما ترى .

(٤) فى المطبوعة : « أى يتولوهم » ، وفى المخطوطة : « أن يتولوهم » ، والصواب ما أثبت .

الربيع قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا » ، يقول لا تستدخلوا المنافقين ،[١] تتولوهم دون المؤمنين .

٧٦٨٥ — حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا العوام بن حوشب ، عن الأزهر بن راشد ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تستضيئوا بنار أهل الشرك ، ولا تنقشوا فى خواتيمكم عربيًّا . قال : فلم ندر ما ذلك ، حتى أتوا الحسن فسألوه ، فقال : نعم ، أما قوله : « لا تنقشوا فى خواتيمكم عربيًّا » ، فإنه يقول : لا تنقشوا فى خواتيمكم « محمد » . وأما قوله : « ولا تستضيئوا بنار أهل الشرك » ، فإنه يعنى به المشركين ، يقول : لا تستشيروهم فى شىء من أموركم . قال قال الحسن : وتصديق ذلك فى كتاب الله ، ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم » .[٢]

---

(١) انظر ص ١٤١ ، تعليق : ٣ .

(٢) الحديث : ٧٦٨٥ — الأزهر بن راشد البصرى : ثقة . ترجمه البخارى فى الكبير ٤٥٥/١/١ ، وابن أبى حاتم ٣١٣/١/١ — فلم يذكر فيه جرحاً .

وهناك راو آخر ، اسمه « الأزهر بن راشد الكاهلى » ، وهو كوفى ، وهو غير البصرى ، ومتأخر عنه . وترجمه البخارى وابن أبى حاتم أيضاً . فإن البصرى يروى عنه « العوام بن حوشب » المتوفى سنة ١٤٨ ، والكوفى الكاهلى يروى عنه « مروان بن معاوية الفزارى » المتوفى سنة ١٩٣ . ومروان ابن معاوية من شيوخ أحمد . والعوام بن حوشب من شيوخ شيوخه . فشتان هذا وهذا .

ومع هذا الفرق الواضح أخطأ الحافظ المزى ، فذكر فى التهذيب الكبير أن أبا حاتم قال فى البصرى : « مجهول » . وتبعه الحافظ فى تهذيب التهذيب ، والذهبى فى الميزان . وزاد الأمر تخليطاً ، فذكر أنه ضعفه ابن معين ! !

وابن معين وأبو حاتم إنما قالا ذلك فى الكاهلى الكوفى . فروى ابن أبى حاتم فى ترجمة « الكاهلى » ٣١٣/١/١ ، رقم : ١١٨٠ ، عن ابن معين ، قال : « أزهر بن راشد ، الذى روى عنه مروان بن معاوية : ضعيف » . ثم قال : « سألت أبى عن أزهر بن راشد ؟ فقال : هو مجهول » .

ولم يحقق الحافظ ابن حجر ، واشتبه عليه الكلام فى الترجمتين ، فقال فى ترجمة « الكاهلى » — بعد ترجمة « البصرى » — : « أخشى أن يكونا واحداً ! لكن فرق بينهما ابن معين » . والفرق بينهما كالشمس .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ١١٩٧٨ (ج ٣ ص ٩٩ حلبى) ، عن هشيم ، بهذا الإسناد — دون كلام الحسن ، وهو البصرى .

٧٦٨٦ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم »، أما « البطانة »، فهم المنافقون .

٧٦٨٧ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم » الآية ، قال : لايستدخل المؤمنُ المنافقَ دون أخيه .[1]

٧٦٨٨ - حدثنى يونس قال ،أخبرنا ابن وهب قال ،قال ابن زيد فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم » الآية ، قال : هؤلاء المنافقون . وقرأ قوله : « قد بدت البغضاء من أفواههم » الآية .

* * *

٤١/٤ قال أبو جعفر : واختلفوا فى تأويل قوله : « ودُّوا ما عنتّم » .

فقال بعضهم : معناه : ودوا ما ضللتم عن دينكم .[2]

* ذكر من قال ذلك:

٧٦٨٩ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ودوا ما عنتم » ، يقول : ما ضللتم .

* * *

ورواه البخارى كذلك فى الكبير ١/١/٤٥٥ - دون كلام الحسن ، عن مسدد ، عن هشيم ، به . ثم فسر البخارى بعضه ، فقال : « قال أبو عبد الله [هو البخارى نفسه] : عربياً ، يعنى « محمد رسول الله » . يقول : لا تكتبوا مثل خاتم النبى : « محمد رسول الله » .

ورواه أبو يعلى مطولا - مثل رواية الطبرى أو أطول قليلا - وفيه كلام الحسن . رواه عن إسحق بن إسرائيل ، عن هشيم ، بهذا الإسناد . نقله عنه ابن كثير ٢ : ٢٢٧ ، ثم قال : « هكذا رواه الحافظ أبو يعلى رحمه الله . وقد رواه النسائى،عن مجاهد بن موسى،عن هشيم ، به . ورواه الإمام أحمد ، عن هشيم ، بإسناده مثله ،من غير ذكر تفسير الحسن البصرى . وهذا التفسير فيه نظر » - إلى آخر ما قال . ولم أجده فى سنن النسائى ، فلعله فى السنن الكبرى .

وذكره السيوطى ٢ : ٦٦ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الشعب . ولم ينسبه للنسائى ، ولا لتاريخ البخارى .

(١) انظر : ١٤١ ، تعليق : ٣/ ص : ١٤٢ ، تعليق : ١ .

(٢) انظر تفسير « العنت » فيما سلف ص ٤ : ٣٥٨ - ٣٦١ .

وقال آخرون بما : —

٧٦٩٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « ودوا ما عنتم » ، يقول : فى دينكم ، يعنى : أنهم يودون أن تعنتُوا فى دينكم .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : « ودوا ما عنتم »، فجاء بالخبر عن « البطانة » ، بلفظ الماضى فى محل الحال ، والقطع بعد تمام الخبر ، والحالات لا تكون إلا بصور الأسماء والأفعال المستقبلة دون الماضية منها ؟[1]

قيل : ليس الأمر فى ذلك على ما ظننت من أنّ قوله : « ودوا ما عنتم » حال من « البطانة » ، وإنما هو خبر عنهم ثان منقطعٌ عن الأول غير متصل به . وإنما تأويل الكلام : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة صفتهم كذا ، صفتهم كذا . فالخبر عن الصفة الثانية غير متصل بالصفة الأولى ، وإن كانتا جميعاً من صفة شخص واحد

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية أن قوله : « ودوا ما عنتم » ، من صلة « البطانة » ، وقد وصلت بقوله : « لا يألونكم خبالا » ، فلا وجه لصلة أخرى بعد تمام « البطانة » بصلته .[2]

ولكن القول فى ذلك كما بينا قبل، من أن قوله : « ودوا ما عنتم »، خبر مبتدأ عن « البطانة » ، غير الخبر الأول ، وغير حال من البطانة ولا قطع منها .[1]

* * *

---

(١) انظر « القطع » فيما سلف ٦ : ٢٧٠ ، تعليق : ٣، وسائر فهارس المصطلحات .

(٢) انظر تفسير « الصلة » فيما سلف ٥ : ٢٩٩ ، تعليق : ٥ ، وهو نعت النكرة .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قد بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيها المؤمنون، أن تتخذوهم بطانة من دونكم لكم = «من أفواههم »، يعنى : بألسنتهم . والذى بدا لهم منهم بألسنتهم، [1] إقامتهم على كفرهم، وعداوتهم من خالف ما هم عليه مقيمون من الضلالة . فذلك من أوكد الأسباب فى معاداتهم أهل الإيمان ، لأن ذلك عداوة على الدين، والعداوة على الدين العداوة التى لا زوال لها إلا بانتقال أحد المتعاديين إلى ملة الآخر منهما ، وذلك انتقال من هدى إلى ضلالة كانت عند المنتقل إليها ضلالة قبل ذلك . فكان فى إبدائهم ذلك للمؤمنين ، ومقامهم عليه ، أبينُ الدلالة لأهل الإيمان على ما هم عليه لهم من البغضاء والعدواة .

* * *

وقد قال بعضهم : معنى قوله : « قد بدت البغضاء من أفواههم » ، قد بدت بغضاؤهم لأهل الإيمان ، إلى أوليائهم من المنافقين وأهل الكفر ، بإطلاع بعضهم بعضاً على ذلك . وزعم قائلو هذه المقالة أن الذين عنوا بهذه الآية أهل النفاق ، دون من كان مصرحاً بالكفر من اليهود وأهل الشرك .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٩١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد عن قتادة قوله : « قد بدت البغضاء من أفواههم » ، يقول : قد بدت البغضاء من أفواه المنافقين إلى إخوانهم من الكفار ، من غشهم للإسلام وأهله ، وبغضهم إياهم .

٧٦٩٢ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ،عن أبيه ، الربيع : « قد بدت البغضاء من أفواههم » ، يقول : من أفواه المنافقين .

* * *

وهذا القول الذى ذكرناه عن قتادة ، قول لا معنى له . وذلك أن الله تعالى

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « بأفواههم » ، والصواب المطابق لنص هذه الآية ، هو ما أثبت .

ذكره إنما نهى المؤمنين أن يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالغش للإسلام وأهله والبغضاء، إما بأدلة ظاهرة دالة على أنّ ذلك من صفتهم ، وإما بإظهار الموصوفين بذلك العداوة والشنآنَ والمناصبة لهم . فأما من لم يُثْبِتوه معرفةً أنه الذى نهاهم الله عز وجل عن مخالَّته ومباطنته ،[1] فغير جائز أن يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته ، إلا بعد تعريفهم إياهم ، إما بأعيانهم وأسمائهم ، وإما بصفات قد عرفوهم بها .

وإذْ كان ذلك كذلك = وكان إبداء المنافقين بألسنتهم ما فى قلوبهم من بغضاء المؤمنين إلى إخوانهم من الكفار ، غير مدرِك به المؤمنون معرفةَ ما هم عليه لهم ، مع إظهارهم الإيمانَ بألسنتهم لهم والتودد إليهم= كان بيِّناً أن الذى نهى الله المؤمنين عن اتخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم ، هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بألسنتهم ، على ما وصفهم الله عز وجل به ، فعرَفهم المؤمنون بالصفة التى نعتهم الله بها ، وأنهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ، ممن كان له ذمةٌ وعهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب . لأنهم لو كانوا المنافقين ، لكان الأمر فيهم على ما قد بينا . ولو كانوا الكفار ممن قد ناصب المؤمنين الحربَ ، لم يكن المؤمنون متخذيهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين ، مع اختلاف بلادهم وافتراق أمصارهم ، ولكنهم الذين كانوا بين أظهُر المؤمنين من أهل الكتاب أيامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وعقدٌ من يهود بنى إسرائيل .

٤٢/٤

* * *

و « البغضاء » ، مصدر . وقد ذكر أنها فى قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ قَدْ بَدَا البَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ على وجه التذكير . وإنما جاز ذلك بالتذكير ولفظه لفظ المؤنث ، لأن المصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم ، فيجوز تذكيرُ ما خرج منها

(١) فى المطبوعة : « فأما من لم يتنسوه معرفة » ، ولا معنى له ، وفى المخطوطة : « لم سوه معرفة » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . يقال : « اثبته معرفة » أى : عرفه حق المعرفة .

على لفظ المؤنث وتأنيثه ، كما قال عز وجل : ﴿ وأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ [سورة هود : ٦٧] ، وكما قال : ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٧] ، وفى موضع آخر : ﴿ وأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ ، [سورة هود : ٩٤] ﴿ وجَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة الأعراف : ٧٣ ، ٨٥] .(١)

* * *

وقال : « من أفواههم » ، وإنما بدا ما بدا من البغضاء بألسنتهم ، لأن المعنىّ به الكلام الذى ظهر للمؤمنين منهم من أفواههم ، فقال : « قد بدت البغضاء من أفواههم » ، بألسنتهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : والذى تخفى صدورهم = يعنى : صدور هؤلاء الذين نهاهم عن اتخاذهم بطانة ، فتخفيه عنكم ، أيها المؤمنون = « أكبر » ، يقول : أكبر مما قد بدا لكم بألسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم ، كما :-

٧٦٩٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما تخفى صدورهم أكبر » ، يقول : وما تخفى صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم .

٧٦٩٤ - حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وما تخفى صدورهم أكبر » ، يقول : ما تكن صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم .

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣١ .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١١٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « قد بينا لكم » أيها المؤمنون = « الآيات » ، يعنى بـ«الآيات» العبر . قد بينا لكم من أمر هؤلاء اليهود الذين نهيناكم أن تتخذوهم بطانة من دون المؤمنين ، ما تعتبرون وتتعظون به من أمرهم = « إن كنتم تعقلون » ، يعنى : إن كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه ، وتعرفون مواقعَ نفع ذلك منكم ، ومبلغ عائدته عليكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هَٰأَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ها أنتم ، أيها المؤمنون ، الذين تحبونهم ، يقول : تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين ، فتودونهم وتواصلونهم وهم لا يحبونكم ، بل يبطنون لكم العداوة والغش[1] = « وتؤمنون بالكتاب كله » .

* * *

ومعنى « الكتاب » فى هذا الموضع معنى الجمع ، كما يقال : « كثر الدرهم فى أيدى الناس » ، بمعنى الدراهم .

فكذلك قوله : « وتؤمنون بالكتاب كله » ، إنما معناه : بالكتب كلها ،

---

(١) فى المطبوعة : « بل ينتظرون » ، وفى المخطوطة : « بل سظرون » غير منقوطة ، وصوابها ما أثبت كما استظهره طابع الأميرية .

كتابكم الذى أنزل الله إليكم ، وكتابهم الذى أنزله إليهم ، وغير ذلك من الكتب التى أنزلها الله على عباده .

يقول تعالى ذكره : فأنتم = إذ كنتم ، أيها المؤمنون ، تؤمنون بالكتب كلها ، وتعلمون أنّ الذين نهيتكم عن أن تتخذوهم بطانة من دونكم كفار بذلك كله ، بجحودهم ذلك كله من عهود الله إليهم ، وتبديلهم ما فيه من أمر الله ونهيه =[1] أولى بعداوتكم إياهم وبغضائهم وغشهم ، منهم بعداوتكم وبغضائكم ، مع جحودهم بعضَ الكتب وتكذيبهم ببعضها ، كما : —

٧٦٩٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « تؤمنون بالكتاب كله » ، أى : بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك ، وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم أحقّ بالبغضاء لهم ، منهم لكم .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وقال : « ها أنتم أولاء » ولم يقل « هؤلاء أنتم » ،[3] ففرق بين « ها » و« أولاء » بكناية اسم المخاطبين ، لأن العرب كذلك تفعل فى « هذا » إذا أرادت به التقريب ومذهب النقصان الذى يحتاج إلى تمام الخبر ،[4] وذلك مثل

---

(١) سياق هذه العبارة : فأنتم . . . أولى بعداوتكم إياهم .

(٢) الأثر : ٧٦٩٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٧ ، وهو من تمام الآثار السالفة التى آخرها : ٧٦٨٠ .

(٣) فى المخطوطة : « ولم يقل : هذا أنتم » ، والصواب ما فى المطبوعة ، فهو حق السياق .

(٤) « التقريب » من اصطلاح الكوفيين ، وقد فسره السيوطى فى همع الهوامع ١ : ١١٣ ، فقال [ذهب الكوفيون إلى أن « هذا » و « هذه » ، إذا أريد بها التقريب كانا من أخوات « كان » ، فى احتياجهما إلى اسم مرفوع وخبر منصوب ، نحو : « كيف أخاف الظلم وهذا الخليفة قادماً ؟ » ، « وكيف أخاف البرد ، وهذه الشمس طالعة ؟ » ، وكذلك كل ما كان فيه الاسم الواقع بعد أسماء الإشارة لا ثانى له فى الوجود ، نحو : « هذا ابن صياد أشقى الناس » ، فيعربون « هذا » تقريباً ، والمرفوع اسم التقريب ، والمنصوب خبر التقريب . لأن المعنى إنما هو عن الخليفة بالقدوم ، وعن الشمس بالطلوع ، وأتى باسم الإشارة تقريباً للقدوم والطلوع . ألا ترى أنك لم تشر إليهما وهما حاضران ؟ وأيضاً ، فالخليفة والشمس معلومان ، فلا يحتاج إلى تبيينهما بالإشارة إليهما . وتبين أن المرفوع بعد اسم الإشارة يخبر عنه

أن يقال لبعضهم : « أين أنت » ، فيجيب المقول ذلك له : « ها أنا ذا »=[١] فتفرق بين التنبيه و« ذا » بمكنّى اسم نفسه،[٢] ولا يكادون يقولون : « هذا أنا » ، ثم يثنى ويجمع على ذلك . وربما أعادوا حرف التنبيه مع : « ذا » فقالوا : « ها أنا هذا » . ولا يفعلون ذلك إلا فيما كان تقريباً،[٣] فأما إذا كان على غير التقريب والنقصان قالوا : « هذا هو » « وهذا أنت » . وكذلك يفعلون مع الأسماء الظاهرة، يقولون : « هذا عمرو قائماً » ، إن كان « هذا » تقريباً .[٤] وإنما فعلوا ذلك فى المكنى مع التقريب ،[٣] تفرقة بين « هذا » إذا كان بمعنى الناقص الذى يحتاج إلى تمام ، وبينه إذا كان بمعنى الاسم الصحيح.[٥]

٤٣/٤

* * *

وقوله : « تحبونهم » خَبَرٌ للتقريب .[٦]

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه الآية إبانة من الله عز وجل عن حال الفريقين — أعنى المؤمنين والكافرين، ورحمة أهل الإيمان ورأفتهم بأهل الخلاف لهم ، وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الإيمان ، كما : —

بالمنصوب، لأنك لو أسقطت الإشارة لم يختل المعنى، كما لو أسقطت «كان» من : « كان زيد قائماً »] .

(١) فى المطبوعة : « فيفرق » ، والصواب بالتاء ، لأنه يريد « العرب » . وسياق الكلام : « لأن العرب كذلك تفعل . . . فتفرق . . . » .

(٢) فى المخطوطة : « بين التنبيه وأولاء » . والذى فى المطبوعة أجود وأمضى على السياق ، وهو تغيير مستحسن . والظاهر أن الخطأ قديم فى نسخ الطبرى ، بل لعله من فعل أبى جعفر نفسه ، وكأنه لما نقل هذا الكلام ، وهو كلام الفراء ، اختصر أوله فقال : « لأن العرب كذلك تفعل فى هذا » ، واقتصر عليها ، مع أن الفراء ذكر « هذا ، وهذان ، وهؤلاء » . هذا مع اشتغال ذهنه بنص الآية نفسها ، فدخل عليه السهو فيما كتب . هذا ما أرجحه والله ولى التوفيق .

(٣) انظر معنى « التقريب » فيما سلف ص : ١٤٩ تعليق : ٤ .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإن كان . . » بالواو ، وإثباتها فساد فى الكلام شديد لأنه يعنى أنهم ينصبون : « قائماً » ، إن كان « هذا » بمعنى التقريب . والجملة الآتية مؤيدة لذلك .

(٥) فى المطبوعة : « وبينه وبين ما إذا كان بمعنى الاسم الصحيح » ، زاد من زاد « وبين ما » ظنا منه أن ذلك أقوم فى الدلالة على المعنى من عبارة أبى جعفر التى ثبتها من المخطوطة . وقد أساء غاية الإساءة !

(٦) يعنى بقوله : « خبر للتقريب » ، أى هو فى موضع نصب خبراً للتقريب ، كما أسلفت بيان ذلك من كلام السيوطى فى ص ١٤٩ ، تعليق : ٤ .

٧٦٩٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله » ، فوالله إن المؤمن ليحب المنافق ويأوِى له ويرحمه . ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه ، لأباد خضراءه .[1]

٧٦٩٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن ، يرحمه . ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه ، لأباد خضراءه

* * *

وكان مجاهد يقول : نزلت هذه الآية في المنافقين .

٧٦٩٨ — حدثني بذلك محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره : أن هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم ، ووصفهم بصفتهم ، إذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوهم بألسنتهم تقيةً حذراً على أنفسهم منهم فقالوا لهم : « قد آمنا وصدقنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم » ، وإذا هم خلوا فصاروا في خلاء حيث لا يراهم المؤمنون ،[2] عضوا — على ما يرون من ائتلاف

(١) أوى له وأوى إليه : رثى له وأشفق عليه ورحمه . ويقال : « أباد خضراءهم » ، أي سوادهم ومعظمهم ، واستأصلهم . وذلك أن الكثرة المجتمعة ، ترى من بعيد سوداء ، والعرب تسمى الأخضر ، أسود .

(٢) انظر تفسير « خلا » فيما سلف ١ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم ــ أناملَهم ، وهى أطراف أصابعهم ، تغيُّظاً مما بهم من الموجدة عليهم ، وأسىً على ظهرٍ يُسنِدون إليه لمكاشفتهم العداوة ومناجزتهم المحاربة .[1]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٩٩ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » ، إذا لقوا المؤمنين قالوا : « آمنا » ، ليس بهم إلاّ مخافة على دمائهم وأموالهم ، فصانعوهم بذلك = « وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » ، يقول : مما يجدون فى قلوبهم من الغيظ والكراهة لما هم عليه . لو يجدون ريحاً لكانوا على المؤمنين ،[2] فهم كما نعت الله عز وجل .

٧٧٠٠ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله = إلاّ أنه قال : من الغيظ لكراهتهم الذى هم عليه = ولم يقل : « لو يجدون ريحاً » ، وما بعده .

٧٧٠١ ــ حدثنا عباس بن محمد قال ، حدثنا مسلم قال ، حدثنى يحيى بن عمرو بن مالك النُّكرى قال ، حدثنا أبى قال : كان أبو الجوزاء إذا تلا هذه الآية : « وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » ، قال : هم الإباضية .[3]

* * *

---

(١) الظهر : الأعوان والأنصار ، كأنهم لمن ينصرونه ظهر .

(٢) الريح : القوة والغلبة ، ومنه قول تأبط شراً أو السليك بن السلكة :

أَتَنْظُرَانِ قَلِيلاً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ أَوْ تَعْدُوَانِ ، فَإِنَّ الرِّيحَ لِلْعَادِى

(٣) الأثر : ٧٧٠١ ــ « عباس بن محمد بن حاتم » الدورى ، روى عنه الأربعة . مترجم

و « الأنامل » جمع « أنملة » ويقال « أنملة »،[١] وربما جمعت « أنملا »،[٢] قال الشاعر[٣] :

أَوَدُّكُما ، مَا بَلَّ حَلْقِي رِيقَتِي وَمَا حَمَلَتْ كَفَّايَ أَنْمُلِيَ العَشْرَا[٤]

وهى أطراف الأصابع ، كما : —

٧٧٠٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « الأنامل » ، أطراف الأصابع .

٧٧٠٢ م — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله .

٧٧٠٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل » ، الأصابع .

٧٧٠٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى

فى التهذيب . و « مسلم » هو « مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى » ، مضت ترجمته برقم : ٢٨٦١ . و « يحيى بن عمرو بن مالك النكرى » . روى عن أبيه ، وهو منكر الحديث . و « النكرى » بضم النون وتسكين الكاف ، نسبة إلى بنى نكرة بن لكيز من عبد قيس . وأبوه « عمرو بن مالك النكرى » ، ثقة وتكلم فيه البخارى وضعفه . روى عن أبيه وعن أبى الجوزاء . و « أبو الجوزاء » هو « أوس بن عبد الله الربعى من الأزد » ، روى عن أبى هريرة وعائشة وابن عباس . كان عابداً فاضلا . واستضعف البخارى إسناده إلى عائشة وابن مسعود وغيرهما من الصحابة . مترجم فى التهذيب .

و « الإباضية » ، فرقة من الحرورية ، وهم أصحاب عبد الله بن إباض التميمى ، الخارج فى أيام مروان بن محمد . ومن قولهم : إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكحتهم جائزة ، وموارثتهم حلال ، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال ، وما سواه حرام ، وإن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد . وقالوا : إن مرتكب الكبيرة موحد ، لا مؤمن .

(١) يعنى بفتح الهمزة وضم الميم ، وضم الهمزة والميم جميعاً .

(٢) « أنمل » هذا جمع لم تورده كتب اللغة ، وإنما ذكروا « أنملات » ، وقالوا إنه أحد ما كسر وسلم بالتاء ، قال ابن سيدة : « إنما قلت هذا ، لأنهم قد يستغنون بالتكسير عن جمع السلامة ، وبجمع السلامة بالتكسير ، وربما جمع الشىء بالوجهين جميعاً » .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) قوله : « أودكما » أى : لا أودكما ، حذفت « لا » مع القسم . والريقة : الريق . وقوله : « ما بل حلقى ريقى . . . » إلى آخر البيت بمعنى التأييد ، أى . لا أودكما أبداً ما حييت .

الأحوص ، عن عبد الله قوله : « عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » ، قال : عضوا على أصابعهم . [1]

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء اليهود الذين وصفت لك صفتهم ، وأخبرتك أنهم إذا لقوا أصحابك قالوا : آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ = : « موتوا بغيظكم » الذى بكم على المؤمنين لاجتماع كلمتهم وائتلاف جماعتهم .

٤٤/٤

وخرَّج هذا الكلام مخرج الأمر ، وهو دعاء من الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله ، كمَداً مما بهم من الغيظ على المؤمنين ، قبل أن يروا فيهم ما يتمنون لهم من العنت فى دينهم ، والضلالة بعد هداهم ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : اهلكوا بغيظكم = « إن الله عليم بذات الصدور » ،

(١) عند هذا آخر قسم من التقسيم القديم ، وفى المخطوطة هنا ما نصه :

« يتلوه القولُ فى تأويل قوله : قُلْ مُوتُوا بِغَيظكم إنَّ اللهَ عليمٌ بذات الصُّدُور

وصلى الله على محمد النبى وآله وصحبه وسلم كثيراً »

ثم يتلوه بعد :

« بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان ، قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن جرير »

ثم انظر ماسلف فى بيان هذا الإسناد الجديد للنسخة ، فى ٦ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ تعليق : ٥ / ثم ٧ : ٢٣ ، تعليق : ١

يعنى بذلك : إنّ الله ذو علم بالذى فى صدور هؤلاء الذين إذا لقوا المؤمنين قالوا : « آمنا »، وما ينطوون لهم عليه من الغِل والغم، ويعتقدون لهم من العداوة والبغضاء، وبما فى صدور جميع خلقه، حافظٌ على جميعهم ما هو عليه منطوٍ من خير وشر، حتى يجازى جميعهم على ما قدّم من خير وشر، واعتقد من إيمان وكفر، وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين من نصيحة، أو غِلّ وغِمْر.[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « إن تمسسكم حسنة تسؤهم »، إن تنالوا، أيها المؤمنون، سروراً بظهوركم على عدوكم، وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم، وتصديق نبيكم ومعاونتكم على أعدائكم = يسؤهم.[2] وإن تنلكم مساءة بإخفاق سرية لكم، أو بإصابة عدوٍّ لكم منكم، أو اختلاف يكون بين جماعتكم = يفرحوا بها، كما :ـ

٧٧٠٥ ـ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها »، فإذا رأوا من أهل الإسلام ألفة وجماعة وظهوراً على عدوهم، غاظهم ذلك وساءهم، وإذا رأوا من أهل الإسلام فُرقة واختلافاً، أو أصيب طرف من أطراف المسلمين، سرّهم

---

(١) الغمر (بكسر الغين وسكون الميم)، والغمر (بفتحتين)، الحقد والغل، الذى يغمر القلب غمراً.

(٢) انظر تفسير « المس » فيما سلف ٥ : ١١٨.

ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به . فهم كلما خرج منهم قَرْنٌ أكذبَ الله أحدوثته، وأوطأ محلَّته ، وأبطل حجته ، وأظهر عورته ، فذاك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقى إلى يوم القيامة .

٧٧٠٦ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها »، قال : هم المنافقون ، إذ رأوا من أهل الإسلام جماعة وظهوراً على عدوهم، غاظهم ذلك غيظاً شديداً وساءهم . وإذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافاً ،أو أصيب طرفٌ من أطراف المسلمين ، سرَّهم ذلك وأعجبوا به . قال الله عز وجل : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط » .

٧٧٠٧ — حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله: « إن تمسسكم حسنة تسؤهم»، قال: إذا رأوا من المؤمنين جماعة وألفة ساءهم ذلك ، وإذا رأوا منهم فرقة واختلافاً فرحوا .

* * *

وأما قوله : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً » ، فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه: وإن تصبروا ، أيها المؤمنون، على طاعة الله واتباع أمره فيما أمركم به ، واجتناب ما نهاكم عنه: من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين ،وغير ذلك من سائر ما نهاكم= « وتتقوا » ربكم ، فتخافوا التقدم بين يديه فيما ألزمكم وأوجبَ عليكم من حقه وحق رسوله = « لا يضركم كيدهم شيئاً » ، أى : كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم .

* * *

ويعنى بـ« كيدهم »، غوائلهم التى يبتغونها للمسلمين ، ومكرهم بهم ، ليصدّوهم عن الهدى وسبيل الحق

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « لا يضركم » .

فقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز وبعضُ البصريين ﴿لَا يَضِرْكُمْ﴾ مخففة بكسر « الضاد » ، من قول القائل : « ضارنى فلان فهو يضيرنى ضيراً » . وقد حكى سماعاً من العرب : « ما ينفعنى ولا يضورنى » ، فلو كانت قرئت على هذه اللغة لقيل : ﴿لَا يَضُرْكُم كَيْدُهم شَيْأً﴾ ، ولكنى لا أعلم أحداً قرأ به » .[1]

* * *

وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة وعامة قرأة أهل الكوفة : ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ ، بضم « الضاد » وتشديد « الراء » ، من قول القائل : « ضرّنى فلان فهو يضرنى ضراً » .

* * *

وأما الرفع فى قوله : « لا يضركم » ، فمن وجهين .

أحدهما : على إتباع « الراء » فى حركتها = إذْ كان الأصل فيها الجزم ، ولم يمكن جزمها لتشديدها = أقربَ حركات الحروف التى قبلها . وذلك حركة « الضاد » وهى الضمة ، فألحقت بها حركة الراء لقربها منها ، كما قالوا : « مُدُّ يا هذا » .

٤٥/٤

والوجه الآخر من وجهى الرفع فى ذلك : أن تكون مرفوعة على صحة ، وتكون « لا » بمعنى « ليس » ، وتكون « الفاء » التى هى جواب الجزاء ، متروكة لعلم السامع بموضعها .

وإذا كان ذلك معناه ، كان تأويل الكلام : وإن تصبروا وتتقوا ، فليس يضرُّكم كيدهم شيئاً — ثم تركت « الفاء » من قوله : « لا يضركم كيدهم » ، ووجهت « لا » إلى معنى « ليس » ، كما قال الشاعر[2] :

فَإِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِى إِلَى قَطَرِىٍّ ، لَا إِخَالُكَ رَاضِيَا[3]

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٢ .

(٢) هو سوار بن المضرب السعدى التميمى .

(٣) نوادر أبى زيد : ٤٥ ، الكامل ١ : ٣٠٠ ، حماسة ابن الشجرى : ٥٤ ، ٥٥ ، معانى

ولو كانت « الراء » محركة إلى النصب والخفض ، كان جائزاً ، كما قيل : « مُدَّ ياهذا ، ومُدِّ » .(١)

* * *

وقوله : « إنّ الله بما يعملون محيطٌ » ، يقول جل ثناؤه : إن الله بما يعمل هؤلاء الكفار فى عباده وبلاده من الفساد والصدّ عن سبيله ، والعداوة لأهل دينه ، وغير ذلك من معاصى الله = « محيط » بجميعه ، حافظ له ، لا يعزب عنه شيء منه ، حتى يوفيهم جزاءهم على ذلك كله ، ويذيقهم عقوبته عليه .(٢)

* * *

القرآن للفراء ١ : ٢٣٢ ، من أبيات ضرب بها وجه الحجاج بن يوسف الثقفى ، لما كتب على بنى تميم البعث إلى قتال الخوارج ، فهرب سوار وقال :

أَقَاتِلِىَ الحَجَّاجُ أَنْ لَمْ أَزُرْ لَهُ دَرَابَ ، وَأَتْرُكْ عِنْدَ هِنْدٍ فُؤَادِيَا ؟

فَإِن كُنْتَ لاَ يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِى إِلَى قَطَرِىٍّ ، لاَ إِخَالُكَ رَاضِيَا ! !

إِذَا جَاوَزَتْ دَرْبَ المُجِيزِينَ نَاقَتِى فَبَاسْتِ أَبِى الحَجَّاجِ لَمَّا ثَنَانِيَا

أَيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِى وطَاعَتِى ، وَدُونِى تَمِيمٌ ، والفَلاَةُ وَرَائِيَا ! !

وقوله : « دراب » يعنى : دراب جرد ، وهى بلدة فى بلاد فارس ، وكان المهلب يومئذ يقاتل بها الخوارج ورأسهم قطرى بن الفجاءة . ثم يقول له فى البيت الثانى : إن كان لا يرضيك إلا ردى إلى قتال قطرى ، فلا أظنك تبلغ رضاك ، فإنك غير مدركى ، ولن تنالنى يدك . يسخر بسطوة الحجاج . وقوله : « درب المجيزين » هم المقيمون على أبواب المدن والثغور . يمنعون الخارج والداخل ، إلا من كان بيده جواز معطى من أميره . يقول : إذا جاوزت الدرب فيا بعد يديك عن أن تنالنى وتثنينى عن وجهتى ! والشاهد عند الطبرى هو فى قوله : « لا إخالك راضياً » ، أى : فلست إخالك راضياً .

(١) الذى سلف هو مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٣٢ .

(٢) انظر تفسير « الإحاطة » فيما سلف ٢ : ٢٨٤ / ٥ : ٣٩٦ .

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٢١)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين » ، وإن تصبروا وتتقوا لا يضرُّكم ، أيها المؤمنون ، كيد هؤلاء الكفار من اليهود شيئاً ، ولكن الله ينصرُكم عليهم إن صبرتم على طاعتي واتباع أمر رسولي ، كما نصرتكم ببدر وأنتم أذلة . وإن أنتم خالفتم ، أيها المؤمنون ، أمرى ولم تصبروا على ما كلفتكم من فرائضي ، ولم تتقوا ما نهيتكم عنه وخالفتم أمرى وأمر رسولي ، فإنه نازل بكم ما نزل بكم بأحُد . واذكروا ذلك اليوم ، إذ غدا نبيكم يبوئ المؤمنين .

=فترك ذكر الخبر عن أمر القوم إن لم يصبروا على أمر ربهم ولم يتقوه ، اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام على معناه ، إذ ذكر ما هو فاعل بهم من صرف كيد أعدائهم عنهم إن صبروا على أمره واتقوا محارمه ، وتعقيبه ذلك بتذكيرهم ما حلَّ بهم من البلاء بأحُد ، إذ خالف بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنازعوا الرأى بينهم .

= وأخرج الخطاب في قوله : « وإذ غدوت من أهلك » ، على وجه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد بمعناه : الذين نهاهم أن يتخذوا الكفار من اليهود بطانة من دون المؤمنين . فقد بيَّن إذاً أن قوله : « وإذ » ، إنما جرَّها في معنى الكلام على ما قد بينت وأوضحت .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل في اليوم الذى عنى الله عز وجل بقوله : « وإذ غدوت من أهلك تبوِّئ المؤمنين مقاعد للقتال » .

فقال بعضهم : عنى بذلك يوم أحُد .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٠٨ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، قال : مشى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ على رجليه يبوئ المؤمنين .

٧٧٠٩ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، ذلك يوم أحد ، غدا نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم من أهله إلى أحُد يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال .

٧٧١٠ ــ حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ،عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، فغدا النبي صلى الله عليه وسلم من أهله إلى أحُد يبوئ المؤمنين مقاعدَ للقتال .

٧٧١١ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ،عن ابن عباس قوله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، فهو يوم أحد .

٧٧١٢ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين » ، قال : هذا يوم أحد .

٧٧١٣ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : مما نزل فى يوم أحد : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين » . [١]

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك يوم الأحزاب .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧١٤ ــ حدثني محمد بن سنان القزاز قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ،

---

(١) الأثر : ٧٧١٣ ــ مختصر من سيرة ابن هشام ٣ : ١١٢ .

حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « وإذ غدرتَ من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، قال : يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم ، غدا يبوئ المؤمنين مقاعدَ للقتال يوم الأحزاب . ٤/٦٤

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذين القولين بالصواب قول من قال : « عنى بذلك يوم أحد » . لأن الله عز وجل يقول فى الآية التى بعدها : ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ ، ولا خلاف بين أهل التأويل أنه عُنى بالطائفتين : بنو سلمة وبنو حارثة ،[1] ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنّ الذى ذكر الله من أمرهما إنما كان يوم أحد ، دون يوم الأحزاب .

* * *

فإن قال لنا قائل: وكيف يكون ذلك يوم أحد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إنما رَاح إلى أحُد من أهله للقتال يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة فى أهله بالمدينة بالناس ، كالذى حدثكم :ـ

٧٧١٥ ـ ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم راح حين صلّى الجمعة إلى أحُد ، دخل فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم وقال : « ما ينبغى لنبىّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل» ؟[2]

* * *

(١) بنو سلمة (بفتح السين وكسر اللام) ، وليس فى العرب « سلمة » بكسر اللام غيرها ، وسائرها بفتح اللام . وهم بنو سلمة بن سعد بن على بن أسد بن سادرة بن تزيد بن جشم بن الخزرج .

(٢) الأثر : ٧٧١٥ – إسناده فى سيرة ابن هشام ٣ : ٦٤ ، ثم اختصر أبو جعفر خبر ابن إسحق الذى رواه ابن هشام فى السيرة ٣ : ٦٧ ، ٦٨ . واللأمة : هى الدرع الحصينة ، وسائر أداة

قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان خروجه للقوم كان رَواحاً،[1] فلم يكن تبوئته للمؤمنين مقاعدَهم للقتال عند خروجه ، بل كان ذلك قبل خروجه لقتال عدوّه . وذلك أنّ المشركين نزلوا منزلهم من أحُد – فيما بلغنا – يوم الأربعاء، فأقاموا به ذلك اليوم ويومَ الخميس ويومَ الجمعة ، حتى راح رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يوم الجمعة، بعدما صلّى بأصحابه الجمعة، فأصبح بالشِّعب من أحد يوم السبت للنصف من شوّال .

٧٧١٦ – حدثنا بذلك ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن مسلم الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن وغيرهم .[2]

* * *

فإن قال : وكيف كانت تبوئته المؤمنين مقاعدَ للقتال غُدُوًّا قبل خروجه ، وقد علمت أن « التبوئة » ، اتخاذ الموضع .

قيل : كانت تبوئته إياهم ذلك قبل مناهضة عدوه ، عند مشورته على أصحابه بالرأي الذي رآه لهم ، بيوم أو يومين ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بنزول المشركين من قريش وأتباعها أحُداً قال = فيما : –

٧٧١٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط عن السدي= لأصحابه : أشيروا عليّ ما أصنع ؟ فقالوا : يا رسول الله، اخرج إلى هذه الأكلُب ! فقالت الأنصار : يا رسول الله ، ما غلبنا عدوٌّ لنا أتانا في ديارنا ، فكيف وأنت فينا ! ! فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، ولم يدعه قط قبلها ، فاستشاره ، فقال : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب !

الحرب من السلاح كالسيف والرمح . هذا وكان في المطبوعة والمخطوطة : «ماينبغي للنبي صلى الله عليه وسلم». وهذا غير جيد ، وكأنه عجلة من الناسخ ، وأثبت نص ابن هشام .

(١) الرواح . هو وقت العشي آخر النهار .

(٢) الأثر : ٧٧١٦ – جمعه أبو جعفر من مواضع متفرقة من خبر ابن إسحق في يوم أحد .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا فى الأزقة ، فأتاه النعمان بن مالك الأنصارى فقال : يا رسول الله لا تحرمنى الجنة ، فوالذى بعثك بالحق لأدخلن الجنة ! فقال له : بم ؟ قال : بأنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وأنى لا أفرُّ من الزحف ! قال : صدقت . فقُتل يومئذ . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بدرعه فلبسها ، فلما رأوه وقد لبس السلاح ، ندموا وقالوا : بئسما صنعنا ، نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه ! ! فقاموا واعتذروا إليه ، وقالوا : اصنع ما رأيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغى لنبىّ أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل . (١)

٧٧١٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى ابن شهاب الزهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالمشركين قد نزلوا منزلهم من أحد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّى قد رأيتُ بقراً فأوّلتها خيراً ، ورأيت فى ذباب سيفى ثَلْماً ، (٢) ورأيت أنّى أدخلت يدى فى درع حصينة ، فأوّلتها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها . وكان رأىُ عبد الله بن أبى بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك : أن لا يخرج إليهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد ، وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبُنَّا عنهم وضعُفنا ! فقال عبد الله بن أبى ابن سلول : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله

٤٧/٤

---

(١) الأثر : ٧٧١٧ — هو فى تاريخ الطبرى ٣ : ١١ ، ١٢ .

(٢) ذباب السيف : طرفه المتطرف الذى يضرب به . والثلم : هو الكسر فى حرفه .

ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلاّ أصاب منا ، ولا دخلها علينا قط إلا أصبنا منه ، فدعْهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشرِّ محبِس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رَجعوا خائبين كما جاؤوا . فلم يزل الناس برسول الله عليه وسلم ، الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته . (١)

* * *

فكانت تبوئة رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين مقاعدَ للقتال ، ما ذكرنا من مشورته على أصحابه بالرأى الذى ذكرنا ، على ما وصفه الذين حكينا قولهم .

* * *

يقال منه : « بوّأت القوم منزلا ، وبوّأته لهم ، فأنا أبوِّئهم المنزل تبوئة ، وأبوئ لهم منزلا تبوئة » .

وقد ذكر أن فى قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ وإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ لِلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلقتالِ ﴾ ، وذلك جائز ، كما يقال : « رَدِفَكَ ورَدِفَ لك » ، و « نقدت لها صَداقها ونقدتها » ، كما قال الشاعر :

أَسْتغفِرُ اللهَ ذَنباً لَسْتُ مُحْصِيَــهُ رَبَّ العِبَادِ إِلَيْهِ الوَجْهُ وَالعَمَلُ (٢)

والكلام : أستغفر الله لذنب . (٣)

وقد حكى عن العرب سماعاً : « أبأت القوم منزلا فأنا أبيئهم إباءة » ، ويقال منه : « أبأت الإبل » ، إذا رددتها إلى المباءة . و « المباءة » ، المُرَاح الذى تبيت فيه .

* * *

« والمقاعد » جمع « مقعد » ، وهو المجلس .

* * *

(١) الأثر : ٧٧١٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ٦٦ ، ٦٧ ، وهو السابق مباشرة للأثر السالف رقم : ٧٧١٥ ، وهو من تمامه .

(٢) مضى تخريجه فيما سلف ١ : ١٦٩ ، وهو فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٣ .

(٣) هذه الفقرة من معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٣ .

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : واذكر إذ غدوت ، يا محمد ، من أهلك تتخذ للمؤمنين معسكراً وموضعاً لقتال عدوهم .

* * *

وقوله : « والله سميع عليم » ، يعني بذلك تعالى ذكره : « والله سميع » ، لما يقول المؤمنون لك فيما شاورتهم فيه ، من موضع لقائك ولقائهم عدوك وعدوهم ، من قول من قال : « اخرج بنا إليهم حتى نلقاهم خارج المدينة » ، وقول من قال لك : « لا تخرج إليهم وأقم بالمدينة حتى يدخلوها علينا » ، على ما قد بينا قبل — ولما تشير به عليهم أنت يا محمد=[1] « عليم » بأصلح تلك الآراء لك ولهم ، وبما تخفيه صُدور المشيرين عليك بالخروج إلى عدوك ، وصدور المشيرين عليك بالمقام في المدينة ، وغير ذلك من أمرك وأمورهم ، كما :—

٧٧١٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق في قوله : « والله سميع عليم » ، أي : سميع لما يقولون ، عليم بما يخفون . [2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٢)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : والله سميع عليم ، حين همت طائفتان منكم أن تفشلا .

والطائفتان اللتان همتا بالفشل ، ذكر لنا أنهم بنو سَلِمة وبنو حارثة. [3]

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « ومما تشير به . . . » ، والصواب الذي يقتضيه السياق ، هو ما أثبت .

(٢) الأثر : ٧٧١٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٧٧١٣ .

(٣) انظر ضبط « سلمة » ص : ١٦١ تعليق : ١ .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٢٠ – حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، قال : بنو حارثة ، كانوا نحو أحُد ، وبنو سلِمة نحو سَلْع ، وذلك يوم الخندق.

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا على أن ذلك كان يوم أحد فيما مضى ، بما فيه الكفاية عن إعادته .[1]

* * *

٧٧٢١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، الآية ، وذلك يوم أحد ، والطائفتان بنو سلِمة وبنو حارثة ، حيان من الأنصار ، همُّوا بأمر فعصمهم الله من ذلك = قال قتادة : وقد ذكر لنا أنه لما أنزلت هذه الآية قالوا : ما يسرُّنا أنَّا لم نَهُمّ بالذي هممنا به ، وقد أخبرنا الله أنه ولينا .

٧٧٢٢ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « إذ همت طائفتان منكم » الآية ، وذلك يوم أحد ، فالطائفتان بنو سلِمة وبنو حارثة ، حيان من الأنصار . فذكر مثل قول قتادة . ٤/٤٨

٧٧٢٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد في ألف رجل ، وقد وعدهم الفتحَ إن صبروا . فلما رجع عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلثمئة فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم ، فلما غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالاً ، ولئن أطعتنا لترجعنَّ معنا = وقال [الله عز وجل] : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، وهم بنو سلمة وبنو حارثة = هموا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي ، فعصمهم

(١) انظر ما سلف ص : ١٦١ وما قبلها .

الله ، وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمئة .[1]

٧٧٢٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عكرمة : نزلت فى بنى سلِمة من الخزرج ، وبنى حارثة من الأوس ، ورأسهم عبد الله بن أبىّ ابن سلول .

٧٧٢٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، فهم بنو حارثة وبنو سلِمة .

٧٧٢٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، والطائفتان : بنوسلمة من جشم بن الخزرج ، وبنوحارثة من النبيت من الأوس ، وهما الجناحان .[2]

٧٧٢٧ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » الآية ، قال : هما طائفتان من الأنصار همَّا أن يفشلا ، فعصمهم الله وهزَم عدوهم .

٧٧٢٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، قال : هم بنوسلِمة وبنو حارثة ، وما نحبّ أن لو لم نكن هممنا لقول الله عز وجلّ : « والله وليهما » .[3]

٧٧٢٩ — حدثنى أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول ، فذكر نحوه .

---

(١) الأثر : ٧٧٢٣ — فى تاريخ الطبرى ٣ : ١٢ ، وهو تمام الأثر السالف رقم : ٧١٧٧ ، والزيادة بين القوسين من التاريخ .

(٢) الأثر : ٧٧٢٦ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٢ ، وهو من تتمة الأثر السالف رقم : ٧٧١٩ .

(٣) الأثر : ٧٧٢٨ — رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٧ : ٢٧٥/٨ : ١٦٩) من طريق على بن عبد الله ، عن سفيان بن عيينة ، بغير هذا اللفظ . وكان فى المطبوعة : « وما نحب أن لو لم تكن همتا » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة ، ولكن الناشر لم يحسن قراءتها .

٧٧٣٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، قال : هذا يوم أحُد .

* * *

وأما قوله : « أن تفشلا » ، فإنه يعني : همَّا أن يضعفا ويجبنا عن لقاء عدوّهما .

* * *

= يقال منه : « فشل فلان عن لقاء عدوه ويفشل فشلاً » ، كما :—

٧٧٣١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « الفشل » ، الجبن .

* * *

قال أبو جعفر : وكان همُّهما الذي همَّا به من الفشل ، الانصرافَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين انصرف عنهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول بمن معه ، جبناً منهم ، من غير شك منهم في الإسلام ولا نفاق ، فعصمهم الله مما هموا به من ذلك ، ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهه الذي مضى له ، وتركوا عبد الله بن أبيّ ابن سلول والمنافقين معه ، فأثنى الله عز وجل عليهما بثبوتهما على الحق ، وأخبر أنه وليُّهما وناصرهما على أعدائهما من الكفار ،[1] كما :—

٧٧٣٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله وليُّهما » ، أي : المدافع عنهما ما همّتا به من فشلهما .[2] وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما ، من غير شك أصابهما في دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما ، ولحقتا بنبيِّهما صلى الله عليه وسلم. يقول : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، أي : من كان به ضعف من المؤمنين أو وهَن ،

---

(١) انظر تفسير «الولي» فيما سلف ٦ : ٤٩٧ تعليق : ١ . والمراجع هناك .

(٢) في المطبوعة : « الدافع عنهما » ، وأثبت ما في المخطوطة وسيرة ابن هشام . وفي المطبوعة والمخطوطة « ما هما به » ، وهو صواب ، ولكني أثبت نص ابن هشام ، فهو أقوم على السياق ، والتصحيف في مثل هذا قريب ، ولست أظنه من أصل الطبري .

فليتوكل علىّ، وليستعن بى أعِنه على أمره، وأدفع عنه، حتى أبلغ به وأقوّيه على نيته.(١)

* * *

قال أبو جعفر: وذكر أن ابن مسعود رضى الله عنه كان يقرأ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمْ﴾، وإنما جاز أن يقرأ ذلك كذلك، لأن «الطائفتين» وإن كانتا فى لفظ اثنين، فإنهما فى معنى جماع، بمنزله «الخصمين» و «الحزبين».(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

٤٩/٤ قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه: وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً، وينصركم ربكم، = «ولقد نصركم الله ببدر» على أعدائكم وأنتم يومئذ = «أذلة» يعنى: قليلون، فى غير منعة من الناس، حتى أظهركم الله على عدوكم، مع كثرة عددهم وقلة عددكم، وأنتم اليوم أكثر عدداً منكم حينئذ، فإن تصبروا لأمر الله ينصركم كما نصركم ذلك اليوم، = «فاتقوا الله»، يقول تعالى ذكره: فاتقوا ربكم بطاعته واجتناب محارمه = «لعلكم تشكرون»، يقول: لتشكروه على ما منّ به عليكم من النصر على أعدائكم وإظهار دينكم، ولما هداكم له من الحق الذى ضلّ عنه مخالفوكم، كما: —

(١) الأثر: ٧٧٣٢ — سيرة ابن هشام ٣: ١١٢، ١١٣، وهو من سياق الأثر السالف رقم: ٧٧٢٦.

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١: ٢٣٣.

٧٧٣٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » ، يقول : وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة = « فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ، أى : فاتقون ، فإنه شكر نعمتى .[1]

* * *

واختلف فى المعنى الذى من أجله سمى بدر « بدراً » .

فقال بعضهم : سمى بذلك ، لأنه كان ماء لرجل يسمى « بدراً » ، فسمى باسم صاحبه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٣٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن زكريا ، عن الشعبى قال : كانت « بدر » لرجل يقال له « بدر » ، فسميت به .

٧٧٣٥ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا زكريا ، عن الشعبى أنه قال : « ولقد نصركم الله ببدر » ، قال : كانت « بدر » بئراً لرجل يقال له « بدر » ، فسميت به .

* * *

وأنكر ذلك آخرون وقالوا : ذلك اسم سميت به البقعة ، كما سمى سائر البلدان بأسمائها .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٣٦ — حدثنا الحارث بن محمد قال ، حدثنا ابن سعد قال ، حدثنا محمد ابن عمر الواقدى قال ، حدثنا منصور ، عن أبى الأسود ، عن زكريا ، عن الشعبى قال : إنما سمى « بدراً » ، لأنه كان ماء لرجل من جهينة يقال له « بدر » = وقال الحارث ، قال ابن سعد ، قال الواقدى : فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد ابن صالح فأنكراه وقالا : فلأىّ شىء سميت « الصفراء » ؟ ولأى شىء سميت

(١) الأثر : ٧٧٣٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٣ ، هو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧٧٣٢ ، وسياق أبى جعفر فى روايته ، أقوم من سياق ابن هشام .

« الحمراء » ؟ ولأىّ شىء سمى « رابغ » ؟ هذا ليس بشىء ، إنما هو اسم الموضع= قال : وذكرت ذلك ليحيى بن النعمان الغفارىّ فقال : سمعت شيوخنا من بنى غفار يقولون : هو ماؤنا ومنزلنا ، وما ملكه أحدٌ قط يقال له « بدر » ، وما هو من بلاد جهينة ، إنما هى بلاد غِفار = قال الواقدى : فهذا المعروف عندنا .

٧٧٣٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : « بدر » ، ماء عن يمين طريق مكة ، بين مكة والمدينة .

* * *

وأما قوله : « أذلة » ، فإنه جمع « ذليل » ، كما « الأعزة » جمع « عزيز » ، « والألبَّة » جمع « لبيب » .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما سماهم الله عز وجل « أذلة » ، لقلة عددهم ، لأنهم كانوا ثلثمئة نفس وبضعة عشر ، وعدوهم ما بين التسعمئة إلى الألف — على ما قد بينا فيما مضى — فجعلهم لقلة عددهم « أذلة » .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٣٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ، وبدر ماء بين مكة والمدينة ، التقى عليه نبى الله صلى الله عليه وسلم والمشركون ، وكان أول قتال قاتله نبى الله صلى الله عليه وسلم = وذكر لنا أنه قال لأصحابه يومئذ : « أنتم اليوم بعدَّة أصحاب طالوت يوم لقى جالوت » . فكانوا ثلثمئة وبضعة عشر رجلا ، والمشركون يومئذ ألفٌ ، أو راهقوا ذلك .(١)

---

(١) الأثر : ٧٧٣٨ — مضى بعضه برقم : ٥٧٣٠ ، وانظر عدة أهل بدر فيما سلف من ٥٧٢٤— ٥٧٣٢ . وقوله : « راهقوا ذلك » أى : قاربوا ذلك .

٧٧٣٩ – حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ، قال يقول : « وأنتم أذلة » ، قليل ، وهم يومئذ بضعة عشر وثلثمئة .

٧٧٤٠ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، نحو قول قتادة .

٧٧٤١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » ، أقل عدداً وأضعف قوة .[١]

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : «فاتقوا الله لعلكم تشكرون »، فإن تأويله، كالذى قد بيَّنت ، كما : –

٧٧٤٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ، أى : فاتقونى ، فإنه شكر نعمتى .[٢]

* * *

(١) الأثر : ٧٧٤١ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٣ ، وهو بعض الأثر السالف قريباً رقم : ٧٧٣٣ .

(٢) الأثر : ٧٧٤٢ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٣ ، وهو أيضاً بعض الأثر : ٧٧٣٣ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا « نعمى » ، وأثبت ما مضى فى المخطوطة والمطبوعة فى الأثر السالف ، وهو مطابق نص ابن هشام .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ ٥٠/٤

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، إذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك: ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ؟ وذلك يوم بدر .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى حضور الملائكة يوم بدر حربَهم ، فى أىّ يوم وُعدوا ذلك ؟

فقال بعضهم : إن الله عز وجل كان وعد المؤمنين يوم بدر أن يمدّهم بملائكته ، إن أتاهم العدو من فورهم ، فلم يأتوهم ، ولم يُمَدُّوا . (١)

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٤٣ — حدثنى حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا داود ، عن عامر قال : حُدِّث المسلمون أن كُرز بن جابر المحاربى يُمِدُّ المشركين ، قال : فشق ذلك على المسلمين ، فقيل لهم : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين » ، قال : فبلغت كرزًا الهزيمة ، فرجع ، ولم يمدّهم بالخمسة .

(١) فى المخطوطة : « ولم يعدوا » ، وهو خطأ صرف . هذا والمخطوطة فى هذا الموضع كثيرة الخطأ فيما هو واضح كهذا الحرف الذى أثبته ، ولذلك أغفلت كثيراً من أشباهه ، ونبهت عليه .

٧٧٤٤ - حدثني ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر قال : لما كان يوم بدر بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم = ثم ذكر نحوه ، إلاّ إنه قال : « ويأتوكم من فورهم هذا » - يعني كرزا وأصحابه - « يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين » ، قال : فبلغ كرزاً وأصحابه الهزيمة ، فلم يمدهم ، ولم تنزل الخمسة ، وأمِدُّوا بعد ذلك بألف ، فهم أربعة آلاف من الملائكة مع المسلمين .

٧٧٤٥ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة » ، الآية كلها ، قال : هذا يوم بدر .

٧٧٤٦ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي قال : حُدِّث المسلمون أن كرزَ بن جابر المحاربي يريد أن يمدّ المشركين ببدر ، قال : فشق ذلك على المسلمين ؛ فأنزل الله عز وجلّ : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم » إلى قوله : « من الملائكة مسوِّمين » ، قال : فبلغته هزيمة المشركين ، فلم يمدّ أصحابه ، ولم يمدُّوا بالخمسة .

* * *

وقال آخرون : كان هذا الوعد من الله لهم يوم بدر ، فصبر المؤمنون واتقوا الله ، فأمدهم بملائكته على ما وعدهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٤٧ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما أصيب بصره يقول : لو كنت معكم ببدر الآن

ومعى بَصَرى ، لأخبرتكم بالشِّعب الذى خرجت منه الملائكة ، لا أشُك ولا أتمارى .

٧٧٤٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق ، وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن بعض بنى ساعدة ، عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدراً : أنه قال بعد إذ ذهب بصره : لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى ، لأريتكم الشِّعبَ الذى خرجت منه الملائكة ، لا أشك ولا أتمارَى . (١)

٧٧٤٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى عبد الله بن أبى بكر : أنه حُدِّث عن ابن عباس : أنّ ابن عباس قال : حدثنى رجل من بنى غفار قال : أقبلت أنا وابن عمّ لى حتى أصعدنا فى جبل يُشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ، ننتظر الوقعة ، على من تكون الدَّبْرة فننتهِبُ مع من ينتهب . (٢) قال : فبينا نحن فى الجبل ، إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : أقدِم حيزوم . (٣) قال : فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، (٤) وأما أنا فكدتُ أهلك ، ثم تماسكت . (٥)

٧٧٥٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، وحدثنى الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عباس قال : لم تُقاتل الملائكة فى يوم من الأيام سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عَدداً ومَدداً لا يضربون . (٦)

٧٧٥١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال محمد بن إسحق ،

---

(١) الأثران : ٧٧٤٧ ، ٧٧٤٨ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، وانظره بإسناد آخر يأتى برقم : ٧٧٧٧ مع اختلاف فى لفظه ، ومع نسبته إلى يوم أحد ، لا يوم بدر . وانظر التعليق عليه هناك .

(٢) الدبرة (بفتح الدال وسكون الباء ، وبفتحتين أيضاً) والدابرة : الهزيمة فى القتال ، وهى اسم من « الإدبار » . يقال : على من الدبرة ؟ أى الهزيمة . ثم يقال : لمن الدبرة ؟ أى لمن الدولة والظفر .

(٣) قوله : « أقدم » هى كلمة زجر تزجر بها الخيل ، وأمرها بالتقدم . وحيزوم : اسم فرس من خيل الملائكة يومئذ . ويقال هو فرس جبريل عليه السلام . هذا وفى المخطوطة : « إذ دهب منا سحابة » وهو تصحيف .

(٤) قناع القلب : غشاؤه ، تشبيها له بقناع المرأة الذى تلبسه .

(٥) الأثر : ٧٧٤٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٥ .

(٦) الأثر : ٧٧٥٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٦ .

حدثنى أبى إسحق بن يسار، عن رجال من بنى مازن بن النجار، عن أبى داود المازنى ،
وكان شهد بدراً قال: إنى لأتبعُ رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع ٤/٥١
رأسه قبل أن يصل إليه سيفى ، فعرفت أن قد قتله غيرى .(١)

٧٧٥٢ — حدثنى ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، قال محمد ، حدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهلَ البيت ، فأسلم العباس وأسلمتْ أم الفضل وأسلمتُ . وكان العباس يهاب قومه ويكرَهُ أن يخالفهم ، وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه . وكان أبو لهب عدوّ الله قد تخلّف عن بدر وبعث مكانه العاصىَ بن هشام بن المغيرة . وكذلك صنعوا ، لم يتخلّف رجل إلا بعث مكانه رجلا . فلما جاء الخبرُ عن مُصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ، ووجدنا فى أنفسنا قوة وعِزًّا .(٢) قال: وكنت رجلا ضعيفاً ، وكنت أعمل القِداح ، أنحتها فى حجرة زمزم ، فوالله إنى لجالس فيها أنحت القداح وعندى أم الفضل جالسة ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرُّ رجليه بشرٍّ حتى جلس على طُنُب الحجرة ،(٣) فكان ظهره إلى ظهرى . فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم ! قال : قال أبو لهب : هلُمّ إلىّ يا ابن أخى ، فعندك الخبر ! قال : فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أخى أخبرنى ، كيف كان أمرُ الناس ؟ قال : لا شىء والله ، إن كان إلاّ أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا ! وايم الله ،

---

(١) الأثر : ٧٧٥١ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٦

(٢) فى المطبوعة : «قوة وعونة» ، وليست بشىء ، وفى المخطوطة «قوه وعبدا» وصواب قراءتها ما أثبته من سيرة ابن هشام .

(٣) طنب الحجرة : جانبها المسدل . أخذ من طنب الخباء ، وهو الحبل يشد به إلى الأرض .

مع ذلك ما لمتُ الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق ما بين السماء والأرض ما تُـلِيق شيئاً ،ولا يقوم لها شيء .[١] قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت : تلك الملائكة ![٢]

٧٧٥٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد قال ، حدثنى الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : كان الذى أسر العباس أبو اليَسَر كعب بن عمرو أخو بنى سلِمة ،[٣] وكان أبو اليسر رَجلا مجموعاً ،[٤] وكان العباس رجلا جسيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى اليسر : كيف أسرت العباس أبا اليسر ؟! قال : يا رسول الله ، لقد أعاننى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا وكذا ![٥] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أعانك عليه ملك كريم .[٦]

٧٧٥٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » ، أمدوا بألف ، ثم صاروا ثلاثة آلاف ، ثم صاروا خمسة آلاف = « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين » ،

---

(١) يقال للكريم : « فلان لا يليق شيئاً » من « ألاق » ، أى : ما يحبس شيئاً ولا يمسكه . ويقال للسيف : « سيف لا يليق شيئاً » ، أى : ما يرد ضربته شيء . وهذا الأخير هو المراد هنا . وكان فى المطبوعة : « ما يليق لها شيء » بدل ما فى المخطوطة ، إذ لم يفهمه . وأثبت ما فى المخطوطة والسيرة .

(٢) الأثر : ٧٧٥٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠١ ، مع اختلاف يسير فى بعض اللفظ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « أبا اليسر . . . أخا بنى سلمة » ، وأثبت ما فى التاريخ ، فهو أجود عربية .

(٤) قوله : « مجموعاً » ، يعنى : قد اجتمع خلقه فلم يبسط ، وهو نقيض الجسيم ، كما يظهر من سياق الأثر . ولم أجده فى كتب اللغة التى بين يدى .

(٥) فى المخطوطة : « هيئته كذا ، هيئته كذا » ، وتركت ما فى المطبوعة على حاله ، لأنه مطابق لما فى التاريخ .

(٦) الأثر : ٧٧٥٣ — لم أجده فى المطبوع من سيرة ابن هشام ، وهو فى تاريخ الطبرى ٢ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

وذلك يوم بدر، أمدَّهم الله بخمسة آلاف من الملائكة .

٧٧٥٥ ـ حدثت عن عمار ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه .

٧٧٥٦ ـ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي ، قال ، حدثني أبي ، [(١)] عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : « يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين » ، فإنهم أتوا محمداً صلى الله عليه وسلم مسوِّمين .

٧٧٥٧ ـ حدثني محمد بن بشار قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن خثيم ، عن مجاهد قال : لم تقاتل الملائكة إلاّ يوم بدر .

* * *

وقال آخرون : إن الله عز وجلّ : إنما وعدهم يوم بدر أن يمدَّهم إن صبروا عند طاعته وجهاد أعدائه ، واتقوه باجتناب محارمه ، أن يمدهم في حروبهم كلها ، فلم يصبروا ولم يتقوا إلا في يوم الأحزاب ، فأمدَّهم حين حاصروا قريظة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٥٨ ـ حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا سليمان بن زيد أبو إدام المحاربي ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كنا محاصري قريظة والنضير ما شاء الله أن نحاصرهم ، فلم يفتح علينا ، فرجعنا ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فهو يغسل رأسه ، [(٢)] إذ جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها ! فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلفَّ بها رأسه ولم يغسله ، ثم نادى فينا فقمنا

---

(١) « قال حدثني أبي » هذه ، سقطت من المطبوعة ، والصواب من المخطوطة ، وهو إسناد دائر في التفسير .

(٢) في المطبوعة : « فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يغسل رأسه » ، وهو تصرف لاشك فيه من ناشر أو ناسخ آخر ، فإن الذي في المخطوطة : « فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يغسل رأسه » ، لما سقط من الجملة قوله : « بماء » ، تصرف الناسخ ، وما كان له أن يفعل ! والصواب كما أثبته ، مطابقاً لما في الخصائص الكبرى للسيوطي . وانظر البغوي (بهامش ابن كثير) ٢ : ٢٣٥ .

كالِّين مُعْيِين لا نعبأ بالسير شيئاً، (١) حتى أتينا قريظة والنضير. فيومئذ أمدنا الله عز وجل بثلاثة آلاف من الملائكة، وفتح اللهُ لنا فتحاً يسيراً، فانقلبنا بنعمة من الله وفضل. (٢) ٥٢/٤

* * *

وقال آخرون بنحو هذا المعنى، غير أنهم قالوا: لم يصبر القوم ولم يتقوا ولم يُمدوا بشىء فى أحُد.

* ذكر من قال ذلك:

٧٧٥٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قال، حدثنى عمرو بن دينار، عن عكرمة، سمعه يقول: « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا »، قال: يوم بدر. قال: فلم يصبروا ولم يتقوا فلم يمدوا يوم أحد، ولو مُدُّوا لم يُهزموا يومئذ.

---

(١) فى المخطوطة: « فقمنا كالىر معسن » غير منقوطة، فلم يحسن الناشر أن يقرأها، فجعلها فى المطبوعة: « كالزمعين »، فجاء معلق على التفسير ففسر الكلمة تفسيراً لا يصلح أن يكون كلاماً ههنا، فخرج الكلام تصحيفاً وخلطاً معاً!! وأما السيوطى فى الخصائص الكبرى، فالظاهر أنه لم يحسن هو أيضاً قراءة المخطوطة، أو كانت فى نسخة مصحفة عنده كمثل هذا التصحيف، فأسقط الجملة كلها وساق الكلام هكذا: « فقمنا حتى أتينا بنى قريظة ». وكذلك فعل البغوى. وصواب القراءة هو ما أثبت، وهو مطابق لصفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مخرجهم إلى بنى قريظة. يقال « كل الرجل يكل من المشى فهو كال »: إذا بلغ منه التعب والإعياء. ويقال: « أعيي الرجل والبعير وغيره يعيى إعياء فهو معيى »، إذا أكله السير وطلحه وبرح به. يقول: فقمنا وقد بلغ منا ومن دوابنا التعب.

(٢) الأثر: ٧٧٥٨ — أخرجه السيوطى فى الخصائص الكبرى ١: ٢٣٣ نقلا عن ابن جرير فى تفسيره هذا. و « عبيد الله بن موسى بن أبى المختار العبسى »، مضت ترجمته برقم: ٥٧٩٦، وكان فى المخطوطة والمطبوعة: « عبد الله بن موسى »، وهو خطأ. وأما « سليمان بن زيد أبو إدام المحاربى » فهو مترجم فى التهذيب، والكبير للبخارى ٢/٢/١٥، وابن أبى حاتم ٢/١/١١٧، قال يحيى بن معين « ليس بثقة، كذاب، ليس يسوى حديثه فلساً ». وقال النسائى: « متروك الحديث ». وكان فى المطبوعة: « أبو آدم » وهو خطأ، ومثله فى التهذيب فى ترجمته، وهو خطأ أيضاً صوابه ما أثبت من المخطوطة. و « عبد الله بن أبى أوفى الأسلمى »، شهد بيعة الرضوان، ومات رضى الله عنه سنة ٨٨، كما صححه الذهبى فى تاريخه.

وهذا الأثر، وإن كان إسناده لا يقوم، فإن معناه يشبه أن يكون حقاً، لموافقته ما جاءت به الرواية عن غزوة بنى قريظة فى الروايات الصحيحة عن غير عبد الله بن أبى أوفى.

٧٧٦٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال : سمعت عكرمة يقول : لم يمدوا يوم أحُد ولا بملك واحد = أو قال : إلا بملك واحد ، أبو جعفر يشك .

٧٧٦١ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، سمعت عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف» إلى «خمسة آلاف من الملائكة مسوّمين » ، كان هذا موعداً من الله يوم أحُد عرضه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أنّ المؤمنين إن اتقوا وصبروا أمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين ؛ ففرّ المسلمون يوم أحد وولَّوا مدبرين، فلم يمدهم الله .

٧٧٦٢ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا» الآية كلها. قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ينظرون المشركين : يا رسول الله، أليس يمدنا الله كما أمدنا يوم بدر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » ، وإنما أمدكم يوم بدر بألف؟ قال : فجاءت الزيادة من الله على أن يصبروا ويتقوا ، قال : بشرط أن يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم ، الآية كلها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبرَ عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ؟ فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مدداً لهم ، ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف، خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله . ولا دِلالة فى الآية على أنهم أمِدُّوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف ، ولا على أنهم لم يمدوا بهم . وقد يجوز أن يكون الله عز وجل أمدهم، على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدهم = وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذى ذكره من أنكر ذلك . ولا خبر

عندنا صحّ من الوجه الذى يثبت أنهم أمِدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف . وغير جائز أن يقال فى ذلك قولٌ إلا بخبر تقوم الحجة به . ولا خبر به كذلك ، فنسلم لأحد الفريقين قوله . غير أنّ فى القرآن دلالةً على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة ، وذلك قوله : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [سورة الأنفال : ٩] ، فأما فى يوم أحُد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبينُ منها فى أنهم أمدوا . وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا ، ويُنال َمنهم ما نيل منهم . فالصواب فيه من القول أن يقال كما قال تعالى ذكره .

* * *

وقد بينا معنى « الإمداد » فيما مضى ، « والمدد » ، ومعنى « الصبر » و « التقوى » .[1]

* * *

وأما قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، فإنّ أهل التأويل اختلفوا فيه .

فقال بعضهم : معنى قوله : « من فورهم هذا » ، من وجههم هذا .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٦٣ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان ابن غياث ، عن عكرمة قال : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، قال : من وجههم هذا .

٧٧٦٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « من فورهم هذا » ، يقول : من وجههم هذا .

٧٧٦٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

٧٧٦٦ – حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، من وجههم هذا .

---

(١) انظر معنى « الإمداد والمدد » فيما سلف ١ : ٣٠٧ ، ٣٠٨ / و « الصبر » ٢ : ١١ ، ١٢٤ / ٣ : ٢١٤ ، ٣٤٩ ثم فهارس اللغة فيما سلف / و « التقوى » ١ : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٣٦٤/٤ : ١٦٢ ، وفهارس اللغة .

٧٧٦٧ - حدثت عن عمار بن الحسن، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، يقول : من وجههم هذا .

٧٧٦٨ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا » يقول : من وجههم هذا .

٤/٥٣

٧٧٦٩ - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمى قال ، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: « ويأتوكم من فورهم هذا »، يقول : من سفرهم هذا = ويقال - يعنى عن غير ابن عباس - بل هو : من غضبهم هذا .

٧٧٧٠ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « من فورهم هذا » ، من وجههم هذا .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : من غضبهم هذا .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٧١ - حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن عكرمة فى قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة » ، قال : « فورهم ذلك »، كان يوم أحد ، غضبوا ليوم بدر مما لقوا .

٧٧٧٢ - حدثني محمد بن عمارة قال ، حدثنا سهل بن عامر قال ، حدثنا مالك بن مغول قال : سمعت أبا صالح مولى أم هانئ يقول : « من فورهم هذا » ، يقول : من غضبهم هذا .

٧٧٧٣ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله: « ويأتوكم من فورهم هذا » ، قال : غضبٌ لهم ، يعنى الكفار ، فلم يقاتلوهم عند تلك الساعة ، وذلك يوم أحد .

٧٧٧٤ - حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : « من فورهم هذا »، قال : من غضبهم هذا .

٧٧٧٥ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال سمعت الضحاك ، فى قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا »، يقول : من وجههم وغضبهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأصل « الفوْر »، ابتداء الأمر يؤخذ فيه، ثم يوصل بآخر.[1] يقال منه : « فارت القدرُ فهى تفور فوراً وفوراناً »، إذا ابتدأ ما فيها بالغليان ثم اتصل. و « مضيت إلى فلان من فوْرى ذلك » ، يراد به : من وجهى الذى ابتدأت فيه .

* * *

= فالذى قال فى هذه الآية : معنى قوله : « من فورهم هذا »، من « وجههم هذا » = قصد إلى أن تأويله : ويأتيكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر من ابتداء مخرجهم الذى خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين .

* * *

= وأما الذين قالوا : معنى ذلك : من غضبهم هذا = فإنما عنوا أن تأويل ذلك : ويأتيكم كفار قريش وتُبَّاعهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذى غضبوه لقتلاهم الذين قتلوا يوم بدر بها ، يمددكم ربكم بخمسة آلاف .

* * *

ولذلك من اختلاف تأويلهم فى معنى قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا » ،[2] اختلف أهل التأويل فى إمداد الله المؤمنين بأحُدٍ بملائكته .

فقال بعضهم : لم يمدوا بهم ، لأن المؤمنين لم يصبروا لأعدائهم ولم يتقوا الله عز وجل، بترك من ترك من الرماة طاعةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثبوته فى الموضع الذى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبوت فيه ، ولكنهم أخلُّوا به

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يوجد فيه » ، وهو كلام سخيف . وأخذ فى الأمر : شرع وبدأ .

(٢) فى المطبوعة : « وكذلك من اختلاف تأويلهم . . . » ، وهو كلام غير مستقيم . ولم يحسن الناشر قراءة المخطوطة ، لأن من عادة ناسخها أن يترك كثيراً شرطة الكاف ، ويدعها كاللام ، فظنها هنا « كذلك »، ولكنها « لذلك » كما قرأتها لك . يقول الطبرى : ومن أجل اختلافهم فى تأويل : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، اختلف أهل التأويل .

طلبَ الغنائم ،[1] فقتل من قتل من المسلمين ونال المشركون منهم ما نالوا ،[2] . وإنما كان الله عز وجل وعد نبيه صلى الله عليه وسلم إمدادَهم بهم إن صبروا واتقوا الله .

* * *

= وأما الذين قالوا : كان ذلك يوم بدر بسبب كُرْز بن جابر ، فإن بعضهم قالوا : لم يأت كرزٌ وأصحابُه إخوانَهم من المشركين مدداً لهم ببدر ، ولم يمد الله المؤمنين بملائكته . لأن الله عز وجل إنما وعدهم أن يمدهم بملائكته إن أتاهم كرز ومدد المشركين من فورهم ، ولم يأتهم المددُ .

* * *

= وأما الذين قالوا : إنّ الله تعالى ذكره أمد المسلمين بالملائكة يوم بدر ، فإنهم اعتلوا بقول الله عز وجل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [سورة الأنفال : ٩] ، قال : فالألف منهم قد أتاهم مدداً . وإنما الوعد الذى كانت فيه الشروط ، فما زاد على الألف ،[3] فأما الألف فقد كانوا أمدّوا به ، لأن الله عز وجل كان قد وعدهم ذلك ، ولن يُخلف الله وعده .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « مسوّمين »

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة والكوفة : ﴿ مُسَوَّمِينَ ﴾ بفتح « الواو » ، بمعنى أن الله سوّمها

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة أهل الكوفة والبصرة ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ بكسر « الواو » ، بمعنى أن الملائكة سوّمتْ لنفسها .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « طلباً للغنائم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مثله فى المعنى .

(٢) فى المطبوعة : « فقتل من المسلمين » ، وهى غير مستقيمة ، وفى المخطوطة : « فى قتل من قتل من المسلمين » ، وهى الصواب ، إلا فى تصحيف الناسخ وخطئه إذ كتب مكان « فقتل » — « فى قتل » .

(٣) فى المطبوعة : « فيما زاد » ، وفى المخطوطة مثلها غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر « الواو » ، لتظاهرُ الأخبار عن [أصحاب] رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل التأويل منهم ومن التابعين بعدهم[1] : بأن الملائكة هى التى سوَّمت أنفسها ، من غير إضافة تسويمها إلى الله عز وجل، أو إلى غيره من خلقه .

٥٤/٤

ولا معنى لقول من قال : إنما كان يُختار الكسرُ فى قوله « مسوِّمين » ، لو كان فى البشر ، فأما الملائكة فوصفهم غيرُ ذلك = ظناً منه بأن الملائكة غير ممكن فيها تسويمُ أنفسها إمكانَ ذلك فى البشر . وذلك أنه غيرُ مستحيل أن يكون الله عز وجل مكنها من تسويم أنفسها نحو تمكينه البشر من تسويم أنفسهم ، فسوَّموا أنفسهم نحو الذى سوَّم البشر ،[2] طلباً منها بذلك طاعة ربها ، فأضيف تسويمها أنفسَها إليها . وإن كان ذلك عن تسبيب الله لهم أسبابه . وهى إذا كانت موصوفة بتسويمها أنفسَها تقرُّباً منها إلى ربها ، كان أبلغ فى مدحها ، لاختيارها طاعة الله ، من أن تكون موصوفة بأن ذلك مفعول بها .

* * *

ذكر الأخبار بما ذكرنا : من إضافة من أضاف التسويم إلى الملائكة ، دون إضافة ذلك إلى غيرهم ، على نحو ما قلنا فيه .

---

(١) فى المطبوعة : « لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل التأويل منهم . . . » وهى عبارة فاسدة ، ثم لا تؤيدها الأخبار التى رواها بعد . وفى المخطوطة مثلها ، إلا أنه كتب « بأهل التأويل » ، وهو تحريف وخطأ . والصواب أن الأخبار المتظاهرة التى سيذكرها هى عن أصحاب رسول الله وأهل التأويل منهم ، فلذلك زدت « أصحاب » بين القوسين ، وجعلت « فأهل » ، « وأهل » ، واستقام الكلام . ولو تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان به ولا بأحد حاجة إلى تظاهر الأخبار عن أصحاب رسول الله وأهل التأويل منهم ومن التابعين من بعدهم . ففى خبره صلى الله عليه وسلم كفاية من كل خبر ، بأبى هو وأمى .

(٢) فى المطبوعة : « . . . مكنها من تسويم أنفسها بحق تمكينه البشر . . . » ثم « . . . فسوموا أنفسهم بحق الذى سوم البشر » ، وهو كلام لا معنى له . وفى المخطوطة أساء الكاتب فى الكلمة الأولى فنقط الحروف ومجمجها فاختلطت ، وكتب الثانية « بحق » غير منقوطة ، وصواب قراءتها فى الموضعين « نحو » كما أثبتها .

٧٧٧٦ – حدثني يعقوب قال، أخبرنا ابن علية قال ، أخبرنا ابن عون ، عن عمير بن إسحق قال : إن أول ما كان الصوف ليومئذ = يعنى يوم بدر = قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تسوَّموا ، فإنّ الملائكة قد تسوَّمت .[١]

٧٧٧٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا مختار بن غسان قال ، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل ، عن الزبير بن المنذر ، عن جده أبي أسيد – وكان بدرياً – فكان يقول : لو أن بصرى فُرِّج منه ،[٢] ثم ذهبتم معى إلى أحُدٍ لأخبرتكم بالشِّعب الذى خرجت منه الملائكة فى عمائم صُفر قد طرحوها بين أكتافهم .[٣]

---

(١) الأثر : ٧٧٧٦ – « ابن عون » ، هو : « عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى » أبو عوف الخراز البصرى أحد الفقهاء الكبار . رأى أنس بن مالك ، وروى عن ابن سيرين وإبراهيم النخعى والحسن البصرى والشعبى وطبقتهم . وكان فى المطبوعة : « ابن عوف » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة . و « عمير بن إسحق القرشى » أبو محمد مولى بنى هاشم ، روى عن المقداد بن الأسود، وعمرو بن العاص ، وأبي هريرة ، وكان قليل الحديث . وقال أبو حاتم والنسائى : « لا نعلم روى عنه غير ابن عون » قال ابن معين : « ثقة » ، وقال أيضاً : « لا يساوى حديثه شيئاً ، ولكن يكتب حديثه» . فهذا الحديث كما ترى مرسل ، وعن رجل يكتب حديثه ولا يحتج به .

(٢) فى المطبوعة : « لو أن بصرى معى ، ثم ذهبتم معى » ، وهو تصرف من الطابعين فيما يظهر ، نقلا عن تصرف السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٧٠ . أما المخطوطة ، فكان فيها : « لو أن بصرى حرح منه ، ثم ذهبتم معى » فيها « حرح » غير منقوطة ، والظاهر أن السيوطى رآها كذلك ، فعجز عنها ، فاستظهرها من الأثرين السالفين : ٧٧٤٧ ، ٧٧٤٨ ، ولكنى حرصت على متابعة ما فى المخطوطة ، فوجدت رواية الأثرين السالفين من طريق ابن شهاب عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد : « قال لى أبو أسيد الساعدى ، بعد ما ذهب بصره : يا ابن أخى ، لو كنت أنت وأنا ببدر ثم أطلق الله لى بصرى، لأريتك الشعب . . . » (الاستيعاب : ٦٢١) فاستظهرت أن « حرح » تصحيف « فرج » (بتشديد الراء ، والبناء للمجهول) ، وهى بمعنى « أطلقه الله » . وقوله : « فرج منه » ، أى : فرج الله عن بعضه . ولو كانت « فرج عنه » لكان صواباً مطابقاً لرواية سهل بن سعد فى المعنى . وأرجو أن أكون قد وفقت إلى الصواب بحمد الله وتوفيقه .

(٣) الأثر : ٧٧٧٧ – « مختار بن غسان التمار الكوفى العبدى » ، روى عن حفص بن عمر البرجمى وإسماعيل بن مسلم . مترجم فى التهذيب . و « عبد الرحمن بن الغسيل » ، هو : « عبد الرحمن ابن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الأنصارى » سلفت ترجمته فى رقم : ٥١٢٣ . أما « الزبير بن المنذر ابن أبي أسيد » فيقال أيضاً أنه « الزبير بن أبي أسيد » ،أن أبا أسيد أبوه لا جده ، وإسناد الطبرى مبين عن أنه جده . وقد ذكر ذلك البخارى فى الكبير ٢/١/٣٧٥ ، فى خبر ساقه عن ابن الغسيل ، وكذلك ابن أبي حاتم ١/٢/٥٧٩ ، وذكره الحافظ فى التهذيب وقال : « وفى إسناده اختلاف»، إشارة إلى هذا الاختلاف فى أن أبا أسيد أبوه أو جده .

٧٧٧٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله: « بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين » ، يقول: معلمين ، مجزوزة أذنابُ خيلهم، ونواصيها — فيها الصوف أو العِهْن.[1] وذلك التسويم .

٧٧٧٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد فى قوله : « بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين » ، قال : مجزوزة أذنابها، وأعرافها فيها الصوف أو العِهْن ، فذلك التسويم .

٧٧٨٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « مسوِّمين » ، ذكر لنا أن سيماهم يومئذ ، الصوف بنواصى خيلهم وأذنابها ، وأنهم على خيل بُلْق .

٧٧٨١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « مسومين » ، قال : كان سيماها صوفاً فى نواصيها .

٧٧٨٢ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد أنه كان يقول : « مسومين » ، قال : كانت خيولهم مجزوزة الأعراف، معلمة نواصيها وأذنابها بالصوف والعِهْن .

٧٧٨٣ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : كانوا يومئذ على خيل بُلْق .

٧٧٨٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا

أما خبر أبى أسيد هذا فقد سلف بإسناد أبى كريب وابن حميد : ٧٧٤٧ ، ٧٧٤٨ ، مع اختلاف فى بعض اللفظ ، ومع نسبة هذا إلى يوم بدر ، لا يوم أحد . والأول هو الثابت الصحيح . وأخشى أن يكون الذى هنا سهواً من ناسخ أو راو ، وأن صوابه « إلى بدر » .

(١) فى المخطوطة : « الصوف ، العهن » ، بحذف « أو » ، وهو صواب . والعهن : هو الصوف المصبوغ الملون .

جويبر ، عن الضحاك وبعض أشياخنا ، عن الحسن ، نحو حديث معمر ، عن قتادة .

٧٧٨٥ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « مسومين » ، معلمين .

٧٧٨٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين » ، فإنهم أتوا محمدًا النبى صلى الله عليه وسلم مسوِّمين بالصوف ، فسوَّم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف .

٧٧٨٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عباد بن حمزة قال : نزلت الملائكة فى سيما الزبير ، عليهم عمائم صفر . وكانت عمامة الزبير صَفراء .

٧٧٨٨ — حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « مسومين » ، قال : بالصوف فى نواصيها وأذنابها .

٧٧٨٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة قال : نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق ، عليهم عمائم صفر . وكان على الزبير يومئذ عمامة صفراء .

٤/٥٥ ٧٧٩٠ — حدثنى أحمد بن يحيى الصوفى قال ، حدثنا عبد الرحمن بن شريك قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، عن عبد الله بن الزبير : أنّ الزبير كانت عليه مُلاءة صفراء يوم بدر ، فاعتم بها ، فنزلت الملائكة يوم بدر على نبىّ الله صلى الله عليه وسلم معمَّمين بعمائم صفر . [1]

* * *

---

(١) الأثر : ٧٧٩٠ — « أحمد بن يحيى الصوفى » روى عن محمد بن بشر ، ومحمد بن عبيد وزيد بن الحباب ، وكتب عنه أبو حاتم ، وقال : « ثقة » ، وروى عنه أبو عوانة الكوفى . مترجم فى ابن أبى حاتم ١/١/٨١ . و « عبد الرحمن بن شريك بن عبد الله النخعى » . روى عن أبيه . روى

قال أبو جعفر : فهذه الأخبار التى ذكرنا بعضها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه : « تسوَّموا فإن الملائكة قد تسوَّمت » ، وقول أبى أسيد : « خرجت الملائكة فى عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم » ، وقول من قال منهم : « مسوِّمين » معلمين = ينبئ جميعُ ذلك عن صحة ما اخترنا من القراءة فى ذلك ، وأن التسويم كان من الملائكة بأنفسها ، على نحو ما قلنا فى ذلك فيما مضى .

* * *

وأما الذين قرأوا ذلك : « مسوَّمين » ، بالفتح ، فإنهم أُراهم تأوَّلوا فى ذلك ما :-

٧٧٩١ - حدثنا به حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان ابن غياث ، عن عكرمة : « بخمسة آلاف من الملائكة مسوَّمين » ، يقول : عليهم سيما القتال .

٧٧٩٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » ، يقول : عليهم سيما القتال ، وذلك يوم بدر ، أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . يقول : عليهم سيما القتال .

* * *

= فقالوا : كان سيما القتال عليهم ، لا أنهم كانوا تسوَّموا بسيما فيضاف إليهم التسويم ، فمن أجل ذلك قرأوا « مسوَّمين » ، بمعنى أن الله تعالى أضاف التسويم إلى مَنْ سوَّمهم تلك السيما .

* * *

و « السيما » العلامة يقال : « هى سيما حسنة ، وسيمياء حسنة » ، كما قال الشاعر : (١)

غُلاَمٌ رَمَاهُ اللهُ بِالْحُسْنِ يَافِعاً   لَهُ سِيمِيَاءُ لاَ تَشُقُّ عَلَى البَصَرْ (٢)

عنه البخارى فى الأدب ، وأبو كريب . قال أبو حاتم : « واهن الحديث » ، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : « ربما أخطأ » .

(١) هو أسيد بن عنقاء الفزارى .

(٢) سلف تخريجه وشرحه فى ٥ : ٥٩٤ ، ٥٩٥

يعنى بذلك : علامة من حسن ، (١) فإذا أعلم الرجل بعلامة يعرف بها فى حرب أوغيره قيل : « سوَّم نفسه فهو يسوِّمها تسويماً » . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (١٢٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : وما جعل الله وعده إياكم ما وعدكم من إمداده إياكم بالملائكة الذين ذكر عددهم = « إلا بشرى لكم » ، يعنى بشرى ، يبشركم بها = « ولتطمئن قلوبكم به » ، يقول : وكى تطمئن بوعده الذى وعدكم من ذلك قلوبكم ، فتسكن إليه ، ولا تجزع من كثرة عدد عدوكم وقلة عددكم = « وما النصر إلا من عند الله » ، يعنى : وما ظفركم إن ظفرتم بعدوكم إلا بعون الله ، لا من قِبَل المدد الذى يأتيكم من الملائكة . يقول : فعلى الله فتوكلوا ، وبه فاستعينوا ، لا بالجموع وكثرة العدد ، فإن نصركم إن كان إنما يكون بالله وبعونه ومعكم من ملائكته خمسة آلاف ، (٣) فإنه إلى أن يكون ذلك بعون الله وبتقويته إياكم على عدوكم ، وإن كان معكم من البشر جموع كثيرة = أحرَى . (٤) فاتقوا الله واصبروا

(١) انظر تفسيره « السيما » فيما سلف ٥ : ٥٩٤

(٢) انظر تفسير « سوم » فيما سلف ٥ : ٢٥١ - ٢٥٧ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وبعونه معكم من ملائكته . . . » بإسقاط الواو من « معكم » ، وهو خلل فى الكلام والسياق .

(٤) سياق الكلام : « فإنه إلى أن يكون ذلك بعون الله وبتقويته إياكم . . . أحرى » . ثم انظر إلى هذا الإمام كيف يتحرى فى بيان معانى كتاب الله إخلاص التوحيد لله ، ونفى الشرك عنه فى صفاته سبحانه ، فأخرج من النصر ما يتوهم المتوهم أن نزول الملائكة كان هو سبب نصر المؤمنين ، فلخص المعنى تلخيصاً كله تقوى لله وإخلاص له ، ونفى للشرك عن صفاته سبحانه ، فبين أن النصر من

على جهاد عدوكم ، فإن الله ناصركم عليهم ، كما :-

٧٧٩٣ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وما جعله الله إلا بشرى لكم » ، يقول : إنما جعلهم ليستبشروا بهم وليطمئنوا إليهم ، ولم يقاتلوا معهم يومئذ = يعني يوم أحد = قال مجاهد : ولم يقاتلوا معهم يومئذ ولا قبله ولا بعده إلا يوم بدر .

٧٧٩٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به » ، لما أعرف من ضعفكم ، وما النصر إلا من عندي بسلطاني وقدرتي ، وذلك أن العز والحكم إلي ، [1] لا إلى أحد من خلقي. [2]

٧٧٩٥ - حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وما النصر إلا من عند الله » ، لو شاء أن ينصركم بغير الملائكة فعل ، « العزيز الحكيم » .

* * *

وأما معنى قوله : « العزيز الحكيم » ، فإنه جل ثناؤه يعني : « العزيز » في انتقامه من أهل الكفر به بأيدي أوليائه من أهل طاعته = « الحكيم » في تدبيره لكم ، أيها المؤمنون ، على أعدائكم من أهل الكفر ، وغير ذلك من أموره . [3] يقول :

عند الله للمؤمنين وللملائكة جميعاً على عدو الله وعدوهم ، وأنهم إنما كانوا مدداً للمؤمنين ، كما قال ربنا سبحانه . وهذا من فقه أبي جعفر وبصره وتحققه بمعاني هذا الكتاب الذي لا يدرك أحد توحيد الله حق توحيده إلا بتلاوته وفهمه وتفقهه فيه ، واتباعه لبيانه العربي المحكم . ورحم الله أبا جعفر ، فإنه كان إماماً في التفسير ، قيماً عليه .

(١) في المطبوعة : « وذلك أني أعرف الحكمة التي لا إلى أحد من خلقي » ، وهو كلام قد ضل عنه معناه . وفي المخطوطة : « وذلك أن العرف الحكمة التي لا إلى أحد من خلقي » ، وهو شبيه به في الخطل. والصواب ما أثبته من نص ابن إسحق في سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٧٧٩٤ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٤ ، وهو تابع للأثرين السالفين : ٧٧٣٣ ، ٧٧٤١ .

(٣) في المخطوطة : « في تدبيره ولكم أيها المؤمنون وعلى أعدائكم » ، وهو لا يستقيم مع سياقته ، والصواب ما في المطبوعة .

فأبشروا أيها المؤمنون ، بتدبيرى لكم على أعدائكم ونصرى إياكم عليهم ، إن أنتم أطعتمونى فيما أمرتكم به ، وصبرتم لجهاد عدوِّى وعدوِّكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾ (١٢٧)

٥٦/٤

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولقد نصركم الله ببدر « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » ، ويعنى بـ « الطرف » ، الطائفة والنفر .

* * *

يقول تعالى ذكره : ولقد نصركم الله ببدر ، كيما يُهلك طائفة من الذين كفروا بالله ورسوله ، فجحدوا وحدانية ربهم ، ونبوة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، كما :—

٧٧٩٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » ، فقطع الله يوم بدر طرفاً من الكفار ، وقتل صناديدهم ورؤساءهم وقادتهم فى الشر .

٧٧٩٧ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع نحوه .

٧٧٩٨ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » الآية كلها ، قال : هذا يوم بدر ، قطع الله طائفة منهم وبقيت طائفة .

٧٧٩٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » ، أى : ليقطع طرفاً من المشركين بقتل ينتقم به منهم .[1]

* * *

(١) الأثر : ٧٧٩٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٧٧٩٤ . هذا وقد أسقطت المخطوطة والمطبوعة « عن ابن إسحق » ، فأثبتها ، فهو إسناد دائر فى التفسير كما ترى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما النصر إلا من عند الله ليقطع طرفاً من الذين كفروا . وقال : إنما عنى بذلك من قُتل بأحد .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٠٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ذكر الله قتلى المشركين — يعنى بأحد — وكانوا ثمانية عشر رجلا فقال : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » ، ثم ذكر الشهداء فقال : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية ، [سورة آل عمران : ١٦٩] .

* * *

وأما قوله : « أو يكبتهم » ، فإنه يعنى بذلك : أو يخزيهم بالخيبة مما رجوا من الظفر بكم .

وقد قيل إن معنى قوله : « أو يكبتهم » ، أو يصرعهم لوجوههم . ذكر بعضهم أنه سمع العرب تقول : « كبته الله لوجهه » ، بمعنى صرعه الله .[١]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : ولقد نصركم الله ببدر ليهلك فريقاً من الكفار بالسيف ، أو يخزيهم بخيبتهم مما طمعوا فيه من الظفر = « فينقلبوا خائبين » ، يقول : فيرجعوا عنكم خائبين ، لم يصيبوا منكم شيئاً مما رجوا أن ينالوه منكم ، كما :—

٧٨٠١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » ، أو يردهم خائبين ، أى : يرجع من بقى منهم فلاًّ خائبين ،[٢] لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون .[٣]

---

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٠٣ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « أو يرجع من بقى . . . » ، والصواب من سيرة ابن هشام . وأما المطبوعة فقد حذفت قوله : « فلا » ، لأن قلم الناسخ قد اضطرب فضرب خطا غير بالغ على قوله : « فلا » ، فظنها الناشر علامة حذف . والصواب إثباتها كما فى سيرة ابن هشام . والفل (بفتح الفاء وتشديد اللام) : المنهزمون ، يقال : « جاء فل القوم » ، أى منهزموهم ، يستوى فيه الواحد والجمع .

(٣) الأثر : ٧٨٠١ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٤ ، وهو تابع الآثار التى آخرها رقم : ٧٧٩٩ .

٧٨٠٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أو يكبتهم » ، يقول : يخزيهم ، « فينقلبوا خائبين » .

٧٨٠٣ - حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (١٢٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ليقطع طرفاً من الذين كفروا ، أو يكبتهم ، أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم ، فإنهم ظالمون ، ليس لك من الأمر شىء .

* * *

فقوله : « أو يتوب عليهم » ، منصوبٌ عطفاً على قوله : « أو يكبتهم » .

وقد يحتمل أن يكون تأويله : ليس لك من الأمر شىء ، حتى يتوب عليهم = فيكون نصب « يتوب » بمعنى « أو » التى هى فى معنى « حتى » .[1]

* * *

قال أبو جعفر : والقول الأول أولى بالصواب ، لأنه لا شىء من أمر الخلق إلى أحدٍ سوى خالقهم ، قبل توبة الكفار وعقابهم وبعد ذلك .

* * *

وتأويل قوله : « ليس لك من الأمر شىء » ، ليس إليك ، يا محمد ، من أمر خلقى إلاّ أن تنفذ فيهم أمرى ، وتنتهىَ فيهم إلى طاعتى ، وإنما أمرهم إلىّ ، والقضاء فيهم بيدى دون غيرى ، أقضى فيهم وأحكمُ بالذى أشاء ، من التوبة على من كفر بى وعصانى وخالف أمرى ، أو العذاب إما فى عاجل الدنيا بالقتل والنِّقَم المبيرة ، وإما فى آجل الآخرة بما أعددتُ لأهل الكفر بى ، كما : —

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٤ .

٧٨٠٤ - حدثني ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » ، أي : ليس لك من الحكم شيء في عبادي ، إلاّ ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتي ، فإن شئتُ فعلتُ ، أو أعذبهم بذنوبهم =[1] « فإنهم ظالمون » ، أي قد استحقوا ذلك بمعصيتهم إياى .[2]

* * *

وذكر أن الله عز وجل إنما أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لما أصابه بأحُد ما أصابه من المشركين ، قال ، كالآيس لهم من الهدى أو من الإنابة إلى الحق : كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا بنبيهم ! !

* ذكر الرواية بذلك :

٧٨٠٥ - حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا حميد قال ، قال أنس : قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وكسرت رَبَاعيته وشُجَّ فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم ! ! فأنزلت : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوبَ عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .[3] ٥٧/٤

---

(١) في سيرة ابن هشام : « . . . بذنوبهم ، فبحقي » .

(٢) الأثر : ٧٨٠٤ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، وهو تابع الآثار التي آخرها : ٧٨٠١ ، مع اختلاف يسير في بعض لفظه .

(٣) الحديث : ٧٨٠٥ - هذا الحديث رواه الطبري متصلا بخمسة أسانيد : ٧٨٠٥ - ٧٨٠٨ ، ٧٨١٠ ، من طريق بشر بن المفضل ، وابن أبي عدي ، وهشيم ، وأبي بكر بن عياش ، وابن علية = الخمسة عن حميد بن أبي حميد الطويل ، عن أنس بن مالك . ورواه : ٧٨٠٩ ، من حديث الحسن البصري ، بنحوه ، مرسلا .

وقد رواه أحمد في المسند : ١١٩٨٠ ، عن هشيم ، و : ١٢٨٦٢ ، عن سهل بن يوسف ، و : ١٣١١٥ ، عن يزيد بن هرون ، و : ١٣١٧٠ ، عن ابن أبي عدي = أربعتهم عن حميد الطويل ، به . (ج ٣ ص ٩٩ ، ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ حلبي) .

ورواه الترمذي ٤ : ٨٣ ، عن أحمد بن منيع ، وعبد بن حميد - كلاهما عن يزيد بن هرون ، كرواية المسند : ١٣١١٥ . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

٧٨٠٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن حميد ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

٧٨٠٧ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

٧٨٠٨ – حدثني يحيي بن طلحة اليربوعى قال، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شُجَّ فى جبهته وكسِرت رباعيته : لا يفلح قوم صنعوا هذا بنبيهم ! فأوحى الله إليه : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .[1]

٧٨٠٩ – حدثني يعقوب، عن ابن علية قال، حدثنا ابن عون، عن الحسن: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم أحُد : كيف يفلح قوم دمّوا وجه نبيهم وهو

ورواه أبو جعفر النحاس ، فى الناسخ والمنسوخ ، ص : ٩٠ ، من طريق يزيد بن هرون .

ورواه أحمد أيضاً ، بنحوه : ١٣٦٩٢ (ج ٣ ص ٢٥٣ حلبى) ، عن عفان ، عن حماد – وهو ابن سلمة – عن ثابت ، عن أنس .

وكذلك رواه مسلم ٢ : ٦٧ ، عن عبد الله بن مسلمة القعنبى ، عن حماد بن سلمة ، به .

وذكره البخارى فى الصحيح ٧ : ٢٨١ ، مختصراً ، معلقاً ، من الوجهين . قال : « قال حميد وثابت ، عن أنس . . . » .

وبين الحافظ فى الفتح أن رواية حميد وصلها أحمد ، والترمذى ، والنسائى ، وابن إسحق فى المغازى . وأن رواية ثابت وصلها مسلم .

وذكر ابن كثير ٢ : ٢٣٨ رواية البخارى المعلقة . وفى ص : ٢٣٩ رواية أحمد عن هشيم . ثم أشار إلى رواية مسلم .

وذكره السيوطى ٢ : ٧٠ – ٧١ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة وعبد بن حميد ، والنسائى ، وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الدلائل .

وانظر ما يأتى : ٧٨١٨ – ٧٨٢١ .

« الرباعية » – على وزن « ثمانية » : الأسنان الأربعة التى تلى الثنايا ، بين الثنية والناب .

(١) الحديث : ٧٨٠٨ – يحيى بن طلحة اليربوعى : سبق فى : ٤٢١ أن النسائى ضعفه . والراجح توثيقه . فقد ترجمه ابن أبى حاتم ٤/٢/١٦٠ ، فلم يذكر فيه جرحاً .

يدعوهم إلى الله عز وجل ! فنزلت : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .(١)

٧٨١٠ — حدثنا يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن حميد ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك .

٧٨١١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » ، ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد، وقد جُرح نبي الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وأصيبَ بعضُ رباعيته ، فقال وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم ! فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

٧٨١٢ — حدثنا ابن حميد قال،حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ابن واقد ، عن مطر ، عن قتادة قال : أصيب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحُد وكسِرت رباعيته وفُرِق حاجبه،فوقع وعليه درعان ، والدم يسيل ، فمر به سالم مولى أبي حذيفة، فأجلسه ومسح عن وجهه فأفاق وهو يقول : كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله ! فأنزل الله تبارك وتعالى : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

٧٨١٣ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قوله : « ليس لك من الأمر شيء » الآية ، قال قال الربيع بن أنس : أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحُد، وقد شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وأصيبتْ رباعيته، فهمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعوَ عليهم،

(١) الحديث : ٧٨٠٩ — هذه رواية الحسن المرسلة .
وقد ذكر السيوطي ٢ : ٧١ رواية عن الحسن ، مطولة مرسلة أيضاً ، ونسبها لعبد بن حميد ، وحده .

فقال : كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله وهم يدعونه إلى الشيطان ، ويدعوهم إلى الهدى ويدعونه إلى الضلالة ، ويدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ! فهمّ أن يدعوَ عليهم ، فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » ، فكفّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء عليهم .

٧٨١٤ – حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن في قوله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم » الآية كلها ، فقال : جاء أبو سفيان من الحول غضبان لما صُنع بأصحابه يوم بدر ، فقاتل أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم يوم أحد قتالا شديداً ، حتى قتل منهم بعدد الأسارى يوم بدر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمةً علم الله أنها قد خالطت غضباً : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الإسلام ! فقال الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

٧٨١٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : أن رباعية النبي صلى الله عليه وسلم أصيبت يوم أحد ، أصابها عتبة بن أبي وقاص ، وشجه في وجهه . وكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل عن النبي صلى الله عليه وسلم الدمَ ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : كيف يفلح قوم صنعوا بنبيهم هذا !! فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

٥٨/٤

٧٨١٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري وعن عثمان الجزري ، عن مقسم : أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد ، حين كسر رباعيته وَوَثأ وجهه ، [1]

---

(١) وثأه وثأ : فهو أن يضرب حتى يرهص الجلد واللحم ، ويصل الضرب إلى العظم من غير أن ينكسر ، يكسر اللحم ولا يكسر العظم .

فقال : اللهم لا يَحُلْ عليه الحول حتى يموت كافراً ! قال : فما حال عليه الحول حتى مات كافراً . .

٧٨١٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : شُج النبى صلى الله عليه وسلم فى فرق حاجبه وكسِرت رباعيته = قال ابن جريج : ذكر لنا أنه لما جرح جعل سالم مولى أبى حذيفة يغسل الدم عن وجهه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله ! فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شىء » .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لأنه دعا على قوم ، فأنزل الله عز وجل : ليس الأمر إليك فيهم .

* ذكر الرواية بذلك :

٧٨١٨ — حدثنى يحيى بن حبيب بن عربى قال ، حدثنا خالد بن الحارث قال ، حدثنا محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أربعة نفر ، فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » ، قال : وهداهم الله للإسلام .(١)

---

(١) الحديث : ٧٨١٨ — خالد بن الحارث بن عبيد ، أبو عثمان الهجيمى : ثقة ثبت إمام . وقال أحمد : « إليه المنتهى فى التثبت بالبصرة » .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٥٨١٣ ، عن يحيى بن حبيب بن عربى — شيخ الطبرى هنا — بهذا الإسناد . ولم يذكر لفظه ، إحالة على رواية قبله .

ورواه الترمذى ٤ : ٨٤ عن يحيى بن حبيب بن عربى أيضاً . وقال : « هذا حديث حسن غريب صحيح ، يستغرب من هذا الوجه ، من حديث نافع عن ابن عمر . ورواه يحيى بن أيوب ، عن ابن عجلان » .

ورواه أحمد أيضاً : ٥٨١٢ — قبل الرواية السابقة — : عن أبى معاوية الغلابى ، عن خالد بن الحارث .

ورواه أحمد أيضاً : ٥٩٩٧ ، بنحوه ، عن هرون بن معروف المروزى ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد ، عن نافع ، عن ابن عمر .

٧٨١٩ - حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة قال ، حدثنا أحمد بن بشير ، عن عمر بن حمزة ، عن سالم ، عن ابن عمر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم العن أبا سفيان ! اللهم العن الحارث بن هشام ! اللهم العن صفوان ابن أمية ، فنزلت : « ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .[1]

وهو متابعة صحيحة لرواية ابن عجلان عن نافع ، التى استغربها الترمذى - فكانت غير غريبة ، بهذه المتابعة الصحيحة .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٣٨ ، من رواية المسند : ٥٨١٢ .

وأشار إليه الحافظ فى الفتح ٨ : ١٧٠ ، من روايتى أحمد والترمذى .

وذكره السيوطى ٢ : ٧١ ، ونسبه للترمذى ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، فقط .

وانظر الحديث التالى لهذا .

(١) الحديث : ٧٨١٩ - أحمد بن بشير ، أبو بكر الكوفى ، مولى عمرو بن حريث المخزومى : ثقة ، أخرج له البخارى فى صحيحه ، وترجمه هو وابن أبى حاتم ، فلم يذكرا فيه جرحاً . ومن نقل فيه جرحاً عن ابن معين فقد وهم . ذاك « أحمد بن بشير » آخر ، كما بينه الخطيب فى تاريخ بغداد ٤ : ٤٦ - ٤٨ .

ووقع فى المطبوعة هنا اسم أبيه « سفيان » ، وفى المخطوطة « سنين » - وكلاهما خطأ ، ليس فى الرواة من يسمى بهذا أو بذاك ، إلا راوياً اسمه « أحمد بن سفيان أبو سفيان النسائى » . وهو متأخر عن هذه الطبقة . وأثبتنا الصواب عن ذلك ، وعن رواية الترمذى هذا الحديث بهذا الإسناد ، كما سيأتى .

عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : رجحنا توثيقه فى شرح المسند : ٥٦٣٨ ، بأنه أخرج له مسلم فى صحيحه ، ويقول الحاكم : « أحاديثه كلها مستقيمة » . وهو يروى هنا عن عمه « سالم بن عبد الله بن عمر » ، عن جده « عبد الله بن عمر » .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٥٦٧٤ ، عن أبى النضر ، عن أبى عقيل عبد الله بن عقيل ، عن عمر بن حمزة ، به . وزاد فى آخره بعد نزول الآية : « قال : فتيب عليهم » .

ورواه الترمذى ٤ : ٨٣ ، عن أبى السائب سلم بن جنادة بن سلم الكوفى - شيخ الطبرى هنا - بهذا الإسناد . وزاد فى آخره : « فتاب عليهم ، فأسلموا فحسن إسلامهم » .

وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب ، يستغرب من حديث عمر بن حمزة عن سالم . وكذا رواه الزهرى ، عن سالم ، عن أبيه » .

ورواية الزهرى عن سالم - التى أشار إليها الترمذى - رواها أحمد فى المسند : ٦٣٤٩ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن أبيه .

وكذا رواها أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ ص : ٨٩ ، من طريق عبد الرزاق ، به . ورواه أيضاً ابن المبارك عن معمر .

٧٨٢٠ — حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا محمد بن إسحق ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، عن عبد الله بن كعب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر ، فلما رفع رأسه من الركعة الثانية قال : اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة ، وسلمة بن هشام ، والوليد بن الوليد ! اللهم أنج المستضعفين من المسلمين ! اللهم اشدد وطأتك على مُضَر ! اللهم سنين كسنين آل يوسف ! فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم » الآية . (١)

فرواه أحمد في المسند : ٦٣٥٠ ، عن علي بن إسحق ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن سالم ، عن أبيه .

وكذلك رواه البخاري ٧ / ٢٨١ ، ٨ : ١٧٠ / و١٣ : ٢٦٣ — ٢٦٤ ، من طريق عبد الله بن المبارك .

ورواه البخاري أيضاً ٧ : ٢٨١ ، من رواية ابن المبارك ، عن حنظلة بن أبي سفيان الجمحي ، عن سالم بن عبد الله : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو . . . » ، رواه تبعاً لحديث ابن المبارك عن معمر . فقال الحافظ في الفتح : « والراوي له عن حنظلة ، هو عبد الله بن المبارك » .

ووهم من زعم أنه معلق . وقوله : « سمعت سالم بن عبد الله يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو » ، إلى آخره — : هو مرسل .

وقد ذكره ابن كثير ٢ : ٢٣٨ ، عن رواية المسند : ٥٦٧٤ .

وذكره السيوطي ٢ : ٧١ ، وزاد نسبته للنسائي ، والبيهقي في الدلائل .

(١) الحديث : ٧٨٢٠ — عبد الله بن كعب : هو الحميري المدني ، مولى عثمان بن عفان . وهو ثقة ، أخرج له مسلم في صحيحه ، وترجمه ابن أبي حاتم ٢ / ٢ / ١٤٢ .

وهذا الحديث مرسل ، لأن أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي — تابعي — وقد مضت ترجمته في : ٢٣٥١ . ولم أجد هذا الحديث المرسل في موضع آخر . ومعناه ثابت صحيح في الحديث الآتي عقبه : ٧٨٢١ ، وفي حديث أبي هريرة في المسند : ٧٦٥٦ ، من رواية الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن . عن أبي هريرة . ولكن ليس فيه نزول الآية .

ثم وجدته موصولا من طريق أبي بكر بن عبد الرحمن نفسه :

فرواه البخاري ٢ : ٢٤١ — ٢٤٢ ، في حديث مطول ، عن أبي اليمان ، عن شعيب ، عن الزهري « قال : أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن : أن أبا هريرة ... قالا : وقال أبو هريرة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يرفع رأسه . . . » — إلخ .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٢ : ٢٠٧ ، مقتصراً على القسم الأخير منه ، من أول قوله : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم » — من طريق عثمان بن سعيد الدارمي ، عن أبي اليمان ، بمثل إسناد البخاري ، ثم قال : « رواه البخاري في الصحيح ، عن أبي اليمان » .

٧٨٢١ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب أخبره ، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن : أنهما سمعا أبا هريرة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يفرغ ، فى صلاة الفجر ، من القراءة ويكبر ويرفع رأسه : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد . ثم يقول وهو قائم : اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين ! اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم كسنى يوسف ! اللهم العن لحيان ورِعْلاً وذكوان ، وعُصَيَّةَ عَصَتِ الله ورسوله ! ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزل قوله : « ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .[1]

* * *

---

(١) الحديث : ٧٨٢١ — روى مسلم فى صحيحه ١ : ١٨٧ ، عن أبي الطاهر ، وحرملة بن يحيى — كلاهما عن ابن وهب ، بهذا الإسناد .

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٢ : ١٩٧ ، من طريق بحر بن نصر ، عن ابن وهب ، به . ثم أشار إلى رواية مسلم .

ورواه الطحاوى فى معانى الآثار ١ : ١٤٢ ، عن يونس بن عبد الأعلى — شيخ الطبرى هنا — بهذا الإسناد ؛ ولكنه اختصر آخره ، فلم يذكر قوله : « ثم بلغنا أنه ترك ذلك . . . » .

ورواه أحمد فى المسند : ٧٤٥٨ ، عن أبي كامل ، عن إبرهيم بن سعد ، عن الزهرى ، بهذا الإسناد ، نحوه .

وكذلك رواه البخارى ٨ : ١٧٠ — ١٧١ (فتح) ، عن موسى بن إسمعيل ، عن إبرهيم بن سعد ، به .

وكذلك رواه أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ ، ص : ٨٩ ، من طريق الحسن بن محمد ، عن إبرهيم بن سعد .

وكذلك رواه البيهقى ٢ : ١٩٧ ، من طريق محمد بن عثمان بن خالد ، عن إبرهيم بن سعد .

ونقله ابن كثير ٢ : ٢٣٨ ، عن رواية البخارى ، التى أشرنا إليها آنفاً .

وذكره السيوطى ٢ : ٧١ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ولم يفرق بين روايتى إبرهيم ابن سعد ويونس ، والفرق بينهما واضح — فنسبه بنحو رواية يونس — للبخارى والنحاس ، وهما لم يروياه بهذا اللفظ .

ووجدته أيضاً مرسلا ، مثل رواية الطبرى هنا :

فرواه الطحاوى فى معانى الآثار ١ : ١٤٢ ، من طريق سلمة بن رجاء ، عن محمد بن إسحق ، بمثل إسناد الطبرى هنا . وزاد فى آخره بعد الآية : « قال : فما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعاء على أحد » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ليس لك، يا محمد، من الأمر شىء ، ولله جميع ما بين أقطار السموات والأرض من مشرق الشمس إلى مغربها ، دونك ودونهم ، يحكم فيهم بما يشاء ، ويقضى فيهم ما أحب ، فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمرَه ونهيه ، ثم يغفر له ، ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه ، وهو الغفور الذى يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضله عليهم بالعفو والصفح ، والرحيم بهم فى تركه عقوبتهم عاجلاً على عظيم ما يأتون من المآثم ، كما : —

٧٨٢٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله غفور رحيم » ، أى يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم . (١)

* * *

وقد قال الحافظ فى الفتح ٧ : ٢٨٢ ، فى شرح حديث ابن عمر ، الذى أشرنا إليه فى شرح : ٧٨١٩ — قال : « ووقع فى رواية يونس ، عن الزهرى ، عن سعيد وأبى سلمة ، عن أبى هريرة ، نحو حديث ابن عمر ، لكن فيه : اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية ، قال : ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت : (ليس لك من الأمر شىء) . قلت [القائل ابن حجر] . وهذا إن كان محفوظاً احتمل أن يكون نزول الآية تراخى عن قصة أحد . لأن قصة رعل وذكوان كانت بعدها ، كما سيأتى تلو هذه الغزوة ، وفيه بعد . والصواب : أنها نزلت فى شأن الذين دعا عليهم بسبب قصة أحد . والله أعلم . ويؤيد ذلك ظاهر قوله فى صدر الآية (ليقطع طرفاً من الذين كفروا) أى يقتلهم ، (أو يكبتهم) أى يخزيهم ، ثم قال : (أو يتوب عليهم) أى فيسلموا ، (أو يعذبهم) أى إن ماتوا كفاراً » .

وهذا تحقيق نفيس جيد من الطراز العالى .

(١) الأثر : ٧٨٢٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، وهو تابع الآثار التى آخرها رقم : ٧٨٠٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٣٠) ٥٩/٤

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، لا تأكلوا الربا فى إسلامكم بعد إذ هداكم له ، كما كنتم تأكلونه فى جاهليتكم .

* * *

وكان أكلهم ذلك فى جاهليتهم : أنّ الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال إلى أجل ، فإذا حلّ الأجل طلبه من صاحبه ، فيقول له الذى عليه المال : أخِّر عنى دينْك وأزيدك على مالك . فيفعلان ذلك . فذلك هو « الربا أضعافاً مضاعفة » ، فنهاهم الله عز وجل فى إسلامهم عنه ، كما : —

٧٨٢٣ — حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : كانت ثقيف تدّاين فى بنى المغيرة فى الجاهلية ، فإذا حلّ الأجل قالوا : نزيدكم وتؤخِّرون ؟ فنزلت : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » .

٧٨٢٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : « يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » ، أى : لا تأكلوا فى الإسلام إذ هداكم الله له ، [1] ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ، مما لا يحل لكم فى دينكم.[2]

٧٨٢٥ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عزوجلّ : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » ، قال : ربا الجاهلية .

٧٨٢٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا بن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول

---

(١) فى سيرة ابن هشام : « هداكم الله به » .

(٢) الأثر : ٧٨٢٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧٨٢٢ .

فى قوله : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » ، قال : كان أبى يقول : إنما كان الربا فى الجاهلية فى التضعيف وفى السن .[١] يكون للرجل فضل دين ، فيأتيه إذا حل الأجل فيقول له : تقضينى أو تزيدنى ؟[٢] فإن كان عنده شىء يقضيه قضى ، وإلاّ حوّله إلى السن التى فوق ذلك = إن كانت ابنة مخاض يجعلها ابنة لبون فى السنة الثانية ، ثم حِقَّة ، ثم جَذَعة ، ثم رباعياً ،[٣] ثم هكذا إلى فوق = وفى العين يأتيه ،[٤] فإن لم يكن عنده أضعفه فى العام القابل ، فإن لم يكن عنده أضعفه أيضاً ، فتكون مئة فيجعلها إلى قابل مئتين . فإن لم يكن عنده جعلها أربعمئة ، يضعفها له كل سنة أو يقضيه . قال : فهذا قوله : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » .

* * *

وأما قوله : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، فإنه يعنى : واتقوا الله أيها المؤمنون ، فى أمر الربا فلا تأكلوه ، وفى غيره مما أمركم به أو نهاكم عنه ، وأطيعوه فيه = « لعلكم تفلحون » ، يقول : لتنجحوا فتنجوا من عقابه ، وتدركوا ما رغَّبكم فيه من ثوابه والخلود فى جنانه ، كما :-

٧٨٢٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة عن ابن إسحق : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، أى : فأطيعوا الله لعلكم أن تنجوا مما حذركم من عذابه ، وتدركوا ما رغبكم فيه من ثوابه .[٥]

* * *

---

(١) السن : العمر . يريد بها أسنان الأنعام ، كما سيتبين لك من بقية الأثر .

(٢) فى المخطوطة : « تقضى أو تزدنى » .

(٣) « المخاض » : النوق الحوامل . و « ابن المخاض » و « ابنة المخاض » ، ما دخل فى السنة الثانية ، لأن أمه لحقت بالمخاض ، أى الحوامل . « واللبون » : الناقة ذات اللبن . و « ابن اللبون » و « ابنة لبون » ، ما أتى عليه سنتان ، ودخل فى السنة الثالثة . فصارت أمه لبوناً ، أى ذات لبن . و « الحق » و « الحقة » البعير إذا استكمل السنة الثالثة ودخل فى الرابعة . « والجذع » و « الجذعة » ما استكمل أربعة أعوام ودخل فى الخامسة . فإذا طعن البعير فى السادسة فهو « ثنى » ، وقد سقط هذا من الأسنان التى يذكرها . أما « الرباع » للذكر ، و « الرباعية » للأنثى ، فهو الذى دخل فى السابعة .

(٤) العين : المال . من ذهب وفضة وأشباهها .

(٥) الأثر : ٧٨٢٧ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، وهو تابع الآثار التى آخرها : ٧٨٢٤ ، وفى السيرة « لعلكم تنجون . . . وتدركون » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (١٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين : واتقوا ، أيها المؤمنين ، النارَ أن تصلوْها بأكلكم الربا بعد نهيى إياكم عنه = التى أعددتها لمن كفر بى ، فتدخلوا مَدْخَلَهم بعد إيمانكم بى ،[1] بخلافكم أمري ، وترككم طاعتى ، كما :–

٧٨٢٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « واتقوا النار التى أعدت للكافرين » ، التى جعلت دارًا لمن كفر بى .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٣٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وأطيعوا الله ، أيها المؤمنون ، فيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الأشياء ، وفيما أمركم به الرسول . يقول : وأطيعوا الرسول أيضاً كذلك = « لعلكم ترحمون » ، يقول : لترحموا فلا تعذبوا .

* * *

وقد قيل إن ذلك معاتبة من الله عز وجل أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خالفوا أمرَه يوم أحد ، فأخلُّوا بمراكزهم التى أمروا بالثبات عليها .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٢٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وأطيعوا

---

(١) فى المطبوعة : « مداخلهم » بالجمع ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ٧٨٢٨ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ تابع الآثار التى آخرها : ٧٨٢٧ .

الله والرسول لعلكم ترحمون » ، معاتبة للذين عصوْا رسوله حين أمرهم بالذى أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره – يعنى : فى يوم أحُد .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وسارعوا » ، وبادروا وسابقوا[٢] = « إلى مغفرة من ربكم » ، يعنى : إلى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمته ، وما يغطيها عليكم من عفوه عن عقوبتكم عليها = « وجنة عرضها السموات والأرض » ، يعنى : وسارعوا أيضاً إلى جنة عرضها السموات والأرض .

٦٠/٤

* * *

ذكر أن معنى ذلك : وجنة عرضها كعرض السموات السبع والأرضين السبع ، إذا ضم بعضها إلى بعض .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٣٠ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وجنة عرضها السموات والأرض » ، قال : قال ابن عباس : تُقرن السموات السبع والأرضون السبع ، كما تُقرن الثياب بعضها إلى بعض ، فذاك عرض الجنة .

* * *

وإنما قيل : « وجنة عرضها السموات والأرض » ، فوصف عرضها بالسموات والأرضين ، والمعنى ما وصفنا : من وصف عرضها بعرض السموات والأرض ،

---

(١) الأثر : ٧٨٢٩ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، تابع الآثار التى آخرها : ٧٨٢٨ .

(٢) انظر تفسير « سارع » فيما سلف ٧ : ١٣٠

تشبيهاً به فى السعة والعظم ، كما قيل : ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [سورة لقمان : ٢٨] ، يعنى : إلا كبعث نفس واحدة ، وكما قال الشاعر : (١)

كَأَنَّ عَذِيرَهُمْ بِجَنُوبِ سِلَّى نَعَامٌ قَاقَ فِي بَلَدٍ قِفَارِ (٢)

أى : عذيرُ نعام ، وكما قال الآخر : (٣)

حَسِبتَ بُغامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا ! وَمَا هِى، وَيْبَ غَيْرِكَ، بالعَنَاقِ (٤)

يريد : صوت عناق .

* * *

قال أبو جعفر : وقد ذكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له :

---

(١) هو شقيق بن جزء بن رياح الباهلى ، وينسب لأعشى باهلة ، وللنابغة خطأ .

(٢) الكامل ٢ : ١٩٦ ، معجم البلدان (سلى) ، واللسان (فوق) (سلل) ، وكان شقيق بن جزء قد أغار على بنى ضبة بروضة سلى وروضة ساجر ، وهما روضتان لعكل — وضبة وعدى وعكل وتيم حلفاء متجاورون — فهزمهم ، وأفلت عوف بن ضرار ، وحكيم بن قبيصة بن ضرار بعد أن جرح ، وقتلوا عبيدة بن قضيب الضبى ، فقال شقيق :

لَقَدْ قَرَّتْ بِهِمْ عَيْنِي بِسِلَّى وَرَوْضَةِ سَاجِرٍ ذَاتِ القَرَارِ

جَزَيْتُ المُلْجِئِينَ بِمَا أَزَلَّتْ مِنَ البُؤْسَى رِمَاحُ بنى ضِرَارِ

وَأَفْلَتَ من أَسِنَّتِنَا حَكِيمٌ جَرِيضًا مِثْلَ إِفْلاتِ الحِمَارِ

كَأَنَّ عَذِيرَهُمْ . . . .

وفى المعجم « ذات العرار » ، والصواب ما أثبت . والقرار : المكان المنخفض المطمئن يستقر فيه الماء ، فتكون عندها الرياض ، ومنه قوله تعالى : « وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » . والملجىء الذى قد تحصن بملجأ واعتصم . وأزل إليه زلة : أى أنعم إليه واصطنع عنده صنيعة ، وإنما أراد : ما قدم من السوء ، سخرية منهم . يقول : جزيتهم هؤلاء المعتصمين بأسوأ ما صنعوا . وقوله : « جريضاً » ، أى أفلت وقد كاد يقضى ويهلك . والعذير : الحال . يقول كأن حالهم حال نعام فى أرض قفر يصوت مذعوراً ، هزموا وتصايحوا . والقفار جمع قفر ، يقال : « أرض قفر وأرض قفار » ، يوصف بالجمع .

(٣) هو ذو الخرق الطهوى .

(٤) سلف تخريجه وشرحه فى ٣ : ١٠٣ .

هذه الجنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ فقال : هذا النهار إذا جاء ، أين الليل .

* ذكر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره .

٧٨٣١ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني مسلم بن خالد ، عن ابن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد ، عن يعلى بن مرة قال : لقيت التنوخيّ رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص ، شيخاً كبيراً قد فُنِّد.[١] قال : قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل ، فناول الصحيفة رجلا عن يساره . قال قلت : من صاحبكم الذي يقرأ ؟ قالوا : معاوية . فإذا كتاب صاحبي : « إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، [٢] فأين النار ؟ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله ! فأين الليل إذا جاء النهار ؟[٣]

---

(١) في المطبوعة : « قد أقعد » . وهو خطأ لاشك فيه ، وفي تفسير ابن كثير ٢ : ٢٤٠ « قد فسد » ، وهو خطأ أيضاً ، ولكنه رجح عندي أن نص الطبري هنا قد « فند » (بضم الفاء وتشديد النون المكسورة مبنياً للمجهول) بمعنى : قد نسب إلى الفند (بفتحتين) وهو العجز ، والخرف وإنكار العقل من الهرم والمرض ، ولم يرد ذلك إنما أراد الكبر والهرم إلى أقصى العمر . وأهل اللغة يقولون في ذلك « أفند » (بالبناء للمعلوم) ، وأفنده الكبر : إذا أوقعه في الفند ، وأما رواية أحمد في المسند ، فنصها : « شيخاً كبيراً قد بلغ الفند أو قرب » .

(٢) في المطبوعة : « فإذا هو أنك كتبت تدعوني » ، وهو محاولة تصحيح لما في المخطوطة ، وكان فيها : « فإذا كان كتبت تدعوني » ، والصواب الذي أثبته من ابن كثير في تفسيره ٢ : ٢٤١ ، ومثله في خبر أحمد في مسنده .

(٣) الحديث : ٧٨٣١ — « مسلم بن خالد » : هو الزنجي المكي الفقيه ، شيخ الإمام الشافعي . وهو في نفسه صدوق ، ولكنه يخطىء كثيراً في روايته ، حتى قال البخاري : « منكر الحديث » ولذلك رجحنا تضعيفه في المسند : ٦١٣ .

ابن خثيم — بضم الخاء المعجمة ثم فتح الثاء المثلثة : هو عبد الله بن عثمان بن خثيم ، مضت ترجمته في : ٤٣٤١ .

سعيد بن أبي راشد : في التهذيب ٤ : ٢٦ ويقال : ابن راشد . روى عن يعلى بن مرة الثقفي ، وعن التنوخي النصراني رسول قيصر ، ويقال : رسول هرقل . وعنه عبد الله بن عثمان بن خثيم . ذكره ابن حبان في الثقات ، قلت : وفي الرواة سعيد بن أبي راشد ، أو ابن راشد — آخر » .

٧٨٣٢ــ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ،

ثم نقل طابع التهذيب هامشة عن الأصل الذى يطبع عنه . وجعل رقمها عند قوله « النصرانى » — وهذا نصها : « قال شيخنا : أسلم متأخراً ، عن هذا يقال له أبو محمد المازنى ، السماك ، مذكور فى كتاب الضعفاء . نبهت عليه » ! !

وهذا تخطيط عجيب من الطابع . فالهامشة أصلها هامشتان يقيناً ، كل منهما فى موضع ، كما هو بديهى .

فإن قوله : «أسلم متأخراً » هو المناسب لقوله « النصرانى » . وأما ما بعده ، فإنه يريد به أن « سعيد ابن راشد » أو « ابن أبى راشد » متأخر عن المترجم الذى يروى عن رسول قيصر ، وأن هذا المتأخر هو الذى كنيته « أبو محمد المازنى السماك » . وهو مترجم فى الكبير للبخارى ٢/١/٤٣١ ، وقال فيه : « منكر الحديث » . وترجمه ابن أبى حاتم ٤/١/١٩ — ٢٠ برقم : ٨٠ ، وترجم قبله ، برقم : ٧٩ « سعيد بن أبى راشد » وأنه صحابى ، وترجم بعدهما برقم : ٨١ « سعيد بن راشد المرادى » — وهو متأخر عن هذين .

وترجم الحافظ فى الإصابة ٣ : ٩٦ للصحابى ، ثم قال فى آخر الترجمة : « وأما سعيد بن أبى راشد شيخ عبد الله بن عثمان بن خثيم ، روى عنه عن رسول قيصر حديثاً = فأظنه غير هذا » .

وترجم الذهبى فى الميزان ١ : ٣٧٩ ثلاث تراجم ، فرق بينها ، وبين ضعف « سعيد بن راشد المازنى السماك » . وكذلك صنع الحافظ فى لسان الميزان ٣ : ٢٧ — ٢٨ .

و « سعيد بن راشد السماك » الضعيف : ترجمه ابن حبان فى المجروحين ، برقم : ٣٩٨ ، وأساء القول فيه .

والراجح عندى أن « سعيد بن أبى راشد » الذى هنا = هو الصحابى . وأنه روى هذا عن التنوخى رسول هرقل .

يعلى بن مرة : هو الثقفى الصحابى المعروف . وعندى أن ذكره فى هذا الإسناد مقحم خطأ ، كما سيأتى .

التنوخى رسول هرقل : لم أجد له ترجمة ، إلا ذكره بهذا الوصف وأنه روى عنه سعيد بن أبى راشد ، كما ذكره الحافظ فى التعجيل ، ص : ٥٣٥ . وإلا الكلمة التى نقلها طابع التهذيب عن هامش أصله بأنه أسلم متأخراً . فهو بهذا لا يعتبر من الصحابة ، لأنه حين لقى النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن مسلماً ، وإنما أسلم بعده . ولا يعتبر من الصحابة إلا من رأى النبى صلى الله عليه وسلم وكان مسلماً حين الرؤية . أما من رآه وكان كافراً حين الرؤية ثم أسلم بعد موته صلى الله عليه وسلم — كالتنوخى هذا — فلا صحبة له. انظر تدريب الراوى ، ص : ٢٠٢ .

ولكن روايته تكون صحيحة مقبولة ، لأنه كان مسلماً حين الأداء ، أعنى التبليغ والتحديث ، وإن كان كافراً حين التحمل ، أعنى الرؤية وسماع ما يرويه . وانظر أيضاً تدريب الراوى ، ص : ١٢٨ .

وهذا الحديث طرف من حديث طويل فى قصة ، رواه الإمام أحمد فى المسند : ١٥٧١٩ (ج ٣ ص ٤٤١ — ٤٤٢ حلبى) ، عن إسحق بن عيسى — وهو الطباع — عن يحيى بن سليم ، وهو الطائفى ، « عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبى راشد ، قال : رأيت التنوخى رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بحمص ، وكان جاراً لى ، شيخاً كبيراً ، قد بلغ الفند أو قرب . . . » — إلى آخر القصة .

حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب : أنّ ناساً من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن « جنة عرضها السموات والأرض » ، أين النار ؟ قال : أرأيتم إذا جاء الليل ، أن يكون النهار ؟ فقالوا : اللهم نَزَعْتَ بمثله من التوراة ! (١)

٧٨٣٣ — حدثني محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب : أن عمر أتاه ثلاثة نفر من أهل نجران ، فسألوه وعنده أصحابه فقالوا : أرأيت قوله : « وجنة عرضها السموات والأرض » ، فأين النار ؟ فأحجم الناس ، فقال عمر : أرأيتم إذا جاء الليل ، أين يكون النهار ؟ وإذا جاء النهار ، أين يكون الليل ؟ فقالوا : نزعت مثلها من التوراة .

٧٨٣٤ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، أخبرنا شعبة ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن طارق بن شهاب ، عن عمر بنحوه ، في الثلاثة الرّهط الذين أتوا عمر فسألوه : عن جنة عرضها كعرض السموات والأرض ، بمثل حديث قيس بن مسلم .

وقد نقله الحافظ ابن كثير فى التاريخ ٥ : ١٥ — ١٦ ، عن المسند — بطوله — وبإسناده ، ثم قال : « هذا حديث غريب ، وإسناده لا بأس به . تفرد به أحمد » .

وأشار إليه فى التفسير ٢ : ٢٤٠ ، إشارة موجزة .

وقد وقع فى نسختى المسند — المطبوعة والمخطوطة : « يحيى بن سليمان » ، بدل « يحيى بن سليم » . وهو خطأ من الناسخين . وثبت على الصواب فى تاريخ ابن كثير .

فهذه رواية يحيى بن سليم الطائفى عن ابن خثيم — فيها أن سعيد بن أبى راشد هو الذى لقى التنوخى وسمع منه هذا الحديث .

ويحيى بن سليم : سبق توثيقه فى : ٤٨٩٤ . وقد تكلم فيه بعضهم من قبل حفظه ، ومهما يقل فى حفظه فلا نشك أنه كان أحفظ من مسلم بن خالد الزنجى الضعيف ، وخاصة فى حديث ابن خثيم ، فقد شهد أحمد ليحيى بن سليم بأنه « كان قد أتقن حديث ابن خثيم » .

فعن ذلك قطعنا بأن زيادة « عن يعلى بن مرة » — فى إسناد الطبرى هذا — خطأ ووهم . والراجح أن الخطأ من مسلم بن خالد .

ورواية الطبرى — هذه — ذكرها ابن كثير فى التفسير ٢ : ٢٤٠ — ٢٤١ ، والسيوطى ٢ : ٧١ ، ولم ينسبها لغيره .

(١) فى المطبوعة : « مثله من التوراة » ، وفى المخطوطة « فمثله » ، وصواب قراءتها ما أثبت . يقال : « انتزع معنى جيداً ونزعه » ، أى استخرجه واستنبطه .

٧٨٣٥ — حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا جعفر بن عون قال، أخبرنا الأعمش، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال: تقولون: «جنة عرضها السموات والأرض»، أين تكون النار؟ فقال له عمر: أرأيت النهار إذا جاء أين يكون الليل؟ أرأيت الليل إذا جاء، أين يكون النهار؟ فقال: إنه لمثلها فى التوراة، فقال له صاحبه: لم أخبرته؟ فقال له صاحبه: دعه، إنه بكلٍّ موقنٌ.

٧٨٣٦ — حدثنى أحمد بن حازم قال، أخبرنا أبو نعيم قال، حدثنا جعفر بن برقان قال، حدثنا يزيد بن الأصم: أن رجلا من أهل الكتاب أتى ابن عباس فقال: تقولون: «جنة عرضها السموات والأرض»، فأين النار؟ فقال ابن عباس: أرأيت الليل إذا جاء، أين يكون النهار؟ وإذا جاء النهار، أين يكون الليل؟ [1]

* * *

(١) الحديث: ٧٨٣٦ — جعفر بن برقان — بضم الباء الموحدة وسكون الراء — الكلابى الجزرى: ثقة صدوق، وثقه ابن معين، وابن نمير، وغيرهما.

يزيد بن الأصم بن عبيد البكائى: تابعى ثقة، أمه برزة بنت الحارث، أخت ميمونة أم المؤمنين. وعبد الله بن عباس هو ابن خالته.

ووقع فى المطبوعة هنا «يزيد الأصم»، وهو خطأ. «الأصم» لقب أبيه، وليس لقبه.

وهذا الحديث رواه يزيد بن الأصم عن ابن خالته ابن عباس، موقوفاً عليه من كلامه. والإسناد إليه صحيح.

وقد رواه أيضاً يزيد، عن أبى هريرة، مرفوعاً، قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، أرأيت جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: أرأيت هذا الليل قد كان ثم ليس شىء، أين جعل؟ قال: الله أعلم، قال: فإن الله يفعل ما يشاء». رواه ابن حبان فى صحيحه، رقم: ١٠٣ بتحقيقنا، والحاكم فى المستدرك ١: ٣٦ — من حديث يزيد ابن الأصم عن أبى هريرة. وقال الحاكم: «حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولا أعلم له علة»، ووافقه الذهبى.

وكذلك رواه البزار من حديثه. نقله عنه ابن كثير ٢: ٢٤١، بنحوه.

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦: ٣٢٧، وقال: «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح».

وذكره السيوطى ٢: ٧١، ونسبه للبزار والحاكم فقط.

وأما الموقوف على ابن عباس، فقد نقله ابن كثير ٢: ٢٤١، عن هذا الموضع من الطبرى. وذكره السيوطى ٢: ٧١، ونسبه إليه وإلى عبد بن حميد.

قال أبو جعفر : وأما قوله : « أعدت للمتقين » فإنه يعنى : أنّ الجنة التى عرضها كعرض السموات والأرضين السبع ، أعدها الله للمتقين ، الذين اتقوا الله فأطاعوه فيما أمرهم ونهاهم ، فلم يتعدوا حدوده ، ولم يقصِّروا فى واجب حقه عليهم فيضيِّعوه ، كما :—

٦١/٤

٧٨٣٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » ، أى : داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « الذين ينفقون فى السراء والضراء » ، أعدت الجنة التى عرضها السموات والأرض للمتقين ، وهم المنفقون أموالهم فى سبيل الله ، إما فى صرفه على محتاج ، وإما فى تقوية مُضعِف على النهوض لجهاده فى سبيل الله .[2]

* * *

وأما فى قوله : « فى السراء » ، فإنه يعنى : فى حال السرور ، بكثرة المال ورخاء العيش .

* * *

---

(١) الأثر : ٧٨٣٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، وهو من تمام الآثار التى آخرها : ٧٨٢٩ . وكان فى المطبوعة : « أى ذلك لمن أطاعنى » ، وهو إن كان مستقيما على وجه ، إلا أن نص ابن هشام أشد استقامة على منهاج المعنى فى الآية ، فأثبت نص ابن هشام . هذا مع قرب التصحيف فى « داراً » إلى « ذلك » . فمن أجل هذا رجحت ما فى سيرة ابن هشام .

(٢) فى المطبوعة : « للجهاد » ، بلامين ، وأثبت ما فى المخطوطة . والمضعف : الذى قد ضعفت دابته .

« والسراء » مصدر من قولهم : « سرنى هذا الأمر مسرَّة وسروراً »

* * *

« والضراء » مصدر من قولهم : « قد ضُرَّ فلان فهو يُضَرّ » ، إذا أصابه الضُّر ، وذلك إذا أصابه الضيق ، والجهد فى عيشه . [1]

* * *

٧٨٣٨ — حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « الذين ينفقون فى السراء والضراء » ، يقول : فى العسر واليسر .

* * *

فأخبر جل ثناؤه أن الجنة التى وصف صفتها ، لمن اتقاه وأنفق ماله فى حال الرخاء والسعة ، [2] وفى حال الضيق والشدة ، فى سبيله .

* * *

وقوله : « والكاظمين الغيظ » ، يعنى : والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه .

* * *

يقال منه : « كظم فلان غيظه » ، إذ تجرَّعه ، فحفظ نفسه من أن تمضى ما هى قادرةٌ على إمضائه ، باستمكانها ممن غاظها ، وانتصارها ممن ظلمها . وأصل ذلك من « كظم القربة » ، يقال منه : « كظمتُ القربة » ، إذا ملأتَها ماء . و « فلان كظيمٌ ومكظومٌ » ، إذا كان ممتلئاً غمًّا وحزناً . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [سورة يوسف ٨٤] ، يعنى : ممتلئ من الحزن . ومنه قيل لمجارى المياه : « الكظائم » ، لامتلائها بالماء . ومنه قيل : « أخذت بكَظَمِه » يعنى : بمجارى نفسه .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الضراء » فيما سلف ٣ : ٣٥٠ — ٣٥٢ .

(٢) فى المخطوطة : « فى حال الرضا » ، وكأنها صواب أيضاً .

و« الغيظ » مصدر من قول القائل : « غاظنى فلان فهو يغيظنى غيظاً » ، وذلك إذا أحفظه وأغضبه .

* * *

وأما قوله : « والعافين عن الناس » ، فإنه يعنى : والصافحين عن الناس عقوبةَ ذنوبهم إليهم وهم على الانتقام منهم قادرون ، فتاركوها لهم .

* * *

وأما قوله : « والله يحب المحسنين » ، فإنه يعنى : فإن الله يحب من عمل بهذه الأمور التى وصف أنه أعدَّ للعاملين بها الجنة التى عرضُها السموات والأرض ، والعاملون بها هم « المحسنون » ، وإحسانهم ، هو عملهم بها ، كما : —

٧٨٣٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « الذين ينفقون فى السراء والضراء » الآية ، « والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، أى : وذلك الإحسان ، وأنا أحب من عمل به . (١)

٧٨٤٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، قوم أنفقوا فى العسر واليسر ، والجهد والرخاء ، فمن استطاع أن يغلب الشر بالخير فليفعل ، ولا قوة إلا بالله . فنِعْمت ، والله يا ابن آدم ، الجرعة تجترعها من صبر وأنت مغيظ ، وأنت مظلومٌ .

٧٨٤١ — حدثنى موسى بن عبد الرحمن قال ، حدثنا محمد بن بشر قال ، حدثنا محرز أبو رجاء ، عن الحسن قال : يقال يوم القيامة : ليقم من كان له على الله أجر . فما يقوم إلا إنسان عفا ، ثم قرأ هذه الآية : « والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » . (٢)

---

(١) الأثر : ٧٨٣٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ وهو من تمام الآثار التى آخرها : ٧٨٣٧ .

(٢) الأثر : ٧٨٤١ — « موسى بن عبد الرحمن المسروقى » سلفت ترجمته برقم : ٣٣٤٥ . و « محمد بن بشر بن الفرافصة العبدى » مضت ترجمته أيضاً برقم : ٤٥٥٧ . و « محرز » « أبو رجاء » هو « محرز بن عبد الله الجزرى » ، مولى هشام بن عبد الملك . ذكره ابن حبان فى الثقات وقال : « كان يدلس عن مكحول » .

٧٨٤٢ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل ، عن عم له ، عن أبي هريرة في قوله : « والكاظمين الغيظ » : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ، ملأه الله أمناً وإيماناً . (١)

٧٨٤٣ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: « والكاظمين الغيظ » إلى « والله يحب المحسنين » ، فـ« الكاظمين الغيظ » كقوله : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾

---

(١) الحديث : ٧٨٤٢ – داود بن قيس الفراء : سبق توثيقه في : ٥٣٩٨ .

زيد بن أسلم : تابعي ثقة معروف ، مضى في ٥٤٦٥ .

وأما عبد الجليل ، الذي ذكر غير منسوب ، إلا بأنه من أهل الشام – : فإنه مجهول . وعمه أشد جهالة منه .

وقد ذكره الذهبي في الميزان ، والحافظ في اللسان ، في ترجمة « عبد الجليل » ، وقالا : « قال البخاري : لا يتابع عليه » .

وترجمه ابن أبي حاتم ٣٣/١/٣ ، وقال : « روى عنه داود بن قيس . وقال بعضهم : عن داود ابن قيس ، عن زيد بن أسلم » . أي كمثل رواية الطبري هنا .

وهذا الإسناد ضعيف ، لجهالة اثنين من رواته .

وقد نقله ابن كثير ٢ : ٢٤٤ ، عن عبد الرزاق ، به .

ونقله السيوطي ٢ : ٧١ – ٧٢ ، ونسبه لعبد الرزاق ، والطبري وابن المنذر .

وذكره في الجامع الصغير : ٨٩٩٧ ، ونسبه لابن أبي الدنيا في ذم الغضب ؛ ولم ينسبه لغيره ، فكان عجباً ! !

وفي معناه حديثان ، رواهما أبو داود : ٤٧٧٧ ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه . و : ٤٧٧٨ ، عن سويد بن وهب ، عن رجل من أبناء الصحابة ، عن أبيه .

وقد روى أحمد في المسند : ٦١١٤ ، عن علي بن عاصم ، عن يونس بن عبيد ، أخبرنا الحسن ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ ، يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى » .

وهذا إسناد صحيح .

ونقله ابن كثير ٢ : ٢٤٤ ، من تفسير ابن مردويه . من طريق علي بن عاصم ، عن يونس بن عبيد ، به . ثم قال : « رواه ابن جرير . وكذا رواه ابن ماجة ، عن بشر بن عمر ، عن حماد بن سلمة ، عن يونس بن عبيد ، به » .

فنسبه ابن كثير – في هذا الموضع – لرواية الطبري . ولم يقع إلينا فيه في هذا الموضع . فلا ندري : أرواه ابن جرير في موضع آخر ، أم سقط هنا سهواً من الناسخين ؟ فلذلك أثبتناه في الشرح احتياطاً .

[سورة الشورى : ٣٧] ، يغضبون فى الأمر لو وقعوا به كان حراماً، فيغفرون ويعفون، يلتمسون بذلك وجه الله = « والعافين عن الناس » كقوله : ﴿ولاَ يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ﴾ إلى ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾ [سورة النور : ٢٢] ، يقول : لا تقسموا على أن لا تعطوهم من النفقة شيئاً ، واعفوا واصفحوا .

٦٢/٤

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « والذين إذا فعلوا فاحشة » ، أن الجنة التى وصف صفتها أعدت للمتقين ، المنفقين فى السراء والضراء ، والذين إذا فعلوا فاحشة . وجميع هذه النعوت من صفة « المتقين » ، الذين قال تعالى ذكره : « وجنة عرضُها السموات والأرض أعدت للمتقين » ، كما : —

٧٨٤٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا جعفر ابن سليمان ، عن ثابت البنانى قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية : « الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، ثم قرأ : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » إلى « أجر العاملين » ، فقال : إن هذين النعتين لنعت رجل واحد .

٧٨٤٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم » ، قال : هذان ذنبان ، « الفاحشة » ، ذنب ، « وظلموا أنفسهم » ذنب .

* * *

أما « الفاحشة » ، فهى صفة لمتروك ، ومعنى الكلام : والذين إذا فعلوا فعلة فاحشة .

* * *

ومعنى « الفاحشة » ، الفعلة القبيحة الخارجة عما أذِن الله عز وجل فيه . وأصل « الفحش » : القبح ، والخروج عن الحد والمقدار فى كل شىء . ومنه قيل للطويل المفرط الطول : « إنه لفاحش الطول » ، يراد به : قبيح الطول ، خارج عن المقدار المستحسن . ومنه قيل للكلام القبيح غير القصد : « كلام فاحش » ، وقيل للمتكلم به : « أفحش فى كلامه » ، إذا نطق بفُحش .[1]

* * *

وقيل : إن « الفاحشة » فى هذا الموضع ، معنىّ بها الزنا .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٤٦ — حدثنا العباس بن عبد العظيم قال ، حدثنا حبان قال ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن جابر : « والذين إذا فعلوا فاحشة » ، قال : زنى القوم وربّ الكعبة .

٧٨٤٧ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والذين إذا فعلوا فاحشة » ، أما « الفاحشة » ، فالزنا .

* * *

وقوله : « أو ظلموا أنفسهم » ، يعنى به : فعلوا بأنفسهم غير الذى كان ينبغى لهم أن يفعلوا بها . والذى فعلوا من ذلك ، ركوبهم من معصية الله ما أوجبوا لها به عقوبته ، كما : —

٧٨٤٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قوله : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم » ، قال : الظلم من الفاحشة ، والفاحشة من الظلم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الفحشاء » فيما سلف ٣ : ٣٠٣/٤ : ٥٧١ .

وقوله : « ذكروا الله »، يعنى بذلك : ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم إياه = « فاستغفروا لذنوبهم »، يقول : فسألوا ربهم أن يستُر عليهم ذنوبهم بصفحه لهم عن العقوبة عليها = « ومن يغفر الذنوب إلا الله »، يقول : وهل يغفر الذنوب — أى يعفو عن راكبها فيسترها عليه — إلاّ الله = « ولم يصروا على ما فعلوا»، يقول : ولم يقيموا على ذنوبهم التى أتوها ، ومعصيتهم التى ركبوها = « وهم يعلمون »، يقول : لم يقيموا على ذنوبهم عامدين للمقام عليها ، وهم يعلمون أنّ الله قد تقدم بالنهى عنها ، وأوعد عليها العقوبةَ من ركبها .

* * *

وذكر أن هذه الآية أنزلت خصوصاً بتخفيفها ويسرها أُمَّتَنا، [1] مما كانت بنو إسرائيل ممتحنة به من عظيم البلاء فى ذنوبها .

٧٨٤٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبى رباح : أنهم قالوا : يا نبى الله، بنو إسرائيل أكرم على الله منا ! كانوا إذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة بابه : « اجدع أذنك » ، « اجدع أنفك » ، « افعل » ! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » إلى قوله : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بخير من ذلك » ؟ فقرأ هؤلاء الآيات .

٧٨٥٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى عمر بن أبى خليفة العبدى قال ، حدثنا على بن زيد بن جدعان قال : قال ابن مسعود : كانت

(١) فى المطبوعة : « أمنا » ، مكان « أمتنا » ، أخطأ الناشر الأول قراءتها ، لأنها غير منقوطة فى المخطوطة ، وقوله : « أمتنا » منصوب ، مفعول به لقوله : « خصوصاً » . أى : قد خص الله بتخفيفها ويسرها أمتنا .

بنو إسرائيل إذا أذنبوا أصبح مكتوباً على بابه الذنب وكفارته ، فأعطينا خيراً من ذلك ، هذه الآية . (١)

٦٣/٤

٧٨٥١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت البنانى قال : لما نزلت : « ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه » ، بكى إبليس فزعاً من هذه الآية .

٧٨٥٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت البنانى قال : بلغنى أن إبليس حين نزلت هذه الآية : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم » ، بكى .

٧٨٥٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت عثمان مولى آل أبى عقيل الثقفى قال : سمعت على بن ربيعة يحدِّث ، عن رجل من فزارة يقال له أسماء — و : ابن أسماء — ، عن على قال : كنت إذا سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى [منه] ، فحدثنى أبو بكر — وصدق أبو بكر — عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد — قال شعبة : وأحسبه قال : مسلم — يذنب ذنباً ، ثم يتوضأ ، ثم يصلى ركعتين ، ثم يستغفر الله لذلك الذنب [إلاّ غفر له] = وقال شعبة : وقرأ إحدى هاتين الآيتين : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . (٢)

---

(١) الأثر : ٧٨٥٠ — « عمر بن أبى خليفة العبدى » ، واسم « أبى خليفة » : « حجاج بن عتاب » ، ثقة مات سنة ١٨٩ ، مترجم فى التهذيب ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عمر بن خليفة » وهو خطأ .

(٢) الحديث : ٧٨٥٣ — عثمان مولى آل أبى عقيل الثقفى : هو عثمان بن المغيرة مولى ثقيف . وسيأتى باسم أبيه فى الحديث التالى لهذا . وهو ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين وغيرهما .

على بن ربيعة بن نضلة الوالبى الأسدى : تابعى ثقة ، روى له الشيخان وأصحاب السنن .

أسماء أو ابن أسماء ؛ هكذا شك فيه شعبة . وغيره لم يشك فيه . وهو أسماء بن الحكم الفزارى ، كما سيأتى فى الإسناد التالى لهذا . وهو تابعى ثقة ، وثقه العجلى وغيره . وترجمه ابن أبى حاتم ١/١/٣٢٥ ، فلم يذكر فيه جرحاً .

٧٨٥٤ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى= وحدثنا الفضل بن إسحق قال، حدثنا وكيع= عن مسعر وسفيان، عن عثمان بن المغيرة الثقفى، عن على بن ربيعة الوالبى، عن أسماء بن الحكم الفزارى، عن على بن أبى طالب قال : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعنى الله بما شاء منه، وإذا حدثنى عنه غيره استحلفته، فإذا حلف لى صدّقته. وحدثنى أبو بكر، وصدق أبو بكر، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من رجل يذنب ذنباً، ثم يتوضأ، ثم يصلى= قال أحدهما : ركعتين، وقال الآخر : ثم يصلى= ويستغفر الله، إلا غفر له.(١)

وترجمه البخارى فى الكبير ١/٢/٥٥، وأشار إلى روايته هذا الحديث، ثم قال : « ولم يتابع عليه. وقد روى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعضهم عن بعض، فلم يحلف بعضهم بعضاً ». وهذا لا يقدح فى صحة الحديث، كما قال الحافظ المزى.

والحديث رواه الطيالسى، عن شعبة، بهذا الإسناد. وهو أول حديث فى مسنده المطبوع.
ورواه أحمد فى المسند، برقم : ٤٨، عن محمد بن جعفر، عن شعبة، به.
ورواه أيضاً، برقم : ٤٧، عن عبد الرحمن بن مهدى، عن شعبة.

ورواه أيضاً، برقم : ٥٦، عن أبى كامل، عن أبى عوانة، عن عثمان بن أبى زرعة، عن على ابن ربيعة. و « عثمان بن أبى زرعة » : هو عثمان بن المغيرة الثقفى.

وكذلك رواه الترمذى ١ : ٣١٣ - ٣١٤ (رقم : ٤٠٦ بشرحنا). عن قتيبة، عن أبى عوانة. وكذلك رواه أيضاً فى كتاب التفسير ٤ : ٨٤، بهذا الإسناد.

وقال فى الموضع الأول : « حديث على حديث حسن، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث عثمان بن المغيرة. وروى عنه شعبة وغير واحد، فرفعوه مثل حديث أبى عوانة. ورواه سفيان الثورى ومسعر فأوقفاه، ولم يرفعاه إلى النبى صلى الله عليه وسلم » ! وقال نحو ذلك فى الموضع الثانى.

كأنه يريد تعليل المرفوع بالموقوف. وما هى بعلة.

ولكنه وهم - رحمه الله - وهماً شديداً فيما نسب إلى مسعر وسفيان. وها هى ذى روايتهما عقب هذه الرواية، مرفوعة أيضاً. ولعل له عذراً أن تكون روايتهما وقعت له موقوفة.

(١) الحديث : ٧٨٥٤ - هو تكرار للحديث السابق، ولكنه مختصر قليلا.

والفضل بن إسحق - شيخ الطبرى : لم أعرف من هو ؟ ولم أجد له ترجمة. ولعله محرف عن اسم آخر.

والحديث من هذا الوجه رواه أحمد فى المسند، برقم : ٢، عن وكيع، عن مسعر وسفيان، بهذا الإسناد، مرفوعاً أيضاً. فهو يرد على الترمذى ادعاءه أن سفيان ومسعراً روياه موقوفاً.

وقد نقله ابن كثير ٢ : ٢٤٦، عن رواية المسند هذه. ثم قال : « وهكذا رواه على بن المدينى،

٧٨٥٥ — حدثنا الزبير بن بكار قال ، حدثنى سعد بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أخيه ، عن جده ، عن على بن أبى طالب أنه قال : ما حدثنى أحدٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سألته أن يقسم لى بالله لَهُوَ سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أبا بكر ، فإنه كان لا يكذب . قال على رضى الله عنه : فحدثنى أبو بكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد يذنب ذنباً ، ثم يقوم عند ذكر ذنبه فيتوضأ ، ثم يصلى ركعتين ، ويستغفر الله من ذنبه ذلك ، إلا غفره الله له .(١)

* * *

وأما قوله : « ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » ، فإنه كما بينا تأويله .

وبنحو ذلك كان أهل التأويل يقولون :

٧٨٥٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق : « والذين إذا فعلوا فاحشة » ، أى : إن أتوا فاحشة = « أو ظلموا أنفسهم » بمعصية ،

والحميدى ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، وأهل السنن ، وابن حبان فى صحيحه ، والبزار ، والدارقطنى — من طرق ، عن عثمان بن المغيرة ، به » .

وذكره السيوطى ٢ : ٧٧ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الشعب .

وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ١ : ٢٤١ ، مختصراً ، ونسبه لبعض من ذكرنا ، ثم قال : « وذكره ابن خزيمة فى صحيحه بغير إسناد ، وذكر فيه الركعتين » .

(١) الحديث : ٧٨٥٥ — وهذا إسناد ثالث للحديث السابق . ولكنه إسناد ضعيف جداً .

الزبير بن بكار — شيخ الطبرى : ثقة ثبت عالم بالنسب ، عارف بأخبار المتقدمين . وهو ابن أخى المصعب بن عبد الله الزبيرى ، صاحب كتاب « نسب قريش » .

سعيد بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى : قال أبو حاتم — فيما روى عنه ابنه ٢/١/٨٥ : « هو فى نفسه مستقيم ، وبليته أنه يحدث عن أخيه عبد الله بن سعيد ، وعبد الله بن سعيد ضعيف الحديث ، ولا يحدث عن غيره . فلا أدرى ، منه أو من أخيه ؟ » .

وأخوه : هو عبد الله بن سعيد المقبرى ، وهو ضعيف جداً ، رمى بالكذب .

والإسنادان السابقان كافيان كل الكفاية لصحة الحديث ، دون هذا الإسناد الواهى .

ذكروا نهى الله عنها ، وما حرَّم الله عليهم ، فاستغفروا لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوبَ إلا هو. [1]

* * *

وأما قوله: « ومن يغفر الذنوب إلا الله »، فإن اسم « الله » مرفوع ولا جحد قبله ، وإنما يرفع ما بعد « إلا » بإتباعه ما قبله إذا كان نكرة ومعه جحد، كقول القائل: « ما فى الدار أحد إلا أخوك » . [2] فإما إذا قيل: « قام القوم إلاّ أباك »، فإن وجه الكلام فى « الأب » النصب . و « مَنْ » بصلته فى قوله : « ومن يغفر الذنوب إلاّ الله » ،معرفة. فإن ذلك إنما جاء رفعاً، لأن معنى الكلام : وهل يغفر الذنوب أحدٌ= أو : ما يغفر الذنوب أحدٌ إلاّ الله . فرفع ما بعد « إلا » من [اسم] الله ، [3] على تأويل الكلام لا على لفظه .

* * *

وأما قوله: « ولم يصرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون »؛ فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويل « الإصرار » ، ومعنى هذه الكلمة .

فقال بعضهم : معنى ذلك : لم يثبتوا على ما أتوا من الذنوب ولم يقيموا عليه ، ولكنهم تابوا واستغفروا ، كما وصفهم الله به .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٥٧ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولم يصرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون » ، فإياكم والإصرار ، فإنما هلك المصرُّون، الماضون قُدُماً ، لا تنهاهم مخافة الله عن حرام حرَّمه الله عليهم، ولا يتوبون من ذنب أصابوه ، حتى أتاهم الموتُ وهم على ذلك . ٦٤/٤

---

(١) الأثر : ٧٨٥٦ — ابن هشام ٣ : ١١٥ ، ١١٦ — وهو تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧٨٣٩ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٤ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « ما بعد إلا من الله » ، والصواب زيادة ما بين القوسين .

٧٨٥٨ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ؟ قال : قُدُماً قُدُماً فى معاصى الله ! ! لا تنهاهم مخافة الله ، حتى جاءهم أمر الله .

٧٨٥٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ، أى : لم يقيموا على معصيتى ، كفعل من أشرك بى ، فيما عملوا به من كفرٍ بى . (١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لم يواقعوا الذنب إذا همُّوا به .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٠ — حدثنا الحسن بن يحيي قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « ولم يصروا على ما فعلوا » ، قال : إتيان العبد ذنباً إصرارٌ ، حتى يتوب .

٧٨٦١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « ولم يصروا على ما فعلوا » ، قال : لم يواقعوا . (٢)

* * *

وقال آخرون : معنى « الإصرار » ، السكوت على الذنب وترك الاستغفار .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ، أما « يصروا » فيسكتوا ولا يستغفروا .

* * *

(١) الأثر : ٧٨٥٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٨٥٦ .

(٢) فى المخطوطة : « قال : لم يصروا » ، لم يفعل غير إعادة لفظ الآية ، والذى فى المطبوعة أشبه بالصواب ، كما سترى فى ترجيح أبى جعفر بعد .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندنا ، قول من قال : « الإصرار » ، الإقامة على الذنب عامداً ، وترك التوبة منه .(١) ولا معنى لقول من قال : « الإصرار على الذنب هو مواقعته » ، لأن الله عز وجل مدح بترك الإصرار على الذنب مُواقع الذنب ، فقال : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفرُ الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ، ولو كان المواقع الذنب مصرًّا بمواقعته إياه ، لم يكن للاستغفار وجهٌ مفهوم . لأن الاستغفار من الذنب إنما هو التوبة منه والندم ، ولا يعرف للاستغفار من ذنب لم يواقعه صاحبه ، وجهٌ .

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أصرَّ من استغفر ، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة » .

٧٨٦٣ — حدثنى بذلك الحسين بن يزيد السبيعى قال ، حدثنا عبد الحميد الحمانى ، عن عثمان بن واقد ، عن أبى نصيرة ، عن مولى لأبى بكر ، عن أبى بكر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٢)

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أو ترك التوبة » ، ولا معنى لوضع « أو » هنا والصواب ما أثبت .

(٢) الحديث : ٧٨٦٣ — الحسين بن يزيد السبيعى ؛ مضى الكلام فى : ٢٨٩٢ بالشك فى نسبته « السبيعى » . ولكن هكذا ثبتت هذه النسبة مرة أخرى فى هذا الموضع . فلعله شيخ للطبرى لم تصل إلينا معرفته .

عبد الحميد الحمانى — بكسر الحاء وتشديد الميم : هو عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانى الكوفى ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين ، وأخرج له الشيخان .

عثمان بن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر : ثقة ، وثقه ابن معين . وقال أحمد : « لا أرى به بأساً » .

أبو نصيرة — بضم النون وفتح الصاد المهملة — الواسطى : اسمه مسلم بن عبيد . وهو تابعى ثقة .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٢٤٨ ، من رواية أبى يعلى ، من طريق عبد الحميد الحمانى ، بهذا الإسناد ، ووقع فيه تحريف فى كنية « أبى نصيرة » واسمه ونسبته . وهو خطأ مطبعى فيما أرجح .

وقال ابن كثير — بعد ذكره : « ورواه أبو داود ، والترمذى ، والبزار فى مسنده ، من حديث عثمان بن واقد ، وقد وثقه يحيى بن معين — به . وشيخه أبو نصيرة الواسطى ، واسمه مسلم بن عبيد ، وثقه الإمام أحمد ، وابن حبان . وقول على بن المدينى والترمذى : ليس إسناد هذا الحديث بذاك — فالظاهر أنه

= فلو كان مواقع الذنب مصرًّا ، لم يكن لقوله : « ما أصرَّ من استغفر ، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة » ، معنى . لأن مواقعةَ الذنب إذا كانت هى الإصرار ، فلا يزيل الاسمَ الذى لزمه معنى غيره ، كما لا يزيل عن الزانى اسم « زان » وعن القاتل اسم « قاتل » ، توبته منه ، ولا معنى غيرها . وقد أبان هذا الخبر أن المستغفر من ذنبه غير مصرٍّ عليه ، فمعلوم بذلك أن « الإصرار » غير المواقعة ، وأنه المقام عليه ، على ما قلنا قبل .

* * *

واختلف أهل التأويل ، فى تأويل قوله : « وهم يعلمون » .

فقال بعضهم : معناه : وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « وهم يعلمون » ، فيعلمون أنهم قد أذنبوا ، ثم أقاموا فلم يستغفروا .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وهم يعلمون أن الذى أتوا معصية لله . [1]

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وهم يعلمون » ، قال : يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيرى . [2]

* * *

قال أبو جعفر : وقد تقدم بياننا أولى ذلك بالصواب .

* * *

لأجل جهالة مولى أبى بكر . ولكن جهالة مثله لا تضر ، لأنه تابعى كبير ، ويكفيه نسبته إلى أبى بكر ، فهو حديث حسن » .

وذكره السيوطى ٢ : ٧٨ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الشعب .

(١) فى المخطوطة : « معصية الله » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الأثر : ٧٨٦٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٨٥٩ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « بما حرمت عليهم » ، وأثبت ما فى ابن هشام ، فهو الصواب .

القول فى تأويل قوله ﴿ أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (١٣٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك » ، الذين ذكر أنه أعد لهم الجنة التى عرضها السموات والأرض ، من المتقين ، ووصفهم بما وصفهم به . ثم قال : هؤلاء الذين هذه صفتهم = « جزاؤهم » ، يعنى : ثوابهم من أعمالهم التى وصفهم تعالى ذكره أنهم عملوها[1] = « مغفرة من ربهم » ، يقول : عفوٌ لهم من الله عن عقوبتهم على ما سلف من ذنوبهم ، ولهم على ما أطاعوا الله فيه من أعمالهم بالحسن منها = « جنات » ، وهى البساتين[2] = « تجرى من تحتها الأنهار » ، يقول : تجرى خلال أشجارها الأنهار وفى أسافلها ، جزاء لهم على صالح أعمالهم[3] = « خالدين فيها » يعنى : دائمى المقام فى هذه الجنات التى وصفها = « ونعم أجر العاملين » ، يعنى : ونعم جزاء العاملين لله ، الجناتُ التى وصفها ، كما : — ٦٥/٤

٧٨٦٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » ، أى ثواب المطيعين .[4]

* * *

---

(١) انظر تفسير : « الجزاء » فيما سلف ٢ : ٢٧ ، ٢٨ ، ٦/٣١٤ : ٥٧٦

(٢) انظر تفسير : « الجنات » فيما سلف ١ : ٥/٣٨٤ : ٥٣٥ ، ٥٤٢ .

(٣) انظر تفسير : « تجرى من تحتها الأنهار » فيما سلف ٥ : ٥٤٢ .

(٤) الأثر : ٧٨٦٦ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٨٦٥

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١٣٧)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « قد خلت من قبلكم سنن » ، مضت وسلفت منى فيمن كان قبلكم ،[١] يا معشر أصحاب محمد وأهل الإيمان به ، من نحو قوم عاد وثمود وقوم هود وقوم لوط ، وغيرهم من سُلاَّف الأمم قبلكم[٢] = « سنن » يعنى : مثُلات سيرَ بها فيهم وفيمن كذَّبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم ، بإمهالى أهلَ التكذيب بهم ، واستدراجى إياهم ، حتى بلغ الكتاب فيهم أجله الذى أجَّلته لإدالة أنبيائهم وأهل الإيمان بهم عليهم ، ثم أحللت بهم عقوبتى ، وأنزلتُ بساحتهم نِقَمى ،[٣] فتركتهم لمن بعدهم أمثالا وعبراً = « فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كانَ عاقبة المكذبين » ، يقول : فسيروا — أيها الظانّون ، أنّ إدالتى مَنْ أدلت من أهل الشرك يوم أحُد على محمد وأصحابه ، لغير استدراج منى لمن أشرك بى ، وكفرَ برسلى ، وخالف أمرى — فى ديار الأمم الذين كانوا قبلكم ، ممن كان على مثل الذى عليه هؤلاء المكذبون برسولى والجاحدون وحدانيتى ، فانظروا كيف كان عاقبة تكذيبهم أنبيائى ، وما الذى آل إليه غِبُّ خلافهم أمرى ،[٤] وإنكارهم وحدانيتى ، فتعلموا عند ذلك أنّ إدالتى من أدلت من المشركين على نبيى محمد وأصحابه بأحد ، إنما هى استدراج وإمهال ليبلغ الكتاب أجله الذى أجلت لهم .

---

(١) انظر تفسير « خلا » فيما سلف ٣ : ١٠٠ ، ٤/١٢٨ : ٢٨٩ .

(٢) « سلاف » على وزن « جهال » جمع « سلف » ، وجمعه أيضاً « أسلاف » ، والسلاف : المتقدمون من الآباء الذين مضوا .

(٣) فى المطبوعة : « نقمتى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « عن خلافهم أمرى » ، وهى فى المخطوطة « عب » غير منقوطة ، فلم يحسن الناشر قراءتها ، وغب الأمر : عاقبته وآخرته .

ثم إما أن يؤول حالهم إلى مثل ما آل إليه حال الأمم الذين سلفوا قبلهم : من تعجيل العقوبة عليهم ، أو ينيبوا إلى طاعتى واتباع رسولى .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٧ — حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، فقال : ألم تسيروا فى الأرض فتنظروا كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط وقومَ صالح ، والأممَ التى عذّب الله عز وجل ؟

٧٨٦٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « قد خلت من قبلكم سنن » ، يقول : فى الكفار والمؤمنين ، والخير والشرّ .

٧٨٦٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « قد خلت من قبلكم سنن » ، فى المؤمنين والكفار .

٧٨٧٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم = يعنى بالمسلمين يوم أحد = والبلاء الذى أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذه الشهداء منهم ، فقال تعزية لهم وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وما هو صانع بهم : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، أى : قد مضت منى وقائع نقمة فى أهل التكذيب لرسلى والشرك بى : [1] عادٍ وثمودَ وقوم لوط وأصحاب مدين ، فسيروا فى الأرض تروْا مثُلات قد مضت فيهم ، ولمن كان على مثل ما هم عليه من ذلك

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « والشرك فى عاد وثمود . . . » ، وهو خطأ جداً ، والصواب ما أثبته من سيرة ابن هشام .

منى ،(١) وإن أمليتُ لهم ،(٢) أى : لئلا تظنوا أنّ نقمتى انقطعت عن عدوكم وعدوى ،(٣) للدوْلة التى أدلتها عليكم بها ، لأبتليكم بذلك ،(٤) لأعلم ما عندكم.(٥)

٧٨٧١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، يقول : متّعهم فى الدنيا قليلا ، ثم صيّرهم إلى النار .

* * *

قال أبو جعفر : وأما « السنن » فإنها جمع « سُنَّة » ، « والسُّنَّة » ، هى المثالُ المتبع ، والإمام المؤتمُّ به . يقال منه : « سنّ فلان فينا سُنة حسنة ، وسنّ سُنة سيئة » ، إذا عمل عملاً اتبع عليه من خير وشر ، ومنه قول لبيد بن ربيعة :

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آباؤُهُمْ ، وَلِكلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإمامُها(٦)

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « ما هم عليه مثل ذلك منى » ، والصواب من ابن هشام .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « إن أمكنت لهم » ، والصواب من ابن هشام . والإملاء : الإمهال والاستدراج .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « عن عدوهم وعدوى » ، والصواب من ابن هشام ، وهو مقتضى سياق الضمائر فى عبارته .

(٤) الإدالة الغلبة . يقال : « أديل لنا على عدونا » ، أى نصرنا عليهم ، و« أدلنى على فلان » ، أى : انصرنى عليه . والدولة (بضم الدال ، وبفتحها وسكون الواو) : الانتقال من حال إلى حال فى الحرب وغيرها . وانظر ما سيأتى فى تفسير ذلك بعد قليل ص : ٢٣٩

(٥) الأثر : ٧٨٧٠ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو من تمام الآثار التى آخرها : ٧٨٦٦.

(٦) من معلقته البارعة ، يذكر قومه وفضلهم ، والبيت متعلق بقوله قبل :

إنا إذا التقتِ المجامعُ ، لم يَزَلْ مِنَّا لِزَازُ عَظِيمَةٍ جَشّامُهَا

وَمُقَسِّمٌ يُعْطِى العَشِيرَةَ حَقَّهَا ، ومُغَذْمِرٌ لِحُقُوقِها هَضّامُها

فَضْلاً، وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى، سَمْحٌ كَسُوبُ رَغائِبٍ غَنّامُها

مِنْ مَعْشَرٍ . . . .

يقول : هذه العادة سنة وطريقة قد توارثناها ، ولكل سنة إمام قد تقدم الناس فيها فاتبعوه ، فنحن أهل الفضل القديم الذى ابتدعته أوائلنا للناس .

٦٦/٤

وقولُ سليمان بن قَتَّة : (١)

وَإنَّ الأُلَى بالطَّفِّ مِنْ آل هَاشِمٍ تَآسَوْا، فَسَنُّوا لِلكِرَام التَّآسِيَا(٢)

* * *

وقال ابن زيد فى ذلك ما : —

٧٨٧٢ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « قد خلت من قبلكم سنن » ، قال : أمثالٌ

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٨)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أشير إليه بـ « هذا » .

فقال بعضهم : عنى بقوله : « هذا » ، القرآنَ .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٧٣ — حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « سليمان بن قنة » ، وهو تصحيف وقع فى كتب كثيرة ، و « قتة » أمه ، وهو مولى لتيم قريش . وهو من التابعين ، روى عن أبى سعيد الخدرى ، وابن عمر وابن عباس ، وعمرو ابن العاص ، ومعاوية . ترجم له البخارى فى الكبير ٢/٢/٣٣ ، وابن أبى حاتم ٢/١/١٣٦ . وزعم بعضهم أنه « سليمان بن حبيب المحاربى » ، وهو خطأ ، بل هما رجلان ، هذا محاربى ، وهذا تيمى . وهو أحد الشعراء الفرسان ، وهو القائل :

وَقَدْ يَحْرِمُ اللهُ الفَتَى وَهوَ عَاقِلٌ وَيُعْطِى الفَتَى مَالاً وَلَيْس له عَقْلُ

وهو من أول من سن رثاء أهل البيت ، وله فى رثائهم شعر كثير .

(٢) تاريخ الطبرى ٧ : ١٨٤ ، وأنساب الأشراف ٥ : ٣٣٩ ، وأمالى الشجرى ١ : ١٣١ ، واللسان (أسى) ، وغيرها . وهذا البيت ، أنشده مصعب بن الزبير قبل مقتله ، فعلم الناس أن لا يريم حتى يقتل . و « الطف » : أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية ، فيها كان مقتل الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما . وقوله : « تآسوا » ، صار بعضهم أسوة لبعض فى الصبر على المصير إلى الموت بلا رهبة ولا فرق .

عباد ، عن الحسن فى قوله : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » ، قال : هذا القرآن .

٧٨٧٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هذا بيان الناس » ، وهو هذا القرآن ، جعله الله بياناً للناس عامة ، وهدى وموعظة للمتقين خصوصاً .

٧٨٧٥ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال فى قوله : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » ، خاصةً .

٧٨٧٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج فى قوله : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » ، خاصةً .

* * *

وقال آخرون : إنما أشير بقوله : « هذا » ، إلى قوله : « قد خلت من قبلكم سُنَن فسيروا فى الأرض فانظرُوا كيف كان عاقبة المكذبين » ، ثم قال : هذا الذى عرّفتكم ، يا معشر أصحاب محمد ، بيان للناس .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٧٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق بذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : قوله : « هذا » ، إشارةٌ إلى ما تقدم هذه الآية من تذكير الله جل ثناؤه المؤمنين ، وتعريفهم حدوده ، وحضِّهم على لزوم طاعته والصبر على جهاد أعدائه وأعدائهم . لأن قوله : « هذا » ، إشارة إلى حاضر : إما مرئىّ وإما مسموع ، وهو فى هذا الموضع إلى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة .

فمعنى الكلام : هذا الذى أوضحتُ لكم وعرفتكموه ، بيانٌ للناس = يعنى بـ« البيان » ، الشرح والتفسير ، كما : —

٧٨٧٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « هذا بيان للناس » ، أى : هذا تفسير للناس إن قبلوه.[١]

٧٨٧٩ — حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن بيان، عن الشعبى : « هذا بيان للناس » ، قال : من العَمَى .

٧٨٨٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن الشعبى مثله .

* * *

وأما قوله : « وهدى وموعظة » ، فإنه يعنى بـ « الهدى » ، الدلالةَ على سبيل الحق ومنهج الدين = و بـ «الموعظة » ، التذكرة للصواب والرشاد،[٢] كما : —

٧٨٨١ — حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن بيان ،عن الشعبى : « وهدى» ، قال : من الضلالة = « وموعظة » ، من الجهل .

٧٨٨٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن بيان ، عن الشعبى مثله .

٧٨٨٣ — حدثنا ابن حميد قال،حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « للمتقين » ، أى : لمن أطاعنى وعرَف أمرى .[٣]

* * *

---

(١) الأثر : ٧٨٧٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦، وهو تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧٨٧٠ .

(٢) انظر تفسير : « الهدى » فيما سلف ، من فهارس اللغة = وتفسير « الموعظة » ، فيما سلف ٢ : ١٨٠/٦ : ١٤ .

(٣) الأثر : ٧٨٨٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٨٧٨ ، والظاهر أنه قد سقط من نص ابن إسحق ، ما أثبته ابن هشام فى تفسير هذه الآية ، وهو قوله قبل الذى رواه أبو جعفر : أى : « نور وأدب للمتقين » . أما ما رواه أبو جعفر فهو تفسير قوله : « للمتقين » ، وهو فى هذا الموضع يفسر « الهدى » ، و « الموعظة » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٩)

قال أبو جعفر : وهذا من الله تعالى ذكره تعزيةٌ لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أصابهم من الجراح والقتل بأحد .

قال : « ولا تهنوا ولا تحزنوا » ، يا أصحاب محمد ، يعنى : ولا تضعفوا بالذى نالكم من عدوكم بأحد، من القتل والقروح — عن جهاد عدوكم وحربهم .

* * *

= من قول القائل : « وهَنَ فلان فى هذا الأمر فهو يهن وَهْناً » .

* * *

= « ولا تحزنوا » ، ولا تأسوْا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ ، فإنكم « أنتم الأعلون » ، يعنى : الظاهرُون عليهم ، ولكم العُقبىَ فى الظفر والنُّصرة عليهم = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم مصدِّقى نبيى محمد صلى الله عليه وسلم فيما يَعدكم ، وفيما ينبئكم من الخبر عما يؤول إليه أمركم وأمرهم ، كما : —

٧٨٨٤ — حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن يونس ، عن الزهرى قال : كثر فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم القتلُ والجراح ،حتى خلص إلى كل امرئ منهم البأسُ ، فأنزل الله عز وجل القرآن، فآسَى فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قوماً من المسلمين كانوا قبلهم من الأمم الماضية ، فقال : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » إلى قوله: « لبرز الذين كُتب عليهم القتلُ إلى مضاجعهم » .

٤/٦٧

٧٨٨٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، يعزّى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ، ويحثهم على قتال عدوهم ، وينهاهم عن العجز والوَهن فى طلب عدوهم فى سبيل الله .

٧٨٨٦ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن في قوله : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، قال : يأمر محمداً ، يقول : « ولا تهنوا » ، أن تمضوا في سبيل الله .[1]

٧٨٨٧ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « ولا تهنوا » ، ولا تضعفوا .

٧٨٨٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٨٨٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « ولا تهنوا ولا تحزنوا » ، يقول : ولا تضعفوا .

٧٨٩٠ — حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ولا تهنوا » ، قال ابن جريج : ولا تضعفوا في أمر عدوكم = « ولا تحزنوا وأنتم الأعلون » ، قال : انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشِّعب ، فقالوا : ما فعل فلان ؟ ما فعل فلان ؟ فنعى بعضهم بعضاً ، وتحدَّثوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فكانوا في همّ وحزَن . فبينما هم كذلك ، إذ علا خالد بن الوليد الجبلَ بخيل المشركين فوقهم ، وهم أسفلُ في الشِّعب . فلما رأوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم فرحوا ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا قوة لنا إلاّ بك ، وليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر » ! قال : وثاب نفرٌ من المسلمين رُماة ، فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله ، وعلا المسلمون الجبلَ . فذلك قوله : « وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

٧٨٩١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولا تهنوا » ، أي : لا تضعفوا = « ولا تحزنوا » ، ولا تأسَوْا على ما أصابكم[2] = « وأنتم الأعلون » ،

---

(١) في المخطوطة : « وأن تمضوا » ، بزيادة « واو » ، والذي في المطبوعة أظهر .

(٢) في سيرة ابن هشام : « ولا تبتئسوا » .

أي : لكم تكون العاقبة والظهور = « إن كنتم مؤمنين » إن كنتم صدّقتم نبيي بما جاءكم به عني .[١]

٧٨٩٢ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أقبل خالد بن الوليد يريد أن يعلو عليهم الجبل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا يعلُون علينا » . فأنزل الله عز وجل : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل الحجاز والمدينة والبصرة : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه ﴾ ، كلاهما بفتح « القاف » ، بمعنى : إن يمسسكم القتل والجراح ، يا معشر أصحاب محمد ، فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح = قتلٌ وجراح = مثله .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قُرْحٌ فَقَدَّ مَسَّ القَوْمَ قُرْحٌ مِثْله ﴾ [كلاهما بضم القاف] .[٢]

* * *

(١) الأثر : ٧٨٩١ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٧٨٧٨ .

(٢) ما بين القوسين زيادة استظهرتها من سياق كلامه . هذا ، وظاهر من ترجيح أبي جعفر بعد ، أن في الكلام سقطاً من الناسخ ، وذلك تفسير « القرح » بضم القاف ، ولعله كان قد ذكر هنا ما قاله الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٣٤ وذلك قوله :

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ : « إن يمسسكم قَرح فقد مس القوم قَرْح مثله » ، بفتح « القاف » فى الحرفين ، لإجماع أهل التأويل على أن معناه : القتل والجراح . فذلك يدل على أن القراءة هى الفتح .

وكان بعض أهل العربية يزعُمُ أن « القَرح » و « القُرح » لغتان بمعنى واحد . والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا . (١)

* * *

* ذكر من قال : إنّ « القَرح » ، الجراح والقتل .

٧٨٩٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إن يمسسكم قَرح فقد مس القوم قرحٌ مثله » ، قال : جراحٌ وقتلٌ .

٧٨٩٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٨/٤

٧٨٩٥ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « إن يمسسكم قرحٌ فقد مس القوم قرح مثله » ، قال : إن يقتلوا منكم يوم أحد ، فقد قتلتم منهم يوم بدر .

٧٨٩٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » ، والقرح الجراحة ، وذاكم يوم أحد ، فشا فى أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ القتل والجراحة ، فأخبرهم الله عز وجل أن القوم قد أصابهم من ذلك مثلُ الذى أصابكم ، وأن الذى أصابكم عقوبة .

« وقد قرأ أصحابُ عبد الله « قُرْح » وكأنّ القُرح : ألم الجراحات ، وكأن القَرْحَ الجراحاتُ بأعيانِها »

(١) انظر التعليق السالف ، فنص قوله هنا دال على خرم فى نص الطبرى

٧٨٩٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « إن يمسسكم قرحٌ فقد مس القوم قرح مثله » ، قال : ذلك يوم أحد ، فشا فى المسلمين الجراح ، وفشا فيهم القتل ، فذلك قوله : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » ، يقول : إن كان أصابكم قرح فقد أصاب عدوّكم مثله = يعزّى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحثُّهم على القتال.

٧٨٩٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » ، والقرح هى الجراحات .

٧٨٩٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إن يمسسكم قرح » أى : جراح = « فقد مس القوم قرح مثله » ، أى : جراح مثلها .(١)

٧٩٠٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نام المسلمون وبهم الكلوم = يعنى يوم أحد = قال عكرمة : وفيهم أنزلت : «إن يمسسكم قرحٌ فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس» ، وفيهم أنزلت ﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [سورة النساء : ١٠٤] .

* * *

وأما تأويل قوله : « إن يمسسكم قرحٌ » ، فإنه : إن يصبكم ،(٢) كما : —

٧٩٠١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إن يمسسكم » ، إن يصبكم .

* * *

---

(١) الأثر : ٧٨٩٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٨٩١ .

(٢) انظر تفسير : « المس » فيما سلف ٢ : ٢٧٤ : ٥/١١٨ : ٧/١٥٥

القول فى تأويل قوله ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره [بقوله] [١] : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، أيام بدر وأحُد .

* * *

ويعنى بقوله : « نداولها بين الناس » ، نجعلها دُوَلاً بين الناسُ مصرَّفة . = ويعنى بـ« الناس » ، المسلمين والمشركين . وذلك أن الله عز وجل أدال المسلمين من المشركين ببدر ، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين . وأدال المشركين من المسلمين بأحُد ، فقتلوا منهم سبعين ، سوى من جرحوا منهم .

* * *

يقال منه : « أدال الله فلاناً من فلان ، فهو يُديله منه إدالة » ، إذا ظفر به فانتصر منه مما كان نال منه المُدَال منه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٩٠٢ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، قال جعل الله الأيام دولا ، أدال الكفار يوم أحُد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٧٩٠٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، إنه والله لولا الدُّوَل ما أوذى المؤمنون ، ولكن قد يُدال للكافر من المؤمن ، ويبتلى المؤمن بالكافر ، ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ، ويعلم الصادقَ من الكاذب .

٧٩٠٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، فأظهر الله عز وجل

---

(١) ما بين القوسين زيادة يقتضيها سياق تفسيره .

نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين يوم بدر ، وأظهر عليهم عدوّهم يوم أحُد . وقد يدال الكافر من المؤمن ، ويبتلى المؤمن بالكافر ، ليعلم الله من من يطيعه ممن يعصيه ، ويعلم الصادق من الكاذب . وأما من ابتلى منهم = من المسلمين = يوم أحد ، فكان عقوبة بمعصيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٧٩٠٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، يوماً لكم ويوماً عليكم .

٧٩٠٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « نداولها بين الناس » ، قال : أدال المشركين على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

٧٩٠٧ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، فإنه كان يوم أحُد بيوم بدر ، قُتل المؤمنون يومَ أحد ، اتخذ الله منهم شهداء ، وغلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر المشركين ، فجعل له الدولة عليهم . ٦٩/٤

٧٩٠٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما كان قتال أحد وأصاب المسلمين ما أصابَ ، صعد النبى صلى الله عليه وسلم الجبل ، فجاء أبو سفيان فقال : يا محمد ! يا محمد ! ألا تخرج ؟ ألا تخرج ؟ الحربُ سجال : يوم لنا ويوم لكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أجيبوه ، فقالوا : لا سواء ، لا سواء ، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ! فقال أبو سفيان : لنا عُزَّى ولا عُزَّى لكم ! فقال رَسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . فقال أبو سفيان : اعْلُ هُبَل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله أعلى وأجل ! فقال أبو سفيان : موعدكم وموعدنا بدرٌ الصغرى = قال عكرمة : وفيهم أنزلت : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

٧٩٠٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، حدثنا ابن المبارك ،

عن ابن جريج ، عن ابن عباس فى قوله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، فإنه أدال على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

٧٩١٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، أى نصرِّفها للناس ، للبلاء والتمحيص .[١]

٧٩١١ — حدثنى إبراهيم بن عبد الله قال ، أخبرنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبى قال ، جدثنا حماد بن زيد ، عن ابن عون ، عن محمد فى قول الله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، قال : يعنى الأمراء .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١٤٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء = نداولها بين الناس .

ولو لم يكن فى الكلام « واو » ، لكان قوله : « ليعلم » متصلا بما قبله ، وكان « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، ليعلم الله الذين آمنوا . ولكن لما دخلت « الواو » فيه ، آذنت بأن الكلام متصل بما قبلها ، وأن بعدها خبراً مطلوباً ، واللام التى فى قوله : « وليعلم » ، به متعلقة .[٣]

* * *

(١) الأثر : ٧٩١٠ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، ١١٧ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٨٩٩ .

(٢) الأثر : ٧٩١١ — « إبراهيم بن عبد الله » ، كثير ، والذى نصوا على أن الطبرى روى عنه ، هو : « إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسى ، أبو شيبة بن أبى بكر بن أبى شيبة » توفى سنة ٢٦٥ . مترجم فى التهذيب .

« وعبد الله بن عبد الوهاب الحجبى » ، روى عن مالك وحماد بن زيد . وروى عنه البخارى ، مات سنة ٢٢٨ . مترجم فى التهذيب . و « محمد » هو ابن سيرين :

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة « اللام » بغير واو ، والصواب إثباتها . وفى المطبوعة : « متعلقة به » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فإن قال قائل : وكيف قيل : « وليعلم الله الذين آمنوا » معرفةً ، وأنت لا تستجيز فى الكلام : « قد سألت فعلمتُ عبد الله » ، وأنت تريد : علمت شخصه ، إلاّ أن تريد : علمت صفته وما هو ؟

قيل : إن ذلك إنما جاز مع « الذين » ، لأن فى « الذين » تأويل « مَن » و « أىّ » ، وكذلك جائز مثله فى « الألف واللام » ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٣] ،[1] لأن فى « الألف واللام » من تأويل « أىّ » و « مَن » ، مثل الذى فى « الذى » . ولو جعل مع الاسم المعرفة اسم فيه دلالة على « أىّ » ، جاز ، كما يقال : « سألت لأعلم عبد الله مِنْ عمرو » ، ويراد بذلك : لأعرف هذا من هذا .[2]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : وليعلم الله الذين آمنوا منكم ، أيها القوم ، من الذين نافقوا منكم ، نداول بين الناس = فاستغنى بقوله : « وليعلم الله الذين آمنوا منكم » ، عن ذكر قوله : « من الذين نافقوا » ، لدلالة الكلام عليه . إذ كان فى قوله : « الذين آمنوا » تأويل « أىّ » على ما وصفنا . فكأنه قيل : وليعلم الله أيكم المؤمن ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى ﴾ [سورة الكهف : ١٢] .[3] غير أن « الألف واللام » ، و « الذى » و « من » إذا وضعت مع العَلم موضع « أىّ » ، نصبت بوقوع العلم عليه ، كما قيل : « وليعلمَنّ الكاذبين » ، فأما « أىّ » ، فإنها تُرفع .[4]

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « ويتخذ منكم شهداء » ، فإنه يعنى : « وليعلم

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وليعلمن الله » بالواو ، وهو سهو من الناسخ مخالف للتلاوة .

(٢) انظر تفصيل هذا فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « ليعلم » بالياء ، وهو سهو من الناسخ مخالف للتلاوة .

(٤) انظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

الله الذين آمنوا » وليتخذ منكم شهداء ، أى : ليكرم منكم بالشهادة من أراد أن يكرمه بها .

* * *

= « والشهداء » جمع « شهيد » ،(١) كما : —

٧٩١٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » ، أى : ليميِّز بين المؤمنين والمنافقين، وليكرم من أكرَم من أهل الإيمان بالشهادة .(٢)

٧٩١٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك قراءة على ابن جريج فى قوله: « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء» ، قال : فإن المسلمين كانوا يسألون ربهم : « ربنا أرنا يوماً كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ، ونُبليك فيه خيراً، ونلتمس فيه الشهادة »! فلقوا المشركين يوم أحد، فاتخذ منهم شهداء .

٧٩١٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » ، فكرَّم الله أولياءه بالشهادة بأيدى عدوِّهم ، ثم تصير حواصل الأمور وعواقبها لأهل طاعة الله . ٤/٧٠

٧٩١٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » ، قال قال ابن عباس : كانوا يسألون الشهادة، فلقوا المشركين يوم أحد، فاتخذ منهم شهداء .

٧٩١٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء »، كان المسلمون يسألون ربهم أن يُريهم يوماً كيوم بدر ، يبلون فيه خيراً، ويرزقون فيه الشهادة ، ويرزقون الجنة والحياة والرزق، فلقوا المشركين

---

(١) انظر تفسير « الشهداء » فيما سلف ١ : ٣٧٦ — ٣٧٨ / ٣ : ٩٧ ، ٦/١٤٥ : ٧٥ .

(٢) الأثر : ٧٩١٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩١٠ .

يوم أحد ،[١] فاتخذ الله منهم شهداء ، وهم الذين ذكرهم الله عز وجل فقال : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ﴾ الآية ، [سورة البقرة : ١٥٤] .

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « والله لا يحب الظالمين » ، فإنه يعنى به : الذين ظلموا أنفسهم بمعصيتهم ربهم ، كما : —

٧٩١٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله لا يحب الظالمين » ، أى : المنافقين الذين يظهرون بألسنتهم الطاعة ، وقلوبهم مصرَّة على المعصية .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وليمحِّصَ الله الذين آمنوا » ، وليختبرَ الله الذين صدَّقوا الله ورسوله ، فيبتليهم بإدالة المشركين منهم ، حتى يتبين المؤمن منهم المخلصَ الصحيحَ الإيمان ، من المنافق ، كما : —

٧٩١٨ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وليمحص الله الذين آمنوا » ، قال : ليبتلى.[٣]

---

(١) فى المطبوعة : « فلقى المسلمون » ، بدل الناشر ما كان فى المخطوطة : « فلقوا المسلمين » ، أما السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٧٩ ، فحذف « المسلمين » ، وكتب : « فلقوا يوم أحد » لفساد العبارة التى فى مخطوطة الطبرى فيما أستظهر . ولكنى رجحت أن الناسخ الكثير السهو ، سها أيضاً فكتب « المسلمين » مكان « المشركين » ، وأثبت ما رجحت ، لأنه حق الكلام .

(٢) الأثر : ٧٩١٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩١٢ .

(٣) فى المطبوعة : « . . . عن مجاهد مثله فى قوله . . . » ، وزيادة « مثله » فساد ، وليس فى المخطوطة .

٧٩١٩ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٩٢٠ – حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « وليمحص الله الذين آمنوا » ، قال : ليمحص الله المؤمن حتى يصدِّق .

٧٩٢١ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وليمحص الله الذين آمنوا » ، يقول : يبتلى المؤمنين .

٧٩٢٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وليمحص الله الذين آمنوا » ، قال : يبتليهم .

٧٩٢٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين » ، فكان تمحيصاً للمؤمنين ، ومحقاً للكافرين .

٧٩٢٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « وليمحص الله الذين آمنوا » ، أي : يختبر الذين آمنوا ، حتى يخلِّصهم بالبلاء الذى نزل بهم ، وكيف صَبْرهم ويقينُهم .(١)

٧٩٢٥ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين » ، قال : يمحق من مُحق في الدنيا ، وكان بقية من يمحق في الآخرة في النار .

* * *

وأما قوله : « ويمحق الكافرين » ، فإنه يعنى به : أنه ينقُصهم ويفنيهم .

* * *

يقال منه : « محقَ فلان هذا الطعام » ، إذا نقصه أو أفناه ، « يمحقه محقاً » ، ومنه قيل لمحاق القمر : « مُحاق » ، وذلك نقصانه وفناؤه ،(٢) كما : —

٧٩٢٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

(١) الأثر : ٧٩٢٤ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩١٧ .

(٢) انظر تفسير « محق » فيما سلف ٦ : ١٥ . و « المحاق » بضم الميم وكسرها .

ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ويمحق الكافرين » ، قال : ينقصهم .

٧٩٢٧ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « ويمحق الكافرين » ، قال : يمحق الكافر حتى يكذِّبه .

٧٩٢٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ويمحق الكافرين » ، أي : يبطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذي يستترون به منكم.[1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٤٢)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : « أم حسبتم » ، يا معشر أصحاب محمد ، وظننتم = « أن تدخلوا الجنة » ، وتنالوا كرامة ربكم ، وشرف المنازل عنده = « ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم » ، يقول : ولما يتبيَّن لعبادي المؤمنين المجاهدُ منكم في سبيل الله على ما أمره به. ٧١/٤

* * *

وقد بينت معنى قوله : « ولما يعلم الله » ، « وليعلم الله » ، وما أشبه ذلك ، بأدلته فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته.[2]

* * *

وقوله : « ويعلم الصابرين » ، يعني : الصابرين عند البأس على ما ينالهم في ذات الله من جرح وألم ومكروه ، كما : —

---

(١) الأثر : ٧٩٢٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٧٩٢٤ .

(٢) انظر تفسير « لنعلم » فيما سلف ٣ : ١٥٨ — ١٦٢ .

٧٩٢٩ـ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة » وتصيبوا من ثوابي الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة، وأبتليكم بالمكاره، حتى أعلم صِدق ذلك منكم بالإيمان بى ،والصبر على ما أصابكم فىّ .[١]

* * *

ونصب « ويعلم الصابرين » ، على الصرف . و « الصرف » ، أن يجتمع فعلان ببعض حروف النسق ، وفى أوله ما لا يحسن إعادته مع حرف النسق ، فينصب الذى بعد حرف العطف على الصرف ، لأنه مصروف عن معنى الأول ، ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهى فى أول الكلام .[٢] وذلك كقولهم : « لا يسعنى شىء ويضيقَ عنك » ، لأن « لا » التى مع « يسعنى » ، لا يحسن إعادتها مع قوله : « ويضيقَ عنك » ، فلذلك نصب .[٣]

والقرأة فى هذا الحرف على النصب .

* * *

وقد روى عن الحسن أنه كان يقرأ: ﴿وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ ، فيكسر « الميم » من « يعلم » ، لأنه كان ينوى جزمها على العطف به على قوله : « ولما يعلم الله » .

* * *

---

(١) الأثر : ٧٩٢٩ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٢٨ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « حتى أعلم أصدق ذلكم الإيمان بى . . . » فرددته إلى الصواب من رواية ابن هشام .

(٢) انظر « الصرف » فيما سلف ١ : ٥٦٩ ، وتعليق : ١/٣ : ٥٥٢ ، تعليق : ١ .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (١٤٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ولقد كنتم تمنون الموت » ، ولقد كنتم ، يا معشر أصحاب محمد = « تمنون الموت » ، يعنى أسبابَ الموت ، وذلك : القتالُ = « فقد رأيتموه » ، فقد رأيتم ما كنتم تمنونه — و«الهاء» فى قوله : « رأيتموه » عائدة على « الموت » ، والمعنىُّ : [القتال] =[1] « وأنتم تنظرون » ، يعنى : قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر ، أى بقرب منكم .

* * *

وكان بعض أهل العربية يزعم أنه قيل : « وأنتم تنظرون » ، على وجه التوكيد للكلام ، كما يقال : « رأيته عياناً » و « رأيته بعينى ، وسمعته بأذنى » .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قيل : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه » ، لأن قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يشهد بدراً ، كانوا يتمنون قبل أحد يوماً مثل يوم بدر ، فيُبْلُوا الله من أنفسهم خيراً ، وينالوا من الأجر مثل ما نال أهل بدر . فلما كان يوم أحد فرّ بعضهم ، وصبرَ بعضهم حتى أوفَى بما كان عاهد الله قبل ذلك ، فعاتب الله من فرّ منهم فقال : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه » ، الآية ، وأثنى على الصابرين منهم والموفين بعهدهم .

* ذكر الأخبار بما ذكرنا من ذلك :

٧٩٣٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » ، قال : غاب رجال عن بدر ، فكانوا

---

(١) فى المطبوعة : « عائدة على الموت ، ومعنى وأنتم تنظرون » ، وهو كلام فاسد . وفى المخطوطة : « عائدة على الموت ، والمعنى » و بعدها بياض قدر كلمة ، ثم كتب : « وأنتم تنظرون » فوضعت بين القوسين ما استظهرته من كلام أبى جعفر .

يتمنون مثل يوم بدر أن يلقوه ، فيصيبوا من الخير والأجر مثل ما أصابَ أهل بدر. فلما كان يوم أحد ، ولّى من ولّى منهم ، فعاتبهم الله = أو : فعابهم ، أو : فعيَّبهم = على ذلك . [1] شك أبو عاصم .

٧٩٣١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه — إلا أنه قال : « فعاتبهم الله على ذلك » ، ولم يشكّ .

٧٩٣٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » ، أناسٌ من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذى أعطى الله أهل بدر من الفضل والشرف والأجر ، فكان يتمنون أن يرزقوا قتالاً فيقاتلوا ، فسيق إليهم القتال حتى كان فى ناحية المدينة يوم أحُد ، فقال الله عز وجل كما تسمعون : « ولقد كنتم تمنون الموت » ، حتى بلغ « الشاكرين » .

٧٩٣٣ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه » ، قال : كانوا يتمنون أن يلقوا المشركين فيقاتلوهم ، فلما لقوهم يوم أحد ولّوا .

٧٩٣٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : إن أناساً من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذى أعطاهم الله من الفضل ، فكانوا يتمنون أن يروا قتالاً فيقاتلوا ، فسيق إليهم القتال حتى كان بناحية المدينة يوم أحد ، فأنزل الله عز وجل : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه » ، الآية

٧٩٣٥ — حدثنى محمد بن بشار قال ، حدثنا هوذة قال ، حدثنا عوف ، ٧٢/٤

(١) فى المطبوعة : «أوفعتبهم» ، وفى المخطوطة « فعبهم » غير منقوطة ، وكأن صواب قراءتها ما أثبت عابه وعيبه : نسبه إلى العيب .

عن الحسن قال : بلغنى أن رجالا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : « لئن لقينا مع النبى صلى الله عليه وسلم لنفعلن ولنفعلن» ، فابتلوا بذلك ، فلا والله ما كلُّهم صَدَق الله ، فأنزل الله عز وجل : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » .

٧٩٣٦ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: كان ناسٌ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لم يشهدوا بدراً، فلما رأوا فضيلة أهل بدر قالوا: « اللهم إنا نسألك أن ترينا يوماً كيوم بدر نبليك فيه خيراً » ! فرأوا أحداً، فقال لهم : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » .

٧٩٣٧ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » ، أى : لقد كنتم تمنون الشهادة على الذى أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم = يعنى الذين استنهضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على خروجه بهم إلى عدوهم،[1] لما فاتهم من الحضور فى اليوم الذى كان قبله ببدر ، رغبة فى الشهادة التى قد فاتتهم به . يقول : « فقد رأيتموه وأنتم تنظرون »، أى : الموتَ بالسيوف فى أيدى الرجال ، قد خلّى بينكم وبينهم ،[2] وأنتم تنظرون إليهم، فصددتُم عنهم .[3]

* * *

(١) فى المطبوعة : « يعنى الذين حملوا رسول الله . . . » ، غيره الناشر ، وكان فى المخطوطة « اسساصوا » غير منقوطة ، ولولا أن الذى فى سيرة ابن هشام « استنهضوا » ، لقلت إن صواب قراءتها : « استباصوا » بالصاد فى آخره من قولهم : « بصت فلاناً » إذا استعجلته . والبوص (بفتح فسكون) : أن تستعجل إنساناً فى تحميلكه أمراً ، لا تدعه يتمهل فيه . وهذه صفة فعل أصحاب رسول الله الذين لم يشهدوا بدراً ، وأرادوا القتال يوم أحد .

(٢) فى المطبوعة : « قد حل بينكم وبينهم » ، وهى فى المخطوطة غير بينة ، والصواب ما جاء فى سيرة ابن هشام ، وقد أثبته .

(٣) الأثر : ٧٩٣٧ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٢٩ . هذا وفى السيرة خطأ بين ، تصحيحه فى رواية الطبرى، فليراجع . وقد جاء فى السيرة . « ثم صدهم عنكم » مكان « فصددتم عنهم » ، وهما معنيان مختلفان ، ولكنها الرواية ، لا يمكن أن أرجح فيها بغير مرجح ، فكلاهما صواب .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ (١٤٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وما محمد إلا رسول كبعض رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه ، داعياً إلى الله وإلى طاعته ، الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله إليه.[١] يقول جل ثناؤه : فمحمد صلى الله عليه وسلم إنما هو فيما الله به صانعٌ من قبضه إليه عند انقضاء مدة أجله ، كسائر رسله إلى خلقه الذين مضوْا قبله ، [٢] وماتوا عند انقضاء مدة آجالهم .

ثم قال لأصحاب محمد ، معاتبَهم على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم بأحُد : « إنّ محمداً قُتل » ، ومُقبِّحاً إليهم انصرافَ من انصرفَ منهم عن عدوهم وانهزامه عنهم : أفائن مات محمد ، أيها القوم ، لانقضاء مدة أجله ، أو قتله عدو[٣] = « انقلبتم على أعقابكم » ، = يعنى : ارتددتم عن دينكم الذى بعث الله محمداً بالدعاء إليه ورجعتم عنه كفاراً بالله بعد الإيمان به ، وبعد ما قد وَضَحت لكم صحةُ ما دعاكم محمد إليه ، وحقيقةُ ما جاءكم به من عند ربه = « ومن ينقلب على عقبيه » ، يعنى بذلك : ومن يرتدد منكم عن دينه ويرجع كافراً بعد إيمانه ، [٤]

---

(١) قوله : « الذين حين انقضت آجالهم » ، من صفة « رسل الله » الذين ذكرهم قبل .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « كسائر مدة رسله إلى خلقه » بزيادة « مدة » ، وهى مفسدة للكلام وكأنها سبق قلم من الناسخ ، فلذلك أسقطتها .

(٣) فى المطبوعة : « أو قتله عدوكم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) انظر تفسير « انقلب على عقبيه » فيما سلف ٣ : ١٦٣ .

= « فلن يضر الله شيئاً » يقول : فلن يوهن ذلك عزة الله ولا سلطانه ، ولا يدخل بذاك نقصٌ فى ملكه ،[١] بل نفسه يضر بردّته ، وحظَّ نفسه ينقص بكفره = « وسيجزى الله الشاكرين » ، يقول : وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته إياه لدينه ، بثبوته على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إن هو مات أو قتل، واستقامته على منهاجه، وتمسكه بدينه وملته بعده ، كما : —

٧٩٣٨ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هاشم قال ، أخبرنا سيف بن عمر ،[٢] عن أبى روق، عن أبى أيوب ، عن على فى قوله : « وسيجزى الله الشاكرين » ، الثابتين على دينهم ، أبا بكر وأصحابه . فكان علىّ رضى الله عنه يقول : كان أبو بكر أمين الشاكرين، وأمين أحِباء الله ، وكان أشكرَهم وأحبَّهم إلى الله .

٧٩٣٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة، عن العلاء بن بدر قال : إن أبا بكر أمينُ الشاكرين . وتلا هذه الآية : « وسيجزى الله الشاكرين » .[٣]

٧٩٤٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وسيجزى الله الشاكرين » ، أى : من أطاعه وعمل بأمره .[٤]

* * *

وذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن انهزم عنه بأحد من أصحابه .

---

(١) فى المطبوعة : « ولا يدخل بذلك » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « سيف بن عمرو » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة . وهو : « سيف بن عمر التميمى » صاحب كتاب الردة والفتوح . وقد أكثر أبو جعفر سياق روايته فى تاريخه .

(٣) الأثر : ٧٩٣٩ — « العلاء بن بدر » ، هو : « العلاء بن عبد الله بن بدر الغنوى » ، نسب إلى جده، أرسل عن على . وهو ثقة . مترجم فى التهذيب .

(٤) الأثر : ٧٩٤٠ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، وهو من تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٣٧

* ذكر الأخبار الواردة بذلك :

٧٩٤١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» إلى قوله : «وسيجزى الله الشاكرين» ، ذاكم يوم أحُد ، حين أصابهم القَرْح والقتل ، ثم تناعَوْا نبى الله صلى الله عليه وسلم تَفِئة ذلك ، [1] فقال أناسٌ : «لو كان نبيًّا ما قتل» ! وقال أناس من عِلْية أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم : «قاتلوا على ما قاتل عليه محمدٌ نبيكم حتى يفتح الله لكم أو تلحقوا به» ! فقال الله عز وجل : «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن ماتَ أو قتل انقلبتم على أعقابكم» ، يقول : إن مات نبيكم أو قُتل ، ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم .

٧٣/٤

٧٩٤٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه = وزاد فيه ، قال الربيع : وذكر لنا والله أعلم ، أنّ رجلا من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشحَّط فى دمه ، [2] فقال : يا فلان ، أشعرت أنّ محمداً قد قتل؟ [3] فقال الأنصارى : إن كان محمد قد قتل ، فقد بلَّغ ، فقاتلوا عن دينكم . فأنزل الله عز وجل : «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» ، يقول : ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم .

(١) فى المطبوعة : «ثم تنازعوا نبى الله صلى الله عليه وسلم بقية ذلك» ، وهو كلام أهدر معناه . وأما السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٨٠ فقد خفى عليه صواب الكلام ، فجعله : «ثم تداعوا نبى الله قالوا قد قتل» ، ولعلها رواية الربيع ، كما نسبها إليه . أما المخطوطة فإن فيها «ساعوا» ، و «نعمه ذلك» غير منقوطة . وصواب قراءتها ما أثبت . وقوله : «تناعوا نبى الله» أى نعاه بعضهم لبعض ، قالوا : قتل نبى الله . وكانت العرب تتناعى فى الحرب ، ينعون قتلاهم ليحرضوهم على القتل وطلب الثأر . وقوله : «تفئة ذلك» ، أى : على إثر ذلك . يقال : «أتيته على تفئة ذلك» أى : على حينه وزمانه . وفى الحديث : «دخل عمر فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دخل أبو بكر على تفئة ذلك» ، أى على إثره ، وفى ذلك الحين .

(٢) تشحط القتيل فى دمه : تخبط فيه واضطرب وتمرغ .

(٣) قوله : «أشعرت» ، أى : أعلمت .

٧٩٤٣ ـ حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحُد إليهم ـ يعنى : إلى المشركين ـ أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل فى وجوه خيل المشركين وقال : « لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا قد هزمناهم ، فإنا لن نزال غالبين ما ثبتُّم مكانكم » .[١] وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير ، أخا خوَّات بن جبير .[٢]

= ثم شدّ الزبيرُ بن العوام والمقدادُ بن الأسود على المشركين فهزماهم ، وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلما رأى ذلك خالد بن الوليد ، وهو على خيل المشركين ، كرّ .[٣] فرمته الرماة فانقمع .[٤] فلما نظرَ الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادرُوا الغنيمة ، فقال بعضهم : « لا نترك أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم » ! فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر . فلما رأى خالد قلة الرماة ، صاح فى خيله ثم حمل ، فقتل الرماة وحَمل على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . فلما رأى المشركونَ أنّ خيلهم تقاتل ، تنادوْا ،[٥] فشدُّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم .[٦]

= فأتى ابن قميئة الحارثى ـ أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة[٧] ـ فرمى

---

(١) نص ما فى تاريخ الطبرى : « إن رأيتم قد هزمناهم ، فإنا لا نزال غالبين » ، وهى أجود ، وأخشى أن يكون ما فى التفسير من تصرف الناسخ . ثم انظر ما سيأتى رقم : ٨٠٠٤ .

(٢) بين هذه الفقرة والتى تليها ، كلام قد اختصره أبو جعفر ، وأثبته فى روايته فى التاريخ .

(٣) فى المطبوعة مكان « كر » « قدم » بمعنى أقدم . وهو تصرف كالمقبول من الناشر الأول ، ولكنه فى المخطوطة « لر » وعلى الراء شدة ، وصواب قراءتها ما أثبت . « كر على العدو » رجع وعطف ثم حمل عليه . وأما رواية التاريخ ، ففيها مكان « كر » « حمل » ، وهما سواء فى المعنى ، والأولى أجودهما . وانظر ما سيأتى فى التعليق على الأثر : ٨٠٠٤ .

(٤) انقمع : رجع وارتد وتداخل فرقاً وخوفاً .

(٥) فى المطبوعة : « تبادروا » ، وهو خطأ غث ، والصواب من المخطوطة والتاريخ ، ومن الأثر الآتى : ٨٠٠٤ . وقوله : « تنادوا » تداعوا ونادى بعضهم بعضاً لكى يؤوبوا إلى المعرك .

(٦) إلى هذا الموضع من الأثر ، انتهى ما رواه أبو جعفر فى تاريخه ٣ : ١٤ ، ١٥ ، وسيأتى تخريج بقية الأثر كله فى آخره . وانظر ما سيأتى رقم : ٨٠٠٤ .

(٧) فى المطبوعة والمخطوطة : « بنى الحارث بن عبد مناف » ، وهو خطأ محض . والصواب من التاريخ ومن نسب القوم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسرَ أنفه ورباعيته وشجَّه في وجهه فأثقله ،[١] وتفرق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : « إليَّ عباد الله ! إلى عباد الله ! » ، فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف أحدٌ إلا طلحة وسهل بن حنيف . فحماه طلحة ، فَرُمِيَ بسهم في يده فيبست يده .

= وأقبل أبي بن خلف الجمحي — وقد حلف ليقتلن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتله[٢] — فقال : يا كذاب ، أين تفرّ ؟ فحمل عليه ، فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جيب الدرع ،[٣] فجُرِح جَرحاً خفيفاً ، فوقع يخور خوار الثور.[٤] فاحتملوه وقالوا : ليس بك جِراحة ! [فما يُجزعك] ؟[٥] قال : أليس قال : « لأقتلنك » ؟ لو كانت لجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ! ولم يلبث إلاّ يوماً وبعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

= وفشا في الناس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : « ليت لنا رسولاً إلى عبدالله بن أبي ، فيأخذ لنا أَمَنَةً من أبي سفيان ! ! يا قوم ، إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم ».[٦] قال أنس بن النضر : « يا قوم ، إن كان محمد قد قُتل ، فإن رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم إني أعتذر إليك مما

---

(١) الرباعية (مثل ثمانية) : إحدى الأسنان الأربعة التي تلي الثنايا ، بين الثنية والناب .

(٢) في المطبوعة : « بل أقتلك » ، غير الناشر ما في المخطوطة ، وهو موافق لما في التاريخ ، ظناً منه أن أبي بن خلف ، قال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، وليس ذلك كذلك ، بل قاله في مغيبه لا في مشهده . فلما بلغ ذلك رسول الله قال : بل أنا أقتله .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « جنب الدرع » ، وهو خطأ ، صوابه من التاريخ . وجيب القميص والدرع : الموضع الذي يقور منه ويقطع ، لكي يلبس من ناحيته .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « يخور خوران الثور » ، وهو خطأ صرف ، والصواب من التاريخ . خار الثور يخور خواراً : صاح وصوت أشد صوت . وليس في مصادره « خوران » .

(٥) الزيادة بين القوسين من التاريخ .

(٦) الأمنة (بفتح الألف والميم والنون) : الأمان .

يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء » ! ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل .

= وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس ، حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة. فلما رأوه ، وضع رجُل سهماً فى قوسه فأراد أن يرميه ، فقال : « أنا رسول الله » ! ففرحوا حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا ، وفرحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أنّ فى أصحابه من يمتنع به .[١] فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذهب عنهم الحزن ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا .[٢]

٧٤/٤

= فقال الله عز وجل للذين قالوا : « إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم » : « وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن ماتَ أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين » .[٣]

٧٩٤٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ومن ينقلب على عقبيه » ، قال : يرتدّ .

٧٩٤٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن أبيه = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن أبيه = : أنّ رجلا من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشحّط فى دمه ، فقال : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قتل ! فقال الأنصارى : إن كان محمد قد قتل ، فقد بلّغ ! فقاتلوا عن دينكم .

٧٩٤٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال ، حدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ، أخو بنى عدى بن النجار قال : انتهى

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة « من يمتنع » بإسقاط « به » وليست بشىء ، والصواب من التاريخ. وانظر التعليق على الأثر رقم : ٨٠٦٤ ، الآتى .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « ويذكرون أصحابه » ، والصواب من التاريخ .

(٣) الأثر : ٧٩٤٣ — صدره فى التاريخ ٣ : ١٤ ، ١٥ / ثم سائره فيه ٣ : ٢٠/ ثم انظر رقم : ٨٠٠٤ .

أنس بن النصر = عم أنس بن مالك = إلى عمر ، وطلحة بن عبد الله ، فى رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم ،[١] فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل محمدٌ رسول الله ! قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ! واستقبل القومَ فقاتل حتى قتل = وبه سمى أنس بن مالك .[٢]

٧٩٤٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : نادى منادٍ يوم أحد حين هزم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : « ألا إنّ محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى دينكم الأول » ! فأنزل الله عز وجل : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، الآية .

٧٩٤٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : ألقى فى أفواه المسلمين يومَ أحد أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فنزلت هذه الآية : « وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل » الآية .

٧٩٤٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة ، والناس يفرُّون ، ورجل قائم على الطريق يسألهم : « ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم » ؟ وجعل كلما مروا عليه يسألهم فيقولون : « والله ما ندرى ما فعل » ! فقال : « والذى نفسى بيده ، لئن كان النبى صلى الله صلى الله عليه وسلم قُتل ، لنعطينَّهم بأيدينا ، إنهم لعشائرنا وإخواننا » ! وقالوا : « إن محمداً إن كان حيًّا لم يهزم ، ولكنه قُتل » ! فترخَّصوا فى الفرار حينئذ . فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم : « وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل » ، الآية كلها .

---

(١) « ألقى بيده » : استسلم ، فبقى لا يصنع شيئاً يأساً أو مللا . وهو مجاز ، كأنه طرح يده طرحاً بعيداً عنه .

(٢) الأثر : ٧٩٤٦ — سيرة ابن هشام ٣ : ٨٨ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٩ .

٧٩٥٠ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله: « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » الآية، ناس من أهل الارتياب والمرض والنفاق، قالوا يوم فرّ الناس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وشُجَّ فوق حاجبه وكُسرت رباعيته: « قُتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول »! فذلك قوله: « أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ».

٧٩٥١ - حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»، قال: ما بينكم وبين أن تدعوا الإسلام وتنقلبوا على أعقابكم إلاّ أن يموت محمد أو يقتل! فسوف يكون أحد هذين : فسوف يموت، أو يقتل.

٧٩٥٢ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، إلى قوله : « وسيجزى الله الشاكرين » ، أى: لقول الناس : « قتل محمد » ، وانهزامهم عند ذلك وانصرافهم عن عدوهم= أى: أفائن مات نبيكم أو قتل ، رجعتم عن دينكم كفاراً كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوكم وكتابَ الله وما قد خلف نبيُّه من دينه معكم وعندكم ، وقد بين لكم فيما جاءكم عنى أنه ميتٌ ومفارقكم ؟ = « ومن ينقلب على عقبيه » ، أى : يرجع عن دينه = « فلن يضر الله شيئاً » ، أى : لن ينقص ذلك من عز الله ولا ملكه ولا سلطانه.[1]

٧٩٥٣ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : قال أهل المرض والارتياب والنفاق ، حين فرّ الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول »! فنزلت هذه الآية.

٧٥/٤

* * *

(١) الأثر : ٧٩٥٢ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧، ١١٨ ، وهو تتمة الآثار السالفة التى آخرها : ٧٩٣٧، ثم تتمة هذا الأثر ، مرت برقم : ٧٩٤٠.

قال أبو جعفر : ومعنى الكلام : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفتنقلبون على أعقابكم، إن مات محمد أو قتل ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً = فجعل الاستفهام فى حرف الجزاء، ومعناه أن يكون فى جوابه . وكذلك كل استفهام دخل على جزاء ، فمعناه أن يكون فى جوابه . لأن الجواب خبرٌ يقوم بنفسه ، والجزاء شرط لذلك الخبر ، ثم يجزم جوابه وهو كذلك ومعناه الرفع ، لمجيئه بعد الجزاء ، كما قال الشاعر :[1]

حَلَفْتُ لَهُ: إنْ تُدْلِجِ اللَّيلَ لَا يَزَلْ أَمَامَكَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِى سَائِرُ[2]

فمعنى « لا يزل » رفع ، ولكنه جزم لمجيئه بعد الجزاء ، فصار كالجواب . ومثله : ﴿ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٤] ، و ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ ﴾ [سورة المزمل : ١٧] ،[3] ، ولو كان مكان « فهم الخالدون » ، « يخلدون » ، وقيل : « أفائن مت يخلدوا » ، جاز الرفع فيه والجزم . وكذلك لو كان مكان « انقلبتم » ، « تنقلبوا » ، جاز الرفع والجزم ، لما وصفت قبل .[4] وتركت إعادة الاستفهام ثانية مع قوله : « انقلبتم » ، اكتفاءً بالاستفهام فى أول الكلام ، وأن الاستفهام فى أوله دالٌّ على موضعه ومكانه .

وقد كان بعض القرأة يختار فى قوله : ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا

---

(١) هو الراعى .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٦٩ ، ٢٣٦ ، والمعانى الكبير : ٨٠٥ ، والخزانة ٤ : ٤٥٠ ، وسيأتى فى التفسير ١٣ : ٦٩ (بولاق) ، ورواه ابن قتيبة فى المعانى الكبير : « عائر » مكان « سائر » وقال : « أى بيت هجاء سائر » . وذلك من قولهم : « عار الفرس » ، إذا أفلت وذهب على وجهه ، وذهب وجاء متردداً . ويقال : « قصيدة عائرة » ، أى سائرة فى كل وجه . وكان فى المطبوعة هنا « ساتر » وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، ومن الموضع الآخر من التفسير ، ومن المراجع .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة « وكيف تتقون . . . » ، وهو خطأ فى التلاوة .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٦

لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [سورة الإسراء : ٨٢/سورة الصافات : ١٦ / سورة الواقعة : ٤٧] ، [١] ترك إعادة الاستفهام مع « أئنا » ، اكتفاء بالاستفهام فى قوله : « أئذا كنا تراباً » ، ويستشهد على صحة وجه ذلك بإجماع القرأة على تركهم إعادة الاستفهام مع قوله : [٢] « انقلبتم » ، اكتفاء بالاستفهام فى قوله : « أفائن مات » ، إذ كان دالاً على معنى الكلام وموضع الاستفهام منه . [٣] وكان يفعل مثل ذلك فى جميع القرآن .

وسنأتى على الصواب من القول فى ذلك إن شاء الله إذا انتهينا إليه . [٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وما يموت محمد ولا غيره من خلق الله إلا بعد بلوغ أجله الذى جعله الله غاية لحياته وبقائه، فإذا بلغ ذلك من الأجل الذى كتبه الله له، وأذن له بالموت، فحينئذ يموت . فأما قبل ذلك، فلن يموت بكيد كائد ولا بحيلة محتال ، كما : —

٧٩٥٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وما كان لنفس أن تموت إلاّ بإذن الله كتاباً مؤجلاً » ، أى : إن لمحمد أجلاً هو بالغه، إذا أذن الله له فى ذلك كان . [٥]

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أئذا كنا تراباً وعظاماً » أسقط « متنا » والواو من « وكنا » ، وهو خطأ فى التلاوة .

(٢) فى المطبوعة « باجتماع القراء » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « إذا كان دالا » ، والصواب « إذ » كما أثبتها .

(٤) كأنه يعنى ما سيأتى فى تفسيره ١٣ : ٦٩ (بولاق) ، فإذا وجدت بعد ذلك مكاناً آخر غيره أشرت إليه .

(٥) الأثر : ٧٩٥٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٤٠ .

وقد قيل إنّ معنى ذلك : وما كانت نفسٌ لتموت إلا بإذن الله .(١)

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى معنى الناصب قوله : « كتاباً مؤجّلا » .

فقال بعض نحويي البصرة : هو توكيد ، ونصبه على : « كتب الله كتاباً مؤجّلا » . قال : وكذلك كل شىء فى القرآن من قوله : ﴿ حَقًّا ﴾ إنما هو : أحِقٌ ذلك حقًّا» . وكذلك : ﴿ وَعْدَ الله ﴾ ﴿ ورحمةً من ربِّك ﴾ ﴿ وصُنْعَ الله الَّذِى أتْقَنَ كُلَّ شىء ﴾ ، ﴿ وكتابَ الله عليكُم ﴾ ،(٢) إنما هو : صَنَعَ الله هكذا صنعاً . فهكذا تفسير كل شىء فى القرآن من نحو هذا ، فإنه كثيرٌ .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة فى قوله : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله » ، معناه : كتب الله آجالَ النفوس ، ثم قيل : « كتاباً مؤجّلا » ، فأخرج قوله : « كتاباً مؤجلا » ، نصباً من المعنى الذى فى الكلام ، إذ كان قوله : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله » ، قد أدّى عن معنى : « كتب » . (٣) قال وكذلك سائر ما فى القرآن من نظائر ذلك ، فهو على هذا النحو .

* * *

وقال آخرون منهم : قول القائل : « زيد قائم حقًّا » ، بمعنى : « أقول زيد قائم حقًّا » ، لأن كل كلام «قول» ، فأدى المقول عن «القول» ، ثم خرج ما بعده منه ، كما تقول : « أقول قولا حقًّا » ، وكذلك « ظنًّا » و « يقيناً » وكذلك : « وعدَ الله » ، وما أشبهه .

* * *

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٠٤ .

(٢) هذه مواضع الآيات من كتاب الله على الترتيب : [سورة النساء : ١٢٢/سورة يونس : ٤/سورة لقمان : ٩] / [سورة الكهف : ٨٢/سورة القصص : ٤٦/سورة الدخان : ٦] / [سورة النمل : ٨٨]/[سورة النساء : ٢٤] .

(٣) فى المطبوعة : « عن معناه كتب » ، وهو كلام مختل ، والصواب من المخطوطة .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ، أن كل ذلك منصوب على المصدر من معنى الكلام الذى قبله ، لأن فى كل ما قبل المصادر التى هى مخالفة ألفاظُها ألفاظَ ما قبلها من الكلام ، معانِيَ ألفاظ المصادر وإن خالفها فى اللفظ ، فنصبها من معانى ما قبلها دون ألفاظه .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ﴿١٤٥﴾

٧٦/٤ قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ومن يرد منكم ، أيها المؤمنون ، بعمله جزاءً منه بعضَ أعراض الدنيا ، دون ما عند الله من الكرامة لمن ابتغى بعمله ما عنده = « نؤته منها » ، يقول : نعطه منها ، يعنى من الدنيا ، يعنى أنه يعطيه منها ما قُسم له فيها من رزق أيام حياته ، ثم لا نصيب له فى كرامة الله التى أعدها لمن أطاعه وطلب ما عنده فى الآخرة = « ومن يرد ثوابَ الآخرة » ، يقول : ومن يرد منكم بعمله جزاءً منه ثواب الآخرة ، يعنى : ما عند الله من كرامته التى أعدها للعاملين له فى الآخرة = « نؤته منها » ، يقول : نعطه منها ، يعنى من الآخرة . والمعنى : من كرامة الله التى خصَّ بها أهلَ طاعته فى الآخرة . فخرج الكلامُ على الدنيا والآخرة ، والمعنىُّ ما فيهما ، كما : —

٧٩٥٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » ، أى : فمن كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رغبة فى الآخرة ، نؤته ما قسم له منها من رزق ، ولا حظ له فى

الآخرة = « ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » ما وعده، مع ما يُجرى عليه من رزقه فى دنياه .[١]

* * *

وأما قوله : « وسنجزى الشاكرين »، يقول : وسأثيب من شكر لى ما أوليته من إحسانى إليه = بطاعته إياى، وانتهائه إلى أمرى ، وتجنُّبه محارمى = فى الآخرة مثل الذى وعدت أوليائى من الكرامة على شكرهم إياى .

وقال ابن إسحق فى ذلك بما : —

٧٩٥٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وسنجزى الشاكرين»، أى: ذلك جزاء الشاكرين ، يعنى بذلك ، إعطاء الله إياه ما وعده فى الآخرة ، مع ما يجرى عليه من الرزق فى الدنيا .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأه بعضهم : ﴿ وَكَأَيِّنْ ﴾ ، بهمز « الألف » وتشديد « الياء » .

* * *

وقرأه آخرون بمد « الألف » وتخفيف « الياء »

* * *

وهما قراءتان مشهورتان فى قرأة المسلمين ، ولغتان معروفتان، لا اختلاف فى معناهما، فبأىِّ القراءتين قرأ ذلك قارئ فمصيبٌ . لاتفاق معنى ذلك، وشهرتهما فى كلام العرب . ومعناه: وكم من نبى .

* * *

(١) الأثر : ٧٩٥٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٥٤ . والاختلاف عظيم فى لفظ الأثر .

(٢) الأثر : ٧٩٥٦ — ليس فى سيرة ابن هشام بنصه .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَـٰتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ .

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « قتل معه ربيون » .(١)

فقرأ ذلك جماعة من قرأة الحجاز والبصرة : ﴿ قُتِلَ ﴾ ، بضم القاف .

* * *

وقرأه جماعة أخر بفتح « القاف » و« بالألف ».(٢) وهى قراءة جماعة من قرأة الحجاز والكوفة .

* * *

قال أبو جعفر : فأما من قرأ ﴿ قَاتَلَ ﴾ ، فإنه اختار ذلك ، لأنه قال : لو قُتلوا لم يكن لقوله : « فما وهنوا » ، وجه معروف . لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يَهِنوا ولم يضعفوا بعد ماقتلوا .

وأما الذين قرأوا ذلك : ﴿ قُتِلَ ﴾ ، فإنهم قالوا : إنما عنى بالقتل النبىَّ وبعضَ من معه من الربيين دون جميعهم ، وإنما نفى الوهن والضعف عمن بقى من الربيين ممن لم يقتل .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأ بضم « القاف » : ﴿ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ ، لأن الله عز وجل إنما عاتب بهذه الآية والآيات التى قبلها = من قوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾(٣) = الذين انهزموا يوم أحُد وتركوا القتال ، أو سمعوا الصائح يصيح : « إن محمداً قد قتل » . فعذلهم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال فقال : أفائن مات محمد أو قتل ، أيها المؤمنون ، ارتددتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم ؟ ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم ، وقال لهم : هلاَّ فعلتم كما كان

---

(١) فى المطبوعة : « ربيون كثير » ، واتبعت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « جماعة أخرى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) السياق : إنما عاتب بهذه الآية . . . الذين انهزموا . . .

أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قتل نبيهم = من المضى على منهاج نبيهم ، والقتال على دينه أعداءَ دين الله، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم = ولم تهنوا ولم تضعفوا ، كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قتل نبيهم، ولكنهم صَبَروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم؟ وبذلك من التأويل جاء تأويل المتأوِّلين .[1]

* * *

وأما « الربيون » ، فإنهم مرفوعون بقوله : « معه » لا بقوله : « قتل » . وإنما تأويل الكلام : وكأين من نبيّ قُتل، ومعه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله . وفى الكلام إضمار « واو »، لأنها « واو » تدل على معنى حال قَتْل النبى صلى الله عليه وسلم ، غير أنه اجتزأ بدلالة ما ذكر من الكلام عليها من ذكرها ، وذلك كقول القائل فى الكلام : « قتل الأمير معه جيش عظيم »، ٧٧/٤ بمعنى : قتل ومعه جيشٌ عظيم .

* * *

وأما « الربيون »، فإن أهل العربية اختلفوا فى معناه .

فقال بعض نحويى البصرة : هم الذين يعبدون الرَّبَّ، واحدهم « رِبِّى » .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : لوكانوا منسوبين إلى عبادة الربّ لكانوا « رَبِّيون » بفتح « الراء » ، ولكنه : العلماء ، والألوف .

* * *

و« الربيون» عندنا ، الجماعات الكثيرة،[2] واحدهم «رِبِّى»، وهم الجماعة .[3]

* * *

واختلف أهل التأويل فى معناه .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « تأويل المتأول » ، ولكن « لام » « المتأول » فى المخطوطة ممدودة فى الهامش ، وتحتها نقطتان ، فهذا صواب قراءتها ، وهو صواب السياق .

(٢) فى المطبوعة : « الجماعة الكثيرة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وهم جماعة » ، وكأن الأجود ما أثبت ، إلا أن يكون قد سقط من الناسخ شىء .

فقال بعضهم مثل ما قلنا .

* ذكر من قال ذلك :

٧٩٥٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله : الربيون ، الألوف .

٧٩٥٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان الثورى ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله مثله .

٧٩٥٩ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى وابن عيينة ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله مثله .

٧٩٦٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام قال ، حدثنا عمرو ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله مثله .

٧٩٦١ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عوف ، عمن حدثه ، عن ابن عباس فى قوله : « ربيون كثير » ، قال : جموع كثيرة .

٧٩٦٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « قاتل معه ربيون كثير » ،[1] قال : جموع .

٧٩٦٣ — حدثني حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا شعبة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله : « وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير » ، قال : الألوف .

* * *

وقال آخرون بما : —

٧٩٦٤ — حدثني به سليمان بن عبد الجبار قال ، حدثنا محمد بن الصلت

---

(١) فى هذا الموضع من الآثار التالية ، كتب « قاتل معه » ، وسائرها « قتل » ، كالقراءة التى اختارها أبو جعفر ، فتركت قراءة أبي جعفر كما هى فى هذه الآثار ، وإن خالفت القراءة التى عليها مصحفنا وقراءتنا فى مصر وغيرها . وذلك لأن معانى الآثار كلها مطابقة لقراءتها « قتل » بالبناء للمجهول .

قال ، حدثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، قال : علماء كثير .

٧٩٦٥ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عوف ، عن الحسن في قوله : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، قال : فقهاء علماء .

٧٩٦٦ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قوله : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، قال : الجموع الكثيرة = قال يعقوب : وكذلك قرأها إسمعيل : ﴿ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ .

٧٩٦٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، يقول : جموع كثيرة .

٧٩٦٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن في قوله : « قتل معه ربيون كثير » ، قال : علماء كثير =(١) وقال قتادة : جموعٌ كثيرة .

٧٩٦٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة في قوله : « ربيون كثير » ، قال : جموع كثيرة .

٧٩٧٠ — حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة مثله .

٧٩٧١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « قتل معه ربيون كثير » ، قال : جموع كثيرة .

٧٩٧٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

---

(١) في المطبوعة : « علماء كثيرة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

٧٩٧٣ - حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « قتل معه ربيون كثير » ، يقول : جموع كثيرة .

٧٩٧٤ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، يقول : جموع كثيرة ، قُتل نبيهم .

٧٩٧٥ - حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن جعفر بن حبان والمبارك ، عن الحسن في قوله: « وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير » ، قال جعفر : علماء صبروا = وقال ابن المبارك : أتقياء صُبُر .[1]

٧٩٧٦ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « قتل معه ربيون كثير » ، يعني الجموع الكثيرة ، قتل نبيهم .

٧٩٧٧ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : « قاتل معه ربيون كثير » ، يقول : جموع كثيرة .

٧٩٧٨ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قوله : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، قال : وكأين من نبي أصابه القتل ، ومعه جماعات .[2]

٧٨/٤ ٧٩٧٩ - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، الربيون: هم الجموع الكثيرة .[3]

* * *

وقال آخرون : الربيون ، الأتباع .

---

(١) في المطبوعة : « أتقياء صبروا » والصواب ما في المخطوطة : « صبر » (بضمتين) جمع « صبور »

(٢) الأثر : ٧٩٧٨ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، وهو من تتمة الآثار التي آخرها : ٧٩٥٥ مع بعض خلاف في لفظه .

(٣) في المطبوعة : « الربيون الجموع » بإسقاط « هم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٩٨٠ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير »، قال : « الربيون » الأتباع، و« الرّبانيون » الولاة، و« الربِّيون » الرعية. وبهذا عاتبهم الله حين انهزموا عنه،[1] حين صاح الشيطان : « إن محمداً قد قتل » = قال : كانت الهزيمة عند صياحه في [سبه صاح] :[2] أيها الناس، إنّ محمداً رسول الله قد قُتل، فارجعوا إلى عشائركم يؤمِّنوكم !

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٦)

قال أبو جعفر : يعني بقوله تعالى ذكره : « فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله »، فما عجزوا = لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله،[3] ولا لقتل من قُتل منهم =، عن حرب أعداء الله، ولا نكلوا عن جهادهم = « وما ضعفوا »، يقول : وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم = « وما استكانوا »، يعني وما ذلوا فيتخشّعوا لعدوّهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم، ولكن مضوا قُدُماً على بصائرهم ومنهاج نبيِّهم، صبراً على أمر الله وأمر نبيهم، وطاعة لله واتباعاً لتنزيله ووحيه =

---

(١) في المطبوعة : « وهذا عاتبهم »، وكأن صواب قراءتها في المخطوطة ما أثبت، وهو السياق.

(٢) الكلمات التي بين القوسين، هكذا جاءت في المخطوطة غير منقوطة، أما المطبوعة فقد قرأها « في سنية صاح »، وهو لا معنى له. وقد جهدت أن أجد هذا الأثر في مكان آخر، أو أن أعرف وجهاً مرضياً في قراءته، فأعياني طلب ذلك. وقد بدا لي أنها محرفة عن اسم موضع، أو ثنية، وقف عندها إبليس فنادى بذلك النداء، ولكني لم أجد ما أردت. والمعروف في السير، أن أزب العقبة إبليس قد تصور متمثلا في شبه جعال بن سراقة، وصرخ بما صرخ به، حتى هم أناس بقتل جعال، فشهد له خوات بن جبير، وأبو بردة بن نيار، بأن جعالا كان عندهما وبجنبهما يقاتل، حين صرخ ذلك الصارخ. فأرجو أن أجد بعد إن شاء الله صواب قراءة هذا الرسم المشكل.

(٣) انظر تفسير « وهن » فيما سلف قريباً : ٢٣٤

« والله يحب الصابرين » ، يقول : والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته وطاعة رسوله فى جهاد عدوه ، لا مَنْ فشل ففرَّ عن عدوه ، ولا من انقلب على عقبيه فذلّ لعدوه لأنْ قُتِل نبيه أو مات ، ولا مَن دخله وهن عن عدوه، وضعفٌ لفقد نبيه .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٩٨١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » ، يقول : ما عجزوا وما تضعضعوا لقتل نبيهم = « وما استكانوا » يقول : ما ارتدوا عن بصيرتهم ولا عن دينهم ، [1] بل قاتلوا على ما قاتل عليه نبى الله حتى لحقوا بالله .

٧٩٨٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا » ، يقول : ما عجزوا وما ضعفوا لقتل نبيهم = « وما استكانوا » ، يقول : وما ارتدوا عن بصيرتهم ، [2] قاتلوا على ما قاتل عليه نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالله .

٧٩٨٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فما وهنوا » ، فما وهن الربيون = « لما أصابهم فى سبيل الله » من قتل النبى صلى الله عليه وسلم = « وما ضعفوا » ، يقول: ما ضعفوا فى سبيل الله لقتل النبى = « وما استكانوا » ، يقول : ما ذلُّوا حين قال رسول الله صلى الله عليه

(١) فى المطبوعة والمخطوطة فى هذا الموضع « عن نصرتهم » ، وهو خطأ لا معنى له . و « البصيرة » : عقيدة القلب ، والمعرفة على تثبت ويقين واستبانة . يريد ما اعتقدوا فى قلوبهم من الدين عن بصر ويقين. وقد سلف منذ أسطر » : ولكن مضوا قدماً على بصائرهم » ، وانظر ما سيأتى فى الأثر التالى ، والتعليق عليه .

(٢) فى المطبوعة : « عن نصرتهم » كما فى الأثر السالف ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة « عن نصرتهم » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . انظر التعليق السالف .

وسلم : « اللهم ليس لهم أن يعلونا » — و﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.(١)

٧٩٨٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فما وهنوا» لفقد نبيهم = « وما ضعفوا » ، عن عدوهم = « وما استكانوا » ، لما أصابهم فى الجهاد عن الله وعن دينهم ، وذلك الصبر= « والله يحب الصابرين » .(٢)

٧٩٨٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس: « وما استكانوا » ، قال : تخشّعوا .

٧٩٨٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: « وما استكانوا »، قال: ما استكانوا لعدوهم = « والله يحب الصابرين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وما كان قولهم » ، وما كان قول الربِّيين— و« الهاء والميم » من ذكر أسماء الربيين= « إلا أن قالوا »، يعنى : ما كان لهم قولٌ سوى هذا القول، إذ قتل نبيهم = وقوله: « ربنا اغفر لنا ذنوبنا »، يقول : لم يعتصموا، إذ قتل نبيهم، إلا بالصبر على ما أصابهم، ومجاهدة عدوهم، وبمسألة

(١) فى المطبوعة : « ليس لهم أن يعلونا ولا تهنوا . . . » ، وفى المخطوطة : « ليس لهم أن يعلونا لا تهنوا . . . » ، والصواب ما أثبت ، مع الفصل ، يعنى : ما ذلوا حين قال لهم رسول الله ما قال ، وحين نزل الله على رسوله الآية . وانظر تفسير الآية فيما سلف ص : ٢٣٤، والأثر : ٧٨٩٢ .

(٢) الأثر : ٧٩٨٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٧٨ .

ربهم المغفرة والنصر على عدوهم . ومعنى الكلام : وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا .[1]

* * *

وأما « الإسراف » ، فإنه الإفراط فى الشيء : يقال منه : « أسرف فلان فى هذا الأمر » ، إذا تجاوز مقداره فأفرط .

* * *

ومعناه ههنا : اغفر لنا ذنوبنا : الصغارَ منها ، وما أسرفنا فيه منها فتخطينا إلى العظام . وكان معنى الكلام : اغفر لنا ذنوبنا ، الصغائر منها والكبائر ، كما :— ٧٩/٤

٧٩٨٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قول الله : « وإسرافنا فى أمرنا » ، قال : خطايانا .

٧٩٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وإسرافنا فى أمرنا » ، خطايانا وظلمنا أنفسنا .

٧٩٨٩ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك فى قوله : « وإسرافنا فى أمرنا » ، يعنى الخطايا الكِبار .

٧٩٩٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم قال : الكبائر .

٧٩٩١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وإسرافنا فى أمرنا » ، قال : خطايانا .

٧٩٩٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإسرافنا فى أمرنا » ، يقول : خطايانا .

* * *

وأما قوله : « وثبت أقدامنا » ، فإنه يقول : اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوك

---

(١) هذا نص الآية ؛ وكأن الصواب : « وما كان قولا لهم إلا أن قالوا » ؛ ليبين عن أن « قولهم » خبر « كان » و « أن قالوا » اسمها . وانظر ص : ٢٧٣ ، ٢٧٤

وقتالهم ، ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفرّ منهم ولا يثبتُ قدمه فى مكان واحد لحربهم = « وانصرنا على القوم الكافرين » ، يقول : وانصرنا على الذين جحدوا وحدانيتك ونبوة نبيك .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وإنما هذا تأنيب من الله عز وجل عبادَه الذين فرّوا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم ، وتأديبٌ لهم . يقول : الله عز وجل : هلاّ فعلتم إذ قيل لكم : « قُتل نبيكم » — كما فعل هؤلاء الربِّيون الذين كانوا قبلكم من أتباع الأنبياء إذ قتلت أنبياؤهم ، فصبرتم لعدوكم صبرَهم ، ولم تضعفوا وتستكينوا لعدوكم فتحاولوا الارتداد على أعقابكم ، كما لم يضعف هؤلاء الربِّيون ولم يستكينوا لعدوهم ، وسألتم ربكم النصر والظفر كما سألوا ، فينصركم الله عليهم كما نصروا ، فإن الله يحب من صَبر لأمره وعلى جهاد عدوه ، فيعطيه النصر والظفر على عدوه ؟ كما : —

٧٩٩٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » ، أى : فقولوا كما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروا كما استغفروا ، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ، ولا ترتدّوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يثبِّت أقدامكم ، واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين . فكل هذا من قولهم قد كان وقد قُتل نبيهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم.(٢)

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى هى القراءة فى قوله : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ ﴾ النصب ، لإجماع قرأة الأمصار على ذلك نقلا مستفيضاً وراثة عن الحجة.(٣) وإنما

---

(١) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ٥ : ٣٥٤ .

(٢) الأثر : ٧٩٩٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، ١١٩ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٨٤

(٣) انظر استعمال « وراثة » ، و « موروثة » فيما سلف ٦ : ١٢٧ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

اختير النصبُ فى « القول » ، لأن « أن » لا تكون إلاّ معرفة ، [١] فكانت أولى بأن تكون هى الاسم ، دون الأسماء التى قد تكون معرفة أحياناً ونكرة أحياناً ، [٢] ولذلك اختير النصبُ فى كل اسم ولَى « كان » ، إذا كان بعده « أن » الخفيفة : كقوله : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ [سورة العنكبوت : ٢٤] ، [٣] وقوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ [سورة الأنعام : ٢٣] . [٤] فأمّا إذا كان الذى يلى « كان » اسما معرفة ، والذى بعده مثله ، فسواء الرفعُ والنصبُ فى الذى ولى « كان » . فإن جعلت الذى ولى « كان » هو الاسم ، رفعته ونصبت الذى بعده . وإن جعلت الذى ولى « كان » هو الخبر ، نصبته ورفعت الذى بعده ، وذلك كقوله جل ثناؤه : ﴿ ثم كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى ﴾ [سورة الروم : ١٠] . إن جعلت « العاقبة » الاسم رفعتها ، وجعلت « السوأى » هى الخبر منصوبةً . وإن جعلت « العاقبة » الخبر ، نصبت فقلت : « ثم كان عاقبةَ الذين أساؤوا السوأى » ، وجعلت « السوأى » هى الاسم ، فكانت مرفوعة ، وكما قال الشاعر : [٥]

لَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ مَا كَانَ دَاءَهَا ... بِثَهْلَانَ إِلَّا الخِزْىُ مِمَّنْ يَقُودُهَا [٦]

وروى أيضاً : « ما كان داؤها بثهلان إلاّ الخزىَ » ، نصباً ورفعاً على ما قد

---

(١) فى المطبوعة : « لأن إلا أن لا تكون إلا معرفة » بزيادة « إلا » الأولى ، وهو فساد مستهجن ، والصواب من المخطوطة ، ولكن الناسخ كان قد أخطأ ، فغير وضرب ، فأخطأ الناشر الأول قراءة ما كتب.

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٧ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وما كان جواب . . . » بالواو ، وصحيح التلاوة ما أثبت .

(٤) أثبت قراءة النصب كما ذكر الطبرى ، والذى عليه مصحفنا وقراءتنا ، رفع « فتنتهم » .

(٥) لم أعرف قائله .

(٦) سيبويه ١ : ٢٤ ، ولم ينسبه ، قال الشنتمرى : « استشهد به على استواء اسم كان وخبرها فى الرفع والنصب ، لاستوائهما فى المعرفة . وصف كتيبة انهزمت ، فيقول : لم يكن داؤها وسبب انهزامها إلا جبن من يقودها وانهزامه . وجعل الفعل للخزى مجازاً واتساعاً ، والمعنى : إلا قائدها المنهزم الخزيان ، وثهلان : اسم جبل » .

بينت . ولو فُعل مثل ذلك مع « أن » كان جائزاً ، غير أن أفصحَ الكلام ما وصفت عند العرب .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَـَٔاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٤٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : فأعطى الله الذين وصفهم بما وصفهم ، من الصبر على طاعة الله بعد مقتل أنبيائهم ، وعلى جهاد عدوهم ، والاستعانة بالله فى أمورهم ، واقتفائهم مناهج إمامهم على ما أبلوا فى الله — « ثوابَ الدنيا » ، يعنى : جزاء فى الدنيا ، وذلك : النصرُ على عدوهم وعدو الله ، والظفرُ ، والفتح عليهم ، والتمكين لهم فى البلاد = « وحسن ثواب الآخرة » ، يعنى : وخير جزاء الآخرة على ما أسلفوا فى الدنيا من أعمالهم الصالحة ، وذلك : الجنةُ ونعيمُها ، كما :— ٨٠/٤

٧٩٩٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا » ، فقرأ حتى بلغ « والله يحب المحسنين » ، إى والله ، لآتاهم الله الفتح والظهورَ والتمكينَ والنصر على عدوهم فى الدنيا = « وحسنَ ثواب الآخرة » ، يقول : حسن الثواب فى الآخرة ، هى الجنة .

٧٩٩٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وما كان قولهم » ، ثم ذكر نحوه .

٧٩٩٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج فى قوله : « فآتاهم الله ثوابَ الدنيا » ، قال : النصر والغنيمة = « وحسن ثواب الآخرة » ، قال : رضوانَ الله ورحمته .

٧٩٩٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « فآتاهم الله ثوابَ الدنيا »، الظهورَ على عدوهم =[١] « وحسن ثواب الآخرة »، الجنةَ وما أعدَّ فيها = وقوله: « والله يحب المحسنين » ، يقول تعالى ذكره : فعل الله ذلك بهم بإحسانهم ، فإنه يحب المحسنين، وهم الذين يفعلون مثل الذى وصف عنهم تعالى ذكره أنهم فعلوه حين قتل نبيُّهم .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴾ (١٤٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ياأيها الذين صدَّقوا الله ورسوله فى وعد الله ووعيده وأمره ونهيه =« إن تطيعوا الذين كفروا »، يعنى : الذين جحدوا نبوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى — فيما يأمرونكم به وفيما ينهونكم عنه — فتقبلوا رأيهم فى ذلك وتنتصحوهم فيما يزعمون أنهم لكم فيه ناصحون = « يردوكم على أعقابكم » ، يقول : يحملوكم على الرِّدة بعد الإيمان، والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الإسلام[٣] =« فتنقلبوا خاسرين »، يقول: فترجعوا عن إيمانكم ودينكم الذى هداكم الله له= « خاسرين » ، يعنى : هالكين ، قد خسرتم أنفسكم، وضللتم عن دينكم ، وذهبت دنياكم وآخرتكم .[٤]

---

(١) فى المطبوعة : « حسن الظهور على عدوهم » ، وفى المخطوطة كتب « وحسن الظهور » ثم ضرب على « وحسن » . وفى ابن هشام : « بالظهور » بالباء .

(٢) الأثر : ٧٩٩٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٩ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٩٣ ، مع اختلاف فى اللفظ ، ومع اختصاره .

(٣) انظر تفسير « ارتد على عقبه » فيما سلف قريباً : ٢٥١ ، تعليق : ٤، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « خسر » فيما سلف ١ : ٤١٧/٢ : ١٦٦ ، ٥٧٢/ ٦ : ٥٧٠ .

ينهى بذلك أهل الإيمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر فى آرائهم وينتصحوهم فى أديانهم ، كما : —

٧٩٩٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » ، أى : عن دينكم ، فتذهب دنياكم وآخرتكم .[1]

٧٩٩٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا » ، قال ابن جريج : يقول : لا تنتصحوا اليهود والنصارى على دينكم ، ولا تصدِّقوهم بشئ فى دينكم .

٨٠٠٠ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » ، يقول : إن تطيعوا أبا سفيان ، يردَّكم كفاراً .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَـٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴾ (١٥٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : إن الله مسدِّدكم ، أيها المؤمنون ، فمنقذكم من طاعة الذين كفروا .

* * *

(١) الأثر : ٧٩٩٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٩ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٩٧ . وفى سيرة ابن هشام : « أى : عن عدوكم ، فتذهب دنياكم وآخرتكم » ، وهو فاسد المعنى ، تصحيحه من هذا الموضع من الطبرى .

(٢) فى المطبوعة : « يردوكم كفاراً » بالجمع ، وهو غير مستقيم ، والصواب من المخطوطة .

وإنما قيل : « بل الله مولاكم » ، لأن فى قوله : « إن تطيعوا الذين كفروا يردُّوكم على أعقابكم » ، نهياً لهم عن طاعتهم ، فكأنه قال : يا أيها الذين آمنوا لا تُطيعوا الذين كفروا فيردُّوكم على أعقابكم، ثم ابتدأ الخبر فقال : « بل الله مولاكم » ، فأطيعوه ، دون الذين كفروا ، فهو خيرُ من نَصَر . ولذلك رفع اسم « الله » ، ولو كان منصوباً على معنى : بل أطيعوا الله مولاكم ، دون الذين كفروا = كان وجهاً صحيحاً .

* * *

ويعنى بقوله : « بل الله مولاكم » ، وليُّكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا،[1] « وهو خير الناصرين » ، لا من فررتم إليه من اليهود وأهل الكفر بالله . فبالله الذى هو ناصركم ومولاكم فاعتصموا ، وإياه فاستنصروا ، دون غيره ممن يبغيكم الغوائل ، ويرصدكم بالمكاره ، كما : — ٨١/٤

٨٠٠١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « بل الله مولاكم »، إن كان ما تقولون بألسنتكم صدقاً فى قلوبكم = « وهو خير الناصرين »، أى : فاعتصموا به ولا تستنصروا بغيره، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدِّين عن دينكم.[2]

* * *

---

(١) انظر تفسير « المولى » فيما سلف ٦ : ١٤١ .

(٢) الأثر : ٨٠٠١ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٩ ، ١٢٠ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٩٨ ، مع اختلاف يسير فى اللفظ .

القول فى تأويل قوله ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿١٥١﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : سيلقى الله ، أيها المؤمنون = « فى قلوب الذين كفروا » بربهم ، وجحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ممن حاربكم بأحد = « الرعب » ، وهو الجزع والهلع = « بما أشركوا بالله » ، يعنى : بشركهم بالله وعبادتهم الأصنام ، وطاعتهم الشيطان التى لم أجعل لهم بها حجة = وهى « السلطان » = التى أخبر عز وجل أنه لم ينزله بكفرهم وشركهم .

وهذا وعدٌ من الله جل ثناؤه أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائهم ، والفلج عليهم ، ما استقاموا على عهده ، وتمسكوا بطاعته . ثم أخبرهم ما هو فاعلٌ بأعدائهم بعد مصيرهم إليه ، فقال جل ثناؤه : « ومأواهم النار » ، يعنى : ومرجعهم الذى يرجعون إليه يوم القيامة ، النارُ = « وبئس مثوى الظالمين » ، يقول : وبئس مقام الظالمين — الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لها عقابَ الله — النارُ ، كما : —

٨٠٠٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين » ، إنى سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب الذى به كنت أنصركم عليهم ، بما أشركوا بى ما لم أجعل لهم به حجة ، أى : فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ، ما اعتصمتم واتبعتم أمرى ، للمصيبة التى أصابتكم

منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى ، وعصيتم فيها نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم .[(١)]

٨٠٠٣ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجِّهين نحو مكة ، انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق . ثم إنهم ندموا فقالوا : بئس ما صنعتم ، إنكم قتلتموهم ، حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم ![(٢)] ارجعوا فاستأصلوهم ! فقذف الله عز وجل فى قلوبهم الرعب فانهزموا. فلقوا أعرابيًّا ، فجعلوا له جُعْلاً ، وقالوا له : إن لقيت محمداً فأخبره بما قد جمعنا لهم . فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك ، فذكر أبا سفيان حين أراد أن يرجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وما قُذف فى قلبه من الرعب فقال : « سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ».[(٣)]

* * *

(١) الأثر : ٨٠٠٢ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٠ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٠١ .

(٢) « الشريد » ، هكذا فى المطبوعة والدر المنثور ٢ : ٨٢ ، وأما المخطوطة ، فاللفظ فيها مضطرب لا يستبين . وانظر أيضاً رقم : ٨٢٣٧ .

(٣) عند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه القول فى تأويل قوله :

« ولقد صدقكم الله وعده

« وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وصحبه وسلّم »

ثم يتلوه ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسِّر » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « ولقد صدقكم الله » ، أيها المؤمنون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بأحُد ، وعدَه الذى وعدهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

و « الوعد » الذى كان وعدَهم على لسانه بأحُد ، قوله للرماة : « اثبتوا مكانكم ولا تبرحوا ، وإن رأيتمونا قد هزمناهم ، فإنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم » . وكان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم النصر يومئذ إن انتهوا إلى أمره ، كالذى :—

٨٠٠٤ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين بأحُد ، أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل فى وجوه خيل المشركين وقال : « لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا قد هزمناهم ، فإنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم ، » وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير ، أخا خوّات بن جبير . ثم إنّ طلحة بن عثمان ، صاحب لواء المشركين ، قام فقال : يا معشر أصحاب محمد ، إنكم تزعمون أن الله يعجِّلنا بسيوفكم إلى النار ، ويعجِّلكم بسيوفنا إلى الجنة ! فهل منكم أحد يعجِّله الله بسيفى إلى الجنة ! أو يعجِّلنى بسيفه إلى النار ؟ فقام إليه على بن أبى طالب فقال : والذى نفسى بيده ، لا أفارقك حتى يعجِّلك الله بسيفى إلى النار ، أو يعجِّلنى بسيفك إلى الجنة ! فضربه على فقطع رجلَه ، فسقط ، فانكشفت عورته ، فقال : أنشدك الله والرحم ، ابنَ عم ! فتركه. ٨٢/٤

أخبرنا أبو بكر محمد بن داوود بن سليمان قال ، أخبرنا
أبو جعفر محمد بن جرير »

ثم انظر ما سلف فى ص ٦ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ التعليق رقم : ٥ / ثم ٧ : ٢١ ، تعليق ١ / ثم ٧ : ١٥٤ ، تعليق : ١

فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لعليّ أصحابه : ما منعك أن تجهز عليه ؟ قال : إنّ ابن عمى ناشدنى حين انكشفت عورته ، فاستحييت منه .

= ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ، وحمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل ، [1] فرمته الرماة ، فانقمع . فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لانترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر . فلما رأى خالد قلة الرماة صاح فى خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ، ثم حمل على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . فلما رأى المشركون أنّ خيلهم تقاتل ، تنادوا فشدّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم . [2]

٨٠٠٥ - حدثنا هرون بن إسحق قال ، حدثنا مصعب بن المقدام قال ، حدثنا إسرائيل قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن البراء قال : لما كان يوم أحُد ولقينا المشركين ، أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا بإزاء الرماة ، وأمّر عليهم عبد الله بن جبير ، أخا خوات بن جبير ، وقال لهم : « لا تبرحوا مكانكم ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعينونا » . فلما التقى القوم ، هُزم المشركون حتى رأيت النساء قد رفعن عن سُوقهن وبدت خلاخلهنّ ، فجعلوا يقولون : « الغنيمة ، الغنيمة » ! قال عبد الله : مهلاً ! أما علمتم ما عهدَ إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأبوا ، فانطلقوا ، فلما أتوهم صرف الله وجوههم ، فأصيب من المسلمين سبعون قتيلاً .

---

(١) فى التعليق على الأثر السالف : ٧٩٤٣ ، ذكرت أن المخطوطة هناك ، كان فيها « لر » غير منقوطة ، واستظهرت مرجحاً أنها « كر » ، ولكنه عاد هنا فى المخطوطة ، فكتبها « حمل » واضحة ، فأخشى أن يكون هذا هو الصواب الراجح .

(٢) الأثر : ٨٠٠٤ - الأثر السالف رقم : ٧٩٤٣ ، والتاريخ ٣ : ١٤ ، ١٥ .

٨٠٠٦ - حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن البراء بنحوه .[١]

٨٠٠٧ - حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسّونهم بإذنه » ، فإن أبا سفيان أقبل فى ثلاث ليال خلون من شوّال حتى نزل أحُداً ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذّن فى الناس ، فاجتمعوا ، وأمَّر على الخيل الزبير بن العوام ، ومعه يومئذ المقداد بن الأسود الكندى . وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء رجلا من قريش يقال له : مصعب بن عمير . وخرج حمزة بن عبد المطلب بالحُسَّر ،[٢] وبعث حمزة بين يديه . وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة بن أبى جهل . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير وقال : « استقبل خالد بن الوليد فكن بإزائه حتى أوذنك » . وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر ، فقال : « لا تبرحوا حتى أوذنكم » . وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزى ، فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى الزبير أن يحمل ، فحمل على خالد بن الوليد فهزمه ومن معه ، كما قال : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحُسّونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبُّون » ، وإنّ الله وعد المؤمنين أن ينصرهم وأنه معهم .[٣]

٨٠٠٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى

---

(١) الأثران : ٨٠٠٥ ، ٨٠٠٦ - تاريخ الطبرى ٣ : ١٣ ، ١٤ وانظر مسند أحمد ٤ : ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٢) فى المطبوعة : « بالجسر » ، وهو خطأ ، « والحسر » جمع حاسر ، وهم الرجالة الذين لا خيل لهم ، يقال : سموا بذلك لأنهم يحسرون عن أيديهم وأرجلهم . ويقال إنه يقال لهم « حسر » ، لأنه لا بيض لهم ولا دروع يلبسونها .

(٣) الأثر : ٨٠٠٧ - تاريخ الطبرى ٣ : ١٤ .

محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، [١] وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا — فى قصة ذكرها عن أحد — ذكر أن كلهم قد حدَّث ببعضها، وأن حديثهم اجتمع فيما ساق من الحديث ، فكان فيما ذكر فى ذلك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الشعب من أحُد فى عُدوة الوادى إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحُد، وقال: « لا يقاتلنَّ أحدٌ ،حتى نأمره بالقتال». [٢] وقد سرَّحت قريش الظهر والكُراع ، [٣] فى زروع كانت بالصَّمْغة من قناة للمسلمين ، [٤] فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال: أتُرعى زروع بنى قيلة ولما نُضارِب! [٥] وتعبَّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو فى سبعمئة رجل، [٦] وتعبَّأت قريش وهم ثلاثة آلاف، [٧] ومعهم مائتا فرس قد جَنَبوها ، [٨] فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة ابن أبى جهل . وأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير ، أخا بنى عمرو بن عوف ، وهو يومئذ مُعلم بثياب بيض ، والرماةُ خمسون رجلا ،

٨٣/٤

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أن محمد بن يحيى . . . » ، والصواب من سيرة ابن هشام ٣ : ٦٤ وتاريخ الطبرى ٣ : ٩ .

(٢) فى المطبوعة : « لا تقاتلوا حتى نأمر بالقتال » ، وفى المخطوطة مثله ، إلا أنه كتب : « نأمره » والصواب من سيرة ابن هشام ، ومن تاريخ الطبرى .

(٣) الظهر : الإبل التى يحمل عليها ويركب . والكراع : اسم يجمع الخيل والسلاح ، ويعنى هنا الخيل .

(٤) « الصمغة» : أرض فى ناحية أحد . و « قناة » واد يأتى من الطائف ، حتى ينتهى إلى أصل قبور الشهداء بأحد .

(٥) بنو قيلة : هم الأوس والخزرج ، الأنصار . وقيلة : أم قديمة لهم ينسبون إليها .

(٦) فى المطبوعة : « وصفنا رسول الله . . . » ، وهو خطأ محض ، والصواب من سيرة ابن هشام ، والتاريخ ، والمخطوطة ، وهى فيها غير منقوطة .

(٧) فى المطبوعة : « وتصاف قريش . . . » ، وهو خطأ صرف ، والصواب من التاريخ ، ومن المخطوطة وهى فيها غير منقوطة .

(٨) جنب الفرس والأسير يجنبه (بضم النون) جنباً (بالتحريك) فهو مجنوب وجنيب ، وخيل جنائب : إذا قادهما إلى جنبه . ويقال : « خيل مجنبة » بتشديد النون مثلها .

وقال : انضح عنا الخيل بالنبل، لا يأتونا من خلفنا! إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك، لا نؤتيَنَّ من قبلك ». (١) فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض . (٢) واقتتلوا ، حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس ، وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب ، فى رجال من المسلمين . فأنزل الله عز وجل نصره وصدقهم وعده ، فحسُّوهم بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمةَ لا شك فيها . (٣)

٨٠٠٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه ، عن جده قال ، قال الزبير : والله لقد رأيتُنى أنظر إلى خَدَم هند ابنة عتبة وصواحبها مشمِّرات هوارب ، (٤) ما دون إحداهن قليلٌ ولا كثير ، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القومَ عنه

---

(١) نضح عنه : ذب عنه ، ورد عنه ونافح .

(٢) هذا اختصار مخل جداً ، فإن أبا جعفر لفق كلام ابن إسحق ، والذى رواه ابن هشام مخالف فى ترتيبه لما جاء فى خبر الطبرى هنا . وذلك أنه من أول قوله : « وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة . . . » مقدم على قوله : « وتعبأت قريش » ، وذلك فى السيرة ٣ : ٦٩ ، ٧١ . أما قوله : « فلما التقى الناس » فإنه يأتى فى السيرة فى ص ٧٢ ، وسياق الجملة : « فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم » ، وساق ما كان من أمرهن ، ثم قال : « قال ابن إسحق : فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس » ، أما قوله بعد ذلك : « وحمزة بن عبد المطلب . . . » ، فهو عطف على « وقاتل أبو دجانة » ، استخرجه الطبرى من سياق سيرة ابن إسحق ٣ : ٧٧ ، لا من نصه. وقد تركت ما فى التفسير على حاله ، لأنه خطأ من أبى جعفر نفسه ولا شك . وأما قوله : « ثم أنزل الله نصره . . . » إلى آخر الأثر فهو فى السيرة ٣ : ٨٢ .

(٣) الأثر : ٨٠٠٨ — هذا أثر ملفق من نص ابن إسحق ، وهو فيما رواه ابن هشام فى سيرته من مواضع متفرقة كما سترى ٣ : ٦٩ ، ٧٠/ثم ص : ٧٢/ثم ص : ٧٧/ثم ص ٨٢ ، وانظر التعليق السالف . ثم انظر تاريخ الطبرى ٣ : ١٣ / ثم ص ١٦ . وقوله : « حسوهم » أى قتلوهم واستأصلوهم ، كما سيأتى فى تفسير الآية بعد .

(٤) فى المخطوطة : « مسموات هوادن » وضبط الكلمة الأولى بالقلم بفتح الميم وضم السين وميم مشددة مفتوحة ! ! وهذا أعجب ما رأيت من السهو والغفلة ! والكلمتان خطأ محض ، وفى المطبوعة : « هوازم » ، والصواب من سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى .

يريدون النهب ، وخلَّوا ظهورنا للخيل ، فأتينا من أدبارنا . وصرخ صارخٌ : « ألا إنّ محمد قد قُتل » ! فانكفأنا ، وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء ،[١] حتى ما يدنو منه أحدٌ من القوم .[٢]

٨٠١٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق فى قوله : « ولقد صدقكم الله وعده » ، أى : لقد وفَيتُ لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم.[٣]

٨٠١١ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولقد صدقكم الله وعده » ، وذلك يوم أحد ، قال لهم : « إنكم ستظهرون ، فلا أعرِفنّ ما أصبتم من غنائمهم شيئاً ،[٤] حتى تفرُغوا » ! فتركوا أمر نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وعصوا ، ووقعوا فى الغنائم ، ونسوا عَهْده الذى عَهِده إليهم ، وخالفوا إلى غير ما أمرهم به .[٥]

* * *

و « الخدم » جمع خدمة : وهى الخلخال ، ويجمع أيضاً « خدام » بكسر الخاء . « شمر تشميراً فهو مشمر » : جد فى السير أو العمل وأسرع ومضى مضياً ، وأصله من فعل العادى إذا جد فى عدوه وشمر عن ساقه وجمع ثوبه فى يده ، ليكون أسرع له .

(١) فى المخطوطة : « بعد أن رأينا أصحابناب » وضرب على « بنا » من « أصحابنا » ، فاجتهد الناشر قراءة هذا الكلام الفاسد فجعل مكان « أصبنا » « هزمنا » ولكنى رددته إلى نص ابن إسحق من رواية ابن هشام فى السيرة ، والطبرى فى التاريخ .

« انكفأ » : مال ورجع وانقلب ، وهو صورة حركة الراجع ، من انكفاء الإناء إذا أملته ناحية ، و « انكفأوا علينا » ، أى مالوا راجعين عليهم .

(٢) الأثر : ٨٠٠٩ – سيرة ابن هشام ٣ : ٨٢ ، وهو تابع آخر الأثر السالف رقم : ٨٠٠٨ ، وفى تاريخ الطبرى ٣ : ١٦ ، ١٧ .

(٣) الأثر : ٨٠١٠ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٠ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٠٢ .

(٤) فى المخطوطة : « فلا عرض ما أصبتم » ، وفى المطبوعة : « فلا تأخذوا ما أصبتم » ، تصرف فى طلب المعنى ، وهو خطأ ، وستأتى على الصواب فى الأثر رقم : ٨٠٢٥ ، فى المطبوعة والمخطوطة معاً ، كما كتبتها هنا . وقوله : « فلا أعرفن ما أصبتم ... » ، يعنى : لا يبلغنى أنكم أصبتم من غنائمهم شيئاً . وقولهم : « لا أعرفن كذا » و « ولأعرفن كذا » كلمة تقال عند الوعيد والتهديد والزجر الشديد . وانظر مجيئها فى الأثرين رقم : ٨١٥٨ ، ٨١٦٠ والتعليق عليهما . وانظر الدر المنثور ٢ : ٨٥ .

(٥) انظر الأثر الآتى رقم : ٨٠٢٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : ولقد وَفَى الله لكم ، أيها المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما وعدكم من النصر على عدوكم بأحُد ، حين « تحُسُّونهم » ، يعنى : حين تقتلونهم .

* * *

يقال منه : « حسَّه يَحُسُّه حساً » ، إذا قتله ،(١) كما : —

٨٠١٢ — حدثنى محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى قال ، حدثنا يعقوب ابن عيسى قال ، حدثنى عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبدالرحمن ابن عوف ، عن محمد بن عبد العزيز ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن المسور ابن مخرمة ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف فى قوله : « إذ تحُسُّونهم بإذنه » ، قال : الحسُّ القتل .(٢)

٨٠١٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا بن أبى الزناد ، عن أبيه قال : سمعت عبيد الله بن عبد الله يقول فى قول الله عز وجل : « إذ تحسُّونهم » ، قال : القتل .

٨٠١٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « الحس » فيما سلف ٦ : ٤٤٣

(٢) الأثر : ٨٠١٢ — « محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى » ، مضى القول فيه برقم : ٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨ ، ٢٨٨٨ ، وفى ٢٨٦٨ « محمد بن عبيد الله بن سعيد » . و « يعقوب بن عيسى » هو : « يعقوب بن محمد بن عيسى الزهرى » ، سلف فى رقم : ٢٨٦٧ . و « عبد العزيز بن عمران ابن عبد العزيز . . . الزهرى » ، هو الأعرج ، المعروف بابن أبى ثابت ، قيل : « ليس بثقة ، إنما كان صاحب شعر » ، وقال يحيى : « رأيته ببغداد ، كان يشتم الناس ويطعن فى أحسابهم . ليس حديثه بشىء » . مترجم فى التهذيب . و « محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف » قال البخارى : « منكر الحديث » ، وقال أبو حاتم : « هم ثلاثة إخوة : محمد بن عبد العزيز ، وعبد الله بن عبد العزيز ، وعمران بن عبد العزيز ، وهم ضعفاء الحديث ، ليس لهم حديث مستقيم ، وليس لمحمد عن أبى الزناد ، والزهرى ، وهشام بن عروة ، حديث صحيح » . مترجم فى الكبير ١/١/١٦٧ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٧ .

عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إذ تحسونهم بإذنه » ، قال : تقتلونهم .

٨٠١٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم » ، أى : قتلاً بإذنه .

٨٠١٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « إذ تحسونهم » ، يقول : إذ تقتلونهم .

٨٠١٧ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « إذ تحسونهم بإذنه » ، والحس القتل .

٨٠١٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه » ، يقول : تقتلونهم .

٨٠١٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إذ تحسونهم » بالسيوف ، أى : القتل .(١)

٨٠٢٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن : « إذ تحسونهم بإذنه » ، يعنى : القتل .

٨٠٢١ — حدثنى على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إذ تحسونهم بإذنه » ، يقول : تقتلونهم .

* * *

وأما قوله : « بإذنه » ، فإنه يعنى : بحكمى وقضائى لكم بذلك ، وتسليطى إياكم عليهم ،(٢) كما : —

---

(١) الأثر : ٨٠١٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٠ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠١٠ ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « أى : بالقتل » ، والباء زيادة لا خير فيها ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٢) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ٢ : ٤٤٩ ، ٤/٤٥٠ : ٢٨٦ ، ٥/٣٧١ : ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٩٥ .

٨٤/٤

٨٠٢٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة عن ابن إسحق: إذ تحسونهم بإذنى، وتسليطى أيديكم عليهم، وكفِّى أيديهم عنكم. [١]

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾

قال أبو جعفر: يعنى بقوله جل ثناؤه: « حتى إذا فشلتم »، حتى إذا جبنتم وضعفتم [٢] = « وتنازعتم فى الأمر »، يقول: واختلفتم فى أمر الله، يقول: وعصيتم وخالفتم نبيكم، فتركتم أمره وما عهد إليكم. وإنما يعنى بذلك الرماة الذين كان أمرَهم صلى الله عليه وسلم بلزوم مركزهم ومقعدهم من فم الشِّعب بأُحُد بإزاء خالد ابن الوليد ومن كان معه من فرسان المشركين، الذين ذكرنا قبلُ أمرَهم.

= وأما قوله: « من بعد ما أراكم ما تحبون »، فإنه يعنى بذلك: من بعد الذى أراكم الله، أيها المؤمنون بمحمد، من النصر والظفر بالمشركين، وذلك هو الهزيمة التى كانوا هزموهم عن نسائهم وأموالهم قبل ترك الرماة مقاعدهم التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعدهم فيها، وقبل خروج خيل المشركين على المؤمنين من ورائهم.

* * *

وبنحو الذى قلنا تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل.

---

(١) الأثر: ٨٠٢٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٠، وهو تتمة الآثار التى آخرها: ٨٠١٩.

(٢) انظر تفسير « فشل » فيما سلف ٧ : ١٦٨.

وقد مضى ذكر بعض من قال ، وسنذكر قول بعض من لم يذكر قوله فيما مضى .

* ذكر من قال ذلك :

٨٠٢٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر » ، أى اختلفتم فى الأمر = « وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » ، وذاكم يوم أحد ، عهد إليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم وأمرَهم بأمر فنسوا العهد ، وحاوزوا ،[١] وخالفوا ما أمرهم نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فقذف عليهم عدوَّهم ،[٢] بعد ما أراهم من عدوهم ما يحبون .

٨٠٢٤ - حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناساً من الناس - يعنى يوم أحُد - فكانوا من ورائهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « كونوا ههنا ، فردّوا وجه من فرَّ منا ،[٣] وكونوا حرساً لنا من قِبل ظهورنا » . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم القوم هو وأصحابه ، قال الذين كانوا جُعلوا من ورائهم ، بعضهم لبعض ،[٤] لما رأوا النساء مُصْعِدات فى الجبل ورأوا الغنائم ،

---

(١) فى المطبوعة : « وجاوزوا » ، وهى ضعيفة المعنى هنا . ولم تذكر كتب اللغة « حاوز » لكنهم قالوا : « انحاز القوم وتحوزوا وتحيزوا : تركوا مركزهم ومعركة قتالهم وتنحوا عنه ، ومالوا إلى موضع آخر » . وانظر ما سلف فى التعليق على رقم : ٧٥٢٤ ، من قوله : « تحاوز الناس » .

(٢) فى المطبوعة : « فانصرف عليهم » ، ولا معنى لها ، ولكنه أخذها من الأثر التالى ٨٠٢٥ ، من رسم المخطوطة هناك . وفى الدر المنثور ٢ : ٨٥ « فانصر عليهم » ، ولا معنى لها أيضاً . وهى فى المخطوطة هنا « فصرف » ، فرجحت أن يكون هذا تصحيف « فقذف » ، فأثبتها ، وهى سياق المعنى حين انحطت عليهم خيل المشركين من ورائهم .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « من قدمنا » ، والصواب من تاريخ الطبرى . وفى الدر المنثور ٢ : ٨٤ « من ند منا » ، يقال « ند البعير » ، إذا نفر وشرد وذهب على وجهه ، ولا بأس بمعناها هنا .

(٤) فى المطبوعة : « اختلف الذين كانوا جعلوا من ورائهم فقال بعضهم لبعض » ، زاد الناشر الأول « اختلف » ، أما المخطوطة ، والدر المنثور ٢ : ٨٤ ، فليس فيها « اختلف » ، والكلام بعد كما هو ، وهو مضطرب ، ورددته إلى الصواب من تاريخ الطبرى ، حذفت « فقال » من وسط الكلام ، ووضعت « قال » فى أوله .

قالوا : « انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوا الغنيمة قبل أن تُسبقوا إليها » ! وقالت طائفة أخرى : « بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبت مكاننا » ! فذلك قوله : « منكم من يريد الدنيا » ، للذين أرادوا الغنيمة = « ومنكم من يريد الآخرة » ، للذين قالوا : « نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونثبت مكاننا ». فأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فكان فشلاً حين تنازعوا بينهم يقول : « وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » ، كانوا قد رأوا الفتح والغنيمة .

٨٠٢٥ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « حتى إذا فشلتم » ، يقول : جبنتم عن عدوكم = « وتنازعتم في الأمر » ، يقول : اختلفتم = « وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » ، وذلك يوم أحد قال لهم : « إنكم ستظهرون ، فلا أعرفنّ ما أصبتم من غنائمهم شيئاً حتى تفرغوا » ، (١) فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وعصوا ، ووقعوا في الغنائم ، ونسوا عهده الذي عهده إليهم ، وخالفوا إلى غير ما أمرهم به ، فانقذف عليهم عدوهم ، (٢) من بعد ما أراهم فيهم ما يحبون . (٣)

٨٠٢٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « حتى إذا فشلتم » ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : الفشل الجبن .

٨٠٢٧ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » ، من الفتح .

---

(١) انظر التعليق على الأثر : ٨٠١١ ، ص : ٢٨٦ ، تعليق : ٤ .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « فانصرف عليهم عدوهم » ، ولا معنى لها ، وفي الدر المنثور ٢ : ٨٥ « فانصر عليهم » ، ولا معنى لها ، وانظر التعليق السالف ص : ٢٩٠ تعليق : ٢ .

(٣) الأثر : ٨٠٢٥ — مضى برقم : ٨٠١١ مختصراً .

٨٠٢٨ ـ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « حتى إذا فشلتم » ، أى : تخاذلتم [١] = « وتنازعتم فى الأمر » ، أى : اختلفتم فى أمرى = « وعصيتم » ، أى : تركتم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وما عهد إليكم ، يعنى الرماة = « من بعد ما أراكم ما تحبون » ، أى : الفتح لا شك فيه ، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم . [٢]

٨٠٢٩ ـ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن المبارك ، عن الحسن : « من بعد ما أراكم ما تحبون » ، يعنى : من الفتح . ٤/٨٥

* * *

قال أبو جعفر : وقيل معنى قوله : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » = حتى إذا تنازعتم فى الأمر فشلتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون = وأنه من المقدم الذى معناه التأخير ، [٣] وأن « الواو » دخلت فى ذلك ومعناها السقوط ، كما يقال ، [٤] ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ ﴾ [سورة الصافات : ١٠٣ ، ١٠٤] معناه : ناديناه . وهذا مقول فى : ﴿ حَتَّى إِذَا ﴾ وفى ﴿ فَلَمَّا أَنْ ﴾ ، [لم يأت فى غير هذين] . [٥] ومنه قول الله عز وجل : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ ثم قال : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٦ : ٩٧] .

---

(١) فى المطبوعة : « تجادلتم » ، وهو خطأ صرف ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٨٠٢٨ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ .

(٣) فى المطبوعة : « أنه من المقدم . . . » بإسقاط الواو ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة « كما قلنا فى فلما أسلما . . . » بزيادة « فى » وفى المخطوطة : « كما قلنا فلما أسلما » ، بإسقاط « فى » ، وأثبت ما فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٨ ، فهذا نص كلامه .

(٥) فى المطبوعة : « وهذا مقول فى (حتى إذا) وفى (لما) ومنه قول الله . . . » ، وفى المخطوطة : « وهذا مقول فى (حتى إذا) وفى (فلما أن) ، وفلما ، ومنه قول الله عز وجل » . والذى فى المطبوعة تغيير لا خير فيه ، والذى فى المخطوطة خطأ لاشك فيه ، فآثرت إثبات ما فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٨ ، فإنه نص مقالته ، وزدت منه ما بين القوسين .

ومعناه : اقترب ،[1] كما قال الشاعر :[2]

حَتَّى إِذَا قَمِلَتْ بُطُونُكُمُ وَرَأَيْتُمُ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا[3]

وَقَلَبْتُمْ ظَهْرَ المِجَنِّ لَنَا إِنَّ اللَّئِيمَ العَاجِزَ الخَبُّ[4]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « منكم من يريد الدنيا » ، الذين تركوا مقعدهم الذى أقعدهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب من أحُد لخيل المشركين ، ولحقوا بعسكر المسلمين طلب النهب إذ رأوا هزيمة المشركين = « ومنكم من يريد الآخرة » ، يعنى بذلك : الذين ثبتوا من الرماة فى مقاعدهم التى

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٨ .

(٢) هو الأسود بن يعفر النهشلى ، وهو فى أكثر الكتب غير منسوب .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٧ ، ٢٣٨/اللسان (قمل) والجزء ٢٠ : ٣٨١/تأويل مشكل القرآن : ١٩٧ ، ١٩٨/المعانى الكبير : ٥٣٣/مجالس ثعلب : ٧٤/أمالى الشجرى١ : ٣٥٧ ، ٣٥٨/ الإنصاف لابن الأنبارى : ١٨٩ / الخزانة ٤ : ٤١٤/ وهو فى جميعها غير منسوب ، وهو من شعر لم أجده تاماً ، ذكر أبياتاً منه البكرى فى معجم ما استعجم : ٣٧٩ ، فيها البيت الأول وحده ، وبيتان آخران منها فى اللسان (وقب) وتهذيب الألفاظ : ١٩٦ . وهو من شعر يهجو فيه بنى نجيح ، من بنى عبد الله بن مجاشع بن دارم يقول فى هجائهم :

أَبَنِى نَجِيحٍ ، إِنَّ أُمَّكُمُ أَمَةٌ ، وإِنَّ أَبَاكُمُ وَقْبُ

أَكَلَتْ خَبِيثَ الزَّادِ فَاتَّخَمَتْ عَنْهُ ، وَشَمَّ خِمَارَهَا الكَلْبُ

وقوله : « قملت بطونكم » ، كثرت قبائلكم . والبطون بطون القبائل .

(٤) يقال : « قلبت له ظهر المجن » – والمجن : الترس ، لأنه يوارى صاحبه – كلمة تضرب مثلا لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ، ثم حال عن ذلك فعاداه . والخب (بفتح الخاء ، وكسرها) الخداع الخبيث المنكر : وفى الحديث : « المؤمن غر كريم ، والكافر خب لئيم » .

أقعدهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتبعوا أمره ، محافظة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وٱبتغاء ما عند الله من الثواب بذلك من فعلهم والدارِ الآخرة ، كما : —

٨٠٣٠ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » ، فالذين انطلقوا يريدون الغنيمة هم أصحاب الدنيا ، والذين بقوا وقالوا : « لا نخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، أرادوا الآخرة .

٨٠٣١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس مثله .

٨٠٣٢ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « منكم من يريد الدنيا ومنكم يريد الآخرة » ، فإن نبى الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم أحد طائفة من المسلمين فقال : « كونوا مَسْلحة للناس » ، [1] بمنزلةٍ أمرَهم أن يثبتوا بها ، وأمرهم أن لا يبرحوا مكانهم حتى يأذن لهم . فلما لقى نبى الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبا سفيان ومن معه من المشركين ، هزمهم نبى الله صلى الله عليه وسلم ! فلما رأى المسلحةُ أن الله عز وجل هزم المشركين ، انطلق بعضهم وهم يتنادون : « الغنيمة ! الغنيمة ! لا تفتكم » ! وثبت بعضهم مكانهم ، وقالوا : لا نَرِيم موضعنا حتى يأذن لنا نبى الله صلى الله عليه وسلم ! ففى ذلك نزل : « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » ، فكان ابن مسعود يقول : ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرَضها ، [2] حتى كان يوم أحد .

---

(١) المسلحة : القوم ذوو السلاح يوكلون بثغر من الثغور يحفظونه مخافة أن يأتى منه العدو . وسميت الثغور « مسالح » من ذلك ، وهى مواضع المخافة .

(٢) « ما شعرت » ، أى : ما علمت ، يأتى كذلك فى الأثر التالى .

٨٠٣٣ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال، قال ابن جريج، قال ابن عباس : لما هزم الله المشركين يوم أحد ، قال الرماة : «أدركوا الناسَ ونبيَّ الله صلى الله عليه وسلم لا يسبقوكم إلى الغنائم، فتكون لهم دونكم» ! وقال بعضهم : «لا نَريم حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم» : فنزلت : «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة»، قال : ابن جريج ، قال ابن مسعود : ما علمنا أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرَضَها ، حتى كان يومئذ .

٨٠٣٤ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن المبارك، عن الحسن : «منكم من يريد الدنيا»، هؤلاء الذين يجترُّون الغنائم[1] = «ومنكم من يريد الآخرة»، الذين يتبعونهم يقتلونهم .

٨٠٣٥ - حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى، عن عبد خير قال : قال عبد الله : ما كنت أرى أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد : «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة».[2]

٨٠٣٦ - حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط، عن السدى، عن عبد خير قال، قال ابن مسعود: ما كنت أظن فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أحداً يريد الدنيا، حتى قال الله ما قال. ٨٦/٤

٨٠٣٧ - حدثت عن عمار، عن ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع

---

(١) فى المطبوعة : «يحيزون الغنائم»، وهو خطأ، والكلمة فى المخطوطة غير منقوطة، والذى أثبته هو صواب قراءتها . واجتر الشىء : جره، يعنى يطلبونها إلى أنفسهم .

(٢) الأثر ٨٠٣٥ - «الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى»، مضى مراراً، وسلف ترجمته فى رقم : ١٦٢٥، وكان فى المطبوعة : «العبقرى»، وهو خطأ، وفى المخطوطة غير منقوط. وأما «عبد خير»، فهو «عبد خير بن يزيد الهمدانى». أدرك الجاهلية، وروى عن أبى بكر، وابن مسعود وعلى، وزيد بن أرقم، وعائشة. وهو تابعى ثقة. مترجم فى التهذيب .

قال ، قال عبد الله بن مسعود لما رآهم وقعوا فى الغنائم : ما كنت أحسب أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان اليوم .

٨٠٣٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان ابن مسعود يقول : ما شعرتُ أن أحداً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرَضها، حتى كان يومئذ .[1]

٨٠٣٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « منكم من يريد الدنيا » ، أى : الذين أرادوا النهب رغبة فى الدنيا وتركَ ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة = « ومنكم من يريد الآخرة » ، أى : الذى جاهدوا فى الله ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا رغبة فيها ،[2] رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ثم صرفكم ، أيها المؤمنون ، عن المشركين بعد ما أراكم ما تحبون فيهم وفى أنفسكم ، من هزيمتكم إياهم وظهوركم عليهم ، فردَّ وجوهكم عنهم لمعصيتكم أمر رسولى ، ومخالفتكم طاعته ، وإيثاركم الدنيا على الآخرة ،

---

(١) الأثر : ٨٠٣٨ — هو من بقية الأثر السالف : ٨٠٢٤ ، ورواه فى تاريخه ٣ : ١٤ .

(٢) فى المطبوعة : « لم يخالفوا » بإسقاط الواو ، وأثبتها من المخطوطة وابن هشام . وفى المطبوعة والمخطوطة : « لعرض من الدنيا رغبة فى رجاء ما عند الله » ، وهو كلام يتلجلج ، والصواب ما فى سيرة ابن هشام ، وهو الذى أثبت .

(٣) الأثر : ٨٠٣٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٢٨ .

— عقوبةً لكم على ما فعلتم، « ليبتليكم » ، يقول : ليختبركم،[١] فيتميز المنافق منكم من المخلص الصادق فى إيمانه منكم ، كما : —

٨٠٤٠ — حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم ذكر حين مال عليهم خالد بن الوليد : « ثم صرفكم عنهم ليبتليكم » .

٨٠٤١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن فى قوله : « ثم صرفكم عنهم »، قال : صرف القوم عنهم، فقُتل من المسلمين بعدّة من أسروا يوم بدر ، وقُتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكسرت رباعيته، وشُجّ فى وجهه، وكان يمسح الدم عن وجهه ويقول : « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربهم » ؟ فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [سورة آل عمران : ١٢٨] ، الآية. فقالوا : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنا النصر ؟ فأنزل الله عز وجل : « ولقد صدقكم الله وعده » إلى قوله : « ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم » .

٨٠٤٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة عن ابن إسحق : «ثم صرفكم عنهم ليبتليكم » ، أى : صرفكم عنهم ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم.[٢]

* * *

(١) انظر تفسير « ابتلى » فيما سلف ٢ : ٤٩/٣ : ٧ ، ٢٢٠/٥ : ٣٣٩ .

(٢) الأثر : ٨٠٤٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٣٩ . وفى سيرة ابن هشام المطبوعة ، سقط بعض الكلام ، فاضطرب لفظه ، ويستفاد تصحيحه من هذا الموضع من التفسير .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٥٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ولقد عفا عنكم » ، ولقد عفا الله = أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتاركون طاعته فيما تقدم به إليكم من لزوم الموضع الذى أمركم بلزومه = عنكم ، فصفح لكم من عقوبة ذنبكم الذى أتيتموه ، عما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم إياكم ، وصرفِ وجوهكم عنهم ،[1] إذ لم يستأصل جمعكم ، كما : —

٨٠٤٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن فى قوله : « ولقد عفا عنكم » ، قال : قال الحسن ، وصفَّق بيديه : وكيف عفا عنهم ، وقد قُتل منهم سبعون ، وقُتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكسرت رباعيته ، وشج فى وجهه ؟ قال : ثم يقول : قال الله عز وجل : « قد عفوت عنكم إذ عصيتمونى ، أن لا أكون استأصلتكم » . قال : ثم يقول الحسن : هؤلاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى سبيل الله ، غضابٌ لله ، يقاتلون أعداء الله ، نهوا عن شىء فصنعوه ، فوالله ما تركوا حتى غُمُّوا بهذا الغم ، فأفسق الفاسقين اليوم يتجرثم كلَّ كبيرة ،[2] ويركب كل داهية ، ويسحبُ عليها ثيابه ، ويزعم أن لا بأس عليه ! ! فسوف يعلم .

٨٠٤٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ولقد عفا عنكم » ، قال : لم يستأصلكم .

---

(١) فى المخطوطة : « وصرف وجوهكم عنه » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة : « يتجرأ على كل كبيرة » ، تصرف فى نص المخطوطة ، وتجرثم الشىء : أخذ معظمه ، وجرثومة كل شىء : أصله ومجتمعه .

٨٠٤٥ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولقد عفا عنكم » ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، لم يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ، ولكن عُدْت بفضلى عليكم .[١]

* * *

٨٧/٤ وأما قوله : « والله ذو فضل على المؤمنين » ، فإنه يعنى : والله ذو طَوْل على أهل الإيمان به وبرسوله ،[٢] بعفوه لهم عن كثير ما يستوجبون به العقوبة عليه من ذنوبهم ، فإن عاقبهم على بعض ذلك ، فذو إحسان إليهم بجميل أياديه عندهم ، كما :-

٨٠٤٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » ، يقول : وكذلك منّ الله على المؤمنين ، إن عاقبهم ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدباً وموعظة ، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم لما أصابوا من معصيته ، رحمةً لهم وعائدة عليهم ، لما فيهم من الإيمان .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولقد عفا عنكم ، أيها المؤمنون ، إذ لم يستأصلكم إهلاكاً منه جمعكم بذنوبكم وهربكم = « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد » .

* * *

(١) الأثر : ٨٠٤٥ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٤٢ .

(٢) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف ٢ : ٣٤٤/٥ : ١٦٤ ، ٥٧١/٦ : ١٥٦ .

(٣) الأثر : ٨٠٤٦ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٤٥ . وفى سيرة ابن هشام المطبوعة فساد قبيح . يستفاد تصحيحه من هذا الموضع من التفسير .

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه عامة قرأة الحجاز والعراق والشأم ، سوى الحسن البصرى : ﴿إِذْ تُصْعِدُون﴾ بضم « التاء » وكسر « العين » . وبه القراءة عندنا ، لإجماع الحجة من القرأة على القراءة به ، واستنكارهم ما خالفه .

* * *

وروى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأه : ﴿إِذْ تَصْعَدُون﴾ ، بفتح « التاء » و « العين » .

٨٠٤٧ — حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن .

* * *

فأما الذين قرأوا ﴿تُصْعِدُون﴾ بضم « التاء » وكسر « العين » ، فإنهم وجهوا معنى ذلك إلى أنّ القوم حين انهزموا عن عدوِّهم ، أخذوا فى الوادى هاربين . وذكروا أنّ ذلك فى قراءة أُبىّ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ فِى الوَادِى﴾ .

٨٠٤٨ — حدثنا [بذلك] أحمد بن يوسف قال ، حدثنا أبو عبيد قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون .

* * *

= قالوا : فالهرب فى مستوى الأرض وبطون الأودية والشعاب : « إصعاد » ، لا صعود .[1] قالوا : وإنما يكون « الصعود » على الجبال والسلاليم والدَّرج . لأن معنى « الصعود » ، الارتقاء والارتفاع على الشىء عُلواً .[2]

قالوا : فأما الأخذ فى مستوى الأرض والهبوط ، فإنما هو « إصعاد » ، كما يقال : « أصعَدْنا من مكة » ، إذا ابتدأت فى السفر منها والخروج = « وأصعدنا

(١) فى المطبوعة : « قالوا : الهرب فى مستوى الأرض » . وفى المخطوطة : « بالهرب » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٠٥ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٩ .

من الكوفة إلى خراسان » ، بمعنى : خرجنا منها سفراً إليها ، وابتدأنا منها الخروج إليها .

قالوا : وإنما جاء تأويل أكثر أهل التأويل ، بأن القوم أخذوا عند انهزامهم عن عدوهم فى بطن الوادى .

* ذكر من قال ذلك :

٨٠٤٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تلوون على أحد » ، ذاكم يوم أحد ، أصعدوا فى الوادى فراراً ، [١] ونبى الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم فى أخراهم : « إلىَّ عباد الله ، إلىَّ عباد الله » ! [٢]

* * *

قال أبو جعفر : وأما الحسن ، فإنى أراه ذهب فى قراءته : « إذ تَصْعَدون » بفتح « التاء » و « العين » ، إلى أن القوم حين انهزموا عن المشركين صعدوا الجبل . وقد قال ذلك عددٌ من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٠٥٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما شدَّ المشركون على المسلمين بأحُد فهزموهم ، دخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : « إلىَّ عباد الله ، إلىَّ عباد الله » ! فذكر الله صعودهم على الجبل ، ثم ذكر دعاء نبىِّ الله صلى الله عليه وسلم إياهم فقال : « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم » . [٣]

---

(١) فى المخطوطة : « فى الوادى نبى الله » وما بينهما بياض ، وما ثبت فى المطبوعة ، صواب موافق لما فى الدر المنثور ٢ : ٨٧ ، على خطأ ظاهر فى الدر .

(٢) فى المخطوطة : « قال عباد الله قال عباد الله » ، والذى فى المطبوعة هو الصواب الموافق لما فى الدر المنثور ٢ : ٨٧ ، إلا أن ناشر المطبوعة زاد « قال » قبل : « إلى عباد الله » ، وهو فاسد فحذفتها، فإن الذى فى المخطوطة تصحيف « إلى . . . إلى » . وانظر الأثر التالى : ٨٠٥٠ .

(٣) الأثر : ٨٠٥٠ — هو بعض الأثر السالف : ٧٩٤٣ ، مع زيادة فيه ، وفى تاريخ الطبرى أيضاً ٣ : ٢٠ ، مع زيادة هنا .

٨٠٥١ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: انحازوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فجعلوا يصعدون في الجبل، والرسول يدعوهم في أخراهم.

٨٠٥٢ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

٨٠٥٣ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس قوله: «إذ تصعدون ولا تلوون على أحد»، قال صعدوا في أُحُدٍ فراراً.

* * *

قال أبو جعفر: وقد ذكرنا أن أولى القراءتين بالصواب، قراءة من قرأ: «إذ تُصعِدون»، بضم «التاء» وكسر «العين»، بمعنى: السبق والهرب في مستوى الأرض أو في المهابط، لإجماع الحجة على أن ذلك هو القراءة الصحيحة. ففي إجماعها على ذلك، الدليلُ الوضح على أنّ أولى التأويلين بالآية، تأويل من قال: «أصعدوا في الوادي ومضوْا فيه»، دون قول من قال: «صعدوا على الجبل». ٨٨/٤

* * *

قال أبو جعفر: وأما قوله: «ولا تلوون على أحد»، فإنه يعني: ولا تعطفون على أحد منكم، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض، هرباً من عدوّكم مُصْعِدين في الوادي.[1]

* * *

ويعني بقوله: «والرسول يدعوكم في أخراكم»، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوكم أيها المؤمنون به من أصحابه = «في أخراكم»، يعني: أنه يناديكم من خلفكم: «إليّ عباد الله، إليّ عبد الله»![2] كما: -

(١) انظر تفسير «لوى» فيما سلف: ٦ : ٥٣٦، ٥٣٧.

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٠٥، ومعاني القرآن للفراء: ١ : ٢٣٩.

٨٠٥٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « والرسول يدعوكم فى أخراكم » ، إلىَّ عباد الله ارجعوا ، إلىَّ عباد الله ارجعوا !

٨٠٥٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والرسول يدعوكم فى أخراكم » ، رأوا نبى الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم : « إلىَّ عباد الله » !

٨٠٥٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى مثله .

٨٠٥٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : أنَّبهم الله بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهو يدعوهم ، لا يعطفون عليه لدعائه إياهم، فقال: « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم » .[1]

٨٠٥٨ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « والرسول يدعوكم فى أخراكم » ، هذا يوم أحد حين انكشف الناسُ عنه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٥٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فأثابكم غمـًّا بغم » ، يعنى : فجازاكم بفراركم عن نبيكم ،وفشلكم عن عدوكم ، ومعصيتكم ربكم = «غمـًّا بغم » ، يقول: غمـًّا على غم .

* * *

(١) الأثر : ٨٠٥٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٤٦ .

وسمى العقوبة التى عاقبهم بها = من تسليط عدوهم عليهم حتى نال منهم ما نال « ثواباً » ، إذ كان عوضاً من عملهم الذى سخطه ولم يرضه منهم ،[1] فدلَّ بذلك جل ثناؤه أنَّ كل عوض كان لمعوَّض من شىء من العمل، خيراً كان أو شرًّا = أو العوض الذى بذله رجل لرجل ، أو يد سلفت له إليه، فإنه مستحق اسم « ثواب » ، كان ذلك العوض تكرمةً أو عقوبة ، ونظير ذلك قول الشاعر :[2]

أَخَافُ زِيَاداً أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهِمَ سُوداً أَوْ مُحَدْرَجَةً سُمْرَا[3]

فجعل « العطاء » القيودَ.[4] وذلك كقول القائل لآخر سلف إليه منه مكروه : « لأجازينَّك على فعلك، ولأثيبنك ثوابك » .[5]

* * *

وأما قوله : « غمًّا بغم » ، فإنه قيل : « غمًّا بغم » ، معناه : غمًّا على غم ، كما قيل : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [سورة طه : ٧١] ، بمعنى : ولأصلبنكم على جذوع النخل. وإنما جاز ذلك، لأن معنى قول القائل : « أثابك الله غمًّا على غم » ، جزاك الله

---

(١) فى المطبوعة : « إذ كان ذلك من عملهم الذى سخطه » ، وكان فى المخطوطة مكان « ذلك » بياض ، والصواب ما أثبت ، استظهاراً من كلام أبى جعفر التالى .

(٢) هو الفرزدق .

(٣) ديوانه : ٢٢٧ ، النقائض : ٦١٨، طبقات فحول الشعراء : ٢٥٦ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ١٣٩ ، معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٩ ، وغيرها . من شعره فى زياد بن أبى سفيان ، وهو يلى الأبيات التى ذكرتها فى التفسير آنفاً ٢ : ١٩٥ ، تعليق : ١ ، والرواية التى ذكرها الطبرى هنا ، متابعة للفراء ، وهى لا تستقيم مع الشعر ، وأجمع الرواة على أنه :

فلمَّا خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ . . . .

نَمَيْتُ إِلَى حَرْفٍ أَضَرَّ بِنَيِّهَا سُرَى البِيدِ وَاسْتِعْرَاضُهَا البَلَدَ القَفْرَا

والأداهم جمع أدهم : وهو القيد ، سمى بذلك لسواده . والمحدرجة : السياط . حدرج السوط : فتله فتلا محكماً حتى استوى . وجعلها « سمراً » ، لأدمة جلدها الذى تصنع منه .

(٤) فى المطبوعة : « فجعل العطاء العقوبة » ، والصواب من المخطوطة ، ولا أدرى لم غيره الناشر الأول .

(٥) انظر لما سلف ، معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٩ ، وانظر معنى « الثواب » فيما سلف قريباً : ٢ : ٤٥٨ / ٧ : ٢٧٢ ، وقد نسيت أن أذكر مرجعه هناك .

غمًّا بعد غم تقدَّمه ،[1] فكان كذلك معنى : « فأثابكم غمًّا بغم » ، لأن معناه : فجزاكم الله غمًّا بعقب غمّ تقدمه ،[1] وهو نظير قول القائل : « نزلت ببنى فلان ، ونزلت على بنى فلان » ، « وضربته بالسيف وعلى السيف » .[2]

* * *

واختلف أهل التأويل فى الغم الذى أثيب القوم على الغم ، وما كان غمُّهم الأول والثانى ؟

فقال بعضهم : « أما الغم الأول ، فكان ما تحدَّث به القوم أنّ نبيهم صلى الله عليه وسلم قد قُتل . وأما الغمّ الآخر ، فإنه كان ما نالهم من القتل والجراح » .

* ذكر من قال ذلك :

٨٠٥٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فأثابكم غمًّا بغم » ، كانوا تحدَّثوا يومئذ أن نبى الله صلى الله عليه وسلم أصيب ، وكان الغم الآخر قَتل أصحابهم والجراحات التى أصابتهم . قال : وذكر لنا أنه قتل يومئذ سبعون رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ستة وستون رجلا من الأنصار ، وأربعة من المهاجرين = وقوله : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم » ، يقول : ما فاتكم من غنيمة القوم = « ولا ما أصابكم » ، فى أنفسكم من القتل والجراحات .

٨٠٦٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فأثابكم غمًّا بغم » ، قال : فرّة بعد فرّة : الأولى حين سمعوا الصوت أنّ محمداً قد قتل ، والثانية حين رجع الكفار ، فضربوهم مدبرين ، حتى قتلوا منهم سبعين رجلا ، ثم انحازوا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فجعلوا يصعدون فى الجبل والرسول يدعوهم فى أخراهم .

٨٩/٤

---

(١) فى المطبوعة : « يقدمه » فى الموضعين ، وهو خطأ لا شك فيه .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٩٩ ، ٢/٣١٣ : ٤١١ ، ٤١٢ .

٨٠٦١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

* * *

وقال آخرون : « بل غمهم الأول كان قتلُ من قتل منهم وجرح من جرح منهم. والغم الثاني كان من سماعهم صوت القائل : « قُتل محمد » ، صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٠٦٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « غمًّا بغم » ، قال : الغم الأول الجراحُ والقتل ، والغم الثاني حين سمعوا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قد قتل . فأنساهم الغم الآخِر ما أصابهم من الجراح والقتل ، وما كانوا يرجون من الغنيمة ، وذلك حين يقول : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » .

٨٠٦٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فأثابكم غمًّا بغم » ، قال : الغم الأول الجراح والقتل ، والغم الآخر حين سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل . فأنساهم الغم الآخِر ما أصابهم من الجراح والقتل ، وما كانوا يرجون من الغنيمة ، وذلك حين يقول الله : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » .

* * *

وقال آخرون : « بل الغم الأول ما كان فاتهم من الفتح والغنيمة ، والثاني إشراف أبي سفيان عليهم في الشِّعب . وذلك أن أبا سفيان – فيما زعم بعض أهل السير – لما أصاب من المسلمين ما أصاب ، وهرب المسلمون ، جاء حتى أشرف عليهم وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في شِعب أحد ، الذي كانوا ولَّوْا إليه عند الهزيمة ، فخافوا أن يصطلمهم أبو سفيان وأصحابه » .[1]

---

(١) إذا أبيد القوم من أصلهم واستأصلهم عدوهم قيل : « اصطلموا » بالبناء للمجهول .

* ذكر الخبر بذلك :

٨٠٦٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة . فلما رأوه، وضع رجل سهماً فى قوسه، فأراد أن يرميَه ، فقال : « أنا رسول الله ! » ، ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا، وفرح رسول الله حين رأى أن فى أصحابه من يمتنع . [1] فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب عنهم الحزَن ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا .

= فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه ، نسوا ذلك الذى كانوا عليه ، وهمَّهم أبو سفيان ، [2] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس لهم أن يعلونا ، اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تُعبَد » ! ثم ندَب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم ، فقال أبو سفيان يومئذ : « اعْلُ هُبَل ! حنظلة بحنظلة ، ويوم بيوم بدر » ! = وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جنُباً فغسَّلته الملائكة ، وكان حنظلة بن أبى سفيان قتل يوم بدر = وقال أبو سفيان : « لنا العزَّى ولا عزَّى لكم » ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « قل : الله مولانا ولا مولى لكم » ! فقال أبو سفيان : فيكم محمد ؟ [3] قالوا : نعم ! قال : « أما إنها قد كانت فيكم مُثْلة ، ما أمرتُ بها ولا نهيتُ عنها ، ولا سرَّتنى ولا ساءتنى » ! فذكر الله إشراف أبى سفيان عليهم فقال : « فأثابكم غمًّا بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » ، الغم الأول : ما فاتهم من الغنيمة والفتح ، والغم الثانى :

---

(١) انظر ما سلف : ٢٥٦ تعليق : ١ ، فإنى زدت « به » من التاريخ ، ولكنه عاد هنا فى المخطوطة فأسقطها ، فاتفقت المخطوطة فى الموضعين ، فتركت هذه على حالها ، وإن كنت لا أرتضيها .

(٢) فى التاريخ « وأهمهم » ، وهمه الأمر وأهمه ، سواء فى المعنى .

(٣) فى التاريخ : « أفيكم محمد » بالألف ، وهما سواء .

إشراف العدوّ عليهم = « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم » ، من الغنيمة = « ولا ما أصابكم » من القتل حين تذكرون . فشغلهم أبو سفيان .(١)

٨٠٦٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى ابن شهاب الزهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، فيما ذكَروا من حديث أحُد ، قالوا : كان المسلمون فى ذلك اليوم - لما أصابهم فيه من شدة البلاء - أثلاثاً ، ثلثٌ قتيل ، وثلثٌ جريح ، وثلثٌ منهزم ، وقد بلغته الحرب حتى ما يدرى ما يصنع =(٢) وحتى خلص العدوّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدُثَّ بالحجارة حتى وقع لشقِّه ، وأصيبتْ رَباعيته ، وشُجَّ فى وجهه ، وكُلِمت شفته ، وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص (٣) =(٤) وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لواؤه حتى قتل ، وكان الذى أصابه ابن قميئة الليثى ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : « قتلت محمداً » .(٥)

٩٠/٤

٨٠٦٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس : « قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم » = كما حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن

---

(١) الأثر ٨٠٦٤ - تاريخ الطبرى ٣ : ٢٠ ، ٢١ ، وبعضه فى الأثرين السالفين : ٧٩٤٣ ، ٨٠٥٠ ، وكلها سياق واحد فى التاريخ .

(٢) هذه الفقرة من الأثر ، لم أجدها فى سيرة ابن هشام .

(٣) هذه الفقرة من الأثر فى سيرة ابن هشام ٣ : ٨٤ ، وانظر التخريج فى آخره . ودثه بالعصا وبالحجر رماه رمياً متتابعاً ، أو ضربه بالعصا ضرباً متقارباً من وراء الثياب حتى يأخذه الألم . والشق : الجنب . والكلم : الجرح .

(٤) الفقرة التالية من الأثر فى سيرة ابن هشام ٣ : ٧٧ ، قبل السالفة .

(٥) الأثر : ٨٠٦٥ - هذا أثر ملفق من سيرة ابن إسحق ، كما رأيت فى التعليقين السالفين ، وهو فيها من ٣ : ٣/٨٤ : ٧٧/والقسم الأول لم أعثر عليه فيها .

إسحق قال ، حدثني ابن شهاب الزهرى = كعبُ بن مالك أخو بنى سلِمة قال : عرفتُ عينيه تَزْهَران تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتى : « يا معشر المسلمين : أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم » ! فأشار إلىّ رسول الله أن أنصت. فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض نحو الشعب ، معه علىّ بن أبى طالب ، وأبو بكر بن أبى قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة ابن عبيد الله ، والزبير بن العوّام ، والحارث بن الصِّمة ، [1] فى رهط من المسلمين. [2]

= قال فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب ومعه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا » ! فقاتل عمرُ بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل . ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بُدِّن ، فظاهَر بين درعين ، [3] فلما ذهب لينهض فلم يستطع ، جلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتى استوى عليها . [4]

= ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى

---

(١) فى المطبوعة : « والحارث بن الصامت » ، والصواب من المخطوطة والمراجع ، ولا أدرى فيم غيره الناشر الأول ! !

(٢) هذه الفقرة من الأثر فى سيرة ابن هشام ٣ : ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) بدن الرجل تبدينا : ألبسه البدن ، أى الدرع . وقد مضى شراح السيرة ، فزعموا أن « بدن » (بالبناء للمعلوم) هنا ، معناها : أسن . قال أبو ذر الخشنى فى تفسير غريب سيرة ابن هشام : ٢٢٨ « بدن الرجل ، إذا أسن . وبدن ، إذا عظم بدنه من كثرة اللحم » . وكلا التفسيرين خطأ هنا ، وإن كان صحيحاً فى اللغة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يوم قاتل فى أحد مسناً ولا بلغ فى السن ما يضعفه . وأيضاً فإنه ، بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم ، لم يوصف قط بالبدانة والسمن . وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الصلاة : « إنى قد بدنت فلا تبادرونى بالركوع والسجود » ، فإنه لم يعن البدانة ، وإنما أراد أن الحركة قد ثقلت عليه ، كما تثقل على الرجل البادن . ولو قرئت فى « بدن » بالبناء للمعلوم لكان عربية صحيحة .

وأما قوله : « ظاهر بين درعين » ، أى ليس إحداهما على الأخرى ، وكذلك « ظاهر بين ثوبين ، أو نعلين » ، لبس أحدهما على الآخر .

(٤) هذه الفقرة من الأثر فى سيرة ابن هشام ٣ : ٩١ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٢١ .

صوته : « أنعمْتَ فعالِ ! إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ، اعْلُ هُبَل » ، أى : أظهر دينك ،[١] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « قم فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ! لا سواء ! قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار » ! فلما أجاب عمر رضى الله عنه أبا سفيان ، قال له أبو سفيان : « هلم إلىّ يا عمر » ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ائته فانظر ما شأنُه »؟ فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهمّ لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ! فقال : أنت أصدقُ عندى من ابن قميئة وأبرُّ !=[٢] لقول ابن قميئة لهم : إنّى قتلت محمداً = ثم نادى أبو سفيان فقال : إنه قد كان فى قتلاكم مُثْلة ، والله ما رضيتُ ولا سخطتُ ، ولا نهيت ولا أمرتُ .[٣]

---

(١) قوله : « أنعمت » ، أى جئت بالسهم الذى فيه « نعم » ، و « عال » ، أى : تجاف عنها — عن الأصنام — ولا تذكرها بسوء . يقال : « عال عنى ، وأعل عنى » ، أى تنح . وذلك أن الرجل من قريش من أهل الجاهلية ، كان إذا أراد ابتداء أمر ، عمد إلى سهمين فكتب على أحدهما « نعم » وعلى الآخر « لا » ، ثم يتقدم إلى الصنم ويجيل سهامه ، فإن خرج سهم « نعم » أقدم ، وإن خرج سهم « لا » امتنع . وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد ، استفتى هبل ، فخرج له سهم الإنعام . فذلك تفسير كلمته . ومن لطيف أخبار الاستقسام بالأزلام . ما فعل امرؤ القيس ، حين قتل أبوه ، فاستقسم عند ذى الخلصة ، فأجال سهامه فخرج له السهم الناهى « لا » ثلاث مرات ، فجمع قداحه وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال له : « مصصت ببظر أمك ! لو أبوك قتل ما عقتنى ! ! » ، ثم خرج فقاتل ، فظفر . فيقال إنه لم يستقسم بعد ذلك بقدح عند ذى الخلصة حتى جاء الاسلام ، وهدمه جرير ابن عبد الله البجلى ، وأبطل الله أمر الجاهلية كله .

وقد قيل لأبى سفيان يوم الفتح : « أين قولك ، أنعمت فعال » ؟ فقال : « قد صنع الله خيراً ، وذهب أمر الجاهلية » .

هذا وقد كان فى المطبوعة : « أنعمت فقال إن الحرب سجال » ، وهو خطأ صرف . والحرب سجال : أى مرة لهذا ، ومرة لهذا . وقوله : « اعل هبل » قد شرحه ابن إسحق ، فيظن بعض من يضبط السيرة أنه « أعل » (بهمز الألف وسكون العين وكسر اللام) وهو خطأ ، والصواب أنه أمر من « علا » ، يريد : زد علواً .

(٢) فى المطبوعة : « وأشار لقول ابن قميئة » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، والصواب منها ومن سيرة ابن هشام . وقوله : « وأبر » ، من « البر » ، وهو الصدق والخير كله .

(٣) الأثر ٨٠٦٦ — هذا الأثر مجموع من مواضع فى السيرة كما أشرت إليه ، وهى فى : سيرة ابن هشام ٣ : ٨٨ ، ٨٩ / ٣ : ٩١ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٢١/والسيرة ٣ : ٩٩ .

٨٠٦٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنى ابن إسحق : « فأثابكم غمًّا بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم »، أى : كربًا بعد كرب، قتلُ من قتل من إخوانكم، وعلوّ عدوكم عليكم، وما وقع فى أنفسكم من قول من قال : « قُتل نبيكم »، فكان ذلك مما تتابع عليكم غمًّا بغم = « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم »، من ظهوركم على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم = « ولا ما أصابكم » من قتل إخوانكم، حتى فرجت بذلك الكرب عنكم = « والله خبير بما تعملون »، وكان الذى فرَّج به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغمّ الذى أصابهم، [١] أن الله عز وجل ردّ عنهم كِذبة الشيطان بقتل نبيهم. فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا بين أظهرهم، هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم، والمصيبة التى أصابتهم فى إخوانهم، [٢] حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم. [٣]

٨٠٦٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج : « فأثابكم غمًّا بغم »، قال ابن جريج، قال مجاهد : أصاب الناس حزن وغم على ما أصابهم فى أصحابهم الذين قُتلوا. فلما تولَّجُوا فى الشعب وهم مصابون، [٤] وقف أبو سفيان وأصحابه بباب الشعب، فظن المؤمنون أنهم سوف يميلون عليهم

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وكان الذى خرج عنهم » بإسقاط « به » والسياق يقتضى إثباتها، فأثبتها من سيرة ابن هشام.

(٢) فى المطبوعة : « فهان الظهور عليهم »، وفى المخطوطة : « فهذا الظهور عليهم » كتب « فهذا » فى آخر « السطر » و « الظهور » فى أول السطر التالى، فلم يحسن الناشر قراءتها، والصواب من سيرة ابن هشام.

(٣) الأثر : ٨٠٦٧ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١، ١٢٢، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٥٧.

(٤) فى المطبوعة : « فلما تولجوا فى الشعب يتصافون »، وهو لا معنى له، والصواب من المخطوطة إلا أن كاتبها كان قد سقط من كتابته من أول « وهم مصابون » إلى « باب الشعب »، فكتبها فى الهامش. فاستعجمت على الناشر الأول قراءتها.

فيقتلونهم أيضاً ، فأصابهم حزن فى ذلك أيضاً أنساهم حُزنهم فى أصحابهم ، فذلك قوله : « فأثابكم غمـًّا بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم » = قال ابن جريج ، قوله : « على ما فاتكم » ، يقول : على ما فاتكم من غنائم القوم = « ولا ما أصابكم » ، فى أنفسكم .

٩١/٤

٨٠٦٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج عن ابن جريج . قال ، أخبرنى عبد الله بن كثير ، عن عبيد بن عمير قال : جاء أبو سفيان بن حرب ومن معه حتى وقف بالشعب ، ثم نادى : أفى القوم ابن أبى كبشة ؟[1] فسكتوا ، فقال أبو سفيان : قـُتل ورب الكعبة ! ثم قال : أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ فسكتوا ، فقال : قـُتل ورب الكعبة ! ثم قال : أفى القوم عمر ابن الخطاب؟ فسكتوا ، فقال : قـُتل ورب الكعبة ! ثم قال أبو سفيان : اعل هـُبل ، يوم بيوم بدر ، وحنظلة بحنظلة ، وأنتم واجدون فى القوم مَـثْلاً ،[2] لم يكن عن رأى سَراتنا وخيارنا ، ولم نكرهه حين رأيناه ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب : قم فناد فقل : الله أعلى وأجل ! نعم هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أبو بكر ، وها أنا ذا ! لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار !

* * *

وقال آخرون فى ذلك ، بما : —

---

(١) « ابن أبى كبشة » ، يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك كان المشركون يذكرون رسول الله . فقيل إن « أبا كبشة » ، رجل من خزاعة ، خالف قريشاً فى عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور ، فذكروه بذلك لمخالفته إياهم إلى عبادة الله تعالى ، كما خالفهم أبو كبشة إلى عبادة الشعرى . ويقال : إنها كنية وهب بن عبد مناف ، جد رسول الله من قبل أمه ، فنسب إليه ، لأنه نزع إليه فى الشبه . ويقال : هى كنية زوج حليمة السعدية التى أرضعته صلى الله عليه وسلم .

(٢) فى المخطوطة : « وأنتم واحد ورقى القوم سلا » ، وهو كلام « فاسد » صوابه فى المطبوعة . والمثل (بفتح الميم وسكون الثاء) مصدر « مثل بالقتيل » إذا جدع أنفه ، أو أذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافه وجسده ، طلب التشويه لجثته . والاسم « المثلة » (بضم الميم وسكون الثاء) .

٨٠٧٠ — حدثني به محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم » ، فرجعوا فقالوا : والله لنأتينهم ثم لنقتلنهم ! قد جرحوا منا ! [١] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهلاً ، فإنما أصابكم الذى أصابكم من أجل أنكم عصيتمونى ! فبينما هم كذلك إذ أتاهم القوم قد ائتشبوا وقد اخترطوا سيوفهم ، [٢] فكان غمٌّ الهزيمة، وغمهم حين أتوهم = « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم » ،من القتل = « ولا ما أصابكم »، من الجراحة = « فأثابكم غماًّ بغم لكيلا تحزنوا » الآية ، وهو يوم أحد .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، قولُ من قال : « معنى قوله : « فأثابكم غماًّ بغم ، » أيها المؤمنون ، بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم ، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ — بعد الذى كان قد أراكم فى كل ذلك ما تحبون — بمعصيتكم ربَّكم وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم ، غمَّ ظنِّكم أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قتل ، وميل العدوّ عليكم بعد فلولكم منهم » . [٣]

والذى يدل على أن ذلك أولى بتأويل الآية مما خالفه ، قوله : « لكيلا تحزنوا

---

(١) فى المطبوعة : « قد خرجوا منا » ، وأسقطها السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٨٧ ، فاستظهر ناشر الطبعة السالفة إسقاطها كما فعل السيوطى ، وهى فى المخطوطة : « قد حرحوا منا » ، غير منقوطة ، كما أثبتها وصواب قراءتها ما أثبت . ومعنى : « جرحوا منا » ، أى أصابوا بعضنا بالجراحات والقتل ، وبلغوا فى ذلك مبلغاً . ولم تثبت كتب اللغة ذلك ، ولكنه عربى معرق عتيق ، وما كل اللغة تثبته كتب اللغة ، وخاصة مجاز العبارات .

(٢) فى المطبوعة : « قد أنسوا وقد اخترطوا سيوفهم » ، وفى الدر المنثور ٢ : ٨٧ « قد أيسوا » وفى المخطوطة : « قد اىسوا » غير منقوطة ، والذى فى المطبوعة والدر لا معنى له ، وقد رجحت قراءتها . تأشب القوم وائتشبوا : انضم بعضهم لبعض واجتمعوا والتفوا ، وفى الحديث « فتأشب أصحابه إليه » ، أى اجتمعوا إليه وطافوا به . وأصله من « أشب الشجر » ، إذا التف وكثر حتى ضاقت فرجه ، وحتى لا مجاز فيه لمجتاز .

(٣) قوله « بعد فلولكم منهم » يعنى : بعد هزيمتكم وفراركم منهم ، ولم تصرح كتب اللغة بفعل

على ما فاتكم ولا ما أصابكم » ، والفائت ، لا شك أنه هو ما كانوا رجَوْا الوصول إليه من غيرهم ، إما من ظهور عليهم بغلَبهم ، وإما من غنيمة يحتازونها = وأنّ قوله : « ولا ما أصابكم » ، هو ما أصابهم : إما فى أبدانهم ، وإما فى إخوانهم . فإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن « الغم » الثانى هو معنًى غير هذين . لأن الله عز وجل أخبر عباده المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه أثابهم غمًّا بغم لئلا يحزنهم ما نالهم من الغم الناشىء عما فاتهم من غيرهم ، ولا ما أصابهم قبل ذلك فى أنفسهم ، وهو الغم الأول ، على ما قد بيناه قبل .

* * *

وأما قوله : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » ، فإن تأويله على ما قد بيّنت ، من أنه : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم » ، فلم تدركوه مما كنتم ترجون إدراكه من عدوكم بالظفر عليهم والظهور ، وحيازة غنائمهم = « ولا ما أصابكم » ، فى أنفسكم ، من جرح من جرح وقتل من قتل من إخوانكم .

* * *

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه قبلُ على السبيل التى اختلفوا فيه ، كما :-

٨٠٧١ - حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » ، قال : على ما فاتكم من الغنيمة التى كنتم ترجون = « ولا تحزنوا على ما أصابكم » ، من الهزيمة .

* * *

وأما قوله : « والله خبير بما تعملون » ، فإنه يعنى جل ثناؤه : والله بالذى تعملون ، أيها المؤمنون - من إصعادكم فى الوادى هرباً من عدوكم ، وانهزامكم

ثلاثى لازم مصدره « فلول » ، بل قالوا : « فله يفله ، فانفل » ، ولكن يرجح صواب ما فى نص الطبرى أنه جاء فى أمثالهم : « من فل ذل » ، أى من فر عن عدوه ذل . وأما ابن كثير فقد نقل فى تفسيره ٢ : ٢٧٠ نص الطبرى هذا ، وفيه « ونبوكم منهم » ، وليست بشىء ، وكأن الصواب ما فى التفسير ، فهو جيد فى العربية .

منهم ، وتركِكم نبيكم وهو يدعوكم فى أخراكم ، وحزنكم على ما فاتكم من عدوكم وما أصابكم فى أنفسكم = ذو خبرة وعلم ، وهو محصٍ ذلك كله عليكم ، حتى يجازيكم به : المحسنَ منكم بإحسانه ، والمسيءَ بإساءته ، أو يعفو عنه .

* * *

٩٢/٤

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ثم أنزل الله، أيها المؤمنون، من بعد الغم الذى أثابكم ربكم بعد غم تقدمه قبله = « أمنة » ، وهى الأمان، [1] على أهل الإخلاص منكم واليقين ، دون أهل النفاق والشك .

* * *

ثم بين جل ثناؤه، عن « الأمنة » التى أنزلها عليهم، ما هى؟ فقال = « نعاساً »، بنصب « النعاس » على الإبدال من « الأمنة » .

* * *

ثم اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « يغشى » .

فقرأ ذلك عامة قرأة الحجاز والمدينة والبصرة وبعض الكوفيين بالتذكير بالياء : ﴿ يَغْشَى ﴾ .

* * *

وقرأ جماعة من قرأة الكوفيين بالتأنيت : ﴿ تَغْشَى ﴾ بالتاء .

* * *

وذهب الذين قرأوا ذلك بالتذكير ، إلى أن النعاس هو الذى يغشى الطائفة من

---

(١) انظر تفسير « الأمن » فيما سلف ٣ : ٢٩/٤ : ٨٧ .

المؤمنين دون الأمَنة ، فذكَّره بتذكير « النعاس » .

وذهب الذين قرأوا ذلك بالتأنيث ، إلى أنّ الأمَنة هى التى تغشاهم فأنثوه لتأنيث « الأمنة » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ، أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار ، غير مختلفتين فى معنى ولا غيره . لأن « الأمنة » فى هذا الموضع هى النعاس ، والنعاس هو الأمنة . فسواء ذلك ،[1] وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيبٌ الحقَّ فى قراءته . وكذلك جميع ما فى القرآن من نظائره من نحو قوله : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ تَغْلِى فِى الْبُطُونِ ﴾ [سورة الدخان : ٤٣ - ٤٥] و ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ تُمْنَى ﴾ [سورة القيامة : ٣٧] ، و ﴿ وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ ﴾ [سورة مريم : ٢٥] .[2]

* * *

فإن قال قائل : وما كان السبب الذى من أجله افترقت الطائفتان اللتان ذكرهما الله عز وجل فيما افترقتا فيه من صفتهما ، فأمِنت إحداهما بنفسها حتى نعست ، وأهمَّت الأخرى أنفسها حتى ظنت بالله غير الحق ظن الجاهلية ؟

قيل : كان سبب ذلك فيما ذكر لنا ، كما : -

٨٠٧٢ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أن المشركين انصرفوا يوم أحد بعد الذى كان من أمرهم وأمر المسلمين ، فواعدوا النبى صلى الله عليه وسلم بدراً من قابلٍ ، فقال نعم ! نعم ! فتخوف المسلمون أن ينزلوا المدينة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقال :

---

(١) فى المطبوعة : « وسواء ذلك » بالواو ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٠ .

« انظر، فإن رأيتهم قعدوا على أثقالهم وجنَبوا خيولهم،[١] فإن القوم ذاهبون ، وإن رأيتهم قد قعدوا على خيولهم وجنبوا أثقالهم،[٢] فإن القوم ينزلون المدينة، فاتقوا الله واصبروا »، ووطّنهم على القتال . فلما أبصرهم الرسولُ قعدوا على الأثقال سراعاً عجالاً ، نادى بأعلى صوته بذهابهم . فلما رأى المؤمنون ذلك صدّقوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فناموا ، وبقى أناس من المنافقين يظنون أنّ القوم يأتونهم . فقال الله جل وعز ، يذكر حين أخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم إن كانوا ركبوا الأثقال فإنهم منطلقون فناموا : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحقّ ظن الجاهلية » .

٨٠٧٣ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : أمّنهم يومئذ بنعاس غشّاهم . وإنما ينعُس من يأمن = « يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية » .

٨٠٧٤ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، عن أبى طلحة قال : كنت فيمن أنزل عليه النعاس يوم أحد أمنة، حتى سقط من يدى مراراً = قال أبو جعفر : يعنى سوطه ، أو سيفه .

٨٠٧٥ ــ حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، عن أبى طلحة قال : رفعت رأسى يوم أحُد، فجعلت ما أرى أحداً من القوم إلا تحت حجفته يميد من النعاس .[٣]

---

(١) الأثقال جمع ثقل (بفتحتين) : وهو متاع المسافر ، وعنى به الإبل التى تحمل المتاع . وجنب الفرس والأسير وغيره : قاده إلى جنبه .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة والدر المنثور ٢ : ٨٧ : « وجنبوا على أثقالهم » ، والصواب الذى لا شك فيه حذف « على » .

(٣) « الحجفة » : ضرب من الترسة ، تتخذ من جلود الإبل مقورة ، يطارق بعضها على بعض ، ليس فيه خشب ، وهى الحجفة والدرقة . « ماد يميد » : مال وتحرك واضطرب .

٨٠٧٦ - حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة قال : كنت فيمن صُبَّ عليه النعاس يوم أحد .

٨٠٧٧ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال ، حدثنا أنس بن مالك: عن أبي طلحة : أنه كان يومئذ ممن غشيه النعاس ، قال : كان السيف يسقط من يدى ثم آخذه ، من النعاس .

٩٣/٤

٨٠٧٨ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه ، عن الربيع : ذكر لنا، والله أعلم، عن أنس : أن أبا طلحة حدثهم: أنه كان يومئذ ممن غشيه النعاس، قال: فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ، ويسقط وآخذه ، ويسقط = والطائفة الأخرى المنافقون ، ليس لهم همَّة إلا أنفسهم ، « يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية » ، الآية كلها .

٨٠٧٩ - حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال ، حدثنا ضرار بن صرد قال ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عبد العزيز ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، عن أبيه قال : سألت عبد الرحمن بن عوف عن قول الله عز وجل: « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمَنَةً نعاساً ». قال: ألقى علينا النوم يوم أحد .

٨٠٨٠ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً » ، الآية ، وذاكم يوم أحد ، كانوا يومئذ فريقين ، فأما المؤمنون فغشّاهم الله النعاس أمنةً منه ورحمة .

٨٠٨١ - حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس نحوه .

٨٠٨٢ - حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

أبيه ، عن الربيع قوله : « أمنة نعاساً » ، قال : ألقى عليهم النعاس ، فكان ذلك أمنةً لهم .

٨٠٨٣ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين قال ، قال عبد الله : النعاس فى القتال أمنة ، والنعاس فى الصلاة من الشيطان .

٨٠٨٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً » ، قال : أنزل النعاس أمنة منه على أهل اليقين به ، فهم نيامٌ لا يخافون .(٢)

٨٠٨٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « أمنة نعاساً » ، قال : ألقى الله عليهم النعاس ، فكان « أمنة لهم » . وذكر أن أبا طلحة قال : ألقى علىّ النعاس يومئذ ، فكنت أنعس حتى يسقط سيفى من يدى .

٨٠٨٦ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا إسحق بن إدريس قال ، حدثنا حماد ابن سلمة قال ، أخبرنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، عن أبى طلحة = وهشام بن عروة ، عن عروة ، عن الزبير ، أنهما قالا : لقد رفعنا رؤوسنا يوم أحد ، فجعلنا ننظر ، فما منهم من أحد إلاّ وهو يميل بجنب حجفته . قال : وتلا هذه الآية : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاساً » .

* * *

(١) الأثر : ٨٠٨٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، وهو من تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٦٧ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « وطائفة منكم » ، أيها المؤمنون = « قد أهمتهم أنفسهم » ، يقول : هم المنافقون ، لا همَّ لهم غير أنفسهم ، فهم من حذر القتل على أنفسهم وخوف المنية عليها فى شغل ، قد طار عن أعينهم الكرى ، يظنون بالله الظنون الكاذبة ، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله ، شكاً فى أمر الله ، وتكذيباً لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وَمَحْسَبَة منهم أن الله خاذل نبيه ومُدِلٌ عليه أهل الكفر به ،[1] يقولون : هل لنا من الأمر من شىء ! كالذى : —

٨٠٨٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : والطائفة الأخرى المنافقون ، ليس لهم همٌّ إلا أنفسهم ، أجبنُ قوم وأرعبه وأخذله للحق ، يظنون بالله غير الحق ظنوناً كاذبة ، إنما هم أهل شك وريبة فى أمر الله : ﴿ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ .

٨٠٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : والطائفة الأخرى المنافقون ، ليس لهم همة إلا أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾ . قال الله عز وجل : ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ الآية .

٨٠٨٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وطائفة

---

(١) حسب الشىء يحسبه (بكسر السين) حسباناً (بكسر الحاء) ومحسبة ومحسَبة (بكسر السين وفتحها) ، ظنه ظناً .

قد أهمتهم أنفسهم » ، قال : أهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم تخوُّفَ القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبةً.[١]

٨٠٩٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم » إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء المنافقون . ٤/٩٤

* * *

وأما قوله : « ظنّ الجاهلية » ، فإنه يعنى أهل الشرك ، كالذى : –

٨٠٩١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ظنّ الجاهلية » ، قال : ظن أهل الشرك .

٨٠٩٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ظن الجاهلية » ، قال : ظن أهل الشرك .

* * *

قال أبو جعفر : وفى رفع قوله : « وطائفة » ، وجهان .

أحدهما ، أن تكون مرفوعة بالعائد من ذكرها فى قوله : « قد أهمتهم » .

والآخر : بقوله : « يظنون بالله غير الحق » ، ولو كانت منصوبة كان جائزاً ، وكانت « الواو » ، فى قوله : « وطائفة » ، ظرفاً للفعل ، بمعنى : وأهمت طائفة أنفسهم ، كما قال ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [سورة الذاريات : ٤٧] .[٢]

* * *

(١) الأثر : ٨٠٨٩ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٨٤ .
(٢) قد استقصى هذا الباب من العربية ، الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٤٠ – ٢٤٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك الطائفة المنافقةَ التى قد أهمَّتهم أنفسهم ، يقولون : ليس لنا من الأمر من شىء ، قل إن الأمر كله لله ، ولو كان لنا من الأمر شىء ما خرجنا لقتال من قاتلنا فقتلونا ، كما : —

٨٠٩٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قيل لعبد الله بن أبىّ : قُتل بنو الخزرج اليوم ! قال : وهل لنا من الأمر من شىء ؟ قيل : إنّ الأمر كله لله ! [١]

* * *

وهذا أمر مبتدأ من الله عز وجل ، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المنافقين : « إن الأمر كله لله » ، يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف يحبّ .

ثم عاد إلى الخبر عن ذكر نفاق المنافقين ، فقال : « يُخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك » يقول : يخفى ، يا محمد ، هؤلاء المنافقون الذين وصفتُ لك صفتهم ، فى أنفسهم من الكفر والشك فى الله ، ما لا يبدون لك . ثم أظهر نبيَّه صلى الله عليه وسلم على ما كانوا يخفونه بينهم من نفاقهم ، والحسرة التى أصابتهم على حضورهم مع المسلمين مشهدهم بأحد ، فقال مخبراً عن قيلهم الكفرَ وإعلانهم النفاقَ بينهم : « يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ههنا » ، يعنى بذلك ، أنّ هؤلاء المنافقين يقولون : لو كان الخروج إلى حرب من خرجنا لحربه من المشركين إلينا ، ما خرجنا

---

(١) فى المطبوعة : « قل إن الأمر كله لله » كنص الآية ، وأثبت ما فى المخطوطة .

إليهم ، ولا قُتل منا أحد فى الموضع الذى قتلوا فيه بأحد .

* * *

وذكر أن ممن قال هذا القول ، معتّب بن قشير ، أخو بنى عمرو بن عوف .

* ذكر الخبر بذلك :

٨٠٩٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، قال ، قال ابن إسحق ، حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير قال : والله إنّى لأسمع قول معتِّب بن قشير ، أخى بنى عمرو بن عوف ، والنعاسُ يغشانى ، ما أسمعه إلا كالحلم حين قال : لوْ كان لنا من الأمر شىء ما قُتلنا ههنا ! (١)

٨٠٩٥ — حدثنى سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنى أبى ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه بمثله .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق : « قُلْ إنّ الأمْرَ كُلَّهُ » ، بنصب « الكل » على وجه النعت لـ « الأمر » والصفة له .

* * *

وقرأه بعض قرأة أهل البصرة : « قُلْ إنّ الأَمْرَ كُلُّهُ لله » برفع « الكل » ، على توجيه « الكل » إلى أنه اسم ، وقوله « لله » خبره ، كقول القائل : « إن الأمر بعضُه لعبد الله » . (٢)

* * *

وقد يجوز أن يكون « الكل » فى قراءة من قرأه بالنصب ، منصوباً على البدل .

* * *

(١) لم أجد نص الخبر فى سيرة ابن هشام ، فى خبر أحد ، ولكنى وجدت معناه والإشارة إليه قبل أحد فى ذكر من اجتمع إلى يهود من منافقى الأنصار ٢ : ١٦٩ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٣ .

قال أبوجعفر : والقراءة التى هى القراءة عندنا ، النصبُ فى « الكل » لإجماع أكثر القرأة عليه ، من غير أن تكون القراءة الأخرى خطأ فى معنى أو عربية . ولو كانت القراءة بالرفع فى ذلك مستفيضة فى القرأ ، لكانت سواءً عندى القراءةُ بأىّ ذلك قرئ ، لاتفاق معانى ذلك بأىّ وجهيه قرئ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (١٥٤)

٩٥/٤

قال أبوجعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قل ، يا محمد ، للذين وصفت لك صفتهم من المنافقين : لو كنتم فى بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم ، ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين ، فيظهرَ للمؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم ، وتكتمونه من شككم فى دينكم [١] = « لبرز الذين كُتب عليهم القتل » ، يقول : لظهر للموضع الذى كتب عليه مصرعه فيه ، من قد كتب عليه القتلُ منهم ، [٢] وخرج من بيته إليه حتى يصرع فى الموضع الذى كُتب عليه أن يصرع فيه . [٣]

* * *

وأما قوله : « وليبتلى الله ما فى صدوركم » ، فإنه يعنى به : وليبتلى الله ما فى صدوركم ، أيها المنافقون ، كنتم تبرزون من بيوتكم إلى مضاجعكم .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « من شركم فى دينكم » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « برز » فيما سلف ٥ : ٣٥٤ .

(٣) فى المطبوعة : « ويخرج من بيته » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

ويعنى بقوله : « وليبتلى الله ما فى صدوركم » ، وليختبر الله الذى فى صدوركم من الشك ، فيميِّزكم = بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم = من المؤمنين .(١)

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أنّ معانى نظائر قوله : « ليبتلى الله » و « ليعلم الله » وما أشبه ذلك ، وإن كان فى ظاهر الكلام مضافاً إلى الله الوصف به ، فمرادٌ به أولياؤه وأهل طاعته =(٢) وأنّ معنى ذلك : وليختبر أولياءُ الله وأهلُ طاعته الذى فى صدوركم من الشك والمرض ، فيعرفوكم ، [فيميّزوكم] من أهل الإخلاص واليقين = « وليمحص ما فى قلوبكم » ، يقول وليتبينوا ما فى قلوبكم من الاعتقاد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من العداوة أو الولاية .(٣)

* * *

« والله عليم بذات الصدور » ، يقول : والله ذو علم بالذى فى صدور خلقه من خير وشر ، وإيمان وكفر ، لا يخفى عليه شىء من أمورهم ، سرائرها علانيتها ، وهو لجميع ذلك حافظ ، حتى يجازى جميعهم جزاءهم على قدر استحقاقهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن إسحق يقول :

٨٠٩٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ذكر الله تلاوُمَهم — يعنى تلاوُم المنافقين — وحسرتهم على ما أصابهم ، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل : « لو كنتم فى بيوتكم » ، لم تحضروا هذا الموضع الذى أظهر الله جل ثناؤه فيه منكم ما أظهر من سرائركم ، لأخرج الذين كتب عليهم القتل إلى موطن غيره يصرعون فيه ، حتى يبتلى به ما فى صدوركم = « وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور » ، أى : لا يخفى عليه ما فى صدورهم ،(٤)

---

(١) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف ٧ : ٢٩٧ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ٢٤٦ ، تعليق ٢ ، / ثم انظر ٣ : ١٦٠ — ١٦٢ .

(٣) انظر تفسير « محص » فيما سلف ص : ٢٤٤ .

(٤) فى المطبوعة « لا يخفى عليه شىء مما فى صدورهم » ، وفى المخطوطة « لا يخفى عليه شىء ما فى

مما استخفوا به منكم .(١)

٨٠٩٧ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا الحارث بن مسلم ، عن بحر السقاء ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن قال : سئل عن قوله : « قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » ، قال : كتب الله على المؤمنين أن يقاتلوا في سبيله ، وليس كل من يقاتل يُقتل، ولكن يُقتل من كتب الله عليه القتل.(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٥٥)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : إنّ الذين ولَّوا عن المشركين، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وانهزموا عنهم .

* * *

وقوله : « تولَّوا » ، « تفعَّلوا » ، من قولهم : « ولَّى فلان ظهره » .(٣)

* * *

صدورهم » ، وضرب بالقلم على « شيء » ، ولكن الناشر آثر إثباتها ، وجعل « ما » « مما » ، والصواب المطابق لنص السيرة هو ما أثبت .

(١) الأثر : ٨٠٩٦ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٨٠٨٩ .

(٢) الأثر : ٨٠٩٧ - « الحارث بن مسلم الرازي المقرئ » ، روى عن الثوري ، والربيع ابن صبيح وغيرهما . قال أبو حاتم : « الحارث بن مسلم ، عابد ، شيخ ثقة صدوق . رأيته وصليت خلفه » . مترجم في ابن أبي حاتم ١/٢/٨٨ .

و « بحر السقاء » ، هو « بحر بن كنيز الباهلي السقاء أبو الفضل » روى عن الحسن ، والزهري وقتادة . وهو جد « عمرو بن علي الفلاس » . وروى عنه الثوري وكناه ولم يسمه ، قال يحيى بن سعيد القطان : « كان سفيان الثوري يحدثني ، فإذا حدثني عن رجل يعلم أني لا أرضاه كناه لي ، فحدثني يوما قال حدثني أبو الفضل ، يعني بحراً السقاء » . وقال يحيى بن معين : « بحر السقاء ، لا يكتب حديثه » . وهو متروك . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١/١/٤١٨ .

(٣) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ٢ : ١٦٢ ، ٢٩٩/٣ : ١١٥ ، ١٣١/٤ : ٢٣٧/ ٦ : ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٤٧٧ ، ٤٨٣ .

وقوله : « يوم التقى الجمعان » ، يعنى : يوم التقى جمعُ المشركين والمسلمين بأحد = « إنما استزلهم الشيطان » ، أى : إنما دعاهم إلى الزّلة الشيطانُ .

* * *

وقوله : « استزل » « استفعل » من « الزلة » . و « الزلة » ، هى الخطيئة . [١]

* * *

= « ببعض ما كسبوا » ، يعنى ببعض ما عملوا من الذنوب [٢] = « ولقد عفا الله عنهم » ، يقول : ولقد تجاوز الله عن عقوبة ذنوبهم فصفح لهم عنه [٣] = « إن الله غفور » ، يعنى به : مغطّ على ذنوب من آمن به واتبع رسوله ، بعفوه عن عقوبته إياهم عليها = « حليم » ، يعنى أنه ذو أناة لا يعجل على من عصاه وخالف أمره بالنقمة . [٤]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى أعيان القوم الذين عُنُوا بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها كلُّ من ولّى الدُّبُرَ عن المشركين بأحد .

* ذكر من قال ذلك :

٨٠٩٨ — حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا عاصم بن كليب ، عن أبيه قال : خطب عمر يوم الجمعة فقرأ « آل عمران » ، وكان يعجبه إذا خطب أن يقرأها ، فلما انتهى إلى قوله : « إنّ الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان » ، قال : لما كان يوم أحد هزمناهم ، ففررتُ حتى صعدت الجبل ، فلقد رأيتنى أنزو كأننى أروَى ، [٥] والناس يقولون : « قُتل محمد » ! فقلت : لا أجد أحداً يقول : « قتل محمد » ، إلا قتلتُه ! حتى اجتمعنا على الجبل ، فنزلت : ٩٦/٤

---

(١) انظر تفسير : « زل » فيما سلف ١ : ٥٢٤ ، ٤/٥٢٥ : ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٢) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ٢ : ٢٧٣ ، ٣/٢٧٤ : ١٠١ ، ٤/١٢٨ : ٤٤٩/ ٦ : ١٣١ ، ٢٩٥ .

(٣) انظر تفسير « عفا » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « غفور حليم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٥) « أنزو » : أثبت ، والنزو الوثب . والأروى : أنثى الوعول ، وهى قوية على التصعيد فى الجبال .

« إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان » ، الآية كلها .[(١)]

٨٠٩٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان » ، الآية ، وذلك يوم أحد ، ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تولوا عن القتال وعن نبيّ الله يومئذ ، وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه ، فأنزل الله عز وجل ما تسمعون : أنه قد تجاوز لهم عن ذلك وعفا عنهم .

٨١٠٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثني عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه، عن الربيع في قوله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان »، الآية ، فذكر نحو قول قتادة .

* * *

وقال آخرون : بل عني بذلك خاصٌّ ممن ولَّى الدبر يومئذ . قالوا : وإنما عني به الذين لحقوا بالمدينة منهم دون غيرهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٠١ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : لما انهزموا يومئذ ، تفرّق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الأثر : ٨٠٩٨ — « أبو هشام الرفاعي » هو « محمد بن يزيد بن محمد بن كثير » ، مضى في رقم : ٣٢٨٦ ، ٤٥٥٧ ، ٤٨٨٨ ، وغيرها. و« أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط»، قيل اسمه « محمد » ، وقيل : « عبد الله » وقيل وقيل ، ولكن الحافظ قال : « والصحيح أن اسمه كنيته ، كان حافظاً متقناً، ولكنه لما كبر ساء حفظه ، فكان يهم إذا روى ، والخطأ والوهم شيئان لا ينفك عنهما البشر ، كما قال ابن حبان » . مترجم في التهذيب .

و « عاصم بن كليب بن شهاب المجنون الجرمي » ، روى عن أبيه ، وأبي بردة بن أبي موسى ، ومحمد بن كب القرظي ، وغيرهم . روى عنه ابن عون وشعبة وشريك والسفيانان وغيرهم . قال أحمد : « لا بأس بحديثه » ، وقال النسائي وابن معين : « ثقة » . وكان من العباد ، ولم يكن كثير الحديث . مترجم في التهذيب .

وأبوه : « كليب بن شهاب بن المجنون الجرمي » ، روى عن أبيه ، وعن خاله الفلتان بن عاصم وعمر ، وعلي ، وسعد ، وأبي ذر ، وأبي موسى ، وأبي هريرة وغيرهم . قال ابن سعد : « كان ثقة ، ورأيتهم يستحسنون حديثه ويحتجون به » . مترجم في التهذيب .

أصحابه ، فدخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها ، فذكر الله عز وجل الذين انهزموا فدخلوا المدينة فقال : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان »، الآية .

* * *

وقال آخرون : بل نزل ذلك فى رجال بأعيانهم معروفين .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٠٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عكرمة قوله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان »، قال : نزلت فى رافع بن المعلَّى وغيره من الأنصار ، وأبى حُذيفة بن عتبة ورجل آخر = قال ابن جريج : وقوله : « إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم » ، إذ لم يعاقبهم .

٨١٠٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فرّ عثمان بن عفان ، وعقبة بن عثمان ، وسعد بن عثمان — رجلان من الأنصار — حتى بلغوا الجلْعَب =(١) جبل بناحية المدينة مما يلى الأعوص — فأقاموا به ثلاثاً ، ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضةً ! (٢)

٨١٠٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قوله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا » الآية ،

---

(١) « الجلعب » ضبطه البكرى بفتح الجيم وسكون اللام وفتح العين ، وضبطه ياقوت بفتح الجيم واللام وسكون العين ، وقال : وقد ثناه بعضهم فى الشعر كعادتهم فى أمثاله فقال (من أبيات صححتها ، فى مطبوعة معجم البلدان خطأ كثير) :

فَمَا فَتِئَتْ ضُبْعُ الجَلْعَبَيْنِ تَعْتَرِى مَصَارِعَ قَتْلَى فِى التُّرَابِ سِبَالُهَا

(٢) قوله : « لقد ذهبتم فيها عريضة » ، أى واسعة . والضمير فى قوله : « فيها » إلى « الأرض » ، يقول : لقد اتسعت منادح الأرض فى وجوهكم حين فررتم ، فأبعدتم المذهب ، يتعجب من فعلهم . هذا ، ولم أجد الأثر فى سيرة ابن هشام .

والذين استزلهم الشيطان : عثمان بن عفان ، وسعد بن عثمان ، وعقبة بن عثمان ، الأنصاريان ، ثم الزُّرَقيَّان .[1]

* * *

وأما قوله : « ولقد عفا الله عنهم » ، فإن معناه : ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ، أن يعاقبهم بتوليهم عن عدوّهم ، كما :–

٨١٠٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « ولقد عفا الله عنهم » ، يقول : « ولقد عفا الله عنهم » ، إذ لم يعاقبهم .

٨١٠٦ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله في توليِّهم يوم أحد : « ولقد عفا الله عنهم » ، فلا أدري أذلك العفو عن تلك العصابة ، أم عفوٌ عن المسلمين كلهم ؟

* * *

وقد بينا تأويل قوله : « إن الله غفورٌ حليم » ، فيما مضى .[2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وأقرُّوا بما جاء به محمد من عند الله ، لا تكونوا كمن كفر بالله وبرسوله ، فجحد نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال لإخوانه من أهل الكفر = « إذا ضربوا في الأرض »

---

(١) الأثر : ٨١٠٤ – لم أجد هذا الأثر أيضاً في سيرة ابن هشام .

(٢) انظر ما سلف ٥ : ١١٧ ، ٥٢١ .

فخرجوا من بلادهم سفراً فى تجارة = « أو كانوا غُزًّى »، يقول : أو كان خروجهم من بلادهم غزاةً فهلكوا فماتوا فى سفرهم ، أو قتلوا فى غزوهم = « لو كانوا عند ما ماتوا وما قتلوا »، يخبر بذلك عن قول هؤلاء الكفار أنهم يقولون لمن غزا منهم فقتل، أو مات فى سفر خرج فيه فى طاعة الله، أو تجارة : لو لم يكونوا خرجوا من عندنا وكانوا أقاموا فى بلادهم ما ماتوا وما قتلوا = « ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم »، يعنى : أنهم يقولون ذلك ، كى يجعل الله قولهم ذلك حزناً فى قلوبهم وغمًّا، ويجهلون أن ذلك إلى الله جل ثناؤه وبيده . ٩٧/٤

* * *

وقد قيل : إن الذين نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتشبَّهوا بهم فيما نهاهم عنه من سوء اليقين بالله ، هم عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٠٧ — حدثنى محمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم » الآية ، قال : هؤلاء المنافقون أصحاب عبد الله بن أبىّ .

٨١٠٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غُزًّى »، قولُ المنافق عبد الله بن أبىّ ابن سلول .

٨١٠٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون فى ذلك : هم جميع المنافقين .

* ذكر من قال ذلك :

٨١١٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها

الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم » الآية ، أى : لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله والضرب فى الأرض فى طاعة الله وطاعة رسوله، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا: لو أطاعونا ما ماتوا وما قُتلوا.(١)

* * *

وأما قوله : « إذا ضربوا فى الأرض » ، فإنه اختلف فى تأويله .(٢)

فقال بعضهم : هو السفر فى التجارة ، والسير فى الأرض لطلب المعيشة .

* ذكر من قال ذلك :

٨١١١ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إذا ضربوا فى الأرض » ، وهى التجارة .

* * *

وقال آخرون ، بل هو السير فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٨١١٢ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « إذا ضربوا فى الأرض » ، الضربُ فى الأرض فى طاعة الله وطاعة رسوله .(٣)

* * *

وأصل « الضرب فى الأرض » ، الإبعاد فيها سيراً .(٢)

* * *

وأما قوله « أو كانوا غُزًّى » ، فإنه يعنى: أو كانوا غزاة فى سبيل الله .

* * *

و « الغُزَّى » جمع « غاز »، جمع على « فُعَّل » كما يجمع « شاهد » « شُهَّد »، و « قائل » « قوَّل » ، وقد ينشد بيت رؤبة :

---

(١) الأثر : ٨١١٠ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٩٦ .

(٢) انظر تفسير « ضرب فى الأرض » فيما سلف ٥ : ٥٩٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٠٦ .

(٣) الأثر : ٨١١٢ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، ١٢٣ ، وهو بعض الأثر السالف : ٨١١٠ ، وتتمته .

فاليوم قَدْ نَهْنَهَنِى تَنَهْنُهِى وَأَوْلُ حِلْمٍ لَيْسَ بِالمُسَفَّهِ
وَقَوْلٌ : إلاَّ دَهٍ فَلَا دَهِ (١)

وينشد أيضاً :

* وَقَوْلُهُمْ : إلاّ دَهٍ فَلا دَهِ *

* * *

وإنما قيل : « لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى » ، فأصحبَ ماضى الفعل ، الحرفَ الذى لا يصحب مع الماضى منه إلاّ المستقبل، فقيل: « وقالوا لإخوانهم » ، ثم قيل: « إذا ضربوا » ، وإنما يقال فى الكلام : « أكرمتك إذْ زرتنى »،ولا يقال : « أكرمتك إذا زرتنى » . لأن « القول » الذي فى قوله: « وقالوا لإخوانهم » ، وإن كان فى لفظ الماضى ، فإنه بمعنى

---

(١) ديوانه : ١٦٦ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٠٦ ، ومشكل القرآن : ٤٣٨ ، وجمهرة الأمثال : ٢٣ ، وأمثال الميدانى ١ : ٣٨ ، والخزانة ٣ : ٩٠ ، واللسان (قول) (دها) ، وغيرها كثير ، وسيأتى فى التفسير ٢٤ : ٦٦ (بولاق) . وهو من قصيدته التى يذكر فيها نفسه وشبابه ، وقد سلفت منها عدة أبيات فى مواضع متفرقة .

« نهنهت فلاناً عن الشىء فتنهنه » ، أى : زجرته فانزجر ، وكففته فانكف . و « الأول » : الرجوع . يقول : قد كفنى عن الصبا طول عتابى لنفسى وملامتى إياها ، ورجوع عقل لا يوصف بالسفه ، بعد جنون الشباب، ثم قول الناس: « إلا ده ، فلا ده » .

وقد اختلف فى تفسير « إلا ده فلا ده » ، اختلاف كثير ، قال أبو عبيدة : « يقول إن لم يكن هذا فلا ذا . ومثل هذا قولهم : إن لم تتركه هذا اليوم فلا تتركه أبداً ، وإن لم يكن ذاك الآن ، لم يكن أبداً » . وقال ابن قتيبة : « يريدون: إن لم يكن هذا الأمر لم يكن غيره . . . ويروى أهل العربية أن الدال فيه مبدلة من ذال ، كأنهم أرادوا : إن لم تكن هذه ، لم تكن أخرى » .

وقال أبو هلال : « قال بعضهم : يضرب مثلا للرجل يطلب شيئاً ، فإذا منعه طلب غيره . وقال الأصمعى : لا أدرى ما أصله ! وقال غيره : أصله أن بعض الكهان تنافر إليه رجلان فامتحناه ، فقالا له : فى أى شىء جئناك ؟ قال : فى كذا ، قالا : لا ! فأعاد النظر وقال : إلا ده فلا ده — أى : إن لم يكن كذا فليس غيره، ثم أخبرهما . . وكانت العرب تقول ، إذا رأى الرجل ثاره : إلا ده فلا ده — أى : إن لم يثأر الآن ، لم يثأر أبداً » .

ومهما يكن من أصله ، فإن رؤبة يريد : زجرنى عن ذلك كف نفسى عن الغى ، وأوبة حلم أطاره جنون الشباب ، وقول ناصحين يقول : إن لم ترعو الآن عن غيك ، فلن ترعوى ما عشت !

المستقبل . وذلك أن العرب تذهب بـ « الذين » مذهب الجزاء ، وتعاملها فى ذلك معاملة « من » و « ما » ، لتقارب معانى ذلك فى كثير من الأشياء ، وأن جميعهن أشياء[١] مجهولات غير موقتات توقيت « عمرو » و « زيد » .[٢]

فلما كان ذلك كذلك = وكان صحيحاً فى الكلام فصيحاً أن يقال للرجل : « أكرمْ من أكرمك » « وأكرم كل رجل أكرمك » ، فيكون الكلام خارجاً بلفظ الماضى مع « من » ، و « كلٍّ » ، مجهولَيْنِ ومعناه الاستقبال ،[٣] إذ كان الموصوف بالفعل غير مؤقت ، وكان « الذين » فى قوله : « لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض » ، غير موقَّتين[٤] = أجريت مجرى « من » و « ما » فى ترجمتها التى تذهب مذهب الجزاء ،[٥] وإخراج صلاتها بألفاظ الماضى من الأفعال وهى بمعنى الاستقبال ، كما قال الشاعر فى « ما » :[٦]

وإنّى لَآتيكمْ تَشَكُّرَ مَا مَضَى مِنَ الأَمْرِ واسْتِيجابَ مَا كَانَ فِى غَدِ[٧]

فقال : « ما كان فى غد » ، وهو يريد : ما يكون فى غد . ولو كان أراد الماضى لقال : « ما كان فى أمس » ، ولم يجزله أن يقول : « ما كان فى غد » .

ولو كان « الذى » موقَّتاً ، لم يجز أن يقال ذلك . خطأ أن يقال : « لتُكرِمن

---

(١) فى المطبوعة : « وأن جمعهن أشياء . . . » ، وهو خطأ صوابه من المطبوعة .

(٢) الموقت ، والتوقيت : هو المعرفة المحددة ، والتعريف المحدد ، وهو الذى يعنى سماه تعييناً مطلقاً غير مقيد ، مثل « زيد » ، فإنه يعين مسماه تعييناً مطلقاً ، أو محدداً . وانظر ما سلف ١ : ١٨١ ، تعليق : ٢/١ : ٣٣٩ . والمجهول : غير المعروف ، وهو النكرة .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة « مع من وكل مجهول » ، والصواب ما أثبت ، ويعنى بقوله « مجهولين » : نكرتين .

(٤) « موقتين » جمع « موقت » بالياء والنون ، وهى المعرفة كما سلف . والسياق « وكان الذين .. .. .. غير موقتين » ، لأن « الذين » جمع ، فوصفها بالجمع .

(٥) فى المخطوطة « التى تذهب الجزاء » ، وفى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٣ : « لأن « الذين » يذهب بها إلى معنى الجزاء ، من : من ، وما» . فالتصرف الذى ذهب إليه الناشر الأول صواب جيد جداً . « والترجمة » هنا : التفسير والبيان .

(٦) هو الطرماح بن حكيم .

(٧) مضى تخريج البيت وشرحه فيما سلف ٢ : ٣٥١ ، تعليق : ٥ .

هذا الذى أكرمك إذا زرته » ، (١) لأن « الذى » ههنا موقّت ، فقد خرج من معنى الجزاء . ولو لم يكن فى الكلام « هذا » ، لكان جائزاً فصيحاً ، لأن « الذى » يصير حينئذ مجهولا غير موقت. ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ [سورة الحج : ٢٥] ، فردّ « يصدون » على « كفروا » ، لأن «الذين» غير موقتة . فقوله : « كفروا » ، وإن كان فى لفظ ماض ، فمعناه الاستقبال ، وكذلك قوله : ﴿ إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ [سورة مريم : ٦٠] ، وقوله : ﴿ إِلاَّ الَّذِين تَابُوا مِنْ قَبلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة المائدة : ٣٤] ، معناه : إلا الذين يتوبون من قبل أن تقدروا عليهم = وإلا من يتوب ويؤمن . ونظائر ذلك فى القرآن والكلام كثير ، والعلة فى كل ذلك واحدة . (٢)

٩٨/٤

* * *

وأما قوله : « ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم » ، فإنه يعنى بذلك : حزناً فى قلوبهم ، (٣) كما : —

٨١١٣ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فى قلوبهم » ، قال : يحزنهم قولهم ، لا ينفعهم شيئاً .

٨١١٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨١١٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم » ، لقلة اليقين بربهم جل ثناؤه . (٤)

* * *

(١) فى المطبوعة : « خطأ أن يقال لك من هذا الذى . . . » أخطأ قراءة المخطوطة فجعل « لتكرمن » « لك من » وهو فاسد ، والصواب ما أثبت ، وهو الذى يدل عليه السياق .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٣) انظر تفسير « الحسرة » فيما سلف ٣ : ٢٩٥ — ٢٩٩ .

(٤) الأثر : ٨١١٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١١٠ ، ٨١١٢ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَٱللَّهُ يُحْيِ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١٥٦)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « والله يحيي ويميت » ، والله المعجِّل الموتَ لمن يشاء من حيث يشاء ،[١] والمميت من يشاء كلما شاء ، دون غيره من سائر خلقه .

وهذا من الله عز وجل ترغيبٌ لعباده المؤمنين على جهاد عدوه والصبر على قتالهم ، وإخراج هيبتهم من صدورهم ، وإن قل عددهم وكثر عدد أعدائهم وأعداء الله = وإعلامٌ منه لهم أن الإماتة والإحياء بيده ، وأنه لن يموت أحدٌ ولا يقتل إلا بعد فناء أجله الذى كتب له = ونهىٌ منه لهم ، إذ كان كذلك ، أن يجزعوا لموت من مات منهم أو قتل من قتل منهم فى حرب المشركين .

* * *

ثم قال جل ثناؤه : « والله بما تعملون بصيرٌ » ، يقول : إن الله يرى ما تعملون من خير وشر ، فاتقوه أيها المؤمنون ، إنه محصٍ ذلك كله ، حتى يجازى كل عامل بعمله على قدر استحقاقه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن إسحق .

٨١١٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله يحيي ويميت » ، أى : يعجل ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء من آجالهم بقدرته .[٢]

* * *

(١) أخشى أن يكون سقط من الناسخ بعض تفسير الآية ، وكأنه كان : « والله المؤخر أجل من يشاء من حيث شاء ، وهو المعجل . . . » ، وانظر الأثر الآتى رقم : ٨١١٦ .

(٢) الأثر : ٨١١٦ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١١٥

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١٥٧)

قال أبو جعفر : يخاطب جل ثناؤه عباده المؤمنين ، يقول لهم :(١) لا تكونوا ، أيها المؤمنون ، فى شك من أن الأمور كلها بيد الله ، وأن إليه الإحياء والإماتة ، كما شك المنافقون فى ذلك ، ولكن جاهدوا فى سبيل الله وقاتلوا أعداء الله ، على يقين منكم بأنه لا يقتل فى حرب ولا يموت فى سفر إلا من بلغ أجله وحانت وفاته . ثم وعدهم على جهادهم فى سبيله المغفرةَ والرحمةَ ، وأخبرهم أن موتاً فى سبيل الله أو قتلاً فى الله ،(٢) خير لهم مما يجمعون فى الدنيا من حطامها ورغيد عيشها الذى من أجله يتثاقلون عن الجهاد فى سبيل الله ، ويتأخرون عن لقاء العدو ، كما : —

٨١١٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » ، أى : إن الموت كائن لا بد منه ، فموت فى سبيل الله أو قتل ، خير = لو علموا فأيقنوا = مما يجمعون فى الدنيا التى لها يتأخرون عن الجهاد ، تخوفاً من الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا ، وزهادةً فى الآخرة .(٣)

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قال الله عز وجل : « لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » ، وابتدأ الكلام : « ولئن متم أو قتلتم » بحذف جواب « لئن » ،(٤) لأن فى قوله :

(١) فى المطبوعة : « فخاطب » ، وأثبت صوابها من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « وقتلا » وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو أجود .

(٣) الأثر : ٨١١٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١١٦ . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « لما جمعوا من زهيد الدنيا » وهو تحريف ، والصواب من سيرة ابن هشام . وزهرة الدنيا : حسنها وبهجتها وغضارتها ، وكثرة خيرها ، ورغيد عيشها . وفى سيرة ابن هشام : « زهادة فى الآخرة » ، بغير واو .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة « بحذف جزاء لئن » ، وهو خطأ بين وتصحيف من الناسخ ، سقطت منه باء « جواب » فكتب « جزاء » .

« لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » معنى جواب للجزاء ،[١] وذلك أنه وَعدٌ خرج مخرج الخبر .

* * *

فتأويل الكلام : ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم ، ليغفرن الله لكم وليرحمنّكم = فدلّ على ذلك بقوله : « لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » ، وجمع مع الدلالة به عليه ، الخبرَ عن فضل ذلك على ما يؤثرونه من الدنيا وما يجمعون فيها .

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة ، أنه إن قيل : كيف يكون : « لمغفرة من الله ورحمة » جواباً لقوله : « ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم »؟ فإن الوجه فيه أن يقال فيه كأنه قال : ولئن متم أو قتلتم فذلك لكم رحمة من الله ومغفرة ، إذ كان ذلك فى سبيلى ،[٢] فقال : « لمغفرة من الله ورحمة ، » يقول : لذلك خير مما تجمعون ، يعنى : لتلك المغفرة والرحمة خير مما تجمعون .

٩٩/٤

* * *

ودخلت اللام فى قوله : « لمغفرة من الله » ، لدخولها فى قوله : و « لئن » ، كما قيل : ﴿ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ﴾ [سورة الحشر : ١٢] .

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « معنى جواز للجزاء » ، وهو تصحيف لا معنى له ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فإن [القول] فيه أن يقال فيه : كأنه قال : ولئن متم أو قتلتم [فذكر لهم] رحمة من الله ومغفرة ، إذا كان ذلك فى [السبيل] » ، وقد وضعت الكلمات التى استبدلت بها غيرها بين أقواس . وهذه الجملة التى فى المطبوعة والمخطوطة لا يكاد يكون لها معنى . فالكلمة الأولى « القول » لاشك فى خطئها ، وصوابها ما أثبت . أما « فذكر لهم » ، فإنى أظن أن الناسخ قد أخطأ قراءة المخطوطة القديمة التى نقل عنها فقرأ « فذلك لكم » « فذكر لهم » وأما « السبيل » ، فى المخطوطة ضرب خفيف على ألف « السبيل » ، فرجحت قراءتها كما أثبت . وهو حق المعنى ، فاستقامت هذه الجملة مع ما بعدها ، والحمد لله .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١٥٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولئن متم أو قتلتم ، أيها المؤمنون ، فإن إلى الله مرجعكم ومحشركم ، فيجازيكم بأعمالكم ، فآثروا ما يقرّبكم من الله ويوجب لكم رضاه ويقربكم من الجنة ، من الجهاد فى سبيل الله والعمل بطاعته ، على الركون إلى الدنيا وما تجمعون فيها من حُطامها الذى هو غير باقٍ لكم ، بل هو زائلٌ عنكم ، وعلى ترك طاعة الله والجهاد ، فإن ذلك يبعدكم عن ربكم ، ويوجب لكم سخطه ، ويقرِّبكم من النار .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن إسحق :

٨١١٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولئن متم أو قتلتم » ، أىُّ ذلك كان = « لإلى الله تحشرون » ، أى : إن إلى الله المرجع ، فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ولا تغتروا بها ، وليكن الجهاد وما رغبكم الله فيه منه ، آثر عندكم منها .(١)

* * *

وأدخلت « اللام » فى قوله : « لإلى الله تحشرون » ، لدخولها فى قوله : « ولئن » . ولو كانت « اللام » مؤخرة إلى قوله : « تحشرون » ، لأحدثت « النون » الثقيلة فيه ، كما تقول فى الكلام : « لئن أحسنتَ إلىّ لأحسننَّ إليك » بنون مثقّلة . فكان كذلك قوله : ولئن متم أو قتلتم لتحشرن إلى الله ، ولكن لما حِيل بين « اللام » وبين « تحشرون » بالصفة ،(٢) أدخلت فى الصفة ، وسلمت « تحشرون » ،

(١) الأثر : ٨١١٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١١٧ .

(٢) فى المطبوعة : « لما حيز بين اللام . . . » ، وفى المخطوطة : « ولما حين . . . » ، وصواب

فلم تدخلها « النون » الثقيلة ، كما تقول فى الكلام : « لئن أحسنتَ إلىّ لإليك أحسن » ، بغير « نون » مثقلة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فبما رحمة من الله » ، فبرحمة من الله ، و« ما » صلة .[1] وقد بينت وجه دخولها فى الكلام فى قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٦] .[2] والعرب تجعل « ما » صلة فى المعرفة والنكرة ، كما قال : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٥٥/ سورة المائدة : ١٣] ، والمعنى : فبنقضهم ميثاقهم . وهذا فى المعرفة . وقال فى النكرة ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٤٠] ، والمعنى : عن قليل . وربما جعلت اسما وهى فى مذهب صلة ، فيرفع ما بعدها أحياناً على وجه الصلة ، ويخفض على إتباع الصلة ما قبلها ، كما قال الشاعر :[3]

فَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا[4]

إذا جعلت غير صلة رفعتَ بإضمار « هو » ، وإن خفضت أتبعت « من » ،[5] فأعربته . فذلك حكمه على ما وصفنا مع النكرات .

قراءتها ما أثبت . و « الصفة » حرف الجر ، انظر ما سلف ١ : ٢٩٩ ، تعليق : ١ ، وسائر فهارس المصطلحات فى الأجزاء السالفة .

(١) « الصلة » ، الزيادة ، انظر ما سلف ١ : ١٩٠/٤٠٥ ، تعليق : ٤/٤٠٦/٥٤٨ ، ثم فهرس المصطلحات فى سائر الأجزاء .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٣) هو حسان بن ثابت ، أو كعب بن مالك ، أو غيرهما ، انظر ما سلف ١ : ٤٠٤ تعليق : ٥ .

(٤) سلف تخريج البيت فى ١ : ٤٠٤ ، تعليق : ٥ .

(٥) وذلك أن « من » و « ما » حكمهما فى هذا واحد ، كما سلف فى ١ : ٤٠٤ .

فأما إذا كانت الصلة معرفة ، كان الفصيح من الكلام الإتباع ، كما قيل : « فبما نقضهم ميثاقهم » ، والرفع جائز فى العربية .[1]

* * *

وبنحو ما قلنا فى قوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم » ، قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨١١٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم » ، يقول : فبرحمة من الله لنت لهم .

* * *

وأما قوله : « ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، فإنه يعنى بـ « الفظ » الجافى ، وبـ « الغليظ القلب » ، القاسى القلب ، غير ذى رحمة ولا رأفة . وكذلك كانت صفتهُ صلى الله عليه وسلم ، كما وصفه الله به : ﴿ بالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٨] .

* * *

فتأويل الكلام : فبرحمة الله ، يا محمد ، ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك = « لنت لهم » ، لتبُبَّاعك وأصحابك ، فسهلت لهم خلائقك ، وحسنت لهم أخلاقك ، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه ، وعفوت عن ذى الجرم منهم جرمَه ، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتَّبعك ولا ما بُعثت به من الرحمة ، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم ، فبرحمة من الله لنت لهم ، كما : —

١٠٠/٤

٨١٢٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، إى والله ، لطهَّره الله من الفظاظة والغلظة ، وجعله قريباً رحيما بالمؤمنين رؤوفاً = وذكر لنا أن نعت محمد صلى

---

(١) انظر مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

الله عليه وسلم فى التوراة : « ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح » .

٨١٢١ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه .

٨١٢٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق فى قوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، قال : ذكر لينه لهم وصبره عليهم = لضعفهم، وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه = فى كل ما خالفوا فيه مما افترض عليهم من طاعة نبيِّهم .[١]

* * *

وأما قوله: « لانفضوا من حولك » ، فإنه يعنى : لتفرقوا عنك، كما : –

٨١٢٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : « لانفضوا من حولك » ، قال : انصرفوا عنك .

٨١٢٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « لانفضوا من حولك » ، أى : لتركوك .[٢]

* * *

---

(١) الأثر : ٨١٢٢ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو من تتمة الآثار التى آخرها : ٨١١٨، وهو فى السيرة تال للأثر الآتى رقم : ٨١٢٤ .

(٢) الأثر : ٨١٢٤ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٢٢ ، ولكنه سابق له فى سيرة ابن هشام .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١٥٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فاعف عنهم » ، فتجاوز ، يا محمد ، عن تُبَّاعك وأصحابك من المؤمنين بك وبما جئت به من عندى ، ما نالك من أذاهم ومكروهٍ فى نفسك = « واستغفر لهم » ، وادع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جُرْم ، واستحقوا عليه عقوبة منه ، كما :—

٨١٢٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فاعف عنهم » ، أى : فتجاوز عنهم = « واستغفر لهم » ، ذنوبَ من قارف من أهل الإيمان منهم.(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى من أجله أمر تعالى ذكره نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم ، وما المعنى الذى أمره أن يشاورهم فيه ؟

فقال بعضهم : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله : « وشاورهم فى الأمر » ، بمشاورة أصحابه فى مكايد الحرب وعند لقاء العدو ، تطييباً منه بذلك أنفسَهم ، وتألُّفاً لهم على دينهم ، وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم ، وإن كان الله عز وجل قد أغناه = بتدبيره له أمورَه ، وسياسته إيّاه وتقويمه أسبابه = عنهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٢٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إنّ الله يحب المتوكلين » ،

(١) الأثر : ٨١٢٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٢٤ ، ولكنه تال للأثر رقم : ٨١٢٢ فى سياق السيرة . وفى سيرة ابن هشام : « ذنوبهم من قارف » ، ولكن طابع السيرة جعل « ذنوبهم » من الآية ، فحصرها بين أقواس مع لفظ الآية ! ! وهو عجب !

أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عايه وسلم أن يشاور أصحابه فى الأمور وهو يأتيه وحى السماء ، لأنه أطيب لأنفس القوم = وأنّ القوم إذا شاور بعضهم بعضاً وأرادوا بذلك وجه الله ، عزم لهم على أرشده .

٨١٢٧ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وشاورهم فى الأمر » ، قال : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه فى الأمور وهو يأتيه الوحى من السماء ، لأنه أطيب لأنفسهم .

٨١٢٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وشاورهم فى الأمر » ، أى : لتريهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم ، وإن كنت عنهم غنيًّا ، تؤلفهم بذلك على دينهم .[1]

* * *

وقال آخرون : بل أمره بذلك فى ذلك ، ليبيِّن له الرأى وأصوبَ الأمور فى التدبير ،[2] لما علم فى المشورة تعالى ذكره من الفضل .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٢٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم قوله : « وشاورهم فى الأمر » ، قال : ما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشورة ، إلا لما علم فيها من الفضل .

٨١٣٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن إياس بن دغفل ، عن الحسن : ما شاور قوم قط إلا هُدُوا لأرشد أمورهم .[3]

* * *

١٠١/٤ وقال آخرون : إنما أمره الله بمشاورة أصحابه فيما أمرَه بمشاورتهم فيه ، مع

---

(١) الأثر : ٨١٢٨ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٢٥ .

(٢) فى المطبوعة : « بل أمره بذلك فى ذلك وإن كان له الرأى وأصوب الأمور . . . » ، لم يستطع الناشر أن يحسن قراءة المخطوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٣) الأثر : ٨١٣٠ – « إياس بن دغفل الحارثى ، أبو دغفل » ، روى عن الحسن ، وأبى نضرة وعطاء وغيرهم ، وروى عنه معتمر بن سليمان ، وأبو داود الطيالسى ، وأبو عامر العقدى . وهو ثقة . مترجم فى التهذيب .

إغنائه بتقويمه إياه وتدبيره أسبابه عن آرائهم، ليتبعه المؤمنون من بعده فيما حزبهم من أمر دينهم ، ويستنُّوا بسنَّته فى ذلك ، ويحتذوا المثالَ الذى رأوه يفعله فى حياته من مشاورَته فى أموره = مع المنزلة التى هو بها من الله = أصحابَهُ وتبّاعَهُ فى الأمر ينزل بهم من أمر دينهم ودنياهم ،(١) فيتشاوروا بينهم ثم يصدروا عما اجتمع عليه ملأهم. لأن المؤمنين إذا تشاوروا فى أمور دينهم متبعين الحق فى ذلك ، لم يُخْلهم الله عز وجل من لطفه وتوفيقه للصواب من الرأى والقول فيه . قالوا : وذلك نظير قوله عز وجل الذى مدح به أهل الإيمان: ﴿ وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الشورى : ٣٨].

* ذكر من قال ذلك :

٨١٣١ — حدثنا سوَّار بن عبد الله العنبرى قال، قال سفيان بن عيينة فى قوله: « وشاورهم فى الأمر » ، قال : هى للمؤمنين ، أن يتشاوروا فيما لم يأتهم عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه أثر.

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك أن يقال : إن الله عز وجل أمرَ نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايد حربه ، تألُّفاً منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرةَ التى يُؤْمَن عليه معها فتنة الشيطان = وتعريفاً منه أمته مأتى الأمور التى تحزُبهم من بعده ومطلبها ،(٢) ليقتدوا به فى ذلك عند النوازل التى تنزل بهم ، فيتشاوروا فيما بينهم ، كما كانوا يرونه فى حياته صلى الله عليه وسلم يفعله . فأما النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن الله كان يعرِّفه مطالب وجوه ما حزبه من الأمور بوحيه أو إلهامه إياه صوابَ ذلك . وأما أمته، فإنهم إذا تشاوروا مستنِّين بفعله فى ذلك، على تصادُقٍ وتأخٍّ للحق، (٣) وإرادةِ

(١) قوله : « أصحابه وتباعه » منصوب مفعول لقوله : « من مشاورته فى أموره . . . »

(٢) فى المطبوعة : « ما فى الأمور » ، والصواب ما فى المخطوطة ، ولكن الناشر الأول لم يحسن قراءتها . يريد : الوجه الذى تؤتى منه الأمور وتطلب .

(٣) « توخى الأمر » : تحراه وقصده ويممه ، ثم تقلب واوه ألفاً فيقال « تأخيت الأمر » ، والشافعى رضى الله عنه يكثر من استعمالها فى كتبه كذلك . ثم انظر تعليق أخى السيد أحمد ، على رسالة

جميعهم للصواب ، من غير ميل إلى هوى ، ولا حَيْد عن هدى ، فالله مسدِّدهم وموفِّقهم .

* * *

وأما قوله : « فإذا عزمت فتوكل على الله » ، فإنه يعنى : فإذا صحَّ عزمك بتثبيتنا إياك ، وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك ، فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به ، وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك ، أو خالفها = « وتوكل » ، فيما تأتى من أمورك وتدع ، وتحاول أو تزاول ، على ربك ، فثق به فى كل ذلك ، وارض بقضائه فى جميعه ، دون آراء سائر خلقه ومعونتهم = « فإن الله يحب المتوكلين » ، وهم الراضون بقضائه ، والمستسلمون لحكمه فيهم ، وافق ذلك منهم هوى أو خالفه ، كما :-

٨١٣٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فإذا عزمت فتوكل على الله إنّ الله يحب المتوكلين » = « فإذا عزمت » ، أى : على أمر جاءك منى ، أو أمر من دينك فى جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أمرتَ به ، على خلاف من خالفك وموافقة من وافقك = و « توكل على الله » ، [1] أى : ارضَ به من العباد = « إن الله يحب المتوكلين » . [2]

٨١٣٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإذا عزمت فتوكل على الله » ، أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم إذا عزم على أمر أن يمضى فيه ، ويستقيمَ على أمر الله ، ويتوكل على الله .

٨١٣٤ - حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فإذا عزمت فتوكل على الله » الآية ، أمره الله إذا عزم على أمر أن يمضى فيه ويتوكل عليه .

* * *

الشافعى ص : ٥٠٤ ، تعليق : ٢ .

(١) هكذا ثبت فى المخطوطة والمطبوعة وسيرة ابن هشام : « وتوكل » بالواو ، وهو جائز ، لأنه فى سياق التفسير ، وأما الآية فهى « فتوكل » بالفاء ، فلذلك جعلت الواو خارج القوس .

(٢) الأثر : ٨١٣٢ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، ١٢٤ ، وهو من تمام الآثار التى آخرها : ٨١٢٨ .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٦٠)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : « إن ينصركم الله » ، أيها المؤمنون بالله ورسوله ، على من ناوأكم وعاداكم من أعدائه والكافرين به = « فلا غالب لكم » من الناس ، يقول : فلن يغلبكم مع نصره إياكم أحد ، ولو اجتمع عليكم مَن بين أقطارها من خلقه ، فلا تهابوا أعداء الله لقلة عددكم وكثرة عددهم ، ما كنتم على أمره واستقمتم على طاعته وطاعة رسوله ، فإن الغلبة لكم والظفر ، دونهم = « وإن يخذُلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده » ، يعنى : إن يخذلكم ربكم بخلافكم أمره وترككم طاعته وطاعة رسوله ، فيكلكم إلى أنفسكم = « فمن ذا الذى ينصركم من بعده » ، يقول : فأيسوا من نصرة الناس ،(١) فإنكم لا تجدون [ناصراً] من بعد خذلان الله إياكم إن خذلكم ،(٢) يقول : فلا تتركوا أمرى وطاعتى وطاعة رسولى فتهلكوا بخذلانى إياكم = « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، يعنى : ولكن على ربكم ، أيها المؤمنون ، فتوكلوا دون سائر خلقه ، وبه فارضوا من جميع من دونه ، ولقضائه فاستسلموا ، وجاهدوا فيه أعداءه ، يكفكم بعونه ، ويمددكم بنصره ، كما : —

١٠٢/٤

٨١٣٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إن ينصركم

---

(١) أيست من الشىء آيس يأساً ، لغة فى « يئست منه أيأس يأساً » ، وقد سلف مثل ذلك فى موضع آخر لم أجده الآن .

(٢) فى المطبوعة : « فإنكم لا تجدون امرءاً من بعد خذلان الله » ، وفى المخطوطة : « لا تجدون أمراً » ، ولم أجد لها معنى أرتضيه ، فوضعت « ناصراً » مكان « أمراً » بين القوسين ، استظهاراً من معنى الآية ، وإن كنت أخشى أن يكون قد سقط من الناسخ شىء ، أو كتبت شيئاً مصحفاً لم أهتد لأصله . وانظر سهو الناسخ فى التعليق التالى .

الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، أى : إن ينصرك الله فلا غالب لك من الناس = لن يضرك خذلان من خذلك ، وإن يخذلك فلن ينصرك الناس = « فمن الذى ينصركم من بعده » ، أى : لا تترك أمرى للناس ، وارفض [أمر] الناس لأمرى ، وعلى الله ، [لا على الناس] ، فليتوكل المؤمنون .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾

اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته جماعة من قرأة الحجاز والعراق : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ ، بمعنى : أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم . واحتجَّ بعض قارئى هذه القراءة : أنّ هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قطيفة فُقدت من مغانم القوم يوم بدر ، فقال بعض من كان مع النبى صلى الله عليه وسلم : « لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ! » ، ورووا فى ذلك روايات ، فمنها ما : —

٨١٣٦ — حدثنا به محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ، حدثنا عبدالواحد ابن زياد قال ، حدثنا خصيف قال ، حدثنا مقسم قال ، حدثنى ابن عباس : أن هذه الآية : « وما كان لنبىّ أن يغل » ، نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر ، قال : فقال بعض الناس : أخذها ! قال : فأكثروا فى ذلك ، فأنزل الله عز وجل : « وما كان لنبى أن يغل ومن يغلُل يأت بما غل يوم القيامة » .(٢)

٨١٣٧ — حدثنا ابن أبى الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ٨١٣٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٣٢ ، بيد أنه فى سيرة ابن هشام مختصر . لم يرو ابن هشام صدر هذا الخبر ، بل بدأ من قوله : « أى : لا تترك » ، وقد أخطأ الناسخ فيما أرجح فسقط منه ما أثبت من سيرة ابن هشام بين الأقواس .

(٢) الأثر : ٨١٣٦ — « محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب القرشى الأموى » ، روى عنه

خصيف قال، سألت سعيد بن جبير : كيف تقرأ هذه الآية : « وما كان لنبى أن يغُـلَّ» أو : « يـُغـَلَّ »؟ قال : لا ، بل« يَغـُلَّ » ، فقد كان النبى والله يـُغـَلّ و يـُقتل.

٨١٣٨ – حدثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا عتاب ابن بشير ، عن خصيف ، عن مقسم ، عن ابن عباس : « وما كان لنبى أن يغل » ، قال : كان ذلك فى قطيفة حمراء فقدت فى غزوة بدر ، فقال أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « فلعل النبى أخذها » ! فأنزل الله عز وجل : « وما كان لنبى أن يغُـلَّ» = [قال سعيد : بلى والله ، إنّ النبى ليـُغـَلّ ويـُقتل] .[1]

٨١٣٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خلاد، عن زهير ، عن خصيف، عن عكرمة،عن ابن عباس قال: كانت قطيفة فقدت يوم بدر ،فقالوا :« أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم !». فأنزل الله عز وجل: « وما كان لنبىّ أن يغـُلّ» .

مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة ، قال النسائى : « لا بأس به » ، وهو ثقة جليل صدوق . و« عبد الواحد ابن زياد العبدى » أحد الأعلام سلفت ترجمته فى : ٢٦١٦ . و « خصيف بن عبد الرحمن الجزرى »، رأى أنساً ،وروى عن عطاء ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومقسم وغيرهم . قال أحمد « ضعيف الحديث»،وقال : « شديد الاضطراب فى المسند» . وقال ابن عدى : « إذا حدث عن خصيف ثقة ، فلا بأس بحديثه » . وقال ابن حبان : « تركه جماعة من أئمتنا واحتج به آخرون، وكان شيخاً صالحاً فقيهاً عابداً ، إلا أنه كان يخطىء كثيراً فيما يروى ، وينفرد عن المشاهير بما لا يتابع عليه ، وهو صدوق فى روايته ، إلا أن الإنصاف فيه ، قبول ما وافق الثقات ، وترك ما لم يتابع عليه » . مترجم فى التهذيب .

والحديث رواه الترمذى فى باب تفسير القرآن ، من طريق قتيبة ، عن عبد الواحد بن زياد ، بمثله وقال : « هذا حديث حسن غريب » ، وقد روى عبد السلام بن حرب عن خصيف نحو هذا ، وروى بعضهم هذا الحديث عن خصيف عن مقسم ، ولم يذكر فيه ابن عباس » – يعنى مرسلا . ونسبه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٢٧٩ ، إلى أبى داود أيضاً ، ونسبه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٩١ إلى أبى داود ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، والترمذى ، وابن جرير .

(١) الأثر : ٨١٣٨ – « عتاب بن بشير الجزرى » . روى عن خصيف وغيره . قال أحمد : « أرجو أن لا يكون به بأس ، روى بأخرة أحاديث منكرة ، وما أرى إلا أنها من قبل خصيف » . مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة : « بل والله » ، والصواب ما أثبت من المخطوطة ، وأما قوله فى آخر الأثر : « قال سعيد : . . . » ، فإنى تركته مكانه هنا ، ولكنى أرجح أنه من تمام الأثر التالى رقم : ٨١٤٠ ، فوضعته بين القوسين . هذا ، إذا لم يكن قد سقط من الناسخ أثر آخر من رواية سعيد بن جبير .

٨١٤٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا مالك بن إسمعيل قال ، حدثنا زهير قال ، حدثنا خصيف ، عن سعيد بن جبير وعكرمة فى قوله : « وما كان لنبى أن يغل » ، قالا : يغُل = قال قال عكرمة أو غيره ، عن ابن عباس ، قال = كانت قطيفة فقدت يوم بدر ، فقالوا : « أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم » ! قال : فأنزل الله هذه الآية : « وما كان لنبى أن يغل » .

٨١٤١ — حدثنا مجاهد بن موسى قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا قزعة بن سويد الباهلى ، عن حميد الأعرج ، عن سعيد بن جبير قال : نزلت هذه الآية : « وما كان لنبى أن يغل » ، فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من الغنيمة.[1]

٨١٤٢ — حدثنا نصر بن على الجهضمى قال ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن سليمان الأعمش قال : كان ابن مسعود يقرأ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ ﴾ ، فقال ابن عباس : بلى ، ويُقتَل = قال : فذكر ابن عباس أنه إنما كانت فى قطيفة قالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم غلَّها ، يوم بدر . فأنزل الله : « وما كان لنبىّ أن يَغُل » .

* * *

وقال آخرون ممن قرأ ذلك كذلك ، بفتح « الياء » وضم « الغين » : إنما نزلت هذه الآية فى طلائع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجَّههم فى وجه ، ثم غنم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع . فأنزل الله عز وجل هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم ، يعلمه فيها أن فعله الذى فعله خطأ ، وأنّ الواجب عليه فى الحكم أن يقسم للطلائع مثل ما قسم لغيرهم ، ويعرِّفه الواجبَ عليه من الحكم فيما ٤/١٠٣

(١) الأثر : ٨١٤١ — « قزعة بن سويد بن حجير الباهلى » ، روى عن أبيه ، وحميد بن قيس الأعرج ، وابن أبى مليكة ، وابن أبى نجيح وغيرهم . قال أحمد : « مضطرب الحديث ، وهو شبه المتروك » . وقال أبو حاتم : « ليس بذاك القوى » ، وقال ابن حبان : « كان كثير الخطأ فاحش الوهم ، فلما كثر ذلك فى روايته سقط الاحتجاج بأخباره » . وقال البزار : « لم يكن بالقوى ، حدث عنه أهل العلم » . مترجم فى التهذيب .

أفاء الله عليه من الغنائم ، وأنه ليس له أن يخصّ بشىء منها أحداً ممن شهد الوقعة — أو ممن كان رِدْءاً لهم فى غزوهم — دون أحد .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٨١٤٣ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة » ، يقول : ما كان للنبى أن يقسم لطائفة من المسلمين ويترك طائفة ويجور فى القَسْم ، ولكن يقسم بالعدل ، ويأخذ فيه بأمر الله ، ويحكم فيه بما أنزل الله . يقول : ما كان الله ليجعل نبيًّا يغلُّ من أصحابه ، فإذا فعل ذلك النبى صلى الله عليه وسلم استنُّوا به .(٢)

٨١٤٤ — حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك : أنه كان يقرأ : « ما كان لنبى أن يغلّ » ، قال : أن يعطى بعضاً ويترك بعضاً ، إذا أصاب مغنماً .

٨١٤٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع ، فغنم النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يقسم للطلائع ، فأنزل الله عز وجل : « وما كان لنبىّ أن يغل » .

٨١٤٦ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد ابن سليمان ، عن الضحاك : « ما كان لنبى أن يغل » ، يقول : ما كان لنبىّ أن يقسم لطائفة من أصحابه ويترك طائفة ، ولكن يعدل ويأخذ فى ذلك بأمر الله عز وجل ، ويحكم فيه بما أنزل الله .

٨١٤٧ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا

---

(١) الرده (بكسر فسكون) : الناصر والمعين .

(٢) الأثر : ٨١٤٣ — هذا إسناد دائر فى التفسير ، وانظر الكلام فيه برقم : ٣٠٥ .

جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وما كان لنبى أن يغل » ، قال : ما كان له إذا أصاب مغنماً أن يقسم لبعض أصحابه ويدع بعضاً ، ولكن يقسم بينهم بالسوية .

* * *

وقال آخرون ممن قرأ ذلك بفتح « الياء » وضم « الغين » : إنما أنزل ذلك تعريفاً للناس أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم لا يكتم من وحى الله شيئاً .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٤٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما كان لنبىّ أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ، أى : ما كان لنبىّ أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم عن رهبة من الناس ولا رغبة ، ومن يعمل ذلك يأت به يوم القيامة .[١]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك : ما ينبغى لنبى أن يكون غالاًّ – بمعنى أنه ليس من أفعال الأنبياء خيانة أممهم .

* * *

يقال منه : « غلّ الرجل فهو يغُلّ » ، إذا خان ، « غُلولا » . ويقال أيضاً منه : « أغلّ الرجل فهو يُغِلّ إغلالا » ، كما قال شريح : « ليس على المستعير غير المغِلّ ضمان » ، يعنى : غير الخائن . ويقال منه : « أغلّ الجازر » ، إذا سرق من اللحم شيئاً مع الجلد .[٢]

* * *

وبما قلنا فى ذلك جاء تأويل أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٤٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ٨١٤٨ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٣٥ ، وفى بعض لفظه اختلاف يسير .

(٢) يعنى عند سلخ الذبيحة ، يسلخها فيترك شيئاً من اللحم ملتزقاً بإهابها .

أسباط ، عن السدى : « ما كان لنبى أن يغل » ، يقول : ما كان ينبغى له أن يخون ، فكما لا ينبغى له أن يخون فلا تخونوا .

٨١٥٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ما كان لنبى أن يغل » ، قال : أن يخون .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ ﴾ بضم «الياء» وفتح «الغين» ، وهى قراءة عُظم قرأة أهل المدينة والكوفة .

* * *

واختلف قارئو ذلك كذلك فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : ما كان لنبى أن يَغُلَّه أصحابه ، ثم أسقط « الأصحاب » ، فبقى الفعل غير مسمًّى فاعله . وتأويله : وما كان لنبىّ أن يُخان .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٥١ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عوف ، عن الحسن أنه كان يقرأ : « وما كان لنبىّ أن يُغَلّ » ، قال عوف ، قال الحسن : أن يخان .

٨١٥٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما كان لنبى أن يغل » ، يقول : وما كان لنبى أن يغله أصحابه الذين معه من المؤمنين — ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وقد غَلّ طوائف من أصحابه .

٨١٥٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وما كان لنبى أن يُغَلّ » ، قال : أن يغُله أصحابه .

٤/١٠٤

٨١٥٤ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن

الربيع قوله : « وما كان لنبى أن يـُغـَل ّ » ، قال الربيع بن أنس يقول : ما كان لنبى أن يغله أصحابه الذين معه — قال : ذكر لنا ، والله أعلم : أن هذه الآية أنزلت على نبى الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وقد غـَل ّ طوائف من أصحابه .

* * *

وقال آخرون منهم : معنى ذلك : وما كان لنبى أن يتهم بالغلول فيخوَّن ويسرَّق . وكأن متأولى ذلك كذلك ، وجَّهوا قوله : « وما كان لنبى أن يغل » ، إلى أنه مراد به : « يـُغـَلَّـل » ، ثم خففت « العين » من « يفعَّل » ، فصارت « يفعل » كما قرأ من قرأ قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكْذِبُونَكَ ﴾ [سورة الأنعام : ٣٣] بتأوُّل : يُكَذِّبُونَك .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى ، قراءة من قرأ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ بمعنى : ما الغلول من صفات الأنبياء ، ولا يكون نبيًّا من غلَّ .

وإنما اخترنا ذلك ، لأن الله عز وجل أوعد عقيب قوله : « وما كان لنبى أن يغل » أهلَ الغلول فقال : « ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة » ، الآية والتى بعدها . فكان فى وعيده عقيب ذلك أهلَ الغلول ، الدليلُ الواضح على أنه إنما نهى بذلك عن الغلول ، وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات أنبيائه بقوله : « وما كان لنبىّ أن يغلّ » . لأنه لو كان إنما نهى بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلول ، لعقَّب ذلك بالوعيد على التُّهَـمة وسوء الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا بالوعيد على الغلول . وفى تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلول ، بيانٌ بيِّنٌ أنه إنما عرّف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول منتفٍ من صفة الأنبياء وأخلاقهم ، لأنّ ذلك جرم عظيم ، والأنبياء لا تأتى مثله .

* * *

فإن قال قائل ممن قرأ ذلك كذلك : فأولى منه[١] : «وما كان لنبى أن يخونه أصحابه» ، إن كان ذلك كما ذكرت ،[٢] ولم يعقّب الله قوله : «وما كان لنبى أن يغل» إلا بالوعيد على الغلول ، ولكنه إنما وجب الحكمُ بالصحة لقراءة من قرأ : «يغل» بضم «الياء» وفتح «الغين» ، لأن معنى ذلك : وما كان للنبى أن يغله أصحابه فيخونوه فى الغنائم ؟

قيل له : أفكان لهم أن يغلوا غير النبى صلى الله عليه وسلم فيخونوه ، حتى خُصُّوا بالنهى عن خيانة النبى صلى الله عليه وسلم ؟

فإن قالوا : «نعم» ، خرجوا من قول أهل الإسلام . لأن الله لم يبح خيانة أحد فى قول أحد من أهل الإسلام قط .

وإن قال قائل : لم يكن ذلك لهم فى نبىّ ولا غيره .

قيل : فما وجه خصوصهم إذاً بالنهى عن خيانة النبى صلى الله عليه وسلم ، وغُلوله وغُلول بعض اليهود بمنزلةٍ فيما حرم الله على الغالِّ من أموالهما ، وما يلزم المؤتمن من أداء الأمانة إليهما ؟

وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن معنى ذلك هو ما قلنا ، من أن الله عز وجل نفى بذلك أن يكون الغلول والخيانة من صفات أنبيائه ، ناهياً بذلك عبادَه عن الغلول ، وآمراً لهم بالاستنان بمنهاج نبيهم ، كما قال ابن عباس فى الرواية التى ذكرناها من رواية عطية ،[٣] ثم عقّب تعالى ذكره نَهيَهم عن الغلول بالوعيد عليه فقال : «ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة» ، الآيتين معاً .

* * *

(١) قوله : «فأولى منه» ، أى فأولى من المذهب الذى ذهبت إليه فى قراءة الآية وتفسيرها = يقوله هذا القائل ، رداً على أبى جعفر .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : «إن ذلك كما ذكرت» سقط من الناسخ «كان» فأثبتها ، لأن هذا هو حق المعنى الذى أراده أبو جعفر فى سياق قول من رد عليه قوله .

(٣) يعنى الأثر : ٨١٤٣ ، «وعطية» المذكور ، هو «عطية بن سعد بن جنادة العوفى» ، الذى روى عن ابن عباس ، وهو المذكور فى الإسناد السالف «عن أبيه» . وقد أشكل ذلك على بعض من علق على التفسير ، فقال : لم يمض لعطية هذا ذكر ! ! ولكنه مذكور كما ترى .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ومن يخُن من غنائم المسلمين شيئاً وفيئهم وغير ذلك ، يأت به يوم القيامة فى المحشر ، كما : —

٨١٥٥ — حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن فضيل ، عن يحيي بن سعيد أبى حيان ، عن أبى زرعة ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه قام خطيباً فوعظ وذكَّر ثم قال : ألا عسى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثُغاء، [١] يقول : يا رسول الله، أغثنى ! فأقول : لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك ! ألا هل عسى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرسٌ لها حمحمة، [٢] يقول : يا رسول الله، أغثنى ! فأقول : لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك ! ألا هل عسى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامتٌ، [٣] فيقول : يا رسول الله، أغثنى ! ١٠٥/٤ فأقول : لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك ! ألا هل عسى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته بقرةٌ لها خُوَار، [٤] يقول : يا رسول الله، أغثنى ! فأقول : لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك ! ألا هل عسى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته رِقاع تخفِق

---

(١) « الثغاء » : صوت الشاء والمعز والظباء وما شاكلها . « ثغت الشاة تثغو » : صاحت . يقال : « ماله ثاغية ولا راغية » ، الثاغية : الشاء : والراغية : الإبل .

(٢) الحمحمة : صوت الفرس دون الصهيل ، كالذى يكون منه إذا طلب العلف ، أو رأى صاحبه الذى كان ألفه ، فاستأنس إليه .

(٣) « الصامت » : هو الذهب والفضة ، أو ما لا روح فيه من أصناف المال . يقال : « ماله صامت ولا ناطق » ، فالناطق : الحيوان ، كالإبل والغنم وغيرها .

(٤) « الخوار » : صوت الثور ، وما اشتد من صوت البقرة والعجل . « خار الثور يخور » .

يقول : (١) يا رسول الله ، أغثني ! فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك ! (٢)

٨١٥٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحمن ، عن أبي حيّان ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل هذا = زاد فيه :

---

(١) « الرقاع » جمع رقعة : وهو الخرقة ، و « تخفق » تضطرب وتلمع إذا حركتها الرياح ، أو إسراع حاملها . يريد الثياب التى يغلها الغال مما يختطفه من الغنائم . وقد فسره كثير من الشراح بأنه أراد الرقاع المكتوبة التى تكون فيها الحقوق والديون ، وخفوقها حركتها ، وأرجح القولين ما قدمت منهما .

(٢) الحديث : ٨١٥٥ — أبو حيان — بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء التحتية — يحيى بن سعيد ابن حيان التيمى : مضت ترجمته : ٥٣٨٢ . ووقع فى المطبوعة فى الإسنادين التاليين لهذا « أبو حبان » بالباء الموحدة ، وهو خطأ .

ووقع هنا فى المخطوطة : « عن يحيى بن سعيد ، عن أبي حيان » . وهو خطأ . فإن « أبا حيان » : اسمه « يحيى بن سعيد » — كما ذكرنا . ومحمد بن فضيل بن غزوان سمع منه ، ويروى عنه مباشرة ، كما هو ثابت فى ترجمتهما .

نعم : إن « يحيى بن سعيد القطان » روى هذا الحديث عن « أبي حيان يحيى بن سعيد التيمى » ، كما سيأتى فى التخريج — ولكن ليس فى هذا الإسناد .

أبو زرعة — بضم الزاى وسكون الراء : هو ابن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى . وهو تابعى ثقة ، من علماء التابعين . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٤/٢/٢٤٣ — ٢٤٤ ، فيمن اسمه « هرم » ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٢٦٥ — ٢٦٦ ، فيمن اسمه « عبد الرحمن » ، لاختلافهم فى اسمه . والظاهر أن اسمه كنيته .

ووقع فى المطبوعة ، فى الرواية الآتية : ٨١٥٧ — « عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير » ، وهو تحريف ، صوابه « بن » بدل « عن » .

والحديث سيأتى عقب هذا بإسنادين : من طريق عبد الرحمن ، عن أبي حيان ، ومن طريق ابن علية ، عن أبي حيان .

ورواه أحمد فى المسند : ٩٤٩٩ (ج ٢ : ص : ٤٢٦ حلبى) . عن إسمعيل — وهو ابن علية — عن أبي حيان .

ورواه مسلم ٢ : ٨٣ ، عن زهير بن حرب ، عن إسمعيل بن إبرهيم ، وهو ابن علية ، به .

ورواه البخارى ٦ : ١٢٩ (فتح) ، عن مسدد ، عن يحيى — وهو ابن سعيد القطان ، عن أبي حيان وهو يحيى بن سعيد التيمى .

وزواه مسلم أيضاً بأسانيد .

وكذلك رواه البيهقى فى السن الكبرى ٩ : ١٠١ بأسانيد .

وروى البخارى قطعة منه ، ضمن حديث ، من وجه آخر ٣ : ٢١٣ (فتح) .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٨١ ، من رواية المسند ، ثم قال : « أخرجاه من حديث أبي حيان ، به » يريد الشيخين .

وذكره السيوطى ٢ : ٩٢ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، والبيهقى فى الشعب .

لا ألفين أحدكم على رقبته نفسٌ لها صياح.[١]

٨١٥٧ — حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، حدثنا أبو حيّان، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يوماً، فذكر الغُلول فعظّمه وعظّم أمره فقال: لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثني=[٢] ثم ذكر نحو حديث أبي كريب عن عبد الرحمن.[٣]

٨١٥٨ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا حفص بن بشر، عن يعقوب القمي قال، حدثنا حفص بن حميد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أعرفَنّ أحدَكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي: يا محمد! يا محمد! فأقول:[٤] لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك! ولا أعرفنّ أحدَكم يأتي يوم القيامة يحمل جملاله رُغاء يقول: يا محمد! يا محمد! فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك! ولا أعرفنّ أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرساً له حمحمة ينادي: يا محمد! يا محمد! فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك! ولا أعرفنّ أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قِشْعاً من أَدَمٍ،[٥]

---

(١) الحديث: ٨١٥٦ — هو تكرار للحديث السابق.

ولكن «عبد الرحمن» — في هذا الإسناد: لم أستطع أن أجزم فيه بشيء. وأخشى أن يكون محرفاً عن «عبد الرحيم»، فيكون: «عبد الرحيم بن سليمان الأشل»، فهو الذي يروي عن أبي حيان، ويروي عنه «أبو كريب». وهو راوي هذا الحديث — رواه مسلم ٢ : ٨٣، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عبد الرحيم بن سليمان.

قوله: «نفس لها صياح»، قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «وكأنه أراد بالنفس، ما يغله من الرقيق، من امرأة أو صبي».

(٢) «الرغاء»: صوت ذوات الخف كالإبل، وقد يستعار لغيره: «رغا البعير يرغو».

(٣) الحديث: ٨١٥٧ — هو تكرار للحديثين قبله. وقوله في آخره «ثم ذكر نحو حديث أبي كريب عن عبد الرحمن» أخشى أن يكون محرفاً، وأن صوابه «عن عبد الرحيم»، كما بينا من قبل.

(٤) قوله: «لا أعرفن» قد سلف أن بينت في التعليق على الأثر: ٨٠١١، ص: ٢٨٦ تعليق: ٤، والأثر: ٨٠٢٥، أنها كلمة تقال عند التهديد والوعيد والزجر الشديد، وستأتي أيضاً في رقم: ٨١٦٠ بعد.

(٥) «القشع»: هو النطع الخلق من الجلد، وهو الفرو الخلق أيضاً. وقال ابن الأثير: أراد القربة البالية. و«الأدم» جمع أديم: وهو الجلد. وفي المطبوعة والمخطوطة وابن كثير «قسما»، خطأ محض.

ينادى : يا محمد! يا محمد ! فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك .(١)

٨١٥٩ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أسباط بن محمد قال ، حدثنا أبو إسحق الشيبانى ، عن عبد الله بن ذكوان ، عن عروة بن الزبير ، عن أبى حميد قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً فجاء بسوادٍ كثير ، قال : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقبضه منه . فلما أتوه جعل يقول : هذا لى ، وهذا لكم . قال فقالوا : من أين لك هذا ؟ قال : أهدى إلىّ ! فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك ، فخرج فخطب فقال : «أيها الناس، ما بالى أبعث قوماً إلى الصدقة، فيجىء أحدهم بالسواد الكثير ،(٢) فإذا بعثت من يقبضه قال : « هذا لى ، وهذا لكم » ! فإن كان صادقاً، أفلا أهدى له وهو فى بيت أبيه أو فى بيت أمه ؟ ثم قال : «أيها الناس، من بعثناه على عمل فغَلّ شيئاً ، جاء به يوم القيامة على عنقه يحمله ، فاتقوا الله أن يأتى أحدكم يوم القيامة على عنقه بعير له رغاء، أو بقرة تخور ، أو شاة تثغو ».(٣)

٨١٦٠ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو معاوية وابن نمير وعبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أبى حميد الساعدى قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلامن الأزد يقال له «ابن الأُتْبِيَّة» على صدقات

---

(١) الحديث : ٨١٥٨ - حفص بن بشر ، ويعقوب بن عبد الله القمى ، مضيا فى : ٤٨٤٢ . حفص بن حميد القمى أبو عبيد : مترجم فى التهذيب ، وعند ابن أبى حاتم ١/٢/١٧١ . وهو ثقة ، وثقه النسائى وغيره . وقال ابن معين : « صالح » . وجهله ابن المدينى ، ولئن جهله لقد عرفه غيره . وهذا إسناد صحيح .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٢٨٠ ، عن هذا الموضع من الطبرى . وقال : « لم يروه أحد من أهل الكتب الستة » .

ولم أجده فى موضع آخر مما بين يدى من المراجع ، حتى السيوطى لم يذكره فى الدر المنثور .

(٢) « السواد » العدد الكثير من المال ، سمى بذلك لأن الإبل والغنم وغيرها إذا جاءت كثيرة مجتمعة، ترى كأنها سواد فى خافق الأرض . يقال : « لفلان سواد كثير » ، أى مال كثير من إبل وغنم وغيرها . ويقال للشخص الذى يرى من بعيد « سواد » ، وفى الحديث : « إذا رأى أحدكم سواداً بليل ، فلا يكن أجبن السوادين ، فإنه يخافك كما تخافه » ، يعنى بالسواد الشخص .

(٣) انظر التعليق على رقم : ٨١٦١

بنى سليم ، فلما جاء قال : « هذا لكم ، وهذا هدية أهديت لى » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلا يجلس أحدكم فى بيته فتأتيه هديته ! ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، فإنى أستعمل رجالا منكم على أمور مما ولاَّنى الله ، فيقول أحدهم : هذا الذى لكم ، وهذا هدية أهديت إلىّ ! أفلا يجلس فى بيت أبيه أو فى بيت أمه فتأتيه هديته ؟ والذى نفسى بيده ، لا يأخذ أحدكم من ذلك شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه ، فلا أعرفنّ ما جاء رجل يحمل بعيراً له رغاء ، [1] أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ! [2] ثم رفع يده فقال : ألا َهل بلغت ؟

٨١٦١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحيم ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن أبى حميد ، حدثه بمثل هذا الحديث = قال : أفلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ؟ ثم رفع يده حتى إنى لأنظر إلى بياض إبطيه ، ثم قال : اللهم هل بلغت ؟ = قال أبو حميد : بَصَرُ عينى وسَمْعُ أذنى . [3]

٨١٦٢ — حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ، حدثنى عمى عبد الله ابن وهب قال ، أخبرنى عمرو بن الحارث : أن موسى بن جبير حدثه : أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصارى حدثه : أن عبد الله بن أنيس حدثه : أنه تذاكر هو وعمر يوماً الصدقة فقال : ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر

١٠٦/٤

---

(١) قوله : « فلا أعرفن » ، انظر التعليق السالف ص : ٣٥٨ تعليق : ٤ .

(٢) يعرت العنز تيعر (مثل فتح يفتح) يعاراً (بضم الياء) : صوتت صوتاً شديداً . وكان فى المطبوعة : « تثغو » ، وهو وإن كان صواباً فى المعنى ، فهو خطأ فى الرواية ، صوابه من المخطوطة ومن رواية الحديث كما ترى فى التخريج .

(٣) الأحاديث : ٨١٥٩ – ٨١٦١ ، هى ثلاثة أسانيد لحديث واحد . وعبد الرحيم — فى ثالثها هو ابن سليمان الأشل .

والحديث روا أحمد فى المسند ٥ : ٤٢٣ – ٤٢٤ (حلبى) ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، عن الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن أبى حميد الساعدى ، بنحوه .

وكذلك رواه البخارى ١٣ : ١٤٤ – ١٤٦ ، ومسلم ٢ : ٨٣ – ٨٤ ، من طريق سفيان بن عيينة .

ورواه البخارى أيضاً فى مواضع أخر .

ورواه مسلم — عقب تلك الرواية — من أوجه أخر ، منها من طريق عبد الرحيم بن سليمان .

وذكره ابن كثير : ٢ : ٢٨٠ – ٢٨١ ، من رواية المسند ، ثم قال : « أخرجاه (يعنى الشيخين) ،

غلول الصدقة : « من غل منها بعيراً أو شاة ، فإنه يحمله يوم القيامة » ؟ قال عبد الله ابن أنيس : بلى . (١)

٨١٦٣ — حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا يحيى ابن سعيد الأنصارى ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة مصدِّقاً ، فقال : إياك ، يا سعد ، أنْ تجىء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء ! قال : لا آخذه ولا أجىء به ! فأعفاه . (٢)

من حديث سفيان بن عيينة . . . ومن غير وجه عن الزهرى ، ومن طرق عن هشام بن عروة — كلاهما عن عروة ، به » .

قوله : « بصر عينى ، وسمع أذنى » اختلفوا فى ضبطه ، فروى على أنه فعل « بصر » (بفتح الباء وضم الصاد) « وسمع » فعل . وروى « بصر ، وسمع » اسمان . يراد به : « أعلم هذا الكلام يقيناً ، أبصرت عينى النبى صلى الله عليه وسلم حين تكلم به ، وسمعته أذنى فلا شك فى علمى به » ، كما قال النووى فى شرح مسلم ١٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(١) الحديث : ٨١٦٢ — موسى بن جبير الأنصارى المدنى : مضت ترجمته وتوثيقه فى : ٢٩٤١ .

عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصارى المدنى : تابعى ثقة . ترجمه ابن أبى حاتم ٢/٢/٩٦ . ونقل الحافظ فى التهذيب أن البخارى صرح بأنه « سمع عبد الله بن أنيس » .

عبد الله بن أنيس — بالتصغير — الجهنى المدنى ، حليف الأنصار : صحابى معروف ، مترجم فى التهذيب ، والإصابة .

وهذا الحديث من مسند عمر ، ومن مسند عبد الله بن أنيس ، لتصريح كل منهما بأنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن الإمام أحمد لم يذكره فى مسند عمر ، وذكره فى مسند عبد الله بن أنيس فقط .

فرواه أحمد : ١٦١٣١ (ج ٣ ص ٤٩٨ حلبى) ، عن هرون بن معروف ، عن عمرو بن الحارث — بهذا الإسناد .

وكذلك رواه ابنه عبد الله بن أحمد ، عن هرون بن معروف .

ورواه ابن ماجة : ١٨١٠ ، من طريق عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، به .

وقال البوصيرى فى زوائده : « فى إسناده مقال ، لأن موسى بن جبير ذكره ابن حبان فى الثقات وقال : إنه يخطىء . وقال الذهبى فى الكاشف : ثقة ، ولم أر لغيرهما فيه كلاماً . وعبد الله بن عبد الرحمن : ذكره ابن حبان فى الثقات . وباقى رجاله ثقات » .

ونقله ابن كثير ٢ : ٢٨٣ ، عن هذا الموضع من تفسير الطبرى ، ثم نسبه أيضاً لابن ماجة ، ولم يزد ! ففاته أن ينسبه للمسند ، وهو أهم .

وذكره السيوطى فى الجامع الصغير : ٨٨٨٢ ، ونسبه لأحمد ، والضياء المقدسى ، عن عبد الله بن أنيس فقط . وهو عنه وعن عمر ، كما بينا .

(٢) الحديث : ٨١٦٣ — سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى : مضيا فى : ٢٢٥٥ .

يحيى بن سعيد الأنصارى النجارى : مضى مراراً ، آخرها : ٤٨٠٩ .

٨١٦٤ — حدثنا أحمد بن المغيرة الحمصى أبو حميد قال، حدثنا الربيع بن روح قال ، حدثنا ابن عياش قال ، حدثنى عبيد الله بن عمر بن حفص ، عن نافع مولى ابن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه استعمل سعد بن عبادة ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إياك ، يا سعد، أن تجىء يوم القيامة تحمل على عنقك بعيراً له رغاء ! فقال سعد : فإن فعلتُ يا رسول الله، إن ذلك لكائن ! قال : نعم! قال سعد : قد علمت يا رسول الله أنى أُسْأَل فَأُعْطِى ! فأعفنى . فأعفاه .[١]

٨١٦٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا زيد بن حبان قال ، حدثنا عبد الرحمن بن الحارث قال ، حدثنى جدى عبيد بن أبى عبيد — وكان أول مولود

وهذا إسناد صحيح ، رجاله رجال الصحيح .

وسيأتى تخريج الحديث فى الذى بعده .

(١) الحديث : ٨١٦٤ — أحمد بن المغيرة ، شيخ الطبرى : مضى فى : ٣٤٧٣ أنى لم أعرفه . وقد زادنا أبو جعفر هنا تعريفاً به ، فنسبه « الحمصى » ، وأن كنيته « أبو حميد » . ولا يزال مع هذا غير معروف لنا .

الربيع بن روح الحمصى ، أبو روح الحضرمى . ثقة ، روى عنه أيضاً أبو حاتم ، وقال : « وكان ثقة خياراً » . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/٢٥٥ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٤٦١ .

ابن عياش : هو إسمعيل بن عياش الحمصى ، مضى توثيقه فى : ٥٤٤٥ .

وهذا إسناد صحيح أيضاً ، لكن إسمعيل بن عياش لم يخرج له شىء فى الصحيحين .

والحديث فى معنى الذى قبله ، أطول فى اللفظ قليلا .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ٨٦ ، من حديث ابن عمر ، بنحو اللفظ السابق . وقال : « رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح » .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٨٣ ، عن الرواية الماضية من الطبرى . ثم قال : « ثم رواه من طريق عبيد الله ، عن نافع ، به . نحوه » .

ولم يروه أحمد فى المسند فى مسند عبد الله بن عمر ، ولكن رواه فى مسند « سعد بن عبادة » ، من حديثه ٥ : ٢٨٥ (حلبى) ، بنحوه — بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب ، عن سعد بن عبادة . وهو إسناد منقطع بين ابن المسيب وابن عبادة .

فإن سعد بن عبادة توفى سنة ١٥ ، وقيل : سنة ١١ . وسعيد بن المسيب ولد سنة ١٥ ، فلم يدركه يقيناً

وكذلك ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ٨٥ ، من حديث سعد بن عبادة . وقال : « رواه أحمد، والبزار ، والطبرانى فى الكبير ، ورجاله ثقات ، إلا أن سعيد بن المسيب لم ير سعد بن عبادة » .

بالمدينة — قال : استعملت على صدقة دَوْس ، فجاءنى أبو هريرة فى اليوم الذى خرجت فيه ، فسلَّم . فخرجت إليه فسلمت عليه فقال : كيف أنت والبعير ؟ كيف أنت والبقر ؟ كيف أنت والغنم ؟ ثم قال : سمعت حِبِّى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أخذ بعيراً بغير حقه جاء به يوم القيامة له رغاء ، ومن أخذ بقرة بغير حقها جاء بها يوم القيامة لها خوار ، ومن أخذ شاة بغير حقها جاء بها يوم القيامة على عنقه لها يُعار » ،(١) فإياك والبقر ، فإنها أحدُّ قروناً وأشدُّ أظلافاً .(٢)

٨١٦٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا خالد بن مخلد قال ، حدثنى محمد ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن جده عبيد بن أبى عبيد قال : استعملت على صدقة دوس ، فلما قضيت العمل قدمت ، فجاءنى أبو هريرة فسلم على فقال : أخبرنى كيف أنت والإبل = ثم ذكر نحو حديثه عن زيد ، إلا أنه قال : جاء به يوم القيامة على عنقه له رُغاء .(٣)

٨١٦٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم

---

(١) فى المطبوعة : « لها ثغاء » ، وأثبت ما فى المخطوطة . قد سلف « اليعار » ص : ٣٦٠ ، تعليق : ٢

(٢) الحديث : ٨١٦٥ — أبو كريب : هو محمد بن العلاء ، الحافظ الثقة .

زيد بن حبان : هكذا ثبت فى الطبرى . وأكاد أجزم بأنه محرف . فليس فى الرواة — فيما نعلم — إلا زيد بن حبان الرقى ، وهو قديم ، مات سنة ١٥٨ . فلم يدركه أبو كريب المتوفى سنة ٢٤٨ . والراجح عندى أنه محرف عن « زيد بن الحباب العكلى » ، الذى يروى عنه كريب كثيراً . وهو ثقة ، مضت ترجمته : ٢١٨٥ .

عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد بن أبى عبيد : ثقة . قال أبو زرعة : « لا بأس به » . وهو مترجم عند ابن أبى حاتم ٢/٢/٢٢٤ ، باسم « عبد الرحمن بن الحارث بن أبى عبيد » . فقصر فى نسبه ، إذ حذف اسم جده الأدنى . وقد ثبت نسبه على الصواب فى ترجمة جده فى التهذيب . ولم أجد لعبد الرحمن هذا ترجمة غيرها .

عبيد بن أبى عبيد الغفارى ، مولى بنى رهم : تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٤١١ ، وثقات ابن حبان ، ص : ٢٦٩ (مخطوط مصور) . وقد خلط ابن أبى حاتم فى اسم حفيده « عبد الرحمن ابن الحارث » فذكره فى ترجمة جده ، فى الرواة عنه ، باسم « عبد الرحمن بن عبيد بن الحارث » . والحديث سيأتى عقبه بإسناد آخر .

(٣) الحديث : ٨١٦٦ — خالد بن مخلد : هو القطوانى البجلى . مضت ترجمته فى : ٢٢٠٦ .

القيامة » ، قال قتادة : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا غنم مغنماً بعث منادياً : « ألا لا يغُلَّنَّ رجل مِخْيَطاً فما دونه ،(١) ألا لا يغلّن رجل بعيراً فيأتى به على ظهره يوم القيامة له رغاء ، ألا لا يغلن رجل فرساً فيأتى به على ظهره يوم القيامة له حَمْحمة » .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١٦١)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه(٢) : « ثم توفى كل نفس » ، ثم تعطى كل نفس جزاء ما كسبت بكسبها ، وافياً غير منقوص مما استحقه واستوجبه من ذلك(٣) = « وهم لا يظلمون » ، يقول : لا يفعل بهم إلا الذى ينبغى أن يفعل بهم ، من غير أن يعتدى عليهم فينقصوا عما استحقوه ، كما : —

وقوله « حدثنى محمد » — هكذا ثبت فى الطبرى . وأكاد أجزم أنه خطأ ، زيادة من الناسخين . فإن « خالد بن مخلد » يروى عن « عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد » مباشرة ، كما ثبت فى ترجمة « عبد الرحمن » عند ابن أبى حاتم . وفيه : « سئل أبو زرعة عن عبد الرحمن بن الحارث الذى يحدث عنه خالد بن مخلد القطوانى » .

ولو كان هذا الراوى « محمد » ثابتاً فى الإسناد ، لبين نسبه أو نحو ذلك ، فإن اسم « محمد » أكثر الأسماء دوراناً ، فلا يذكر هكذا مجهلا ، دون قرينة ترشد عن شخصه .

والحديث مكرر ما قبله .

وقد مضى معناه من حديث أبى هريرة ، من رواية أبى زرعة بن عمرو بن جرير ، عنه : ٨١٥٥ — ٨١٥٧ .

وأما من هذا الوجه ، من رواية عبيد بن أبى عبيد ، عنه — : فإنى لم أجده فى موضع آخر .

(١) « المخيط » (بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الياء) : ما يخاط به ، كالإبرة ونحوها .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بذلك جل ثناؤه » ، والصواب يقتضى ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « وفى » فيما سلف ٦ : ٤٦٥ — وتفسير « كسب » فيما سلف ص : ٣٢٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

٨١٦٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ، ثم يُجزى بكسبه غير مظلوم ولامتعدًّى عليه.[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١٦٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : معنى ذلك : أفمن اتبع رضوان الله فى ترك الغلول ، كمن باء بسخَط من الله بغُلوله ما غلّ ؟

* ذكر من قال ذلك :

٨١٦٩ – حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن مطرف ، عن الضحاك فى قوله : « أفمن اتبع رضوان الله » ، قال : من لم يغلّ = « كمن باء بسخط من الله » ، كمن غل .

٨١٧٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى سفيان بن عيينة ، عن مطرف بن طريف ، عن الضحاك قوله : « أفمن اتبع رضوان الله » ، قال : من أدَّى الخمُس = « كمن باء بسخط من الله » ، فاستوجب سخطاً من الله . ١٠٧/٤

* * *

وقال آخرون فى ذلك، بما :–

٨١٧١ – حدثنى به ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « أفمن

---

(١) الأثر : ٨١٦٨ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٤٨ ، وفى المطبوعة : « معتدى عليه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو موافق لما فى السيرة .

اتبع رضوان الله » ، على ما أحب الناس وسخطوا = « كمن باء بسخط من الله » ، لرضى الناس وسخطهم ؟ يقول : أفمن كان على طاعتى فثوابه الجنة ورضوانٌ من ربه ، كمن باء بسخط من الله ، فاستوجب غضبه ، وكان مأواه جهنم وبئس المصير ؟ أسَواءٌ المثلان ؟ أى : فاعرفوا.[١]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بتأويل الآية عندى ، قولُ الضحاك بن مزاحم . لأن ذلك عَقيب وعيد الله على الغلول ، ونهيه عباده عنه . ثم قال لهم بعد نهيه عن ذلك ووعيده : أسواءٌ المطيع لله فيما أمره ونهاه ، والعاصى له فى ذلك ؟ أى : إنهما لا يستويان ، ولا تستوى حالتاهما عنده . لأن لمن أطاع الله فيما أمره ونهاه ، الجنةُ ، ولمن عصاه فيما أمره ونهاه النار .

* * *

فمعنى قوله : « أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله » إذاً : أفمن ترك الغلول وما نهاه الله عنه من معاصيه ، وعمل بطاعة الله فى تركه ذلك ، وفى غيره مما أمره به ونهاه من فرائضه ، متبعاً فى كل ذلك رضى الله ، ومجتنباً سخطه = « كمن باء بسخط من الله » ، يعنى : كمن انصرف متحمِّلاً سخط الله وغضبه ، فاستحق بذلك سكنى جهنم ؟ يقول : ليسا سواءً.[٢]

* * *

وأما قوله : « وبئس المصير » ، فإنه يعنى : وبئس المصير = الذى يصير إليه ويؤوب إليه من باء بسخط من الله = جهنم .[٣]

* * *

(١) الأثر : ٨١٧١ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٦٨ ، وفى بعض لفظه اختلاف يسير .

(٢) انظر تفسير « باء » فيما سلف ٢ : ١٣٨ ، ٣٤٥/ثم ٧ : ١١٦

(٣) انظر تفسير « المصير » فيما سلف ٣ : ٥٦/٦ : ١٢٨ ، ٣١٧ . وسياق الجملة : « وبئس المصير . . . جهنم » وما بينهما تفسير « المصير » .

القول فى تأويل قوله ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أنّ من اتبع رضوان الله ومن باء بسخَط من الله، مختلفو المنازل عند الله . فلمن اتبع رضوان الله، الكرامةُ والثواب الجزيل ، ولمن باء بسخط من الله، المهانةُ والعقاب الأليم ، كما : —

٨١٧٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون » ، أى : لكلٍّ درجات مما عملوا فى الجنة والنار ، إنّ الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .(١)

٨١٧٣ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « هم درجات عند الله » ، يقول : بأعمالهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لهم درجات عند الله ، يعنى : لمن اتبع رضوان الله منازلُ عند الله كريمة .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٧٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « هم درجات عند الله » ، قال : هى كقوله : ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ ﴾ .

٨١٧٥ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « هم درجات عند الله » ، يقول : لهم درجاتٌ عند الله .

* * *

(١) الأثر : ٨١٧٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٧١

وقيل : قوله « هم درجات » كقول القائل : « هم طبقات »،[1] كما قال ابن هَرْمة :

أَرَجْماً لِلْمَنُونِ يَكُونُ قَوْمِي لِرَيْبِ الدَّهْرِ، أَمْ دَرَجُ السُّيولِ؟[2]

* * *

وأما قوله : « والله بصير بما يعملون »، فإنه يعنى : والله ذو علم بما يعمل أهل طاعته ومعصيته ، لا يخفى عليه من أعمالهم شىء ، يحصى على الفريقين جميعاً أعمالهم ، حتى توفى كل نفس منهم جزاء ما كسبت من خير وشر ، كما : —

٨١٧٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله بصير بما يعملون » ، يقول : إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .[3]

* * *

---

(١) انظر تفسير درجة فيما سلف ٤ : ٥٣٣ — ٥٣٦ .

(٢) سيبويه ١ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٠٧ ، والخزانة ١ : ٢٠٣ ، واللسان (درج) ، وروايتهم جميعاً ، غير الطبرى وأبى عبيدة :

أَنَصْبٌ لِلْمَنِيَّةِ تَعْتَرِيهِمْ رِجَالِي ، أَمْ هُمُ دَرَجَ السُّيُولِ؟

وكان فى المطبوعة : « أإن حم المنون يكون قوم » ، لم يحسن الناشر الأول ، قراء المخطوطة فحرف البيت تحريفاً غثاً بريئاً من المعنى ، ورددته إلى صواب المخطوطة ، على أن فيها « قوم » بدل « قومى » ، والصواب ما أثبت . وقد استشهد بالبيت سيبويه على نصب « درج السيول » على الظرف ، وعلى رفعه خبر « هم » . وكذلك إعرابه على النصب والرفع فى رواية الطبرى وأبى عبيدة . وقوله : « أرجما للمنون » يعنى به ما يعنى فى الرواية الأخرى ، « أنصب للمنية » . وأصل الرجم « القذف ، وسمى ما يرجم به « رجماً » (بفتح الراء وسكون الجيم) . ولم تذكر كتب اللغة « الرجم » (بفتح الراء وسكون الجيم) : يعنى الشىء المنصوب الذى يرجم ويقذف ، ولكن بيت ابن هرمة شاهد عليه ، وهو صحيح فى قياس العربية . و « درج السيل » : مدرجه ومنحدره وطريقه فى معاطف الأودية . يتحزن ابن هرمة على قومه وإسراع الهلاك إليهم بكل وجه ، حتى بادوا أو كادوا .

(٣) الأثر : ٨١٧٦ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٧٢ ، وجزء منه .

القول فى تأويل قوله ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٦٤﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : لقد تطوّل الله على المؤمنين= « إذ بعث فيهم رسولا » ، حين أرسل فيهم رسولا= «من أنفسهم» ، نبيًّا من أهل لسانهم ، ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهوا عنه ما يقول = « يتلو عليهم آياته » ، يقول : يقرأ عيهم آى كتابه وتنزيله[1] = « ويزكيهم » ، يعنى : يطهّرهم من ذنوبهم باتباعهم إياه وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم[2]= « ويعلمهم الكتاب والحكمة » ، يعنى : ١٠٨/٤ ويعلمهم كتاب الله الذى أنزله عليه ، ويبين لهم تأويله ومعانيه = « والحكمة » ، ويعنى بالحكمة ، السُّنّةَ التى سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيانَه لهم[3] = « وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ، يعنى : وإن كانوا من قبل أن يمنّ الله عليهم بإرساله رسوله الذى هذه صفته = « لفى ضلال مبين » ، يقول : فى جهالة جهلاء ، وفى حيرة عن الهدى عمياء ، لا يعرفون حقًّا ، ولا يبطلون باطلا .

* * *

وقد بينا أصل « الضلالة » فيما مضى ، وأنه الأخذ على غير هدى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[4]

* * *

---

(١) انظر تفسير « يتلو » فيما سلف ٢ : ٤١١ ، ٥٦٩ / ٦ : ٤٦٦ ، تعليق : ٣ ، وفهارس اللغة « تلا » .

(٢) انظر تفسير « يزكى » فيما سلف ١ : ٥٧٣ ، ٣/٥٧٤ : ٥/٨٨ : ٦/٢٩ : ٥٢٨ .

(٣) انظر تفسير « الحكمة » فيما سلف ٣ : ٨٧ ، ٥/٨٨ : ١٥ ، ٣٧١ ، ٥٧٦ - ٥٧٩ .

(٤) انظر تفسير « الضلالة » فيما سلف ١ : ٢/١٩٥ : ٤٩٥ ، ٤٩٦

= و « المبين » ، الذي يتبين لمن تأمله بعقله وتدبره بفهمه، أنه على غير استقامة ولا هدى.[١]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٧٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم » ، منّ الله عليهم من غير دعوة ولا رغبة من هذه الأمة ، جعله الله رحمة لهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم = قوله : « ويعلمهم الكتاب والحكمة » ، الحكمة ، السنة = « وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » ، ليس والله كما يقول أهل حروراء : « محنة غالبة ، من أخطأها أهريق دمه » ،[٢] ولكن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم إلى قوم لا يعلمون فعلّمهم ، وإلى قوم لا أدب لهم فأدّبهم .

٨١٧٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : « لقد منّ الله على المؤمنين » ، إلى قوله : « لفي ضلال مبين » ، أي : لقد منّ الله عليكم ، يا أهل الإيمان، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته ويزكيكم فيما أحدثتم وفيما عملتم ،[٣] ويعلمكم الخير والشر ، لتعرفوا الخير فتعملوا به ، والشر فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه ، لتستكثروا من طاعته ، وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ، فتتخلصوا بذلك من نقمته، وتدركوا بذلك ثوابه من جنته = « وإن كنتم من قبل لفي ضلال مبين » ، أي : في عمياء من الجاهلية ،

---

(١) انظر تفسير « مبين » فيما سلف ٣ : ٣٠٠/٤ : ٢٥٨ .

(٢) أهل حروراء : هم الخوارج ، وهذا مذهبهم .

(٣) في المطبوعة : « فيما أخذتم وفيما عملتم » لم يحسن قراءة المخطوطة ، والصواب منها ومن سيرة ابن هشام .

لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة، [١] صُمٌّ عن الحق، عُمْىٌ عن الهدى. [٢]

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أوَحين أصابتكم ، أيها المؤمنون ، = « مصيبة » ، وهى القتلى الذين قتلوا منهم يوم أحد، والجرحى الذين جرحوا منهم بأحد ، وكان المشركون قتلوا منهم يومئذ سبعين نفراً — « قد أصبتم مثليها » ، يقول : قد أصبتم ، أنتم أيها المؤمنون ، من المشركين مثلى هذه المصيبة التى أصابوا هم منكم، وهى المصيبة التى أصابها المسلمون من المشركين ببدر ، وذلك أنهم قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين= « قلتم أنى هذا» ، يعنى : قلتم لما أصابتكم مصيبتكم بأحد= « أنى هذا» ، من أىِّ وجه هذا ؟[٣] ومن أين أصابنا هذا الذى أصابنا ، ونحن مسلمون وهم مشركون، وفينا نبى الله صلى الله عليه وسلم يأتيه الوحى من السماء، وعدوُّنا أهل كفر بالله وشرك ؟ = « قل » يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك = « هو من عند أنفسكم» ، يقول : قل لهم : أصابكم هذا الذى أصابكم من عند أنفسكم ، بخلافكم أمرى وترككم طاعتى ، لا من عند غيركم ، ولا من قبل أحد سواكم = « إن الله على كل شىء قدير » ، يقول : إن الله على جميع ما أراد بخلقه من عفو وعقوبة ، وتفضل

(١) فى المطبوعة : « تستغيثون من سيئة » ، ولا معنى لها ، وفى المخطوطة « تسعون » غير منقوطة ، والأرجح أنه خطأ ، صوابه ما فى سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٨١٧٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٧٢ ، ٨١٧٦ . والجملة الأخيرة فى ابن هشام : « صم عن الخير ، بكم عن الحق ، عمى عن الهدى » .

(٣) انظر تفسير « أنى » فيما سلف ٤ : ٣٩٨ — ٤١٦/٥ : ١٢ ، ٦/٤٤٧ : ٣٥٨، ٤٢٠ .

وانتقام = « قدير » ، يعنى : ذو قدرة .[١]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « قل هو من عند أنفسكم » ، بعد إجماع جميعهم على أن تأويل سائر الآية على ما قلنا فى ذلك من التأويل .

فقال بعضهم : تأويل ذلك : « قل هو من عند أنفسكم » ، بخلافكم على نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، إذْ أشار عليكم بترك الخروج إلى عدوكم والإصحار لهم حتى يدخلوا عليكم مدينتكم ويصيروا بين آطامكم ،[٢] فأبيتم ذلك عليه ، وقلتم : « اخرج بنا إليهم حتى نُصْحِر لهم فنقاتلهم خارج المدينة » .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩/٤ ٨١٧٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا » ، أصيبوا يوم أحد ، قُتل منهم سبعون يومئذ ، وأصابوا مثليها يوم بدر ، قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين = « قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » ، ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم أحد ، حين قدم أبو سفيان والمشركون ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أنا فى جُنَّة حصينة » ، يعنى بذلك المدينة ، « فدعوا القوم أن يدخلوا علينا نقاتلهم » .[٣] فقال له ناس من أصحابه من الأنصار : يا نبى الله ، إنا نكره أن نقتل فى طرق المدينة ، وقد كنا نمتنع من الغزو فى الجاهلية ، فبالإسلام أحق أن نمتنع منه ![٤] فابرز بنا إلى القوم . فانطلق رسول الله صلى الله

(١) انظر تفسير « قدير » فى فهارس اللغة فيما سلف من الأجزاء .

(٢) « أصحر القوم » : برزوا إلى الصحراء . و « أصحروا لأعدائهم » : برزوا إلى فضاء لا يواريهم ، لكى يقاتلوهم فى الصحراء . و « الآطام » جمع أطم (بضم الهمزة والطاء) : وهو حصن مبنى بالحجارة ، كان أهل المدينة يتخذونها ويسكنونها يحتمون بها .

(٣) « الجنة » (بضم الجيم وتشديد النون) : هو ما وراك من السلاح واستترت به ، كالدروع والبيضة ، وكل وقاية من شىء فهو جنة .

(٤) فى المطبوعة : « وقد كنا نمتنع فى الغزو . . . أن نمتنع فيه » ، وفى المخطوطة : « قد كنا نمتنع من الغزو . . . أن نمتنع فيه » ، والصواب فيها ما أثبت ، كما فى الدر المنثور ٢ : ٩٤ .

عليه وسلم فلبس لأمته ، فتلاوم القوم فقالوا : عرَّض نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بأمر وعرَّضتم بغيره! اذهب يا حمزة فقل لنبى الله صلى الله عليه وسلم : «أمرُنا لأمرك تبعٌ » . فأتى حمزة فقال له : يا نبى الله، إن القوم قد تلاوموا وقالوا : « أمرنا لأمرك تبع » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه ليس لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يناجز ،[1] وإنه ستكون فيكم مصيبة . قالوا : يا نبى الله ، خاصة أو عامةً ؟ قال : سترونها = ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام أن بقراً تُنحر ، فتأولها قتلاً فى أصحابه = ورأى أن سيفه ذا الفقار انفصم ، فكان قتل عمه حمزة ، قتل يومئذ، وكان يقال له : أسد الله = ورأى أن كبشاً عُتِر ،[2] فتأوّله كبش الكتيبة ، عثمان بن أبى طلحة ، أصيب يومئذ، وكان معه لواء المشركين.

٨١٨٠ ـ حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه = غير أنه قال : « قد أصبتم مثليها » ، يقول : مثلَىْ ما أصيب منكم = « قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » ، يقول : بما عصيتم .

٨١٨١ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : أصيب المسلمون يوم أحد مصيبة ، وكانوا قد أصابوا مثليها يوم بدر ممن قتلوا وأسروا ، فقال الله عز وجل : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها » .

٨١٨٢ ـ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) « اللأمة » : الدرع الحصينة ، وسائر أداة الحرب .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « أن كبشاً أغبر » ، ولا معنى له ، ولا هو يستقيم . واستظهرت صوابها كما ترى ، وأن الناسخ صحفها . يقال : « عتر الشاة والظبية يعترها عتراً ، وهى عتيرة » ، ذبحها . ومنه « العتيرة » ، وهى أول نتاج أنعامهم ، كانوا يذبحونه لآلهتهم فى الجاهلية . هذا على أنى لم أجد هذا الخبر بلفظه فى مكان آخر ، ولكن المروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أنه مردف كبشاً ، فقال : أما الكبش ، فإنى أقتل كبش القوم ، أى حاميهم وحامل لوائهم .

ابن جريج ، عن عمر بن عطاء ، عن عكرمة قال : قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين ، وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين ، فذلك قوله : « قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا » إذ نحن مسلمون ، نقاتل غضباً لله وهؤلاء مشركون = « قل هو من عند أنفسكم »، عقوبة لكم بمعصيتكم النبيَّ صلى الله عليه وسلم حين قال ما قال .

٨١٨٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » ، قالوا: فإنما أصابنا هذا لأنا قبلنا الفداء يوم بدر من الأسارى ، وعصينا النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، فمن قتل منا كان شهيداً، ومن بقي منا كان مطهَّراً ، رضينا ربَّنا ![1]

٨١٨٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن وابن جريج قالا : معصيتهم أنه قال لهم: « لا تتبعوهم » ، يوم أحد ، فاتبعوهم .

٨١٨٥ — حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم ذكر ما أصيب من المؤمنين — يعني بأحد — وقتل منهم سبعون إنساناً = « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها » ، كانوا يوم بدر أسروا سبعين رجلا وقتلوا سبعين = « قلتم أنى هذا » ، أن : من أين هذا = « قل هو من عند أنفسكم » ، أنكم عصيتم .

٨١٨٦ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها » يقول : إنكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلىْ ما أصابوا منكم يوم أحد .

---

(١) في المطبوعة : « رضينا بالله ربا » ، غير ما في المخطوطة ، كأنه لم يفهمه ! !

٨١٨٧ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم فقال: «أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم»، أى: إن تك قد أصابتكم مصيبة فى إخوانكم، فبذنوبكم. قد أصبتم مثليها قبلُ من عدوكم،[١] فى اليوم الذى كان قبله ببدر، قتلى وأسرى، ونسيتم معصيتكم وخلافكم ما أمركم به نبيّكم صلى الله عليه وسلم. أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم[٢]= «إن الله على كل شىء قدير»، أى: إن الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو، قدير.[٣]

١١٠/٤

٨١٨٨ - حدثت عن الحسين قال، سمعت أبامعاذ يقول، أخبرنا عبيد قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله: «أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها»، الآية، يعنى بذلك: أنكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلى ما أصابوا منكم يوم أحد.

* * *

وقال بعضهم: بل تأويل ذلك: «قل هو من عند أنفسكم»، بإساركم المشركين يوم بدر،[٤] وأخذكم منهم الفداء، وترككم قتلهم.

* ذكر من قال ذلك:

٨١٨٩ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن فضيل، عن أشعث بن سوار، عن ابن سيرين، عن عبيدة قال: أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء فتتقوَّوْا به على

---

(١) فى المطبوعة: «قتلا من عدوكم» وقبلها رقم (٣) لشك المصحح فى صحتها. وفى المخطوطة مثل ذلك غير منقوط، والصواب من سيرة ابن هشام.

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة: «إنكم أحللتم . . .»، ورجحت رواية ابن هشام، فهى أجود فى السياق.

(٣) الأثر: ٨١٨٧ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٥، هو تتمة الآثار التى آخرها: ٨١٧٨.

(٤) فى المطبوعة: «بإسارتكم» وهو خطأ، أوقعه فيه ناسخ المخطوطة، لأن كتب (تكم)، ولكنه أدخل الراء على التاء، فاختلطت كتابته. والصواب ما أثبت.

عدوكم ، وإن قبلتموه قتل منكم سبعون = أو تقتلوهم . فقالوا : بل نأخذ الفدية منهم ويُقتل منا سبعون . قال : فأخذوا الفدية منهم ، وقتلوا منهم سبعين = قال عبيدة : وطلبوا الخيرتين كلتيهما .

٨١٩٠ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة : أنه قال في أسارى بدر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم فاديتموهم واستُشهد منكم بعدتهم . قالوا : بل نأخذ الفداء فنستمتع به ، ويستشهد منا بعدتهم .

٨١٩١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني إسمعيل ، عن ابن عون ، عن محمد ، عن عبيدة السلماني = وحدثني حجاج ، عن جرير ، عن محمد ، عن عبيدة السلماني = عن علي قال : جاء جبريل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال له : يا محمد ، إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الأسارى ، وقد أمرك أن تخيّرهم بين أمرين : أن يقدّموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يُقتل منهم عدتهم . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر ذلك لهم ، فقالوا : يا رسول الله ، عشائرنا وإخواننا ! ! لا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ، ويستشهد منا عِدّتهم ، فليس في ذلك ما نكره ! قال : فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا ، عدة أسارى أهل بدر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : والذى أصابكم « يوم التقى الجمعان » ، وهو يوم أحد ، حين التقى جمع المسلمين والمشركين . ويعنى بـ « الذى أصابهم » ، ما نال من القتل مَنْ قُتِلَ منهم ، ومن الجراح من جرح منهم = « فبإذن الله » يقول : فهو بإذن الله كان = يعنى : بقضائه وقدَره فيكم .(١)

* * *

وأجاب « ما » بالفاء ، لأن « ما » حرف جزاء ، وقد بينت نظير ذلك فيما مضى قبل .(٢)

* * *

= « وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا » ، بمعنى : وليعلم الله المؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا ، أصابكم ما أصابكم يوم التقى الجمعان بأحد ، ليميِّز أهلُ الإيمان بالله ورسوله المؤمنين منكم من المنافقين فيعرفونهم ، لا يخفى عليهم أمر الفريقين .

وقد بينا تأويل قوله : « وليعلم المؤمنين » فيما مضى ، وما وجه ذلك ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(٣)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال ابن إسحق .

٨١٩٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين » ، أى : ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوّكم ، فبإذنى كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم ، بعد أن جاءكم

---

(١) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ٢ : ٤٤٩ ، ٤٥٠ / ٤ : ٢٨٦ / ٥ : ٣٥٥ ، ٣٩٥ / ٧ : ٢٨٩

(٢) انظر ما سلف ٥ : ٥٨٥

(٣) انظر ما سلف ٣ : ١٦٠ / ٧ : ٢٤٦ ، ٣٢٥

نصرى ، وصدقتكم وعدى ،[1] ليميز بين المنافقين والمؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا منكم ، أى : ليظهروا ما فيهم .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (١٦٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك عبدَ الله بن أبىّ ابن سلول المنافق وأصحابَه ، الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ، حين سار نبى الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين بأحد لقتالهم ، فقال لهم المسلمون : تعالوا قاتلوا المشركين معنا ، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا ! فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم إليهم ، ولكنا معكم عليهم ، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتالٌ ! فأبدوْا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه ، وأبدوا بألسنتهم بقولهم : « لو نعلم قتالا لاتبعناكم » ، غير ما كانوا يكتمونه ويخفونه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به ، كما : —

١١١/٤

٨١٩٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر ابن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدّث قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعنى حين خرج إلى أحد — فى ألف رجل من أصحابه ، حتى إذا كانوا بالشوط بين

---

(١) فى المطبوعة : « وصدقتم وعدى » ، والصواب من المخطوطة وسيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٨١٩٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٥ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٨٧ .

أحد والمدينة ، انخزل عنهم عبد الله بن أبىّ ابن سلول بثلث الناس وقال :[1] أطاعهم فخرج وعصانى ! والله ما ندرى علامَ نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ! ! فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الرَّيْب ، واتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حرام أخو بنى سلمة يقول : يا قوم ، أذكّركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوّهم ! فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أن يكون قتال ! فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدَكم الله أعداءَ الله ! فسيُغنى الله عنكم ! ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم.[2]

٨١٩٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا » ، يعنى : عبد الله بن أبىّ ابن سلول وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى عدوّه من المشركين بأحد = وقوله : « لو نعلم قتالا لاتبعناكم » ، يقول : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكن لا نظن أن يكون قتال . فظهر منهم ما كانوا يخفون فى أنفسهم = يقول الله عز وجل : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم » ، يظهرون لك الإيمان ، وليس فى قلوبهم[3] =« والله أعلم بما يكتمون » ، أى : يخفون .[4]

٨١٩٥ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعنى يوم أحد — فى ألف رجل ، وقد وعدهم الفتحَ إن صبرُوا . فلما خرجوا ، رجع عبد الله بن أبىّ ابن سلول فى ثلثمئة ، فتبعهم أبو جابر السلمى يدعوهم ، فلما غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالاً ، ولئن أطعتنا

---

(١) فى المطبوعة : « فقال » ، والصواب من المخطوطة ، وسيره ابن هشام .

(٢) الأثر : ٨١٩٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ٦٨ ، وهو تابع الأثر الماضى رقم : ٧٧١٥ ، وبين رواية الطبرى ، ورواية ابن هشام خلاف فى بعض اللفظ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، وليس فى قلوبهم » ، وقد اختل الكلام ، وأظنه سقط من سهو الناسخ ، فأتممته من السيرة ، وأتممت الآية وتفسيرها بعدها .

(٤) الأثر : ٨١٩٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٥ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٩٢ .

لترجعن معنا ! =[١] قال : فذكر الله أصحاب عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وقول عبد الله أبي جابر بن عبد الله الأنصاري حين دعاهم فقالوا : « ما نعلم قتالا ، ولئن أطعتمونا لترجعُنّ معنا » ، فقال : ﴿ الذين قالوا لإخْوانِهِم وَقَعَدُوا لَوْ أطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ ﴾.[٢]

٨١٩٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال عكرمة : « قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم » ، قال : نزلت في عبد الله بن أبيّ ابن سلول = قال ابن جريج ، وأخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : « لو نعلم قتالا » ، قال : لو نعلم أنَّا واجدون معكم قتالا ، لو نعلم مكان قتال ، لاتبعناكم .

* * *

واختلفوا في تأويل قوله : « أو ادفعوا » .

فقال بعضهم : معناه : أو كثِّروا ، فإنكم إذا كثّرتم دفعتم القوم .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٩٧ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أو ادفعوا » ، يقول : أو كثِّروا . ١١٢/٤

٨١٩٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « أو ادفعوا » ، قال : بكثرتكم العدو ، وإن لم يكن قتال .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أو رابِطوا إن لم تقاتلوا .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٩٨م — حدثنا إسمعيل بن حفص الأيلي وعلى بن سهل الرملي قالا ، حدثنا

---

(١) في هذا الأثر اختصار مخل ، وقد مضى تمامه برقم ٧٧٢٣ ، وجواب « فلما غلبوه » ، في بقية الأثر وهو : « هموا بالرجوع » ، يعني بني سلمة رهط أبي جابر السلمي . وانظر التخريج بعد .

(٢) الأثر : ٨١٩٥ — مضى بعضه برقم : ٧٧٢٣ ، والتاريخ ٣ : ١٢ .

الوليد بن مسلم قال ، حدثنا عتبة بن ضمرة قال : سمعت أبا عون الأنصارى فى قوله : « قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا » ، قال : رابطوا .[١]

* * *

وأما قوله : « والله أعلم بما يكتمون » ، فإنه يعنى به : والله أعلم من هؤلاء المنافقين الذين يقولون للمؤمنين : « لو نعلم قتالا لاتبعناكم » ، بما يضمرون فى أنفسهم للمؤمنين ويكتمونه فيسترونه من العداوة والشنآن ، وأنهم لو علموا قتالا ما تبعوهم ولا دافعوا عنهم ، وهو تعالى ذكره محيط بما هم مخفوه من ذلك ،[٢] مطلع عليه ، ومحصيه عليهم ، حتى يهتك أستارهم فى عاجل الدنيا فيفضحهم به ، ويُصليهم به الدرك الأسفل من النار فى الآخرة .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (١٦٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : « وليعلم الله الذين نافقوا » = « الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا » .

* * *

فموضع « الذين » نصب على الإبدال من « الذين نافقوا » . وقد يجوز أن

---

(١) الأثر : ٨١٩٨ - « إسماعيل بن حفص الأيلى » ، سلفت ترجمته برقم : ٧٥٨١ ، وكان فى المطبوعة هنا أيضاً « الآملى » مكان « الأيلى » ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة « الأبلى » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . و « الوليد بن مسلم القرشى » ، سلفت ترجمته برقم : ٤٦١٠ . و « عتبة بن ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدى الحمصى » ، روى عن أبيه ، وعمه المهاجر ، ومحمد بن زياد الألهانى ، وأبى عون الشامى . ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب ، و « أبو عون الأنصارى الشامى الأعور » روى عن أبى إدريس الخولانى ، ثقة . مترجم فى التهذيب .

(٢) فى المطبوعة : « بما يخفونه من ذلك » ، غير ما فى المخطوطة لغير شىء ! ! ، إلا أن يريدوا أن يدرجوا به على ما ألفوا من الكلام ! !

يكون رفعاً على الترجمة عما فى قوله : « يكتمون » من ذكر « الذين نافقوا » .

* * *

فمعنى الآية : وليعلم الله الذين قالوا لإخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين فى حربهم المشركين بأحد يوم أحد فقتلوا هنالك من عشائرهم وقومهم = « وقعدوا » ، يعنى : وقعد هؤلاء المنافقون القائلون ما قالوا — مما أخبر الله عز وجل عنهم من قيلهم — عن الجهاد مع إخوانهم وعشائرهم فى سبيل الله = « لو أطاعونا » ، يعنى : لو أطاعنا من قتل بأحد من إخواننا وعشائرنا = « ما قتلوا » يعنى : ما قتلوا هنالك = قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد، لهؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين = « فادرأوا » ، يعنى : فادفعوا .

* * *

من قول القائل : « درأت عن فلان القتل » ، بمعنى دفعت عنه ، « أدرؤه دَرْءًا » ، [1] ومنه قول الشاعر : [2]

تَقُولُ وَقَدْ دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِى أَهٰذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينى [3]

* * *

يقول تعالى ذكره : قل لهم : فادفعوا = إن كنتم ، أيها المنافقون ، صادقين فى قيلكم : لو أطاعنا إخواننا فى ترك الجهاد فى سبيل الله مع محمد صلى الله عليه وسلم وقتالهم أبا سفيان ومن معه من قريش ، ما قُتلوا هنالك بالسيف ، ولكانوا أحياء بقعودهم معكم ، وتخلّفهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وشهود جهاد أعداء الله معه = [عن أنفسكم] الموت ، [4] فإنكم قد قعدتم عن حربهم وقد تخلفتم عن جهادهم ، وأنتم لا محالة ميتون ، كما : —

---

(١) انظر تفسير « الدرء » فيما سلف ٢ : ٢٢٢ — ٢٢٨

(٢) هو المثقب العبدى .

(٣) مضى تخريجه وشرحه فيما سلف ٢ : ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، والاستشهاد بهذا البيت لمعنى الدفع ، غريب من مثل أبى جعفر ، فراجع شرح البيت هناك .

(٤) السياق :« قل لهم : فادفعوا . . . عن أنفسكم الموت» ، والزيادة التى بين القوسين زيادة لا بد منها يقتضيها السياق ، وعن نص الآية ، فلذلك أثبتها .

٨١٩٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « الذين قالوا لإخوانهم » ، الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم = « لو أطاعونا ما قتلوا » الآية ، أى : إنه لا بد من الموت ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا . وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، حرصاً على البقاء فى الدنيا ، وفراراً من الموت . (١)

* * *

* ذكر من قال : الذين قالوا لإخوانهم هذا القول ، هم الذين قال الله فيهم : « وليعلم الذين نافقوا » .

٨٢٠٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا » الآية ، ذكر لنا أنها نزلت فى عدوّ الله عبد الله بن أبىّ .

٨٢٠١ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : هم عبد الله بن أبىّ وأصحابه .

٨٢٠٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : هو عبد الله بن أبىّ الذى قعد وقال لإخوانه الذين خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد : « لو أطاعونا ما قتلوا » ، الآية = قال ابن جريج ، عن مجاهد قال ، قال جابر بن عبد الله : هو عبد الله بن أبىّ ابن سلول .

٨٢٠٣ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا » الآية ، قال : نزلت فى عدوّ الله عبد الله ابن أبىّ . (٢)

* * *

(١) الأثر : ٨١٩٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٥ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٩٤ .

(٢) عند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفى المخطوطة مانصه :

« يتلوهُ إن شاء الله : القول فى تأويل قوله جل ثناؤه

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « ولا تحسبن » ، ولا تظنن ، كما : —

٤/١١٣ ٨٢٠٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولا تحسبن » ، ولا تظنن .[١]

* * *

وقوله : « الذين قتلوا فى سبيل الله » ، يعنى : الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم = « أمواتاً » ، يقول : ولا تحسبنهم ، يا محمد ، أمواتاً لا يحسُّون شيئاً ولا يلتذُّون ولا يتنعمون ، فإنهم أحياء عندى ، متنعمون فى رزقى ، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتى وفضلى ، وحبَوْتهم به من جزيل ثوابى وعطائى ، كما : —

٨٢٠٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق = وحدثنى

ولا تحسبَنَّ الذينَ قتلوا فى سبيلِ الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون .

والحمد لله على إحسانه ونعمته ، وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين ، وسلَّمَ كثيرًا » .

ثم يتلوه أول الجزء ، وفيها ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسِّر يا كريم

أخبرنا أبو بكر محمد بن داود قال ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير » .

وانظر التعليق على هذا الإسناد فيما سلف ٦ : ٤٩٦ ، ٤٩٧ / ٧ : ٢٣ ، ١٥٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

(١) الأثر : ٨٢٠٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٩٩ .

يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا إسمعيل بن عياش ، عن ابن إسحق = عن إسمعيل بن أمية ، عن أبى الزبير المكى ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر تردُ أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش . فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحُسن مَقيلهم قالوا : ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ! لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ! [١] فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم . فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات . [٢]

---

(١) نكل عن عدوه : جبن فنكص على عقبيه ، وانصرف عنه هيبة له وخوفاً .

(٢) الحديث : ٨٢٠٥ - أبو الزبير : هو محمد بن مسلم بن تدرس المكى ، وهو تابعى ثقة ، مضى مراراً . وقيل إنه لم يسمع من ابن عباس ، ففى المراسيل لابن أبى حاتم ، ص : ٧١ ، عن ابن عيينة : « يقولون : ابن المكى لم يسمع من ابن عباس » . وفيه أيضاً : « سمعت أبى يقول : رأى ابن عباس رؤية » .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٢٣٨٨ ، عن يعقوب ، وهو ابن إبرهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحق ، بهذا الإسناد .

ثم رواه عقبه : ٢٣٨٩ ، « نحوه » ، عن عثمان بن أبى شيبة ، عن عبد الله بن إدريس ، عن ابن إسحق ، به . وزاد فى الإسناد « عن سعيد بن جبير » ، بين أبى الزبير وابن عباس .

وكذلك رواه أبو داود فى السنن : ٢٥٢٠ ، عن عثمان بن أبى شيبة ، به .

وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٩٧ - ٢٩٨ ، من طريق عثمان بن أبى شيبة . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٩٠ - ٢٩١ ، من رواية المسند الأولى ، وأشار إلى رواية الطبرى هذه ، ثم إلى زيادة سعيد بن جبير فى الإسناد ، عند أبى داود والحاكم ، ثم قال : « وهذا أثبت . وكذا رواه سفيان الثورى ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس » .

وذكره السيوطى ٢ : ٩٥ ، وزاد نسبته إلى هناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقى فى الدلائل.

وقوله : « وحسن مقيلهم » - فى المسند : « منقلبهم » . ومعناها صحيح أيضاً . ولكن وجدت بعد ذلك فى مخطوطة الرياض من المسند (المصور عندى) نسخة أخرى بهامشها « مقيلهم » . وهى أصح وأجود . وهى الموافقة لما فى ابن كثير نقلا عن المسند ، والموافقة لروايتى أبى داود والحاكم .

ويؤيد صحتها أنها الموافقة لألفاظ الكتاب العزيز . قال الله تعالى : (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا) [سورة الفرقان : ٢٤] .

وانظر ما يأتى من حديث ابن مسعود : ٨٢٠٦ - ٨٢٠٨ ، ٨٢١٨ ، ٨٢١٩ . وما يأتى من حديث ابن عباس : ٨٢٠٩ - ٨٢١٣ .

٨٢٠٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير بن عبد الحميد = وحدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة = قالا جميعاً، حدثنا محمد بن إسحق، عن الأعمش عن أبى الضحى، عن مسروق بن الأجدع قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآيات: «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله» الآية، قال: أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا: إنه لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحَهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش، فيطَّلع الله إليهم اطِّلاعةً فيقول: يا عبادى، ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا، لا فوق ما أعطيتنا! الجنة نأكل منها حيث شئنا![1] ثلاث مرات = ثم يطلع فيقول: يا عبادى، ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربّنا، لافوق ما أعطيتنا! الجنة نأكل منها حيث شئنا! إلا أنا نحب أن تُردّ أرواحنا فى أجسادنا،[2] ثم تردّنا إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى.[3]

٨٢٠٧ ــ حدثنا الحسن بن أبى يحيى المقدسى قال، حدثنا وهب بن جرير قال، حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق قال: سألنا

---

(١) قوله: «لافوق ما أعطيتنا»، أى لاشىء فوق ذلك. و«الجنة» قال أبوذر الخشنى: «يروى هنا بالخفض والرفع، بخفض الجنة، على البدل من «ما» فى قوله: ما أعطيتنا - ورفعها على خبر مبتدأ مضمر، تقديرها هو الجنة». وجائز أن تكون على النصب أيضاً، على تقدير «أعطيتنا الجنة».

(٢) فى المطبوعة: إلا أنا نختار أن ترد أرواحنا . . .»، وفى المخطوطة: «إلا أنا نختار ترد أرواحنا»، وهو تصحيف ما فى سيرة ابن هشام «نحب أن ترد»، فأثبت ما فى السيرة، وفى رواية مسلم «إلا أنا نريد أن ترد»، وهما سواء.

(٣) الحديث: ٨٢٠٦ - أبو الضحى: هو مسلم بن صبيح - بالتصغير - الهمدانى. مضى الكلام عليه مراراً، آخرها: ٧٢١٧.

والحديث سيأتى عقب هذا، من رواية الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق.

ويأتى بعده: ٨٢٠٨، من رواية سليمان - وهو الأعمش - عن عبد الله بن مرة، عن مسروق. فللأعمش فيه شيخان. سمعه منهما عن مسروق.

وسيأتى تخريجه فى الأخير.

عبد الله عن هذه الآية = ثم ذكر نحوه وزاد فيه : إنى قد قضيت أن لا ترجعوا .(١)

٨٢٠٨ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن عبدالله بن مرة ، عن مسروق قال : سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء ، ولولا عبدالله ما أخبرنا به أحدٌ ! قال : أرواح الشهداء عند الله فى أجواف طير خضر فى قناديل تحت العرش ، تسرحُ فى الجنة حيث شاءت ، ثم ترجع إلى قناديلها ، فيطّلع إليها ربُّها فيقول : ماذا تريدون ؟ فيقولون : نريد أن نرجع إلى الدنيا فنقتل مرة أخرى .(٢)

٨٢٠٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان وعبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحق ، عن الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن

---

(١) الحديث : ٨٢٠٧ — الحسن بن أبى يحيى المقدسى ، شيخ الطبرى : لم أصل إلى الآن إلى معرفته . وقد مضى كذلك من قبل فى : ٧٢١٦ .

ووقع اسمه فى المطبوعة هنا : « الحسن بن يحيى العبدى » . والتصويب من المخطوطة . ومن السهل جداً على الناسخ أو الطابع سقوط كلمة « أبى » ، وتحريف كلمة « المقدسى » إلى « العبدى » إذا كانت غير واضحة الرسم .

وهذا الحديث تكرار للذى قبله من هذا الوجه ، كما قلنا .

(٢) الحديث : ٨٢٠٨ — سليمان : هو ابن مهران الأعمش .

والحديث مكرر ما قبله باختصار ، من وجه آخر ، من رواية الأعمش عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق .

وعبد الله بن مرة الهمدانى الخارفى : تابعى ثقة ، أخرج له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٠٣ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٦٥ .

والحديث رواه مسلم ٢ : ٩٨ ، بأسانيد ، من طريق الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، به نحوه — أطول مما هنا .

وكذلك رواه الترمذى ٤ : ٨٤ — ٨٥ ، من رواية الأعمش ، عن عبد الله بن مرة .

ونقله ابن كثير ٢ : ٢٨٩ ، عن صحيح مسلم .

وذكره السيوطى ٢ : ٩٦ ، وزاد نسبته لعبد الرزاق فى المصنف ، والفريابى ، وسعيد بن منصور ، وهناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، والبيهقى فى الدلائل .

ولم يروه أحمد فى المسند ، فيما تحقق لدى ، إلا أن يكون أثناء مسند صحابى آخر فيما بعد المسانيد التى حققتها . فالله أعلم .

وسيأتى مرة رابعة : ٨٢١٨ ، من رواية عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله — وهو ابن مسعود ويأتى مرة خامسة : ٨٢١٩ ، من رواية أبى عبيد بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه .

ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق = على نهر بباب الجنة = فى قبة خضراء = وقال عبدة : فى روضة خضراء = يخرج عليهم رزقهم من الجنة بُكرة وعشيًّا .(١)

٨٢١٠ – حدثنا أبو كريب ، وأنبأنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله = إلا أنه قال : فى قبة خضراء = وقال : يخرج عليهم فيها .

٨٢١١ – حدثنا ابن وكيع ، وأنبأنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله .

٨٢١٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال محمد بن إسحق ، وحدثنى الحارث بن الفضيل الأنصارى ، عن محمود بن لبيد الأنصارى ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق = نهر بباب الجنة = فى قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًّا . ١١٤/٤

٨٢١٣ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى أيضاً = يعنى إسمعيل بن عياش = عن ابن إسحق ، عن الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه .(٢)

٨٢١٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال محمد بن إسحق ، وحدثنى بعض أصحابى عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب قال : سمعت جابر بن عبد الله يقوا : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبشرك يا جابر ؟

---

(١) الحديث : ٨٢٠٩ – سبق هذا الحديث ، بهذا ا سناد : ٢٣٢٣ . وفصلنا القول فيه هناك . وسيأتى عقبه – هنا – بأربعة أسانيد .

(٢) الأحاديث : ٨٢١٠ – ٨٢١٣ ، هى أربعة أسانيد ، تكراراً للحديث قبلها .

قال قلت : بلى ، يا رسول الله ! قال : إن أباك حيث أصيب بأحد ، أحياه الله ثم قال له : ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : يا رب ، أحب أن تردّنى إلى الدنيا ، فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى .[1]

٨٢١٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : ياليتنا نعلم ما فعل

---

(١) الحديث : ٨٢١٤ — هكذا روى ابن إسحق هذا الحديث مجهلا شيخه الذى حدثه ، فأضعف الإسناد بذلك .

وهو فى سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٧ .

وقد ورد معناه عن جابر ، بإسناد آخر صحيح :

فروى أحمد فى المسند : ١٤٩٣٨ (ج ٣ ص ٣٦١ حلبي) ، عن على بن المدينى ، عن سفيان — وهو ابن عيينة — عن محمد بن على بن رُبَيّعة — بالتصغير — السُّلَمى ، عن عبد الله بن محمد بن عُقيل ، عن جابر ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ، أمَا علمتَ أن الله عز وجل أحيا أباك ، فقال له : تَمَنَّ علىَّ . فقال : أُرَدُّ إِلى الدنيا ، فأُقتَل مرة أخرى . فقال : إنى قَضَيْتُ الحكمَ ، أنهم إليها لا يُرْجَعون » .

وهذا إسناد صحيح .

محمد بن على بن ربيعة السلمى : ثقة ، وثقه ابن معين ، وغيره . وترجمه ابن أبى حاتم ٤ /١/ ٢٦ — ٢٧ . وترجمه البخارى فى الكبير ١ /١/ ١٨٣ — ١٨٤ باسم « محمد بن على السلمى » . وكذلك ابن سعد فى الطبقات ٦ : ٢٥٧ — فلم يذكروا فيه جرحاً .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٢٨٩ من رواية المسند . ثم قال : « تفرد به أحمد من هذا الوجه » . يشير بهذا إلى أن الترمذى روى معناه مطولا ٤ : ٨٤ ، من وجه آخر ، وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » . ثم قال : « وقد روى عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر — شيئاً من هذا » . وهو إشارة إلى حديث المسند .

وقد ذكر السيوطى الرواية المطولة ٢ : ٩٥ ، ونسبها أيضاً لابن ماجة ، وابن أبى عاصم فى السنة ، وابن خزيمة والطبرانى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل .

وانظر المستدرك ٣ : ٢٠٣ — ٢٠٤

ووالد جابر : هو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى ، الخزرجى ، السلمى ، صحابى جليل مشهور ، من أهل العقبة ، وممن شهد بدراً ، وكان من النقباء . استشهد يوم أحد ، رضى الله عنه .

إخواننا الذين قتلوا يوم أحد ! فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك القرآن : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » = كنا نحدَّث أن أرواح الشهداء تَعارَفُ فى طير بيض تأكل من ثمار الجنة ، وأنّ مساكنهم السِّدرة .[1]

٨٢١٦ – حدثت عن عمار ، وأنبأنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه = إلا أنه قال : تعارف فى طير خضر وبيض = وزاد فيه أيضاً : وذكر لنا عن بعضهم فى قوله : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء » ، قال : هم قتلى بدر وأحد .

٨٢١٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن مخرمة قال : قالوا : يا رب ، ألا رسول لنا يخبر النبىّ صلى الله عليه وسلم عنا بما أعطيتنا ؟ فقال الله تبارك وتعالى : أنا رسولكم . فأمر جبريل عليه السلام أن يأتى بهذه الآية : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله » ، الآيتين .

٨٢١٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق قال : سألنا عبد الله عن هذه الآيات : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ، قال : أرواح الشهداء عند الله كطير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح فى الجنة حيث شاءت . قال : فاطلع إليهم ربك اطِّلاعة فقال : هل تشتهون من شىء فأزيدكموه ؟ قالوا : ربنا ، ألسنا نسرح فى الجنة فى أيِّها شئنا ! ثم اطَّلع عليهم الثالثة فقال : هل تشتهون من شىء فأزيدكموه ؟ قالوا : تعيد أرواحنا فى أجسادنا فنقاتل فى سبيلك مرة أخرى ! فسكت عنهم .[2]

---

(١) الأثر : ٨٢١٥ – مضى مطولا برقم : ٢٣١٩ .

(٢) الحديث : ٨٢١٨ – هذا هو الإسناد الرابع لحديث عبد الله بن مسعود ، الذى مضى بثلاثة أسانيد : ٨٢٠٦ – ٨٢٠٨ .

٨٢١٩ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله : أنهم قالوا فى الثالثة = حين قال لهم : هل تشتهون من شيء فأزيدكموه ؟ = قالوا : تقرئ نبينا عنا السلام ، وتخبره أن قد رضينا ورُضِىَ عنا .(١)

٨٢٢٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، يرغِّب المؤمنين فى ثواب الجنة ويهوِّن عليهم القتل : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ، أى : قد أحييتهم ، فهم عندى يرزقون فى رَوْح الجنة وفضلها ، مسرورين بما آتاهم الله من ثوابه على جهادهم عنه .(٢)

رواه هنا من طريق عبد الرزاق . وهو فى مصنف عبد الرزاق ٣ : ١١٥ (مخطوط مصور) . بهذا الإسناد وهذا اللفظ .

ولكن ليس فى نسخة المصنف كلمة « خضر » فى وصف الطير .

وقوله : « ثم اطلع عليهم الثالثة » — هكذا ثبت أيضاً فى المصنف ، بحذف الاطلاعة الثانية . فليس ما هنا سقطاً من الناسخين ، بل هو اختصار فى الرواية .

(١) الحديث : ٨٢١٩ — هذا هو الإسناد الخامس لحديث عبد الله بن مسعود . وهو من رواية ابنه أبي عبيدة عنه .

وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : تابعى ثقة . الراجح أن اسمه كنيته . وقيل إن اسمه « عامر » . وبه ترجم فى التهذيب ، وترجمه ابن سعد ٦ : ١٤٩ بالكنية . وكذلك ترجمه البخارى فى الكنى ، رقم : ٤٤٧ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٤٠٣ .

وروايته عن أبيه منقطعة ، مات أبوه وهو صغير . وجزم أبو حاتم وغيره بأنه لم يسمع منه ، انظر المراسيل ، ص : ٩١ — ٩٢ . وروى الترمذى (١ : ٢٦ بشرحنا) ، بإسناد صحيح ، عن عمرو بن مرة ، قال : « سألت أبا عبيدة بن عبد الله : هل تذكر من عبد الله شيئاً ؟ قال : لا » .

والحديث — من هذا الوجه — رواه الترمذى ، عن ابن أبي عمر ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة — بهذا الإسناد . ولم يذكر لفظه ، بل جعله تابعاً لرواية الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، كمثل صنيع الطبرى هنا ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن » .

وقوله : « ورضى عنا » : هو بالبناء لما لم يسم فاعله . أى : ورضى الله عنا . كما هو ظاهر من السياق ، وكما نص عليه شارح الترمذى .

(٢) الأثر : ٨٢٢٠ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٦ ، وهو تمام الآثار التى آخرها : ٨٢٠٤ .

٨٢٢١ — حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك قال : كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوماً كيوم بدر ، يبلون فيه خيراً ، ويرزقون فيه الشهادة ، يرزقون فيه الجنة والحياة في الرزق ، فلقوا المشركين يوم أحد ، فاتخذ الله منهم شهداء ، وهم الذين ذكرهم الله فقال : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً » الآية .

٨٢٢٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ذكر الشهداء فقال : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم » إلى قوله: « ولا هم يحزنون »، زَعم أن أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر ، [١] فى قناديل من ذهب معلقة بالعرش ، فهى ترعى بُكرة وعشية فى الجنة ، تبيت فى القناديل ، فإذا سرحن نادى مناد : ماذا تريدون؟ ماذا تشتهون ؟ فيقولون : ربنا ، نحن فيما اشتهت أنفسنا ! فيسألهم ربهم أيضاً : ماذا تشتهون ؟ وماذا تريدون ؟ فيقولون : نحن فيما اشتهت أنفسنا ! فيسألون الثالثة ، فيقولون ما قالوا : ولكنا نحب أن تردّ أرواحنا فى أجسادنا ! لما رأوا من فضل الثواب. [٢]

١١٥/٤

٨٢٢٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا عباد قال ، حدثنا إبراهيم بن معمر ، عن الحسن قال : ما زال ابن آدم يتحمَّد، [٣] حتى صار حيًّا ما يموت . ثم تلا هذه الآية : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

٨٢٢٤ — حدثنا محمد بن مرزوق قال، حدثنا عمر بن يونس، عن عكرمة قال،

---

(١) قوله : « زعم » ، لا يراد به القول الباطل ، بل يراد به القول الحق، والزعم : هو القول ، يكون تاره حقاً ، وتارة باطلا ، وفى شعر أمية بن أبى الصلت :

وَإِنّى أَذِينٌ لَكُمْ أَنَّهُ سَيُنْجِزُكُمْ رَبُّكُمْ ما زَعَمْ

أى : ما قال وما وعد .

(٢) فى المطبوعة : « لما يرون من فضل للثواب » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) « تحمد الرجل يتحمد » ، إذا طلب بفعله الحمد ، و « فلان يتحمد إلى الناس بفعله » ، أى يلتمس بذلك حمدهم .

حدثنا إسحق بن أبى طلحة قال، حدثنى أنس بن مالك فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبى الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل بئر معونة ، قال : لا أدرى أربعين أو سبعين. قال : وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفرى ، فخرج أولئك النفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غاراً مشرفاً على الماء قعدوا فيه ، ثم قال بعضهم لبعض: أيكم يبلّغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء ؟ فقال ــ أُراه ابن ملحان الأنصارى ــ : أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فخرج حتى أتى حياً منهم ، فاحتبى أمام البيوت ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إنى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، فآمنوا بالله ورسوله . فخرج إليه رجل من كِسر البيت برمح فضرب به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر ، [1] فقال: الله أكبر ، فزتُ ورب الكعبة ! فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه ، فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل [2] = قال قال إسحق : حدثنى أنس بن مالك : إنّ الله تعالى أنزل فيهم قرآناً ، رُفع بعد ما قرأناه زماناً . [3] وأنزل الله : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » . [4]

---

(١) البيت : يعنى الخيمة . وكسر البيت (بكسر الكاف وسكون السين) : أسفل شقة البيت التى تلى الأرض من حيث يكسر جانباه من عن يمين ويسار .

(٢) فى المخطوطة : « فقتلوهم أجمعين » ، والصواب من التاريخ وسائر المراجع .

(٣) نص ما فى التاريخ :

« أنزل فيهم قرآناً : ﴿ بلِّغوا عنَّا قومَنا أنَّا قدْ لقِينا ربَّنا فرَضِيَ عنا ورَضِينا عَنْهُ ﴾ ، ثم نُسِخَتْ فرفعت بعد ما قرأناهُ زماناً » .

(٤) الحديث : ٨٢٢٤ – محمد بن مرزوق – شيخ الطبرى – هو محمد بن محمد بن مرزوق ، نسب إلى جده . وقد مضت له عنه رواية ، برقم : ٢٨ . مترجم فى التهذيب . وله ترجمة جيدة فى تاريخ بغداد ٣ : ١٩٩ – ٢٠٠ ، وترجمه ابن أبى حاتم ٤/١/٨٩ – ٩٠ باسم « محمد بن مرزوق » .

عمر بن يونس اليمامى : مضى فى : ٤٤٣٥ . ووقع فى الأصول هنا باسم « عمرو بن يونس » ، وكذلك فى تاريخ الطبرى فى هذا الحديث ، وكذلك فى تفسير ابن كثير ، فى نقله الحديث عن هذا الموضع . ولعل الخطأ فى هذا يكون من الطبرى نفسه ، إذ يبعد أن يخطىء الناسخون فى هذه المصادر الثلاثة خطأ واحداً .

٨٢٢٥ - حدثنا يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ،

وليس فى الرواة - فيما أعلم - من يسمى « عمرو بن يونس » .

ووقع فى الإسناد هنا - فى التفسير - خطأ آخر . فى المخطوطة والمطبوعة ، إذ سقط من الإسناد [عن عكرمة] بين عمر بن يونس وإسحق بن أبى طلحة . وهو ثابت فى التاريخ وتفسير ابن كثير .

وعكرمة هذا : هو عكرمة بن عمار اليمامى ، مضت ترجمته فى : ٢١٨٥ . وعمر بن يونس معروف بالرواية عنه . ولم يدرك أن يروى عن « عكرمة مولى ابن عباس » .

إسحق بن أبى طلحة : هو إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة الأنصارى البخارى . نسب إلى جده . وهو تابعى ثقة حجة ، أخرج له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ١/١/٣٩٣ - ٣٩٤ ، وابن أبى حاتم ١/١/٢٢٦ .

وأبوه « أبو طلحة » : هو « زيد بن سهل » ، وهو أخو أنس بن مالك لأمه .

وهذا الحديث رواه الطبرى أيضاً فى التاريخ ٣ : ٣٦ ، بهذا الإسناد .

ونقله ابن كثير فى التفسير ٢ : ٢٨٨ ، عن هذا الموضع من التفسير .

وأشار إليه الحافظ فى الفتح ٧ : ٢٩٨ ، حيث قال : « فى رواية الطبرى من طريق عكرمة بن عمار ، عن إسحق بن أبى طلحة . . . » ولكن وقع فيه « عكرمة عن عمار » - وهو خطأ مطبعى واضح .

ووقع فى أصلى الطبرى هنا - المخطوط والمطبوع - : « فقال أراه أبو ملحان » . وكذلك فى نقل ابن كثير عن هذا الموضع . وهو خطأ قديم من الناسخين ، صوابه : « ابن ملحان » . وثبت على الصواب فى التاريخ ، ومنه صححناه .

وهو « حرام بن ملحان الأنصارى » ، وهو خال أنس بن مالك ، أخو أمه « أم سليم بنت ملحان » . ولا نعلم أن كنيته « أبو ملحان » - حتى نظن أنه ذكر هنا بكنيته . وهو مترجم فى ابن سعد ٣/٢/٧١ - ٧٢ ، والإصابة .

وهذا الحديث - فى قصة بئر معونة - ثابت عن أنس بن مالك من أوجه ، مختصراً ومطولا .

وقد رواه أحمد فى المسند : ١٣٢٢٨ ، عن عبد الصمد ، و : ١٤١١٩ ، عن عفان - كلاهما عن همام ، عن إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس (المسند ج ٣ ص ٢١٠ ، ٢٨٨ - ٢٨٩ حلبى) .

ورواه أيضاً : ١٢٤٢٩ (٣ : ١٣٧ حلبى) ، من رواية ثابت ، عن أنس .

ورواه البخارى ٧ : ٢٩٧ - ٢٩٩ ، عن موسى بن إسمعيل ، عن همام ، عن إسحق بن عبد الله ابن أبى طلحة »

ورواه قبله وبعده من أوجه أخر .

ورواه ابن سعد فى الطبقات ٣/٢/٧١ - ٧٢ ، عن عفان ، كرواية المسند : ١٤١١٩ .

وقد مضى بعض معناه مختصراً ، فى تفسير الطبرى : ١٧٦٩ ، من رواية قتادة ، عن أنس .

وتفصيل القصة فى تاريخ ابن كثير ٤ : ٧١ - ٧٤

وانظر أيضاً جوامع السيرة لابن حزم ، ص : ١٧٨ - ١٨٠ ، وما أشير إليه من المراجع فى التعليق عليه هناك .

وروى أحمد فى المسند ، بعض هذا المعنى ، من حديث ابن مسعود : ٣٩٥٢ .

عن الضحاك قال : لما أصيب الذين أصيبوا يوم أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، لقوا ربّهم فأكرمهم ، فأصابوا الحياة والشهادة والرزق الطيب ، قالوا : يا ليت بيننا وبين إخواننا من يبلغهم أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا ! فقال الله تبارك وتعالى : أنا رسولكم إلى نبيكم وإخوانكم . فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » إلى قوله : « ولا هم يحزنون » . فهذا النبأ الذى بلّغ الله رسوله والمؤمنين ما قال الشهداء .

* * *

وفى نصب قوله : « فرحين » وجهان .

أحدهما : أن يكون منصوباً على الخروج من قوله : « عند ربهم » .[1] =

والآخر من قوله : « يرزقون » . ولو كان رفعاً بالردّ على قوله : « بل أحياء فرحون » ، كان جائزاً .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١٧٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : يفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء فى الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله ، لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم صارُوا من كرامة الله إلى مثل الذى صاروا هم إليه ، فهم لذلك مستبشرون بهم ، فرحون أنهم إذا صاروا كذلك =

(١) « الخروج » ، نصبها على الحروج ، يعنى على خروجها منه على الحال . انظر ما سلف ٥ : ٢٥٣ / ثم ٦ : ٢٥:٧/٥٨٦ ، تعليق : ٣ . ثم انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٧ .

= « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، يعنى بذلك : [١] لا خوف عليهم ، لأنهم قد أمنوا عقاب الله ، وأيقنوا برضاه عنهم ، فقد أمنوا الخوف الذى كانوا يخافونه من ذلك فى الدنيا ، ولاهم يحزنون على ما خلّفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها ، للخفض الذى صارُوا إليه والدعة والزُّلْفة . [٢]

* * *

ونصب « أن لا » بمعنى : يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم ولاهم يحزنون. [٣]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٢٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » الآية ، يقول : لإخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وأمرهم ، لما قدموا عليه من الكرامة والفضل والنعيم الذى أعطاهم . ١١٦/٤

٨٢٢٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » الآية ، قال ، يقولون : إخواننا يقتلون كما قتلنا ، يلحقونا فيصيبون من كرامة الله تعالى ما أصبنا .

٨٢٢٨ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ذكر لنا عن بعضهم فى قوله : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ، قال : هم قتلى بدر وأحد ، زعموا أن الله تبارك وتعالى لما قبض أرواحهم وأدخلهم الجنة ، [٤] جُعلت أرواحهم فى طير خضر ترعى فى

---

(١) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ١ : ٥٥١/٢ : ١٥٠ ، ٥١٢ ، ٥١٣ / ٥ : ٥١٩

(٢) « الخفض » : لين العيش وسعته وخصبه ، يقال : « عيش خفض ، وخافض ، وخفيض ، ومخفوض » : خصيب فى دعة ولين . و « الزلفة » : القربة والدرجة والمنزلة ، عند الله رب العالمين .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٧ .

(٤) انظر تفسير « زعم » فيما سلف قريباً ص ٣٩٢ تعليق : ١ .

الجنة ، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش. فلما رأوا ما أعطاهم الله من الكرامة قالوا: ليت إخواننا الذين بعدنا يعلمون ما نحن فيه! فإذا شهدوا قتالا تعجّلوا إلى ما نحن فيه ! فقال الله تعالى : إنىّ منزل على نبيكم ومخبر إخوانكم بالذى أنتم فيه . ففرحوا به واستبشروا ، وقالوا: يخبر الله نبيكم وإخوانكم بالذى أنتم فيه ، فإذا شهدوا قتالا أتوكم ! قال: فذلك قوله: « فرحين بما آتاهم الله من فضله » إلى قوله: « أجر المؤمنين » .

٨٢٢٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم »، أى: ويسرون بلحوق من لحق بهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم، وأذهب الله عنهم الخوف والحزن .(١)

٨٢٣٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله: « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم »، قال: هم إخوانهم من الشهداء ممّن يُستشهد من بعدهم = « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » حتى بلغ : « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

٨٢٣١ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » ، فإن الشهيد يؤتى بكتاب فيه من يقدم عليه من إخوانه وأهله ، فيقال : « يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا » ، فيستبشر حين يقدم عليه ، كما يستبشر أهل الغائب بقدومه فى الدنيا .

* * *

(١) الأثر : ٨٢٢٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٢٠ . ونص ابن هشام : « قد أذهب الله . . » ، وهو أجود .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « يستبشرون » ، يفرحون = « بنعمة من الله » ، يعنى : بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه = « وفضل » يقول : وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب على ما سلف منهم من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجهاد أعدائه = « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » ، كما : —

٨٢٣٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « يستبشرون بنعمة من الله وفضل » الآية ، لما عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب .[1]

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

فقرأ ذلك بعضهم بفتح « الألف » من « أنّ » بمعنى : يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وبأنّ الله لا يضيع أجر المؤمنين .

* * *

= وبكسر « الألف » ، على الاستئناف . واحتجّ من قرأ ذلك كذلك بأنها فى قراءة عبد الله : ﴿ وَفَضْلٍ وَٱللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . قالوا : فذلك دليل على أن قوله : « وإن الله » ، مستأنف غير متصل بالأول .[2]

* * *

ومعنى قوله : « لا يضيع أجر المؤمنين » ، لا يبطل جزاء أعمال من صدّق رسله واتبعه ، وعمل بما جاءه من عند الله .

* * *

(١) الأثر : ٨٢٣٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٢٩ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٧ .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين الصواب ، قراءة من قرأ ذلك : « وأن الله » بفتح « الألف » ، لإجماع الحجة من القرأة على ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » ، المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم .(١)

* * *

وإنما عنى الله تعالى ذكره بذلك : الذين تبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حَمْراء الأسد فى طلب العدوّ — أبى سفيان ومن كان معه من مشركى قريش — مُنصَرَفهم عن أحد . وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثره حتى بلغ حمراء الأسد ، وهى على ثمانية أميال من المدينة ، ليرى الناس أنّ به وأصحابه قوةً على عدوهم ، كالذى : —

١١٧/٤

٨٢٣٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى حسين بن عبد الله ،(٢) عن عكرمة قال : كان يوم أحد [يوم] السبت للنصف من شوال ،(٣) فلما كان الغد من يوم أحد ، يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب

(١) انظر تفسير « القرح » فيما سلف ٧ : ٢٣٧ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « حسان بن عبد الله » ، وهو خطأ ، والصواب من تاريخ الطبرى . وهو « حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب » . روى عن عكرمة ، وروى عنه هشام ابن عروة ، وابن جريج ، وابن المبارك ، وابن إسحق . وهو ضعيف الحديث . مترجم فى التهذيب .

(٣) ما بين القوسين زيادة من سيرة ابن هشام ومن تاريخ الطبرى .

العدو ، وأذّن مؤذنه أن : « لا يخرجنّ معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس » . فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول الله ، إنّ أبى كان خلّفنى على أخوات لى سبع ، وقال لى : « يا بنى ، إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولستُ بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ! فتخلّف على أخواتك » ، فتخلفت عليهن . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه . وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدوّ ، ليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ، ليظنوا به قوة ، وأنّ الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .(١)

٨٢٣٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الأشهل ، كان شهد أحداً قال : شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً ، أنا وأخ لى ، فرجعنا جريحين : فلما أذّن [مؤذّن] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدوّ ،(٢) قلت لأخى — أو قال لى — : أتفوتنا غزوةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ! فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جرحاً منه ، فكنتُ إذا غُلب حملته عُقبة ومشى عُقبة ،(٣) حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً ، الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .(٤)

---

(١) الأثر : ٨٢٣٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٠٦ ، ١٠٧ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٢٨ .

(٢) ما بين القوسين زيادة من سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى .

(٣) « العقبة » : قدر ما يسره الماشى ما استطاع المشى ، يريد : حملته شوطاً ، وسار شوطاً .

(٤) الأثر : ٨٢٣٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٠٧ ، ١٠٨ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٢٨ .

٨٢٣٥ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فقال الله تبارك وتعالى : « الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرحُ » ، أى : الجراح ، وهم الذين سارُوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغدَ من يوم أحد إلى حمراء الأسد، على ما بهم من ألم الجراح = « للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ».(١)

٨٢٣٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » الآية ، وذلك يوم أحد، بعد القتل والجراح ، وبعد ما انصرف المشركون - أبو سفيان وأصحابه - فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: ألا عِصابة تنتدبُ لأمر الله،(٢) تطلب عدوّها ؟ فإنه أنكى للعدو ، وأبعد للسَّمع ! فانطلق عصابة منهم على ما يعلم الله تعالى من الجَهد .

٨٢٣٧ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : انطلق أبو سفيان منصرفاً من أحد ، حتى بلغ بعض الطريق ، ثم إنهم ندموا وقالوا : بئسما صنعتم !(٣) إنكم قتلتموهم، حتى إذا لم يبق إلاّ الشريد تركتموهم ! ارجعوا واستأصلوهم . فقذف الله فى قلوبهم الرعب ، فهزموا، فأخبر الله رسوله، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد، ثم رجعوا من حمراء الأسد، فأنزل الله جل ثناؤه فيهم : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ».(٤)

٨٢٣٨ - حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ،

---

(١) الأثر : ٨٢٣٥ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ .

(٢) فى المطبوعة : « ألا عصابة تشد لأمر الله » ، ولا معنى له ، وفى المخطوطة : ألا عصابة تشدد لأمر الله » ، وهو بلا ريب تصحيف ما أثبت . « ندب القوم إلى الأمر فانتدبوا » : دعاهم إليه وحثهم ، فأسرعوا إليه واستجابوا . وفضلا عن ذلك ، فهذا هو اللفظ الذى كثر وروده فى أخبار حمراء الأسد .

(٣) فى المخطوطة : « بئس ما صنعنا صنعتم » ، وهو سهو ، والصواب ما فى المطبوعة . وانظر ما سلف رقم : ٨٠٠٣ .

(٤) الأثر : ٨٢٣٧ - مضى برقم : ٨٠٠٣ ، وانظر التعليق هناك .

حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إن الله جل وعز قذف فى قلب أبى سفيان الرعب — يعنى يوم أحد — بعد ما كان منه ما كان ، فرجع إلى مكة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرَفاً ، وقد رجع وقذف الله فى قلبه الرعب »! وكانت وقعة أحد فى شوال ، وكان التجار يقدَمون المدينة فى ذى القعدة ، فينزلون ببدر الصغرى فى كل سنة مرة ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المؤمنين القرح ، واشتكوا ذلك إلى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد عليهم الذى أصابهم . وإنّ رسول الله ندب الناس لينطلقوا معه ، ويتَّبعوا ما كانوا متَّبعين ، وقال : إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج ، ولا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل ، فجاء الشيطانَ فخوَّف أولياءه ، فقال : « إن الناس قد جمعوا لكم »! فأبى عليه الناس أن يتبعوه ، فقال : « إنى ذاهبٌ وإن لم يتبعنى أحد » ، لأحضِّضَ الناس . (١) فانتدب معه أبو بكر الصديق ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، والزبير ، وسعد ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وحذيفة ابن اليمان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، فى سبعين رجلا ، فساروا فى طاب أبى سفيان ، فطلبوه حتى بلغوا الصفراء ، فأنزل الله تعالى : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم » . ١١٨/٤

٨٢٣٩ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هاشم بن القاسم قال ، حدثنا أبو سعيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت لعبد الله ابن الزبير : يا ابن أختى ، أما والله إن أباك وجدك — تعنى أبا بكر والزبير — لممن قال الله تعالى فيهم : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ». (٢)

---

(١) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة « وتفسير ابن كثير ٢ : ٢٩٨ . أما الدر المنثور ٢ : ١٠١ ، فقد أسقط « لأحضض الناس » ، وأنا أرجح أن صوابها هو : « ليحضض الناس » ، ولا أشك أن هذه الكلمة ليس من لفظه صلى الله عليه وسلم .

(٢) الحديث : ٨٢٣٩ — هاشم بن القاسم : هو أبو النضر الإمام الحافظ ، شيخ الإمام أحمد ،

٨٢٤٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن عن ابن جريج قال : أخبرتُ أن أبا سفيان بن حرب لما راح هو وأصحابه يوم أحد ، قال المسلمون للنبى صلى الله عليه وسلم : إنهم عامدون إلى المدينة ! فقال : إن ركبوا الخيل وتركوا الأثقال ، فإنهم عامدون إلى المدينة ، وإن جلسوا على الأثقال وتركوا الخيل ، فقد رَعَبهم الله ، (١) وليسوا بعامديها . فركبوا الأثقال ، فرعبهم الله . ثم ندب ناساً يتبعونهم ليروا أن بهم قوة ، فاتبعوهم ليلتين أو ثلاثاً ، فنزلت : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » .

٨٢٤١ — حدثنى سعيد بن الربيع قال ، حدثنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قالت لى عائشة : إنْ كان أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح — تعنى أبا بكر والزبير . (٢)

وإسحق ، وابن المدينى . وهو ثقة ثبت حجة . كان أهل بغداد يفخرون به .

أبو سعيد : هو المؤدب ، واسمه « محمد بن مسلم بن أبى الوضاح القضاعى » . وهو ثقة مأمون .

والحديث رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٩٨ ، من طريق العباس بن محمد الدورى ، عن هاشم بن القاسم ، بهذا الإسناد . ووقع فى مطبوعة المستدرك « هشام بن القاسم » ، وهو خطأ مطبعى لا شك فيه .

وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

والحديث فى الصحيحين ، كما سيأتى فى الرواية الآتية : ٨٢٤١ . ولعلهما اعتبراه من المستدرك لقوله فى هذه الرواية « أنها قالت لعبد الله بن الزبير » . والذى فى الرواية الآتية أنها قالت لعروة بن الزبير . وهما أخوان ، والكلام لهما واحد .

ومع ذلك فإن الحاكم رواه مرة أخرى ، كرواية مسلم ، كما سيأتى .

(١) فى المطبوعة : « قد أرعبهم الله » ، وفى المخطوطة « فقد رعبهم » كما أثبته وهو الصواب . يقال « رعبه يرعبه » (على وزن فتح) ، و « رعبه » (مشدد العين) ، وقد نص أهل اللغة أنه لا يقال : « أرعبه » . وستأتى على الصواب فى السطر التالى .

(٢) الحديث : ٨٢٤١ — سعيد بن الربيع الرازى — شيخ الطبرى : مضت له رواية عنه فى : ٣٧٩١ ، ولم نجد له ترجمة .

والحديث تكرار للحديث السابق : ٨٢٣٩ . ولكن فى هذا أن خطاب عائشة لعروة بن الزبير ، وهناك خطابها لأخيه عبد الله ، وهما ابنا أختها أسماء بنت أبى بكر .

ورواه مسلم ٢ : ٢٤١ ، بأسانيد ، من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، ومن رواية إسمعيل بن أبى خالد ، عن البهى — وهو : عبد الله البهى مولى مصعب بن الزبير — عن عروة ، به ، نحوه .

٨٢٤٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : كان عبد الله من الذين استجابوا لله والرسول .

* * *

قال أبو جعفر : فوعد تعالى ذكره ، مُحسنَ من ذكرنا أمره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، إذا اتقى الله فخافه ، فأدّى فرائضه وأطاعه فى أمره ونهيه فيما يستقبل من عمره = « أجراً عظيما » ، وذلك الثواب الجزيل ، والجزاء العظيم على ما قدم من صالح أعماله فى الدنيا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » ، « الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم » .

* * *

ورواه البخارى ٧ : ٢٨٧ ، مطولا ، من طريق أبى معاوية ، عن هشام بن عروة .

ومع ذلك فإن الحاكم رواه مرة أخرى ٣ : ٣٦٣ ، من طريق إسمعيل بن أبى خالد ، عن البهى ، عن عروة — كرواية مسلم . ثم قال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ! وسقطت هذه الرواية من تلخيص الذهبى ، مخطوطاً ومطبوعاً .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٩٧ — ٢٩٨ رواية البخارى ، ثم أشار إلى رواية الحاكم الأولى ، وتعقبه فى دعواه أن الشيخين لم يخرجاه ، بقوله : « كذا قال » . ثم أشار إلى أنه رواه ابن ماجة ، وسعيد بن منصور ، وأبو بكر الحميدى فى مسنده . ثم أشار إلى رواية الحاكم الثانية .

وذكره السيوطى ٢ : ١٠٢ ، مطولا . وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وأحمد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الدلائل .

و« الذين » فى موضع خفض مردود على « المؤمنين »، وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول .

* * *

و« الناس » الأوّل ، هم قوم — فيما ذكرنا — كان أبو سفيان سألهم أن يثبِّطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين خرجوا فى طلبه بعد منصرفه عن أحد إلى حمراء الأسد .

و« الناس » الثانى ، هم أبو سفيان وأصحابه من قريش ، الذين كانوا معه بأحد .

* * *

ويعنى بقوله : « قد جمعوا لكم » ، قد جمعوا الرجال للقائكم والكرّة إليكم لحربكم = « فاخشوهم » ، يقول : فاحذروهم ، واتقوا لقاءهم ، فإنه لا طاقة لكم بهم = « فزادهم إيماناً » ، يقول : فزادهم ذلك من تخويف من خوّفهم أمرَ أبى سفيان وأصحابه من المشركين ، يقيناً إلى يقينهم ، وتصديقاً لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم ، ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير فيه ، ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه ، وقالوا = ثقة بالله وتوكلا عليه ، إذ خوّفهم من خوّفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين = : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ، يعنى بقوله : « حسبنا الله » ، كفانا الله ، يعنى : يكفينا الله =[1] « ونعم الوكيل » ، يقول : ونعم المولى لمن وليَه وكفَله .

* * *

وإنما وصف تعالى نفسه بذلك ، لأن « الوكيل » ، فى كلام العرب ، هو المسنَد إليه القيام بأمر من أسنِد إليه القيام بأمره . فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به فى هذه الآيات ، قد كانوا فوّضوا أمرهم إلى الله ووثِقوا به ، وأسندوا ذلك إليه ، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك ، وتفويضِهم أمرهم إليه بالوكالة فقال : ونعم الوكيل الله تعالى لهم .

١١٩/٤

* * *

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ٤ : ٢٤٤ .

واختلف أهل التأويل فى الوقت الذى قال من قال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الناس قد جمعوا لكم » .

فقال بعضهم : قيل ذلك لهم فى وجههم الذين خرجوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد إلى حمراء الأسد، فى طلب أبى سفيان ومن معه من المشركين .

* ذكر من قال ذلك ، وذكر السبب الذى من أجله قيل ذلك ، ومن قائله :

٨٢٤٣ — حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : مرَّ به — يعنى برسول الله صلى الله عليه وسلم — معبدٌ الخزاعىّ بحمراء الأسد . = وكانت خزاعة ، مسلمُهم ومشركهم ، عَيْبةَ نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ،[1] صفقتهم معه ،[2] لا يخفون عليه شيئاً كان بها = ومعبد يومئذ مشرك = فقال : والله يا محمد ، أما والله لقد عزَّ علينا ما أصابك فى أصحابك ، ولوددنا أن الله كان أعفاك فيهم ![3] ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ،[4] حتى لقى أبا سفيان ابن حرب ومن معه بالرَّوحاء ، قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا ! حَدَّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟![5] لنكرَّن على بقيَّتهم ، فلنفرغنَّ منهم » . فلما رأى أبو سفيان معبداً

---

(١) العيبة : وعاء من أدم يكون فيه المتاع . ثم أخذوا منه على المثل قولهم : « عيبة الرجل » ، أى موضع سره ، وفى الحديث : « الأنصار كرشى وعيبتى » أى : خاصتى وموضع سرى . ويقال لأهل الرجل « هم عيبته » ، من ذلك .

(٢) الصفقة : البيعة ، ثم استعملت فى العهد والميثاق ، وفى الحديث : « إن أكبر الكبائر أن تقاتل أهل صفقتك » ، وذلك إذا أعطى الرجل عهده وميثاقه ثم يقاتله ، وأصل ذلك كله من الصفق باليد . لأن المتعاهدين والمتبايعين ، يضع أحدهما يده فى يد الآخر . ومنه حديث ابن عمر : « أعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه » . فالصفقة المرة من التصفيق باليد .

(٣) عافاه الله وأعفاه : وهب له العافية من العلل والبلايا . وفى سيرة ابن هشام « عافاك فيهم » ، وهما سواء . وقوله : « عافاك فيهم » ، أى : صانك مما نزل بأصحابك .

(٤) فى المطبوعة : « من حمراء الأسد » ، والصواب من المخطوطة وسيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبرى .

(٥) فى المطبوعة : « أصبنا فى أحد أصحابه . . . » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة وسيرة

قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد ، قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، يتحرَّقون عليكم تحرُّقاً ،[١] قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه فى يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحَنَق عليكم شىء لم أر مثله قط ![٢] قال : ويلك ! ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل ! قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم ! قال : فإنّى أنهاك عن ذلك ، فوالله لقد حملنى ما رأيتُ على أن قلت فيه أبياتاً من شعر ! قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الأَصْوَاتِ رَاحِلَتِى ... إِذْ سَالَتِ الأَرْضُ بِالجُرْدِ الأَبَابِيلِ[٣]

تَرْدِى بِأُسْدٍ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَةٍ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا خُرْقٍ مَعَازِيلِ[٤]

ابن هشام والتاريخ . وحد كل شيء : طرف شباته ، كحد السكين والسيف والسنان . ومنه يقال : «حد الرجل» وهو بأسه ونفاذه فى نجدته . و « رجل ذو حد » : أى بأس ماض . وقوله : « أصبنا حد أصحابه » ، أى : كسرنا حدهم وثلمناه كما يثلم الشيف ، فصاروا أضعف مما كانوا .

(١) يتحرق : يتلهب من الغيظ كمثل حريق النار .

(٢) فى المطبوعة : « فهم من الحنق عليكم بشىء لم أر مثله قط » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو الصواب الموافق لما فى سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبرى .

(٣) هد البناء : ضعضعه وهدمه . ومنه « هده الأمر » إذا بلغ منه فضعضعه وكسره وأوهنه . يقول : كادت تنهار راحلته من الفزع . و « الجرد » جمع أجرد : وهو القصير الشعر من الخيل ، وهو من علامات عتقها وكرمها . و « الأبابيل » الجماعات المتفرقة ، واحدها « إبيل » (بكسر الهمزة وتشديد الباء المكسورة) ، وقيل غير ذلك ، وقيل : هو جمع لا واحد له . وزعم معبد كثرة خيل المسلمين فى مخرجهم إلى حمراء الأسد ، والذى فى السير أن المسلمين كانوا فى أحد ألفاً ، فيهم مئة دارع . وفرسان : أحدهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر لأبى بردة بن نيار .

(٤) ردت الخيل تردى (على وزن جرى يجرى) : رجمت الأرض بحوافرها فى سيرها أو عدوها . و « التنابل » جمع تنبال وتنبالة (بكسر التاء) ، وهو القصير ، والقصر معيب ، لأن المقاتل القصير لا يطول باعه إذا قاتل بسيف أو رمح . وفى المطبوعة « ولا ميل معازيل » ، كما فى سيرة ابن هشام ، ولكن الذى أثبته هو رواية الطبرى فى التفسير ، وفى التاريخ . و « الخرق » جمع . خرق : وهو الأحمق الذى لا رفق له فى عمل . وأنا أرجح أنه أراد الصفة من قولهم : « خرق الظبى وغيره » : إذا دهش وفزع ، فلصق بالأرض ولم يقدر على النهوض ، والصفة من ذلك « خرق » على وزن « فرح » ، ولكنه جمعه على باب « أفعل » .

وأما « الميل » فهو جمع أميل : وهو الذى يميل على السرج فى جانب ولا يستوى عليه ، لأنه لا يحسن الركوب ولا الفروسية . و « المعازيل » جمع معزال : وهو الذى لا سلاح معه . وأنا أرى أن « الأميل » ،

فَظَلْتُ عَدْوًا، أَظُنُّ الأَرْضَ مَائِلَةً لَمَّا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ (١)

فَقُلْتُ: وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمُ إِذَا تَغَطْمَطَتِ البَطْحَاءُ بِالخَيِلِ (٢)

إِنِّي نَذِيرٌ لأَهْلِ البَسْلِ ضَاحِيَةً لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ (٣)

مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ، لاَ وَخْشٍ قَنَابِلُهُ، وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالقِيلِ (٤)

قال: فثنَى ذلك أبا سفيان ومن معه. ومرَّ به ركب من عبد القيس. فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة. قال: فهل

هو الذى يميل عن عدوه من الخوف و «المعزال»، الذى يعتزل المعركة من الفرق، فلا يكاد يقاتل، ولا ينجد من استغاث به.

(١) قوله: «فظلت عدوا»، أى: فظللت أعدو عدواً. و «سما الرجل لعدوه»: إذ أشرف له وقصد نحوه، عالياً عليه.

(٢) «تغطمطت القدر»: اشتد غليانها، وبان صوتها كصوت اضطراب الأمواج. و «البطحاء»: مسيل الوادى، فيه دقاق الحصى. و «الخيل»، ضبطه السهيلى فى الروض الأنف (٢ : ١٤٤) بفتح الخاء وسكون الباء، وقال: «قوله: بالخيل، جعل الردف حرف لين، والأبيات كلها مردفة الروى بحرف مد ولين. وهذا هو السناد... ونظيره قول ابن كلثوم: «ألا هبى بصحنك فاصبحينا» ثم قال: «تصفقها الرياح إذا جرينا». وهو وجه صحيح مقارب. وأما أبو ذر الخشنى فقد ضبطه «الجيل» بكسر الجيم، وقال: «الجيل: الصنف من الناس». وهذا لا معنى له. وهو فى مطبوعة سيرة ابن هشام «الجيل» بالجيم، وكذلك هو فى تاريخ الطبرى. فلو صح أنها بالجيم، فأنا أرى أنها جماعة الخيل، وذلك أنهم قالوا: «الجول» (بضم الجيم) و «الجول» بفتحها: هى جماعة الخيل أو الإبل، وقالوا أيضاً: «الجول» بضم الجيم و «الجال» و «الجيل» ناحية البئر وجانبها. فكأنه قاس هذا على هذا. أو كأنه جمع جائل من قولهم: «جالت الخيل بفرسانها» إذا طافت وذهبت وجاءت، جمعه كجمع: هائم وهيم، على شذوذه. فأما إذا كانت الرواية «الخيل» بكسر الخاء، فهو جمع خائل أيضاً كالذى سلف، والخائل هو الحافظ للشىء الراعى له، من خال المال يخوله: إذا ساسه وأحسن القيام عليه، فهو خائل وخال. يقال: «من خال هذا الفرس»، أى صاحبها القائم بأمرها.

(٣) قال أبو ذر الخشنى: «البسل: الحرام. وأراد بأهل البسل قريشاً، لأنهم أهل مكة، ومكة حرام». وقوله: «ضاحية» أى علانية من «ضحا» أى برز، والضاحية من كل شىء ما برز منه. فهو إما مصدر على وزن «عافية»، أو اسم فاعل قام مقامه. و «الإربة» البصر بالأمور. و «المعقول» مصدر كالمصادر التى جاءت على وزنه، وهو العقل.

(٤) «الوخش»: رذالة الناس وسقاطهم وصغارهم. و «القنابل» جمع قنبلة (بفتح القاف) وهى الطائفة من الناس والخيل.

أنتم مبلِّغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها، وأحمِّل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا . نعم . قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ! فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه :[1] « حسبنا الله ونعم الوكيل ».[2]

٨٢٤٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فقال الله : « الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ، و« الناس » الذين قالوا لهم ما قالوا = النفر من عبد القيس الذين قال لهم أبو سفيان ما قال =: إنّ أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم ! يقول الله تبارك وتعالى : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » الآية .[3]

٨٢٤٥ — حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما ندموا = يعنى أبا سفيان وأصحابه = على الرجوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : « ارجعوا فاستأصلوهم » ، فقذف الله فى قلوبهم الرعب فهزموا ، فلقوا أعرابيًّا فجعلوا له جُعْلاً ، فقالوا له : إن لقيت محمداً وأصحابه فأخبرهم أنا قد جمعنا لهم ! فأخبر الله جل ثناؤه رسوله صلى الله عليه وسلم ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد. فلقوا الأعرابيّ فى الطريق، فأخبرهم الخبر ، فقالوا : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ! ثم رجعوا من حمراء الأسد . فأنزل الله تعالى فيهم وفى الأعرابى الذى لقيهم : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » . ١٢٠/٤

---

(١) أسقطت المطبوعة : « وأصحابه » ، وهى ثابتة فى التاريخ وفى المخطوطة ، وفعل الناشر ذلك ليوافق ما فى سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٨٢٤٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٠٨ — ١١٠ ، وهو بقية الأثر السالف : ٨٢٣٣ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٢٨ — ٢٩

(٣) الأثر : ٨٢٤٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٣٥ .

٨٢٤٦ـ حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : استقبل أبو سفيان فى منصرفه من أحد عِيراً واردةَ المدينة ببضاعة لهم ،[1] وبينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم حِبال ،[2] فقال : إنّ لكم علىَّ رضاكم إن أنتم رددتم عنى محمداً ومن معه ، إن أنتم وجدتموه فى طلبى ، وأخبرتموه أنى قد جمعت له جموعاً كثيرة . فاستقبلت العيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له :[3] يا محمد إنا نخبرك أنّ أبا سفيان قد جمع لك جموعاً كثيرة ، وأنه مقبل إلى المدينة ، وإن شئت أن ترجع فافعل ! فلم يزده ذلك ومن معه إلاّ يقيناً ، وقالوا :[4] « حسبنا الله ونعم الوكيل » . فأنزل الله تبارك وتعالى : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم » الآية .

٨٢٤٧ـ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصابةٌ من أصحابه بعد ما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد خلفهم ، حتى كانوا بذى الحليفة ، فجعل الأعراب والناسُ يأتون عليهم فيقولون لهم : هذا أبو سفيان مائلٌ عليكم بالناس ! فقالوا : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . فأنزل الله تعالى فيهم : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

* * *

وقال آخرون : بل قال ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قال ذلك له ، فى غزوة بدر الصغرى ، وذلك فى مسير النبى صلى الله عليه وسلم عامَ قابلٍ من وقعة أحد للقاء عدوِّه أبى سفيان وأصحابه ، للموعد الذى كان واعده الالتقاءَ بها .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) « العير » (بكسر العين) : القافلة من الإبل أو الحمير أو البغال ، تحمل عليها الميرة .

(٢) « الحبال » جمع حبل : وهو العهد .

(٣) فى المطبوعة : « قالوا له » ، بحذف الفاء ، والصواب من المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « ولم يزده ذلك » بالواو ، والصواب من المخطوطة .

٨٢٤٨ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: «الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم»، قال: هذا أبو سفيان قال لمحمد: «موعدكم بدرٌ حيث قتلتم أصحابنا»، فقال محمد صلى الله عليه وسلم: «عسى»! فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدراً، فوافقوا السوق فيها وابتاعوا، فذلك قوله تبارك وتعالى: «فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء»، وهي غزوة بدر الصغرى.

٨٢٤٩ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه = وزاد فيه: وهي بدر الصغرى = قال ابن جريج: لما عبَّى النبي صلى الله عليه وسلم لموعد أبي سفيان،(١) فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش، فيقولون: «قد جمعوا لكم»! يكيدونهم بذلك، يريدون أن يُرْعِبُوهم، فيقول المؤمنون: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، حتى قدموا بدراً، فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد.(٢) قال: وقدم رجل من المشركين وأخبر أهل مكة بخيل محمد عليه السلام، وقال في ذلك:(٣)

نَفَرَتْ قَلُوصِي عَنْ خُيولِ مُحَمَّدٍ وَعَجْوَةٍ مَنْثُورَةٍ كَالعُنْجُدِ
وَاتَّخَذَتْ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي

* * *

قال أبو جعفر: هكذا أنشدنا القاسم، وهو خطأ، وإنما هو:

---

(١) في المطبوعة: «لما عمد النبي . . .»، وفي المخطوطة «لما عبد»، ورجحت أن صحة قراءتها ما أثبت. «عبى الجيش تعبئة»: هيأه وأصلح أمره وجمعه، مثل «عبأه». ورجحت ذلك، لأن معناه وارد في الآثار الأخرى.

(٢) قوله: «أسواقهم عافية»، أي وافرة، من قولهم: «أرض عافية»: لم يرع أحد نبتها، فوفر نبتها وكثر. يعني أن الأسواق لم يحضرها أحد يزاحمهم في تجارتها. وانظر الأثر الآتي رقم: ٨٢٥٢.

(٣) هو معبد بن أبي معبد الخزاعي، كما روى ابن هشام في سيرته ٣: ٢٢٠، ٢٢١، والطبري في تاريخه ٣: ٤١.

قَدْ نَفَرَتْ مِنْ رُفْقَتَىْ مُحَمَّدِ وَعَجْوَةٍ مِنْ يَثْرِبٍ كَالعُنْجُدِ (١)

تَهْوِى عَلَى دِينِ أَبِيهَا الأَتْلَدِ قَدْ جَعَلَتْ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِى (٢) ١٢١/٤

وَمَاءَ ضَجْنَانَ لَهَا ضُحَى الغَدِ (٣)

* * *

٨٢٥٠ – حدثنى الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة قال : كانت بدر متجراً فى الجاهلية ، فخرج ناس من المسلمين يريدونه ، ولقيهم ناسٌ من المشركين فقالوا لهم : « إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » ! فأما الجبان فرجع ، وأما الشجاع فأخذ الأهبة للقتال وأهبة التجارة ، وقالوا : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ! فأتوهم فلم يلقوا أحداً ، فأنزل الله عز وجل فيهم : « إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » = قال ابن يحيى قال ، عبد الرزاق قال ، ابن عيينة : وأخبرنى زكريا ، عن الشعبى ، عن عبد الله بن عمرو قال : هى كلمة إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين أُلقى فى النار ، فقال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قول من قال : « إن الذى قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، كان فى حال خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروج من خرج معه فى أثر أبى سفيان ومن كان معه من مشركى قريش ، مُنْصَرَفهم عن أحد إلى حمراء الأسد » .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٤١ ، ومعجم ما استعجم : ٨٥٦ ، ٨٥٧ . وقوله : « رفقتى محمد » بالتثنية ، يعنى المهاجرين والأنصار . و « العجوة » ضرب من أجود التمر بالمدينة ، ونخلته هى « اللينة » المذكورة فى قوله تعالى : « ما قطعتم من لينة » ، فى سورة الحشر . و « يثرب » مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . و « العنجد » : الزبيب الأسود .

(٢) تهوى : تسرع ، هوت الناقة تهوى : أسرعت إسراعاً . والدين : الدأب والعادة . و « الأتلد » الأقدم ، من التليد ، وهو القديم . و « قديد » : موضع ماء بين مكة والمدينة .

(٣) و « ضجنان » (بفتح أوله وسكون الجيم) : وهو جبل على طريق المدينة من مكة ، بينه وبين قديد ليلة ، كما بينه هذا الشعر . قاله أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم .

لأن الله تعالى ذكره إنما مدح الذين وصفهم بقيلهم : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ، لما قيل لهم : « إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » ، بعد الذى قد كان نالهم من القروح والكلوم بقوله : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » ، ولم تكن هذه الصفة إلا صفة من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرحى أصحابه بأحد إلى حمراء الأسد .

وأما الذين خرجوا معه إلى غزوة بدر الصغرى ،[1] فإنه لم يكن فيهم جريح إلا جريح قد تقادم اندمال جرحه وبرأ كلمُه . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج إلى بدر الخرجة الثانية إليها ، لموعد أبى سفيان الذى كان واعده اللقاء بها ، بعد سنة من غزوة أحد ، فى شعبان سنة أربع من الهجرة . وذلك أن وقعة أحد كانت فى النصف من شوال من سنة ثلاث ، وخروج النبى صلى الله عليه وسلم لغزوة بدر الصغرى إليها فى شعبان من سنة أربع ، ولم يكن للنبىّ صلى الله عليه وسلم بين ذلك وقعة مع المشركين كانت بينهم فيها حرب جرح فيها أصحابه ، ولكن قد كان قتل فى وقعة الرَّجيع من أصحابه جماعة لم يشهد أحد منهم غزوة بدر الصغرى . وكانت وقعة الرَّجيع فيما بين وقعة أحد وغزوة النبى صلى الله عليه وسلم بدرًا الصغرى .

* * *

(١) فى المطبوعة : « وأما قول الذين خرجوا معه » ، وهى زيادة فاسدة ، وليست فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٧٤)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فانقلبوا بنعمة من الله » ، فانصرف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ،[1] من وجههم الذى توجَّهوا فيه — وهو سيرهم فى أثر عدوهم — إلى حمراء الأسد = « بنعمة من الله » ، يعنى : بعافية من ربهم ، لم يلقوا بها عدوًّا[2] = « وفضل » ، يعنى : أصابوا فيها من الأرباح بتجارتهم التى تَجَروا بها ،[3] الأجر الذى اكتسبوه[4] = : « لم يمسسهم سوء » يعنى : لم ينلهم بها مكروه من عدوّهم ولا أذى[5] = « واتبعوا رضوان الله » ، يعنى بذلك : أنهم أرضوا الله بفعلهم ذلك ، واتباعهم رسوله إلى ما دعاهم إليه من اتباع أثر العدوّ ، وطاعتهم = « والله ذو فضل عظيم » ، يعنى : والله ذو إحسان وطَوْل عليهم — بصرف عدوهم الذى كانوا قد همُّوا بالكرة إليهم ، وغير ذلك من أياديه عندهم وعلى غيرهم — بنعمه[6] = « عظيم » عند من أنعم به عليه من خلقه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٥١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

---

(١) انظر تفسير « انقلب » فيما سلف ٣ : ١٦٣ .

(٢) انظر تفسير « النعمة » فيما سلف ٤ : ٢٧٢

(٣) فى المطبوعة : « اتجروا بها » ، وأثبت ما فى المخطوطة . « تجر يتجر تجراً وتجارة » : باع واشترى ، ومثله : « اتجر » على وزن (افتعل) . والثلاثى على وزن (نصر وينصر) .

(٤) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف ص ٢٩٩ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « المس » فيما سلف ٥ : ١١٨ /٧ : ١٥٥ ، ٢٣٨

(٦) السياق : « والله ذو إحسان وطول . . . بنعمه » .

عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل » ، قال : والفضل ما أصابوا من التجارة والأجر .

٨٢٥٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : وافقوا السوق فابتاعوا ، وذلك قوله : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل » . قال : الفضل ما أصابوا من التجارة والأجر = قال ابن جريج : ما أصابوا من البيع نعمة من الله وفضل ، أصابوا عَفْوه وغِرَّته ،[1] لا ينازعهم فيه أحد = قال : وقوله : « لم يمسسهم سوء » ، قال : قتل = « واتبعوا رضوان الله » ، قال : طاعة النبىّ صلى الله عليه وسلم .

١٢٢/٤

٨٢٥٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله ذو فضل عظيم » ، لما صرف عنهم من لقاء عدوهم .[2]

٨٢٥٤ — حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أطاعوا الله وابتغوا حاجتهم ، ولم يؤذهم أحد ، « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

٨٢٥٥ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعنى حين خرج إلى غزوة بدر الصغرى — ببدر دراهم ،[3] ابتاعوا بها من موسم بدر فأصابوا تجارة ، فذلك قول الله : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله » . أما « النعمة » فهى العافية ، وأما « الفضل » فالتجارة ، و « السوء » القتل .

* * *

(١) فى المطبوعة : « وعزته » ، ولا معنى لها ، وفى المخطوطة غير منقوطة . و « الغرة » (بكسر الغين) الغفلة ، يريد خلو السوق ممن يزاحمهم فيها ، كأنهم أتوها والناس فى غفلة عنها . وهو مجاز ، ومثله عيش غرير : أى ناعم ، لا يفزع أهله .

(٢) الأثر : ٨٢٥٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٤٤ .

(٣) فى المطبوعة والدر المنثور « ببدر دراهم » ، وفى المخطوطة « ببردراهم » غير منقوطة ، وأخشى أن تكون كلمة مصحفة لم أهتد إليها ، وإن قرأتها « نثر دراهم » ، فلعلها ! وشىء نثر (بفتحتين) متناثر . ولا أدرى أيصح ذلك أو لا يصح .

القول فى تأويل قوله ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : إنما الذى قال لكم ، أيها المؤمنون : « إن الناس قد جمعوا لكم » ، فخوفوكم بجموع عدوّكم ومسيرهم إليكم ، من فعل الشيطان ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم ، يخوفكم بأوليائه من المشركين — أبى سفيان وأصحابه من قريش — لترهبوهم وتجبنوا عنهم ، كما : —

٨٢٥٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه » ، يخوف والله المؤمنَ بالكافر ، ويُرهب المؤمن بالكافر .

٨٢٥٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه » ، قال : يخوّف المؤمنين بالكفار .

٨٢٥٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى ، قال حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ، يقول : الشيطان يخوّف المؤمنين بأوليائه .

٨٢٥٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه » ، أى : أولئك الرهط ، يعنى النفر من عبد القيس ، الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا ، وما ألقى الشيطان على أفواههم = « يخوّف أولياءه » ، أى : يرهبكم بأوليائه .(١)

٨٢٦٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا على بن معبد ، عن عتاب بن بشير مولى قريش ، عن سالم الأفطس فى قوله : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ، قال : يخوفكم بأوليائه .

* * *

(١) الأثر : ٨٢٥٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٥٣ .

وقال آخرون : معنى ذلك ، إنما ذلكم الشيطان يعظِّم أمر المشركين ، أيها المنافقون ، فى أنفسكم فتخافونه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٦١ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ذكر أمر المشركين وعِظمهم فى أعين المنافقين فقال : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ، يعظم أولياءه فى صدوركم فتخافونه .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وكيف قيل : « يخوف أولياءه » ؟ وهل يخوف الشيطان أولياءه؟ [وكيف] قيل= إن كان معناه يخوّفكم بأوليائه= «يخوف أولياءه» ؟[1]

قيل : ذلك نظير قوله : ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيدًا ﴾ [سورة الكهف : ٢] ، بمعنى : لينذركم بأسه الشديد ، وذلك أن البأس لا يُنذر ، وإنما ينذر به .[2]

* * *

وقد كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : معنى ذلك : يخوف الناسَ أولياءه ، كقول القائل : « هو يُعطى الدراهم ، ويكسو الثياب » ، بمعنى : هو يعطى الناس الدراهم ويكسوهم الثياب ، فحذف ذلك للاستغناء عنه .

* * *

قال أبو جعفر : وليس الذى شبه [من] ذلك بمشتبه ،[3] لأن « الدراهم » فى قول القائل : « هو يعطى الدراهم » ، معلوم أن المعطَى هى « الدراهم » ، وليس كذلك « الأولياء » — فى قوله : « يخوف أولياءه » — مخوَّفين ،[4] بل التخويف من الأولياء لغيرهم ، فلذلك افترقا .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وهل يخوف الشيطان أولياءه ؟ قيل إن كان معناه يخوفكم بأوليائه » وهو كلام لا يستقيم ، ورجحت أن الناسخ أسقط ما زدته بين القوسين .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٨ .

(٣) فى المطبوعة : « الذى شبه ذلك بمشبه » ، والذى فى المخطوطة مثله إلا أنه كتب « بمشتبه » ورجحت أن الناسخ أسقط « من » فوضعها بين القوسين ، مع إثبات نص المخطوطة ، وهو الصواب .

(٤) السياق : « وليس كذلك الأولياء . . . مخوفين » .

القول فى تأويل قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٧٥)

٤/١٢٣ قال أبو جعفر : يقول : فلا تخافوا ، أيها المؤمنون ، المشركين ، ولا يعظُمَنّ عليكم أمرهم ، ولا ترهبوا جمعهم ، مع طاعتكم إياى ، ما أطعتمونى واتبعتم أمرى ، و إنى متكفِّل لكم بالنصر والظفر ، (١) ولكن خافون واتقوا أن تعصونى وتخالفوا أمرى فتهلكوا = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : ولكن خافونِ دون المشركين ودون جميع خلقى ، أنْ تخالفوا أمرى ، إن كنتم مصدِّقى رسولى وما جاءكم به من عندى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : ولا يحزنك ، يا محمد ، كفر الذين يسارعون فى الكفر مرتدِّين على أعقابهم من أهل النفاق ، (٢) فإنهم لن يضروا الله بمسارعتهم فى الكفر شيئاً ، وكما أنّ مسارعتهم لو سارعوا إلى الإيمان لم تكن بنافعته ، (٣) كذلك مسارعتهم إلى الكفر غير ضارَّته ، كما :—

٨٢٦٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » ، يعنى : أنهم المنافقون . (٤)

---

(١) فى المخطوطة : « و إنى متكلف لكم بالنصر » ، وهو خطأ فاحش ، تعالى ربنا عن أن يتكلف شيئاً ، وهو القادر الذى لايؤوده شىء . وقد أصاب ناشر الطبعة السالفة فيما فعل .

(٢) انظر تفسير « سارع » فيما سلف ٧ : ١٣٠ ، ٢٠٧ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « كما أن مسارعتهم » بغير واو ، والصواب إثبات الواو .

(٤) فى المطبوعة : « هم المنافقون » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، ولو قرئت المخطوطة : « فهم المنافقون » ، لكان أجود .

٨٢٦٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » ، أى : المنافقون . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يريد الله أن لا يجعل لهؤلاء الذين يسارعون فى الكفر ، نصيباً فى ثواب الآخرة ، فلذلك خذلهم فسارعوا فيه . ثم أخبر أنهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة ، لهم عذاب عظيم فى الآخرة ، وذلك عذابُ النار . وقال ابن إسحق فى ذلك بما : —

٨٢٦٤ — حدثنى ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يريد الله أن لا يجعل لهم حظًّا فى الآخرة » ، أن يُحبط أعمالهم . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٧٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه المنافقين الذين تقدّم إلى نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم : أن لا يحزنه مسارعتهم إلى الكفر ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الأثر : ٨٢٦٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٥٩ .
(٢) الأثر : ٨٢٦٤ — ليس فى سيرة ابن هشام .

إن هؤلاء الذين ابتاعوا الكفر بإيمانهم فارتدوا عن إيمانهم بعد دخولهم فيه،[١] ورضوا بالكفر بالله وبرسوله عوضاً من الإيمان ، لن يضروا الله بكفرهم وارتدادهم عن إيمانهم شيئاً ، بل إنما يضرون بذلك أنفسهم ، بإيجابهم بذلك لها من عقاب الله ما لا قِبل لها به .

* * *

وإنما حث الله جل ثناؤه بهذه الآيات من قوله : ﴿ وما أَصابكم يَوْمَ ٱلْتقى الجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ ﴾ إلى هذه الآية ، عبادَه المؤمنين على إخلاص اليقين ، والانقطاع إليه في أمورهم ، والرضى به ناصراً وحدَه دون غيره من سائر خلقه = ورغَّب بها في جهاد أعدائه وأعداء دينه ، وشجَّع بها قلوبهم ، وأعلمهم أن من وليه بنصره فلن يخذل ولو اجتمع عليه جميعُ من خالفه وحادَّه ، وأن من خذله فلن ينصره ناصرٌ ينفعُه نصرُه ، ولو كثرت أعوانه ونصراؤه ،[٢] كما :—

٨٢٦٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان » ، أي : المنافقين = « لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم » ، أي : موجع .[٣]

٨٢٦٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : هم المنافقون .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الاشتراء » فيما سلف ١ : ٣١٢ — ٢/٣١٥ : ٣٤١ ، ٣/٣٤٢ : ٢٢٨ .

(٢) في المطبوعة : « أو نصراؤه » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٣) الأثر : ٨٢٦٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٨٢٦٣ . وليس في سيرة ابن هشام تفسير « أليم » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (١٧٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ولا يظنن الذين كفروا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله ، (١) أن إملاءنا لهم خيرٌ لأنفسهم .

* * *

ويعنى بـ « الإملاء » ، الإطالة فى العمر ، والإنساء فى الأجل ، ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿ واهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٤٦] ، أى : حيناً طويلا ، ومنه قيل : « عشتَ طويلا وتملَّيت حبيباً » . (٢) « والملا » نفسه الدهر ، « والملوان » ، الليل والنهار ، ومنه قول تميم بن مقبل : (٣)

أَلَا يَا دِيَارَ الحَىِّ بِالسَّبُعَانِ ... أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالبِلَى المَلَوَانِ (٤)

---

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف قريباً ص : ٣٨٤

(٢) فى المطبوعة : « وتمليت حيناً » ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة : « وتمليت حنيناً » ، وهو تصحيف ، والصواب ما أثبت . وهو قول يقال فى الدعاء ، ومثله فى الدعاء لمن لبس ثوباً جديداً : « أبليت جديداً ، وتمليت حبيباً » ، أى : عشت معه ملاوة من دهرك وتمتعت به .

(٣) وينسب البيت لابن أحمر ، وإلى أعرابى من بنى عقيل .

(٤) سيبويه ٢ : ٣٢٢ ، ومجاز القرآن ١ : ١٠٩ ، والأمالى ١ : ٢٣٣ ، والسمط : ٥٣٣ ، والخزانة ٣ : ٢٧٥ ، واللسان (ملل) ، وغيرها ، وسيأتى فى التفسير ١٣ : ١٠٦ (بولاق) . وقد بين صاحب الخزانة نسبة هذه الأبيات وذكر الشعر المختلف فيه ، وقال إن أبيات ابن مقبل بعد هذا البيت :

نَهَارٌ وَلَيْلٌ دَائِبٌ مَلَوَاهُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالِ النَّاسِ يَخْتَلِفَانِ

أَلَا يَا دِيَارَ الحَىِّ لَا هَجْرَ بَيْنَنَا ... وَلٰكِنَّ رَوْعَاتٍ مِنَ الحَدَثَانِ

لِدَهْمَاءَ إِذْ لِلنَّاسِ وَالعَيْشِ غِرَّةٌ ... وَإِذْ خُلُقَانَا بِالصِّبَا عَسِرَانِ

قال أبو عبيد البكرى : «أمل عليها » : دأب ولازم ، وقال أبو عبيدة : أى رجع عليها حتى أبلاها ، أى : طال عليها . وعندى أن أصله من « الملل » ، يقول : حتى بلغ أقصى الملل والسآمة .

يعنى : بـ «الملوان» ، الليل والنهار .

* * *

وقد اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيرٌ لأنفسهم » . ١٢٤/٤

فقرأ ذلك جماعة منهم : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ﴾ ، بالياء ، وبفتح «الألف» من قوله : ﴿ أَنَّمَا ﴾ ، على المعنى الذى وصفتُ من تأويله .

* * *

وقرأه آخرون : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ بالتاء و ﴿ أَنَّمَا ﴾ أيضاً بفتح «الألف» من « أنما » بمعنى : ولا تحسبنّ ، يا محمد ، الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم .

* * *

فإن قال قائل : فما الذى من أجله فتحت «الألف» من قوله : «أنما» فى قراءة من قرأ بالتاء ، وقد علمت أن ذلك إذا قرئ بالتاء فقد أعملت « تحسبن » ، فى « الذين كفروا » ، وإذا أعملتها فى ذلك ، لم يجز لها أن تقع على « أنما » ، لأن « أنما » إنما يعمل فيها عاملٌ يعمل فى شيئين نصباً ؟

قيل : أما الصواب فى العربية ووجهُ الكلام المعروف من كلام العرب ، كسر « إن » إذا قرئت « تحسبن » بالتاء ، لأن « تحسبن » إذا قرئت بالتاء فإنها قد نصبت « الذين كفروا » ، فلا يجوز أن تعمل ، وقد نصبت اسماً ، فى « أن » . ولكنى أظن أنّ من قرأ ذلك بالتاء فى « تحسبن » وفتح الألف من « أنما » ، إنما أراد تكرير تحسبن على « أنما » ، كأنه قصد إلى أنّ معنى الكلام : ولا تحسبن ، يا محمد أنت ، الذين كفروا ، لا تحسبن أنما نملى لهم خيرٌ لأنفسهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾ [سورة محمد : ١٨] ، بتأويل : هل ينظرون إلا الساعة ، هل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة .[1] وذلك وإن كان وجهاً

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٨ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٠٨ ، ١٠٩ .

جائزاً فى العربية ، فوجه كلام العرب ما وصفنا قبل .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، قراءة من قرأ : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالياء من «يحسبن» وبفتح الألف من «أنما» ، على معنى الحسبان للذين كفروا دون غيرهم ، ثم يعمل فى «أنما» نصباً لأن «يحسبن» حينئذ لم يشغل بشىء عمل فيه ، وهى تطلب منصوبين .

وإنما اخترنا ذلك لإجماع القرأة على فتح «الألف» من «أنما» ، الأولى ، فدل ذلك على أن القراءة الصحيحة فى «يحسبن» بالياء لما وصفنا .

وأما ألف «إنما» الثانية ، فالكسر على الابتداء ، بإجماع من القرأة عليه .

* * *

وتأويل قوله : «إنما نُملى لهم ليزدادوا إثماً» ، إنما نؤخر آجالهم فنطيلها ليزدادوا إثماً ، يقول : ليكتسبوا المعاصى فتزداد آثامهم وتكثر = «ولهم عذاب مهين» ، يقول : ولهؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله فى الآخرة عقوبة لهم مهينة مذلة .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك جاء الأثر .

٨٢٦٧ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن الأسود قال ، قال عبد الله : ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموتُ خير لها . وقرأ : «ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً» ، وقرأ : ﴿نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٨] .(٢)

* * *

(١) انظر تفسير «مهين» فيما سلف ٢ : ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٢) الحديث : ٨٢٦٧ — عبد الرحمن : هو ابن مهدى . وسفيان : هو الثورى .

خيثمة : هو ابن عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفى . وهو تابعى ثقة ، أخرج له الجماعة كلهم .

الأسود : هو ابن يزيد النخعى .

وهذا الحديث ، وإن كان موقوفاً لفظاً ، فإنه — عندنا — مرفوع حكماً ، لأنه مما لا يدرك بالرأى .

القول فى تأويل قوله ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « ما كان الله ليذر المؤمنين » ، ما كان الله ليدع المؤمنين [(١)] = « على ما أنتم عليه » من التباس المؤمن منكم بالمنافق ، فلا يعرف هذا من هذا = « حتى يميز الخبيث من الطيب » ، يعنى بذلك : « حتى يميز الخبيث » وهو المنافق المستسرُّ للكفر [(٢)] = « من الطيب » ، وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان ، [(٣)] بالمحن والاختبار ، كما ميَّز بينهم يوم أحد عند لقاء العدوّ عند خروجهم إليهم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى « الخبيث » الذى عنى الله بهذه الآية .

فقال بعضهم فيه ، مثل قولنا .

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٦٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنى أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ما كان الله ليذر المؤمنين على

وسيأتى مرة أخرى : ٨٣٧٤ ، من طريق عبد الرزاق ، عن الثورى ، بهذا الإسناد .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٩٨ ، من رواية جرير ، عن الأعمش ، به . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وذكره ابن كثير ٢ : ٣٢٨ ، من رواية ابن أبى حاتم ، من طريق أبى معاوية ، عن الأعمش ، به ، نحوه . ثم قال : « وكذا رواه عبد الرزاق ، عن الثورى ، عن الأعمش ، به » .

وذكره السيوطى ٢ : ١٠٤ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وأبى بكر المروزى فى الجنائز ، وابن المنذر ، والطبرانى .

وسيأتى نحو معناه ، من حديث أبى الدرداء : ٨٣٧٥ .

(١) انظر تفسير « يذر » فيما سلف ٦ : ٢٢ .

(٢) انظر تفسير « الخبيث » فيما سلف ٥ : ٥٥٩ .

(٣) انظر تفسير « الطيب » فيما سلف ٣ : ٥/٣٠١ : ٥٥٥ ، ٦/٥٥٦ : ٣٦١

ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ، قال : ميز بينهم يوم أحد ، المنافقَ من المؤمن .

٨٢٦٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ، قال : ابن جريج ، يقول : ليبين الصادق بإيمانه من الكاذب = قال ابن جريج ، قال مجاهد : يوم أحد ، ميز بعضهم عن بعض ، المنافق عن المؤمن .

٨٢٧٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ، أى : المنافقين.[1]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد .

١٢٥/٤

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٧١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه » ، يعنى الكفار . يقول : لم يكن الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من الضلالة : « حتى يميز الخبيث من الطيب » ، يميز بينهم فى الجهاد والهجرة .

٨٢٧٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « حتى يميز الخبيث من الطيب » ، قال : حتى يميز الفاجر من المؤمن .

٨٢٧٣ – حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من

---

(١) الأثر : ٨٢٧٠ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو جزء من الأثر السالف رقم : ٨٢٦٥ ، وتتمة الآثار التى قبله من تفسير ابن إسحق. وكان فى المطبوعة هنا « المنافق » ، والصواب من المخطوطة ، والأثر السالف ، وسيرة ابن هشام .

الطيب » ، قالوا: «إن كان محمد صادقاً، فليخبرنا بمن يؤمن بالله ومن يكفر» ! !
فأنزل الله : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من
الطيب » ، حتى يخرج المؤمن من الكافر .

* * *

قال أبو جعفر : والتأويل الأول أولى بتأويل الآية، لأن الآيات قبلها فى ذكر
المنافقين ، وهذه فى سياقها . فكونها بأن تكون فيهم ، أشبه منها بأن تكون فى غيرهم.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم بما : —

٨٢٧٤ — حدثنا به محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،
حدثنا أسباط ، عن السدى : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » ، وما كان
الله ليطلع محمداً على الغيب ، ولكن الله اجتباه فجعله رسولا .

* * *

وقال آخرون بما : —

٨٢٧٥ — حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما
كان الله ليطلعكم على الغيب » ، أى : فيما يريد أن يبتليكم به، لتحذروا ما يدخل

عليكم فيه = « ولكنّ الله يجتبى من رسله من يشاء » ، يعلمه .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بتأويله : وما كان الله ليطلعكم على ضمائر قلوب عباده فتعرفوا المؤمنين منهم من المنافق والكافر ، ولكنه يميز بينهم بالمحن والابتلاء = كما ميز بينهم بالبأساء يوم أحد = وجهاد عدوه ، وما أشبه ذلك من صنوف المحن ، حتى تعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم . غير أنه تعالى ذكره يجتبى من رسله من يشاء فيصطفيه ، فيطلعه على بعض ما فى ضمائر بعضهم ، بوحيه ذلك إليه ورسالته ، كما : —

٨٢٧٦ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء » ، قال : يخلصهم لنفسه .

* * *

وإنما قلنا هذا التأويل أولى بتأويل الآية ، لأنّ ابتداءها خبرٌ من الله تعالى ذكره أنه غير تارك عباده(٢) — يعنى بغير محن — حتى يفرق بالابتلاء بين مؤمنهم وكافرهم وأهل نفاقهم . ثم عقب ذلك بقوله : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » . فكان فيما افتتح به من صفة إظهار الله نفاق المنافق وكفر الكافر ، دلالةٌ واضحةٌ على أن الذى ولى ذلك هو الخبر عن أنه لم يكن ليطلعهم على ما يخفى عنهم من باطن سرائرهم ، إلا بالذى ذكر أنه مميِّزٌ به نعتَهم ، إلاّ من استثناه من رسله الذى خصه بعلمه .

* * *

(١) الأثر : ٨٢٧٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٧٠ ، وكان فى المطبوعة : « بعلمه » بالباء فى أوله ، والصواب من سيرة ابن هشام ، ونصه : « أى : يعلمه ذلك » ، أما المخطوطة ، فالكلمة فيها غير منقوطة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « وابتداؤها خبر من الله » ، وهو سياق لا يستقيم ، والظاهر أن ناسخ المخطوطة لما نسخ ، أشكل على بصره ، «الآية » ثم « لأن » بعقبها . فأسقط « لأن » ، وكتب « وابتداؤها » ، ورسم الكلمة فى المخطوطة « وابتداها » ، فلذلك رجحت ما أثبته ، وإن كان ضبط السياق وحده كافياً فى الترجيح .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٩)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله :[1] « وإن تؤمنوا » ، وإن تصدِّقوا من اجتبيته من رسلى بعلمى وأطلعته على المنافقين منكم = « وتتقوا » ربكم بطاعته فيما أمركم به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وفيما نهاكم عنه = « فلكم أجر عظيم » ، يقول : فلكم بذلك من إيمانكم واتقائكم ربكم ، ثوابٌ عظيم ، كما : —

٨٢٧٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا » ، أى : ترجعوا وتتوبوا = « فلكم أجر عظيم ».[2]

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأه جماعة من أهل الحجاز والعراق : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ بالتاء من « تحسبن » .

* * *

وقرأته جماعة أخر : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ﴾ بالياء .[3]

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « يعنى بذلك جل ثناؤه بقوله » ، وإقحام « بذلك » مفسدة وهجنة فى الكلام ، فأسقطتها ، وهى سبق قلم من الناسخ .

(٢) الأثر : ٨٢٧٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٧٥ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة فى ذكر هاتين القراءتين ، كتب القراءة الأولى « ولا يحسبن » بالياء ،

ثم اختلف أهل العربية فى تأويل ذلك .

فقال بعض نحويي الكوفة :[١] معنى ذلك : لا يحسبن الباخلون البخلَ هو خيراً لهم = فاكتفى بذكر « يبخلون » من « البخل » ، كما تقول : « قدم فلان فسررت به » ، وأنت تريد : فسررت بقدومه . و« هو » ، عمادٌ .[٢]

١٢٦/٤

* * *

وقال بعض نحويي أهل البصرة : إنما أراد بقوله : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم »[٣]= « لا يحسبن البخل هو خيراً لهم » ،[٤] فألقى الاسم الذى أوقع عليه « الحسبان » به ، هو البخل ، لأنه قد ذكر « الحسبان » وذكر « ما آتاهم الله من فضله » ، فأضمرهما إذ ذكرهما .[٥]

والقراءة الثانية « ولا تحسبن » بالتاء . وهو خطأ بين جداً ، لأنه عقب على هذه القراءة الأخيرة بقوله : « ثم اختلف أهل العربية فى تأويل ذلك » ، واختلافهم كما ترى فى قراءة « الياء » لا « التاء » ، فمن أجل ذلك صححت مكان القراءتين ، كما أثبتها ، وهو الصواب المحض إن شاء الله .

(١) هو الفراء .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، وهو نص كلامه ، و « العماد » عند الكوفيين ، هو ضمير الفصل عند البصريين ، ويسمى أيضاً « دعامة » و « صفة » ، انظر ما سلف ٢ : ٣١٢ ، تعليق ٢/ثم ص ٣١٣/ثم ص : ٣٧٤ .

(٣) فى المطبوعة : « ولا تحسبن » بالتاء ، والصواب بالياء كما أثبتها . وانظر التعليق السالف . وهى فى المخطوطة غير منقوطة .

(٤) وكان فى المطبوعة أيضاً : « ولا تحسبن البخل » ، بالتاء ، والصواب بالياء ، وانظر التعليق السالف .

(٥) هكذا جاءت هذه الجملة من أولها ، وهى مضطربة أشد الاضطراب ، وكان فى المطبوعة : « به وهو البخل » بزياد واو ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة كما هو على اضطراب الكلام . وقد جهدت أن أجد إشارة فى كتب التفسير وإعراب القرآن ، إلى هذا الذى قاله البصرى فيما رواه أبو جعفر ، فلم أجد شيئاً ، وأرجح أن الناسخ قد أسقط من الكلام سطراً أو بعضه ، وأرجح أن سياق الجملة من أولها ، كان هكذا :

« وقال بعض نحويِّى أهل البصرة : إنّما أراد بقوله :﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الذين يبخَلُونَ بما آتاهُمُ الله من فَضْلِه هو خيراً لهم بل هو شَرٌّ لهم ﴾ = : ولا يحسبَنَّ الذين يبخلونَ بما آتاهم الله من فضله ، لا يَحْسَبُنَّ البُخْلَ هو خيراً لهم = فألقى « الحسبان » الثانى ،

قال : وقد جاء من الحذف ما هو أشد من هذا ، قال : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ ولم يقل : « ومن أنفق من بعد الفتح » ، لأنه لما قال : ﴿ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ ﴾ [سورة الحديد : ١٠] ، كان فيه دليل على أنه قد عناهم .

* * *

وقال بعض من أنكر قول من ذكرنا قوله من أهل البصرة : إنّ « مَنْ » فى قوله : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ ﴾ فى معنى جمع . ومعنى الكلام : لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح فى منازلهم وحالاتهم ، فكيف من أنفق من بعد الفتح ؟ فالأول مكتفٍ . وقال : فى قوله : « لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » محذوف ، غير أنه لم يُحذف إلاّ وفى الكلام ما قام مقام المحذوف ، لأن « هو » عائد البخل ، و « خيراً لهم » عائد الأسماء ، فقد دل هذان العائدان على أن قبلهما اسمين ، واكتفى بقوله : « يبخلون » من « البخل » .

قال : وهذا إذا قرئ بـ « التاء » ، فـ « البخل » قبل « الذين » ، وإذا قرئ بـ « الياء » ، فـ « البخل » بعد « الذين » ، وقد اكتفى بـ « الذين يبخلون » ، من البخل ، كما قال الشاعر :[1]

وألقى الاسمَ الذى أوقعَ عليه « الحسبان » . وما وقع « الحسبان » به هو البخل = لأنّه قد ذكر « الحسبان » ، وذكر « ما آتاهم الله من فضله » ، فأضمرهما إذ ذكرهما .

ويكون القائل هذا من أهل البصرة ، قد عنى أن هذه الآية شبيهة بأختها الآتية فى سورة آل عمران : ١٨٨

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ العَذَابِ ﴾

إذ كرر « لا تحسبن » تأكيداً لما طال الكلام ، وهو صحيح كلام العرب وصريحه . فكذلك هو فى هذه الآية ، على ما أرجح أن البصرى قال ، كرر « الحسبان » ، ولكنه حذف « الحسبان » الذى كرره ، وأبقى الأول الذى ألجأ إلى التكرار والتوكيد .

ويعنى بقوله : « أضمرهما » ، « الحسبان » الثانى فى تأويله ، و « البخل » ، ولم أجد وجهاً يستقيم به الكلام غير هذا الوجه ، فإن أصبت فبحمد الله وتوفيقه ، وإن أخطأت ، فأسأل الله المغفرة بفضله .

(١) لم يعرف قائله .

إِذَا نُهِىَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ، وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافِ [1]

كأنه قال : جرى إلى السفه، فاكتفى عن « السفه » بـ «السفيه»، كذلك اكتفى بـ « الذين يبخلون »، من « البخل ».

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى ، قراءة من قرأ : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بالتاء ، بتأويل : ولا تحسبن، أنت يا محمد ، بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم = ثم ترك ذكر « البخل »، إذ كان فى قوله : « هو خيراً لهم » دلالة على أنه مراد فى الكلام، إذ كان قد تقدمه قوله : « الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ».

وإنما قلنا: قراءة ذلك بالتاء أولى بالصواب من قراءته بالياء، لأن « المحسبة » من شأنها طلب اسم وخبر ، فإذا قرئ قوله : « ولا يحسبن الذين يبخلون » بالياء : لم يكن للمحسبة اسم يكون قوله : « هو خيراً لهم » خبراً عنه . وإذا قرئ ذلك بالتاء ، كان قوله : « الذين يبخلون » اسماً له قد أدّى عن معنى « البخل » الذى هو اسم المحسبة المتروك ، وكان قوله : « هو خيراً لهم » خبراً لها ، فكان جارياً مجرى المعروف من كلام العرب الفصيح. فلذلك اخترنا القراءة بـ « التاء » فى ذلك على ما بيناه ، وإن كانت القراءة بـ « الياء » غير خطأ ، ولكنه ليس بالأفصح ولا الأشهر من كلام العرب .

* * *

قال أبو جعفر : وأما تأويل الآية الذى هو تأويلها على ما اخترنا من القراءة فى ذلك: ولا تحسبن ، يا محمد، بخل الذين يبخلون بما أعطاهم الله فى الدنيا من الأموال ، فلا يخرجون منه حق الله الذى فرضه عليهم فيه من الزكوات ، هو خيراً

---

(١) معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٤ ، ٢٤٩ ، أمالى الشجرى ١ : ٦٨ ، ١١٣ ، ٢/٣٠٥ : ١٣٢ ، ٢٠٩ ، والإنصاف : ٦٣ ، والخزانة ٢ : ٣٨٣ ، وسائر كتب النحاة .

لهم عند الله يوم القيامة ، بل هو شر لهم عنده في الآخرة ، كما : —

٨٢٧٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم » ، هم الذين آتاهم الله من فضله ، فبخلوا أن ينفقوها فى سبيل الله ، ولم يؤدُّوا زكاتها .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك اليهود الذين بخلوا أن يبينوا للناس ما أنزل الله فى التوراة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته .

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٧٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله » إلى « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، يعنى بذلك أهل الكتاب ، أنهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس . ١٢٧/٤

٨٢٨٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله » ، قال : هم يهود ، إلى قوله : ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٤] .(١)

* * *

وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية ، التأويل الأوّل ، وهو أنه معنى بـ « البخل » فى هذا الموضع ، منع الزكاة ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تأوّل قوله : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ، قال : البخيل الذى منع حق الله منه ، أنه يصير ثعباناً فى عنقه = ولقول الله عقيب هذه الآية ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ ، فوصف جل ثناؤه قول المشركين من

---

(١) تركت الآية فى هذه الآثار على قراءة أبى جعفر « ولا تحسبن » بالتاء ، وقراءة مصحفنا اليوم « ولا يحسبن » بالياء .

اليهود الذين زعموا عند أمر الله إياهم بالزكاة ، أن الله فقيرٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « سيطوَّقون » ، سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاةَ ، طوقاً فى أعناقهم كهيئة الأطواق المعروفة ، كالذى : —

٨٢٨١ — حدثنى الحسن بن قزعة قال ، حدثنا مسلمة بن علقمة قال ، حدثنا داود ، عن أبى قزعة ، عن أبى مالك العبدى قال : ما من عبد يأتيه ذُو رَحِمٍ له ، يسأله من فضلٍ عنده فيبخل عليه ، إلاَّ أخرج له الذى بَخِلَ به عليه شجاعاً أقرَع . (١) قال : وقرأ « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوَّقون ما بخلوا به يوم القيامة » إلى آخر الآية . (٢)

---

(١) « الشجاع » : الحية الذكر ، وهو ضرب من الحيات خبيث مارد . و « أقرع » صفة من صفات الحيات الخبيثة ، يزعمون أنه إذا طال عمر الحية ، وكثر سمه ، جمعه فى رأسه حتى تتمعط منه فروة رأسه .

(٢) الحديث : ٨٢٨١ — الحسن بن قزعة بن عبيد الهاشمى ، شيخ الطبرى : ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/٢/٣٤ .

و « قزعة » : بفتح القاف والزاى ، وقيل : بسكون الزاى . انظر المشتبه ، ص ٤٢٥ . واقتصر الحافظ فى تحريره على الفتح .

مسلمة — بفتح الميم — بن علقمة المازنى : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . وضعفه أحمد . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٤/١/٣٨٨ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٣٦٧ — ٣٦٨ . ولم يذكر فيه البخارى جرحاً . فهو ثقة عنده .

داود : هو ابن أبى هند .

أبو قزعة : هو سويد بن حجير — بالتصغير فيهما — بن بيان ، الباهلى البصرى . وهو تابعى ثقة ، وثقه أحمد ، وابن المدينى ، وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/١٤٨ ، وابن أبى حاتم ٢/١/ ٢٣٥ — ٢٣٦ .

وسها الحافظ فى الإصابة ١ : ٣٣١ ، فى ترجمة أبيه ، فذكر أنه « ذهلى » ، والمصادر كلها على أنه « باهلى » .

وسأتى فى : ٨٢٨٣ « عن أبى قزعة حجر بن بيان » ؛ وهو خطأ صرف ، كما سنبينه هنك ، إن شاء الله .

أبو مالك العبدى : لا ندرى من هو ؟ ولا ندرى : أهو صحابى أم تابعى ؟ فما علمت أحداً ترجمه ،

٨٢٨٢ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن أبى قزعة ، عن رجل ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده ، فيبخل به عليه ، إلاّ أخرج له من جهنم شُجاع يتلمّظ حتى يطوّقه .(١)

٨٢٨٣ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا أبو معاوية محمد بن خازم قال ، حدثنا داود ، عن أبى قزعة حجر بن بيان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله من فضل أعطاه الله إياه ، فيبخل به عليه ، إلاّ أخرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمظ حتى يطوّقه . ثم قرأ « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله » حتى انتهى إلى قوله : « سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة » .(٢)

إلا الحافظ فى الإصابة ٧ : ١٦٩ ، بنى ترجمته على هذا الحديث عند الطبرى وحده :

فأشار إلى هذه الرواية ، وإلى الرواية التالية « عن أبى قزعة ، عن رجل » ، وذكر أن الثعلبى رواها : « عن رجل من قيس » . وإلى الرواية الثالثة : « عن أبى قزعة ، مرسلا » . ثم قال : « وأبو قزعة : تابعى بصرى مشهور ، لكنه كان يرسل عن الصحابة . فهو على الاحتمال » .

يعنى الحافظ : أنه من المحتمل أن يكون « أبو مالك العبدى » هذا صحابياً ، لأن أبا قزعة يروى عن الصحابة ويرسل الرواية عنهم ! وما بمثل هذا تثبت الصحبة ، ولا بمثله يثبت وجود الشخص والصفة معاً ! ! خصوصاً وأنه فى الرواية التالية « عن رجل » – لم يزعم أنه من الصحابة ، ولم يقل ما يشير لذلك .

فلا يزال – بعد هذا – الحديث ضعيفاً ، لأنه لم يعرف أن راويه عن رسول الله صحابى .

وقد أشار ابن كثير ٢ : ٣٠٧ إلى هذه الروايات الثلاث عند الطبرى ، ولم ينسبها لغيره .

ولا نعلم أحداً رواها غير الطبرى ، إلا إشارة الحافظ فى الإصابة لرواية الثعلبى .

(١) الحديث : ٨٢٨٢ – عبد الأعلى : هو ابن عبد الأعلى ، القرشى السامى ، من بنى « سامة ابن لؤى » . وهو ثقة ، أخرج له الجماعة كلهم .

والحديث مكرر ما قبله .

« تلمظت الحية » ، إذا أخرجت لسانها كتلمظ الآكل ، وهو تحريك اللسان فى الفم ، والتمطق بالشفتين .

(٢) الحديث : ٨٢٨٣ – هكذا ثبت فى المخطوطة والمطبوعة : « عن أبى قزعة حجر بن بيان » ؛ وهو خطأ من وجهين :

فأولا : « حجر » ، صوابه « حجير » بالتصغير ، وقد وقع هذا الخطأ فى الإصابة أيضاً ، فى

٨٢٨٤ — حدثنى زياد بن عبيد الله المرّى قال ، حدثنا مروان بن معاوية = وحدثنى عبد الله بن عبد الله الكلابى قال ، حدثنا عبد الله بن بكر السهمى = وحدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد ، واللفظ ليعقوب = جميعاً ، عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة ، عن أبيه ، عن جده قال : سمعت نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يأتى رجل مولاه فيسأله من فضل مال عنده ، فيمنعه إياه ، إلا دُعِىَ له يوم القيامة شجاعٌ يتلمَّظ فضله الذى منع . (١)

ترجمة « أبى مالك العبدى » : « عن أبى قزعة سويد بن حجر » . وهو خطأ ناسخ أو طابع ، لاشك فى ذلك لأن الحافظ ترجم لأبى قزعة فى التهذيب وغيره على الصواب « سويد بن حجير » .

وثانياً : سقط هنا بين الكنية والاسم كلمة « بن » . لأن « حجير بن بيان » — هو والد أبى قزعة ، وليس اسمه .

وأبوه « حجير بن بيان » : مذكور فى الصحابة . مترجم فى الاستيعاب ، رقم : ٥٤٣ ، وأسد الغابة ١ : ٣٨٧ ؛ والإصابة ١ : ٣٣٠ — ٣٣١ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٩٠ . وهو عندهم جميعاً بالتصغير نصاً .

وسها الحافظ ابن كثير ، ولم يراجع المصادر ! فاغتر بهذه الرواية المغلوطة من وجهين — فذكر فى هذه الروايات : « عن أبى قزعة ، واسمه حجر بن بيان » ! ! فزاد على الخطأ الذى فى أصول الطبرى بحذف « بن » — فصرح بأن هذا اسم أبى قزعة ! وما كان ذلك فى رواية ولا قول قط .

والسيوطى تبع الحافظ ابن كثير ، ثم زاد خطأ على خطأ ، فذكر الحديث ٢ : ١٠٥ ، ونسبه لابن أبى شيبة فى مسنده ، وابن جرير « عن حجر بن بيان » ! !

(٦) الحديث : ٨٢٨٤ — هذا الحديث رواه الطبرى عن ثلاثة شيوخ : زياد بن عبيد الله المرى ، وعبد الله بن عبد الله الكلابى — وهذان لم أعرفهما ، ولم أجد لواحد منهما ترجمة ولا ذكراً فى غير هذا الموضع . ثم إن فى المطبوعة بدل « عبد الله بن عبد الله الكلابى » : « محمد بن عبد الله » ! وهو أشد جهالة من ذاك .

وفى لسان الميزان ٢ : ٤٩٥ ، ترجمة : « زياد بن عبد الله بن خزاعى ، عن مروان بن معاوية . قال ابن حبان فى الثقات : حدثنا عنه شيوخنا ، ربما أغرب » .

فمن المحتمل أن يكون هذا الشيخ هو شيخ الطبرى « زياد بن عبيد الله الكلابى » ، وأن يكون « عبيد الله » محرفاً فى طبعة اللسان إلى « عبد الله » .

والشيخ الثالث : يعقوب بن إبرهيم ، وهو الدورقى الحافظ ، مضى مراراً ، آخرها : ٣٧٢٦ .

وأسانيده صحاح ، على الرغم من جهالة شيخى الطبرى الأولين ، اكتفاء برواية الحافظ الدورقى . ولأن الحديث ثابت عن شيوخ آخرين عن بهز بن حكيم ، كما سنذكر فى التخريج ، إن شاء الله .

وقد بينا فيما مضى رقم : ٨٧٣ صحة إسناد بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

٨٢٨٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، قال : ثعبان ينقر رأس أحدهم ، يقول : أنا مالك الذي بخلت به ! (١)

٨٢٨٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق قال : سمعت أبا وائل يحدّث : أنه سمع عبد الله قال في هذه الآية : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، قال : شجاع يلتوي برأس أحدهم .

٨٢٨٧ — حدثني ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة قال ، حدثنا خلاد بن أسلم قال ، أخبرنا النضر بن شميل قال ، أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحق ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بمثله — إلا أنهما قالا : قال : شجاع أسود .

٨٢٨٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ،

والحديث رواه أحمد في المسند ، عن عبد الرزاق عن معمر ، وعن يزيد — وهو ابن هرون ، وعن يحيى بن سعيد : ثلاثتهم عن بهز بن حكيم ، بهذا الإسناد .

ورواه النسائي ١ : ٣٥٨ ، عن محمد بن عبد الأعلى ، عن معتمر ، عن بهز .

ومن عجب أنه — وهو في المسند وسنن النسائي — لا ينسبه الحافظ ابن كثير ٢ : ٣٠٧ ، إلا لابن جرير وابن مردويه !

وذكره السيوطي ٢ : ١٠٥ ، وزاد نسبته لأبي داود ، والترمذي وحسنه ، والبيهقي في الشعب .

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٢ : ٣٣ ، ونسبه لأبي داود ، والترمذي ، والنسائي .

(١) الحديث : ٨٢٨٥ — عبد الرحمن : هو ابن مهدي . وسفيان : هو الثوري . وأبو إسحق : هو السبيعي .

وهذا الحديث لفظه هنا موقوف على ابن مسعود . وهو في معناه مرفوع . وهو أيضاً مختصر اللفظ .

وقد رواه الطبري هكذا ، مختصراً موقوفاً ، بأسانيد : ٨٢٨٥ — ٨٢٨٨ ، ٨٢٩٢ . ثم رواه أثناء ذلك : ٨٢٨٩ ، مرفوعاً بلفظ أطول .

ورواه أيضاً الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٩٨ — ٢٩٩ ، من طريق أبي بكر بن عياش ، عن أبي إسحق ، ومن طريق الثوري ، عن أبي إسحق — موقوفاً ، بنحوه . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

وقد تساهل الحافظ ابن كثير ٢ : ٣٠٦ فأشار إلى رواية الحاكم هذه ، عقب رواية الحديث المرفوع من مسند أحمد — بصيغة توهم أن رواية الحاكم مثل رواية المسند مرفوعة .

ثم زاد القارئ لبساً ، إذ قال عقب ذلك : « ورواه ابن جرير من غير وجه عن ابن مسعود — موقوفاً » ! فهذا السياق عقب ذكر رواية الحاكم ، يوقع في وهم الناظر أنها مرفوعة ! ! وليست كذلك .

عن أبي إسحق ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود قال : يجيء ماله يوم القيامة ثعباناً فينقر رأسه فيقول : أنا مالك الذى بخلت به ! فينطوى على عنقه .

٨٢٨٩ — حدثت عن سفيان بن عيينة قال ، حدثنا جامع بن أبي راشد وعبدالملك بن أعين ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد لا يؤدى زكاة ماله ، إلا مثّل له شجاع أقرع يطوقه.[1] ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » ، الآية .[2] ١٢٨/٤

---

(١) « مثل له » : انتصب له ماثلا ، قائماً .

(٢) الحديث : ٨٢٨٩ — هكذا أبهم الطبرى شيخه فى هذا الإسناد . ولكن الحديث ثابت برواية الثقات عن ابن عيينة ، كما سنذكر فى التخريج ، إن شاء الله .

جامع بن أبي راشد الكاهلى الصيرفى : ثقة ، وثقه أحمد وغيره ، وأخرج له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٢٤٠ ، وابن أبي حاتم ١/١/٥٣٠ .

ووقع هنا فى نسخ الطبرى : « جامع بن شداد » . وهو خطأ ، فليس لجامع بن شداد فى هذا الحديث رواية ، فيما أعلم — كما يتبين من التخريج .

ثم إن جامع بن شداد قديم الوفاة ، لم يدركه ابن عيينة ولا روى عنه . لأنه ولد سنة ١٠٧ ، وابن شداد مات سنة ١٠٧ وقيل سنة ١٠٨ . وأما ما وقع فى ترجمته فى التهذيب ٢ : ٥٦ ، فى الأقوال فى سنى وفاته ، بين : ١٢٨ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، فإنه غلط ، بعضه من الحافظ المزى فى التهذيب الكبير ، وبعضه من نسخ تهذيب التهذيب . وقد ثبتت هذه الأرقام على الصواب بالكتابة بالحروف فى الكبير للبخارى ١/٢/٢٣٩ — ٢٤٠ ، والصغير ، ص : ١٣٢ ؛ وابن سعد ٦ : ٢٢٢ ، ٢٢٦ .

عبد الملك بن أعين الكوفى : تابعى ثقة . وقد تكلم فيه بأنه شيعى ، ولكن لم يدفعه أحد عن الصدق . وأخرج له أصحاب الكتب الستة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٣٤٣ . وذكره البخارى فى الضعفاء ، ص : ٢٢٢ ، فقال : « عبد الملك بن أعين ، وكان شيعياً . روى عنه ابن عيينة وإسمعيل ابن سميع . يحتمل فى الحديث » . فلم يجرحه فى صدقه وروايته ، ولذلك أدخله فى صحيحه .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٣٥٧٧ ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، عن جامع ، وهو ابن أبي راشد ، عن أبي وائل ، به ، نحوه ، مرفوعاً .

وكذلك رواه الترمذى ٤ : ٨٥ ، وابن ماجة : ١٧٨٤ ، كلاهما عن ابن أبي عمر . والنسائى ١ : ٣٣٣ — ٣٣٤ ، عن مجاهد بن موسى — كلاهما عن سفيان بن عيينة ، به . ولكن زاد الترمذى وابن ماجة فى روايتهما : أنه عن جامع بن أبي راشد وعبد الملك بن أعين — كرواية الطبرى هنا. وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

وذكره ابن كثير ٢ : ٣٠٦ ، من رواية المسند ، ثم ذكر أنه رواه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة وذكره السيوطى ٢ : ١٠٥ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن خزيمة ، وابن المنذر .

٨٢٩٠ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنى أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : أما «سيطوقون ما بخلوا به»، فإنه يُجعل ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع يطوّقه، فيأخذ بعنقه، فيتبعه حتى يقذفه فى النار.

٨٢٩١ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا خلف بن خليفة، عن أبى هاشم، عن أبى وائل قال : هو الرجل الذى يرزقه الله مالاً فيمنع قرابته الحق الذى جعل الله لهم فى ماله، فيُجْعَل حية فيطوّقها، فيقول : مالى ولك! فيقول : أنا مالك!

٨٢٩٢ - حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو غسان قال، حدثنا إسرائيل، عن حكيم بن جبير، عن سالم بن أبى الجعد، عن مسروق قال : سألت ابن مسعود عن قوله : «سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة»، قال : يطوقون شجاعاً أقرع ينهش رأسه.[1]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : «سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة»، فيجعل فى أعناقهم طوقاً من نار.

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٩٣ - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم : «سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة»، قال : طوقاً من النار.

---

(١) الحديث : ٨٢٩٢ - أبو غسان : هو مالك بن إسمعيل بن درهم النهدى الحافظ. مضت ترجمته فى : ٢٩٨٩.

إسرائيل : هو ابن يونس بن أبى إسحق السبيعى.

حكيم بن جبير الأسدى : ضعيف، بينا ضعفه فى شرح المسند : ٣٦٧٥. وهو مترجم فى التهذيب والكبير للبخارى ١٦/١/٢ ؛ والصغير، ص : ١٥٠، ١٥٢ ؛ والضعفاء له ص : ١٠، وللنسائى. ص : ٩، وابن أبى حاتم ٢٠١/٢/١ - ٢٠٢.

وهذا اللفظ موقوف على ابن مسعود. وضعف إسناده لا يضر، فقد مضى موقوفاً بأسانيد صحاح : ٨٢٨٥ - ٨٢٨٨، ومرفوعاً : ٨٢٨٩.

٨٢٩٤ـ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن منصور، عن إبراهيم أنه قال في هذه الآية: «سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة»، قال: طوقاً من نار.

٨٢٩٥ـ حدثنا الحسن قال: أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثورى، عن منصور، عن إبراهيم في قوله: «سيطوقون»، قال: طوقاً من نار.

٨٢٩٦ـ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم: «سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة»، قال: طوقاً من نار.[1]

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك: سيحمل الذين كتموا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم من أحبار اليهود، ما كتموا من ذلك.

* ذكر من قال ذلك:

٨٢٩٧ـ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: «سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة»، ألم تسمع أنه قال: ﴿يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبُخْلِ﴾ [سورة النساء: ٣٧/ سورة الحديد: ٢٤]،[2] يعني أهل الكتاب، يقول: يكتمون، ويأمرون الناس بالكتمان.

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك: سيكلَّفون يوم القيامة أن يأتوا بما بَخِلوا به في الدنيا من أموالهم.

* ذكر من قال ذلك:

٨٢٩٨ـ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: «سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة»، قال: سيكلَّفون أن يأتوا بما بخلوا به، إلى قوله: «والكتاب المنير».

---

(١) في المطبوعة: «طوق»، وأثبت ما في المخطوطة.

(٢) وإنما عنى آية سورة النساء، لأن تمامها «ويكتمون ما آتاهم الله من فضله».

٨٢٩٩ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد « سيطوقون » ، سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من من أموالهم يوم القيامة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية ، التأويل الذى قلناه فى ذلك فى مبدإ قوله : « سيطوقون ما بخلوا به » ، للأخبار التى ذكرنا فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدَ أعلم بما عَنَى الله تبارك وتعالى بتنزيله ، منه عليه السلام .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١٨٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أنه الحى الذى لا يموت ، والباقى بعد فناء جميع خلقه .

* * *

فإن قال قائل : فما معنى قوله : « له ميراث السموات والأرض » ، و« الميراث » المعروف ، هو ما انتقل من ملك مالك إلى وارثه بموته ، ولله الدنيا قبل فناء خلقه وبعده ؟

قيل : إن معنى ذلك ما وصفنا ، من وصفه نفسه بالبقاء ، وإعلام خلقه أنه كتب عليهم الفناء . وذلك أنّ ملك المالك إنما يصير ميراثاً بعد وفاته ، فإنما قال جل ثناؤه : « ولله ميراث السموات والأرض » ، إعلاماً بذلك منه عبادَه أن أملاك جميع

خلقه منتقلة عنهم بموتهم ، وأنه لا أحد إلاّ وهو فانٍ سواه ، فإنه الذى إذا أهلك جميع خلقه فزالت أملاكهم عنهم ، لم يبق أحدٌ يكون له ما كانوا يملكونه غيره . ١٢٩/٤

وإنما معنى الآية : « لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، بعد ما يهلكون وتزول عنهم أملاكهم ، فى الحين الذى لا يملكون شيئاً ، وصار لله ميراثه وميراث غيره من خلقه .

ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضل وغيرهم من سائر خلقه ، ذو خبرة وعلم ، محيط بذلك كله ، حتى يجازى كلاًّ منهم على قدر استحقاقه ، المحسنَ بالإحسان ، والمسىء على ما يرى تعالى ذكره .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾

قال أبو جعفر : ذكر أن هذه الآية وآيات بعدها نزلت فى بعض اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر الآثار بذلك :

٨٣٠٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثنا محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة : أنه حدثه عن ابن عباس قال : دخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بيت المِدْراس ، فوجد من يهودَ ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فِنحاص ، كان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه حَبْرٌ يقال له أشْيَع . فقال أبو بكر رضى الله عنه

لفنحاص : ويحك يافنحاص، اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أنّ محمداً رسول الله ، قد جاءكم بالحقّ من عند الله ، تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة والإنجيل ! قال فنحاص : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ! وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنيًّا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ! ينهاكم عن الربا ويعطيناه! ولو كان عنا غنيًّا ما أعطانا الربا ! (١) فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة ، وقال : والذى نفسى بيده ، لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله! فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين . فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، انظر ما صنع بى صاحبك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولا عظيماً ، زعم أنّ الله فقير وأنهم عنه أغنياء ! فلما قال ذلك غضبت لله مما قال ، فضربتُ وجهه . فجحد ذلك فنحاص وقال : ما قلت ذلك! فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص ، ردًّا عليه ، وتصديقاً لأبى بكر : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء سنكتبُ ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق » = وفى قول أبى بكر وما بلغه فى ذلك من الغضب : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٦] . (٢)

٨٣٠١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد

---

(١) كان فى المخطوطة سقط بين ، فيها : « وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء . ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا . فغضب أبو بكر » ، واستدركت المطبوعة هذا السقط من الدر المنثور فيما أرجح (٢ : ١٠٥) ، فتركته كما هو ، لموافقته لما جاء فى تفسير ابن كثير ٢ : ٣٠٨ ، وإن خالف رواية ابن هشام فى سيرته ، فى بعض ألفاظ .

(٢) الأثران : ٨٣٠٠ ، ٨٣٠١ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٧٦٩٥ ، مما روى الطبرى من سيرة ابن إسحق .

بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : دخل أبو بكر = فذكر نحوه ، غير أنه قال ، « وإنا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغنيٍّ ، ولو كان غنيًّا » ، ثم ذكر سائر الحديث نحوه.(١)

٨٣٠٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء » ، قالها فنحاص اليهودىّ من بنى مَرْثد ، لقيه أبو بكر فكلمه فقال له : يا فنحاص ، اتق الله وآمن وصدِّق ، وأقرض الله قرضاً حسناً ! فقال فنحاص : يا أبا بكر ، تزعم أن ربنا فقير يستقرِضنا أموالنا ! وما يستقرض إلاّ الفقير من الغنى ! إن كان ما تقول حقًّا ، فإن الله إذاً لفقير ! فأنزل الله عز وجل هذا ، فقال أبو بكر : فلولا هُدنة كانت بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين بنى مَرْثد لقتلته .

٨٣٠٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : صك أبو بكر رجلا منهم = الذين قالوا : « إنّ الله فقير ونحن أغنياء » ، لم يستقرِضنا وهو غنى ؟! وهم يهود . ١٣٠/٤

٨٣٠٤ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح قال : « الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء » ، لم يستقرضنا وهو غنى ؟ = قال شبل : بلغنى أنه فنحاص اليهودى ، وهو الذى قال : « إنّ الله ثالث ثلاثة » و « يدُ الله مغلولة ».

٨٣٠٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنى يحي بن واضح قال ، حدثت عن عطاء ، عن الحسن قال : لما نزلت : ﴿ مَنْ ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٥/سورة الحديد : ١١] ، قالت اليهود : إنّ ربكم يستقرض منكم ! فأنزل الله : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء » .

---

(١) انظر خبر فنحاص أيضاً فى الأثر الآتى رقم : ٨٣١٦ .

٨٣٠٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن الحسن البصرى قال : لما نزلت : ﴿مَنْ ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ ، قال : عجبت اليهود فقالت : إن الله فقير يستقرض ! فنزلت : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء » .

٨٣٠٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء » ، ذكر لنا أنها نزلت فى حُيَىّ بن أخطب ، لما أنزل الله : ﴿مَنْ ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ قال : يستقرضنا ربنا ، إنما يستقرض الفقير الغنىّ !

٨٣٠٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : لما نزلت : «من ذا الذى يقرضُ الله قرضاً حسناً » ، قالت اليهود : إنما يستقرض الفقير من الغنى ! قال : فأنزل الله : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء » .

٨٣٠٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول فى قوله : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء » ، قال : هؤلاء يهود . (١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : لقد سمع الله قول الذين قالوا من اليهود : «إن الله فقير إلينا ونحن أغنياء عنه» ، سنكتب ما قالوا من الإفك والفرية على ربهم ، وقتلهم أنبياءهم بغير حق .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « سنكتب ما قالوا وقتلهم » .

فقرأ ذلك قرأة الحجاز وعامة قرأة العراق : ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ بالنون ،

(١) فى المطبوعة : « هؤلاء اليهود » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

« وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِياءَ بغيرِ حقٍّ » بنصب « القتل » .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة الكوفيين ﴿ سَيُكْتَبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهم الأَنبياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ بالياء من « سيكتب » وبضمها ، ورفع « القتل » ، على مذهب ما لم يسمّ فاعله ، اعتباراً بقراءة يذكر أنها من قراءة عبد الله فى قوله : « ونقول ذوقوا » ، يذكر أنها فى قراءة عبد الله : ﴿ وَيُقَالُ ﴾ .(١)

فأغفل قارئ ذلك وجه الصواب فيما قصد إليه من تأويل القراءة التى تُنسب إلى عبد الله ، وخالف الحجة من قرأة الإسلام . وذلك أن الذى ينبغى لمن قرأ « سيكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء » على وجه ما لم يسم فاعله ، أن يقرأ : « ويقال » ، لأن قوله : « ونقول » عطف على قوله : « سنكتب » . فالصواب من القراءة أن يوفق بينهما فى المعنى بأن يقرأ جميعاً على مذهب ما لم يسم فاعله ، أو على مذهب ما يسمى فاعله . فأما أن يقرأ أحدهما على مذهب ما لم يسم فاعله ، والآخر على وجه ما قد سُمِّى فاعله ، من غير معنى ألجأه على ذلك ، فاختيار خارج عن الفصيح من كلام العرب .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ﴿ سَنَكْتُبُ ﴾ بالنون ﴿ وقَتْلَهُمْ ﴾ بالنصب ، لقوله : ﴿ وَنَقُول ﴾ ولو كانت القراءة فى « سيكتب »

---

(١) هذا كلام الفراء بلا شك ، فى معانى القرآن ١ : ٢٤٩ ، ولكن وقع فى نسخ الفراء خرم لم يتنبه إليه مصححو المطبوعة ، تمامه مما ذكره الطبرى ورواه عنه كعادته . والنص الذى فى المطبوعة من معانى القرآن : « وقرئ : سيكتب ما قالوا ، قرأها حمزة اعتباراً ، لأنها فى مصحف عبد الله » ، وانقطع الكلام ، فظاهر أن فيه سقطاً ، وظاهر أن تمامه ما رواه الطبرى من قراءة عبد الله التى اعتبر بها حمزة فى قراءة « سيكتب » .

(٢) المعروف فى كلامهم « ألجأه إلى كذا » ، واستعمل الطبرى « ألجأه عليه » بمعنى حمله عليه ، على إرادة التضمين ، وهو كلام فصيح لا يعاب ، وهو من النوادر التى لم أجدها فى كتاب ، وإن كنت أذكر أنى قرأتها فى بعض كتب الشافعى رحمه الله ، وغاب اليوم عنى مكانها .

بالياء وضمها ، لقيل : « ويقال » على ما قد بيّنّا .

* * *

فإن قال قائل: كيف قيل: « وقتلهم الأنبياء بغير حق» ، وقد ذكرت في الآثار التي رويتَ أن الذين عنوا بقوله: [1] « لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقيرٌ» ، بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن من أولئك أحدٌ قتل نبياً من الأنبياء ، لأنهم لم يدركوا نبياً من أنبياء الله فيقتلوه ؟

قيل : إنّ معنى ذلك على غير الوجه الذى ذهبت إليه . وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن الذين عنى الله تبارك وتعالى بهذه الآية ، كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء ، وكانوا منهم وعلى منهاجهم من استحلال ذلك واستجازته . فأضاف جلّ ثناؤه فعلَ ما فعله من كانوا على منهاجه وطريقته ، إلى جميعهم ، إذ كانوا أهل ملة واحدة ونحْلة واحدة ، وبالرِّضى من جميعهم فَعَل ما فعل فاعلُ ذلك منهم ، على ما بينا من نظائره فيما مضى قبل . [2]

١٣١/٤

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (١٨١) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢) ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ونقول » للقائلين بأن الله فقيرٌ ونحن أغنياء، القاتلين أنبياء الله بغير حقّ يوم القيامة = «ذوقوا عذاب الحريق » ، يعنى بذلك : عذاب نار محرقة ملتهبة . [3]

* * *

(١) فى المطبوعة : « وقد ذكرت الآثار التى رويت » ، أسقطت « فى » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ وفهارس المباحث فى الجزء الثانى ص ٦١١ ، « إضافة أفعال الأسلاف إلى الأبناء . . . »

(٣) تفسير «الحريق» كما فسره أبو جعفر ، مما لا تكاد تظفر به فى كتب اللغة ، بل قالوا :

و« النار » اسم جامع للملتهبة منها وغير الملتهبة ، وإنما « الحريق » صفة لها يراد أنها محرقة ، كما قيل : « عذابٌ أليم » يعنى : مؤلم ، و « وجيع » ، يعنى : موجع .

* * *

وأما قوله : « ذلك بما قدمت أيديكم » ، أى : قولنا لهم يوم القيامة ، « ذوقوا عذاب الحريق » ، بما أسلفت أيديكم واكتسبتها أيام حياتكم فى الدنيا ، [1] وبأن الله عدْلٌ لا يجورُ فيعاقب عبداً له بغير استحقاق منه العقوبةَ ، ولكنه يجازى كل نفس بما كسبت ، ويوفّى كل عامل جزاء ما عمل ، فجازى الذين قال لهم [ذلك] يوم القيامة [2] = من اليهود الذين وصف صفتهم ، فأخبر عنهم أنهم قالوا : « إنّ الله فقير ونحن أغنياء » ، وقتلوا الأنبياء بغير حق = بما جازاهم به من عذاب الحريق ، بما اكتسبوا من الآثام ، واجترحوا من السيئات ، وكذبوا على الله بعد الإعذار إليهم بالإنذار . فلم يكن تعالى ذكره بما عاقبهم به من إذاقتهم عذاب الحريق ظالماً ، ولا واضعاً عقوبته فى غير أهلها . وكذلك هو جل ثناؤه ، غيرُ ظلاّمٍ أحداً من خلقه ، ولكنه العادل بينهم ، والمتفضل على جميعهم بما أحبّ من فوَاضله ونِعمه .

* * *

الحريق : اضطرام النار وتلهبها . والحريق أيضاً اللهب » . وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١٠ ، ونصه : « النار اسم جامع ، تكون ناراً وهى حريق وغير حريق ، فإذا التهبت ، فهى حريق » .

(١) انظر تفسير « بما قدمت أيديهم » فيما سلف ٢ : ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

(٢) الزيادة بين القوسين لابد منها لاستقامة الكلام ، ويعنى بقوله : « الذى قال لهم ذلك » ، أى قال لهم : « ذوقوا عذاب الحريق » . وسياق العبارة : « فجازى الذين قال لهم ذلك يوم القيامة . . . بما جازاهم به من عذاب الحريق » .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (١٨٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : لقد سمع الله قول الذين قالوا : « إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول » .

* * *

وقوله : « الذين قالوا إن الله »، فى موضع خفض ردًّا على قوله : « الذين قالوا إن الله فقيرٌ » .

* * *

ويعنى بقوله : « قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول »، أوصانا، وتقدم إلينا فى كتبه وعلى ألسن أنبيائه[١] = « أن لا نؤمن لرسول »، يقول : أن لا نصدِّق رسولا فيما يقول إنه جاء به من عند الله من أمر ونهى وغير ذلك = « حتى يأتينا بقربان تأكله النار »، يقول : حتى يجيئنا بقربان : وهو ما تقرَّب به العبد إلى ربه من صدقة .

* * *

وهو مصدر مثل « العدوان » و « الخسران » من قولك : « قرَّبتُ قرباناً » .

* * *

وإنما قال : « تأكله النار »، لأن أكل النار ما قربه أحدهم لله فى ذلك الزمان، كان دليلا على قبول الله منه ما قرِّب له، ودلالة على صدق المقرِّب فيما ادعى أنه محق فيما نازع أو قال، كما : —

٨٣١٠ — حدثنا محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « حتى يأتينا بقربان تأكله النار »،

(١) انظر تفسير « عهد إليه » فيما سلف ٣ : ٣٨، وتفسير « العهد » فى فهارس اللغة .

كان الرجل يتصدق ، فإذا تُقُبِّل منه ، أنزلت عليه نارٌ من السماء فأكلته .

٨٣١١ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد ، قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « بقربان تأكله النار » ، كان الرجل إذا تصدق بصدقة فتُقُبِّلت منه ، بعث الله ناراً من السماء فنزلت على القربان فأكلته .

* * *

= فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : [قل ، يا محمد ، للقائلين : إنّ الله عهد إلينا] أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار : « [قد جاءكم] رسل من قبلى بالبينات » ،[1] يعنى : بالحجج الدالة على صدق نبوتهم وحقيقة قولهم = « وبالذى قلتم » ، يعنى : وبالذى ادَّعيتم أنه إذا جاء به لزمكم تصديقه والإقرار بنبوته ، من أكل النار قُربانه إذا قرَّب لله دلالة على صدقه ،[2] = « فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » ، يقول له : قل لهم : قد جاءتكم الرسل الذين كانوا من قبلى بالذى زعمتم أنه حجة لهم عليكم ، فقتلتموهم ، فلم قتلتموهم وأنتم مقرون بأن الذى جاؤوكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم = « إن كنتم صادقين » فى أن الله عهد إليكم أن تؤمنوا بمن أتاكم من رسله بقُربان تأكله النار حجة له على نبوته ؟

* * *

قال أبو جعفر : وإنما أعلم الله عباده بهذه الآية : أنّ الذين وصف صفتهم من اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لن يَعْدُوا أن يكونوا ١٣٢/٤

---

(١) فى المخطوطة : « فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار رسل من قبلى بالبينات . . . » ، وقد وضع ناسخ المخطوطة أمام السطرين فى الهامش (ط ط كذا) ، يعنى أنه خطأ كان فى النسخة التى نقل عنها ، فنقله هكذا كما وجده ، فجاء ناشر المطبوعة — أو ناسخ قبله — فأراد أن يصححها ، فزاد صدر الآية : « قل قد جاءكم » بعد قوله : « بقربان تأكله النار » ، ولكن يبقى السياق غير حسن ، فزدت ما بين القوسين ، استظهاراً من نهج أبى جعفر فى بيانه عن معانى آى كتاب الله ، والله الموفق للصواب .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « إذ قرب لله » ، والسياق يقتضى « إذا » .

فى كذبهم على الله وافترائهم على ربهم وتكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يعلمونه صادقاً محقًّا ، وجحودهم نبوَّته وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى عهد الله تعالى إليهم أنه رسوله إلى خلقه ، مفروضة طاعته[١] = إلاَّ كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بعد قطع الله عذرهم بالحجج التى أيدهم الله بها ، والأدلة التى أبان صدقهم بها ، افتراء على الله ، واستخفافاً بحقوقه .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا تعزية من الله جل ثناؤه نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم على الأذى الذى كان يناله من اليهود وأهل الشرك بالله من سائر أهل الملل . يقول الله تعالى له : لا يحزنك ، يا محمد ، كذب هؤلاء الذين قالوا : « إن الله فقير » ، وقالوا : « إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار » ، وافتراؤهم على ربهم اغتراراً بإمهال الله إياهم ، ولا يَعظمن عليك تكذيبهم إياك ، وادعاؤهم الأباطيل من عهود الله إليهم ، فإنهم إن فعلوا ذلك بك فكذبوك وكذبوا على الله ، فقد كذَّبت أسلافهم من رسل الله قبلك من جاءهم بالحجج القاطعة العذرَ ، والأدلة الباهرة العقلَ ، والآيات المعجزة الخلقَ ، وذلك هو البينات .[٢]

* * *

وأما « الزبر » فإنه جمع « زبور » ، وهو الكتاب ، وكل كتاب فهو : « زبور » ، ومنه قول امرئ القيس :

---

(١) فى المطبوعة : « لن يفروا أن يكونوا فى كذبهم على الله » ، وفى المخطوطة : « لن يقروا » ولا معنى لها ، وصوابهما ما أثبت . وسياق العبارة : « لن يعدوا أن يكونوا فى كذبهم . . . إلا كمن مضى من أسلافهم » .

(٢) انظر تفسير « البينات » فيما سلف ٢ : ٣١٨ ، ٣/٣٥٥ : ٤/٢٤٩ : ٥/٢٥٩ : ٣٧٩ ، وغيرها من المواضع فى فهارس اللغة .

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي ؟ كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبٍ يَمَانِي (١)

* * *

ويعنى : بـ« الكتاب » ، التوراة والإنجيل . وذلك أن اليهود كذّبت عيسى وما جاء به ، وحرّفت ما جاء به موسى عليه السلام من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبدلت عهده إليهم فيه ، وأن النصارى جحدت ما فى الإنجيل من نعته ، وغيرت ما أمرهم به فى أمره .

* * *

وأما قوله : « المنير » ، فإنه يعنى : الذى يُنير فيبين الحق لمن التبس عليه ويوضحه .

* * *

وإنما هو من « النور » والإضاءة ، يقال : « قد أنار لك هذا الأمر » ، بمعنى : أضاء لك وتبين ، « فهو ينير إنارة ، والشىء منيرٌ » ، (٢) وقد :—

٨٣١٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فإن كذبوك فقد كُذِّب رسل من قبلك » ، قال : يعزِّى نبيه صلى الله عليه وسلم .

٨٣١٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك » ، قال : يعزّى نبيه صلى الله عليه وسلم .

* * *

وهذا الحرف فى مصاحف أهل الحجاز والعراق ﴿وَالزُّبُرِ﴾ بغير « باء » ، وهو فى مصاحف أهل الشام : ﴿وبالزُّبُرِ﴾ بالباء ، مثل الذى فى « سورة فاطر » : [٢٥] .

* * *

(١) ديوانه : ١٨٦ ، وهو مطلع قصيدته . قال الشنتمرى فى شرح البيت : « يقول : نظرت إلى هذا الطلل فشجانى ، أى : أحزننى . وقوله : « كخط زبور » ، أى قد درس وخفيت آثاره ، فلا يرى منه إلا مثل الكتاب فى الخفاء والدقة . والزبور : الكتاب . وقوله : « فى عسيب يمان » ، كان أهل اليمن يكتبون فى عسيب النخلة عهودهم وصكاكهم . ويروى : « عسيب يمانى » ، على الإضافة ، أراد : فى عسيب رجل يمان .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « والشىء المنير » ، وعبارة بيان اللغة تقتضى ما أثبت .

القول فى تأويل قوله ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (١٨٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : أن مصير هؤلاء المفترين على الله من اليهود ، المكذبين برسوله ، الذين وصف صفتهم ، وأخبر عن جراءتهم على ربهم = ومصير غيرهم من جميع خلقه تعالى ذكره ، ومرجع جميعهم ، إليه . لأنه قد حتم الموت على جميعهم ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : لا يحزنك تكذيبُ من كذبك ، يا محمد ، من هؤلاء اليهود وغيرهم ، وافتراء من افترى علىّ ، فقد كُذِّب قبلك رسلٌ جاؤوا من الآيات والحجج من أرسلوا إليه ، بمثل الذى جئتَ من أرسلت إليه . فلك فيهم أسوة تتعزى بهم . ومصيرُ من كذَّبك وافترى علىّ وغيرهم ومرجعهم إلىّ ، فأوفّى كل نفس منهم جزاء عمله يوم القيامة ، كما قال جل ثناؤه : « وإنما توفَّون أجوركم يوم القيامة » ، يعنى : أجور أعمالكم ، إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرًّا فشر = « فمن زحزح عن النار » ، يقول : فمن نُحِّى عن النار وأبعد منها [1] = « فقد فاز » ، يقول : فقد نجا وظفر بحاجته .

* * *

يقال منه : « فاز فلان بطلبته ، يفوز فوزاً ومفازاً ومفازة » ، إذا ظفر بها .

* * *

١٣٣/٤ وإنما معنى ذلك : فمن نُحِّى عن النار فأبعد منها وأدخل الجنة ، فقد نجا وظفر بعظيم الكرامة = « وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور » ، يقول : وما لذّات الدنيا وشهواتها وما فيها من زينتها وزخارفها = « إلا متاع الغرور » ، يقول : إلا متعة

---

(١) انظر تفسير « زحزح » فيما سلف ٢ : ٣٧٥ .

يمتعكموها الغرور والخداع المضمحلّ الذى لا حقيقة له عند الامتحان، ولا صحة له عند الاختبار . فأنتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم ، ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره . يقول تعالى ذكره : ولا تركنوا إلى الدنيا فتسكنوا إليها ، فإنما أنتم منها فى غرور تمتَّعون ، ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون.(١)

* * *

وقد روى فى تأويل ذلك ، ما : ــ

٨٣١٤ ــ حدثنى به المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس ، عن عبد الرحمن بن سابط فى قوله : « وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور »، قال : كزاد الراعى، تزوِّده الكفّ من التمر، أو الشىء من الدقيق ، أو الشىء يشرب عليه اللبن .

* * *

فكأن ابن سابط ذهب فى تأويله هذا ، إلى أن معنى الآية : وما الحياة الدنيا إلاّ متاعٌ قليلٌ ، لا يُبلِّغ مَنْ تمتعه ، ولا يكفيه لسفره . وهذا التأويل ، وإن كان وجهاً من وجوه التأويل ، فإن الصحيح من القول فيه هو ما قلنا . لأن « الغرور » إنما هو الخداع فى كلام العرب . وإذ كان كذلك ، فلا وجه لصرفه إلى معنى القلة ، لأن الشىء قد يكون قليلا وصاحبه منه فى غير خداع ولا غرور . وأما الذى هو فى غرور ، فلا القليل يصح له ولا الكثير مما هو منه فى غرور .

* * *

و« الغرور » مصدر من قول القائل : «غرنى فلان فهو يغرُّنى غروراً» بضم «الغين». وأما إذا فتحت « الغين» من « الغرور »، فهو صفة للشيطان الغَرور ، الذى يغر ابن آدم حتى يدخله من معصية الله فيما يستوجب به عقوبته .

* * *

وقد :

٨٣١٥ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبدة وعبد الرحيم قالا ، حدثنا

(١) انظر تفسير : « المتاع » فيما سلف ١ : ٥٣٩ ، ٥٤٠ / ٣ : ٥٥

محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : موضع سوط فى الجنة ، خير من الدنيا وما فيها ، واقرأوا إن شئتم : « وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور ». [١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (١٨٦)

قال أبو جعفر يعنى بقوله : تعالى ذكره : [٢] « لتبلون فى أموالكم » ، لتختبرن بالمصائب فى أموالكم [٣] = « وأنفسكم » ، يعنى : وبهلاك الأقرباء والعشائر من

(١) الحديث : ٨٣١٥ – عبدة : هو ابن سليمان الكلابى الكوفى . وعبد الرحيم : هو ابن سليمان المروزى الأشل .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٩٦٤٩ (ج ٢ ص ٤٣٨ حلبى) ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد ابن عمرو – بهذا الإسناد .

وكذلك رواه الترمذى ٤ : ٨٥ ، عن عبد بن حميد وغيره ، عن محمد بن عمرو . وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٩٩ ، من طريق شجاع بن الوليد ، عن محمد بن عمرو . وقال : « هذا حديث على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وذكره ابن كثير ٢ : ٣١١ ، من رواية ابن أبى حاتم ، عن أبيه ، عن محمد بن عبد الله الأنصارى ، عن محمد بن عمرو .

ثم قال ابن كثير : « هذا حديث ثابت فى الصحيحين ، من غير هذا الوجه ، بدون هذه الزيادة [يعنى ذكر الآية فى الحديث] . وقد رواه بهذه الزيادة أبو حاتم بن حبان فى صحيحه ، والحاكم فى مستدركه ، من حديث محمد بن عمرو » .

وذكره السيوطى ٢ : ١٠٧ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وهناد ، وعبد بن حميد .

وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ٤ : ٢٧٧ ، من رواية الترمذى – ضمن ألفاظ للحديث بمعناه ، عند أحمد ، والبخارى ، والطبرانى فى الأوسط « بإسناد رواته رواة الصحيح » ، وابن حبان فى صحيحه .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « يعنى بذلك تعالى ذكره » ، وسياق التفسير هنا يقتضى ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف ٢ : ٤٩ / ٣ : ٧ ، ٢٢٠ / ٥ : ٣٣٩ / ٧ : ٢٩٧ ، ٢٣٥ .

أهل نصرتكم وملتكم[١] = « ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، يعنى : من اليهود وقولهم : « إن الله فقير ونحن أغنياء » ، وقولهم : « يد الله مغلولة » ، وما أشبه ذلك من افترائهم على الله = « ومن الذين أشركوا » ، يعنى النصارى = « أذى كثيراً » ،[٢] والأذى من اليهود ما ذكرنا ، ومن النصارى قولهم : « المسيح ابن الله » ، وما أشبه ذلك من كفرهم بالله = « وإن تصبروا وتتقوا » ، يقول : وإن تصبروا لأمر الله الذى أمركم به فيهم وفى غيرهم من طاعته = « وتتقوا » ، يقول : وتتقوا الله فيما أمركم ونهاكم ، فتعملوا فى ذلك بطاعته = « فإن ذلك من عزم الأمور » ، يقول : فإن ذلك الصبر والتقوى مما عزم الله عليه وأمركم به .

* * *

وقيل : إن ذلك كله نزل فى فنخاص اليهودى ، سيد بنى قَيْنُقَاع ، كالذى : —

٨٣١٦ — حدثنا به القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : قال عكرمة فى قوله : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً » ، قال : نزلت هذه الآية فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى أبى بكر رضوان الله عليه ، وفى فنحاص اليهودى سيد بنى قينُقاع قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رحمه الله إلى فنحاص يستمدُّه ، وكتب إليه بكتاب ، وقال لأبى بكر : « لا تَفْتاتَنَّ علىّ بشىء حتى ترجع » .[٣] فجاء أبو بكر وهو متوشِّح السيف ، فأعطاه الكتاب ، فلما قرأه قال : « قد احتاج ربكم أن نمده » ! فهمّ أبو بكر أن يضربه بالسيف ، ثم ذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تفتاتنّ على بشىء حتى ترجع » ،

---

(١) انظر تفسير « أنفسهم » فيما سلف ٦ : ٥٠١

(٢) انظر تفسير « الأذى » فيما سلف ٤ : ٣٧٤

(٣) كل من أحدث دونك شيئاً ، ومضى عليه ولم يستشرك ، واستبد به دونك ، فقد فاتك بالشىء وافتات عليك به أوفيه . هو « افتعال » من « الفوت » ، وهو السبق إلى الشىء دون ائتمار أو مشورة .

١٣٤/٤ فكف ، ونزلت : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾ .[١] وما بين الآيتين إلى قوله : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم » ، نزلت هذه الآيات فى بنى قينقاع إلى قوله : « فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك » = قال ابن جريج : يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ، قال : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم » ، قال : أعلم الله المؤمنين أنه سيبتليهم ، فينظر كيف صبرهم على دينهم . ثم قال : « ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، يعنى اليهود والنصارى = « ومن الذين أشركوا أذى كثيراً » ، فكان المسلمون يسمعون من اليهود قولهم : « عزير ابن الله » ، ومن النصارى : « المسيح ابن الله » ، فكان المسلمون ينصبون لهم الحرب إذ يسمعون إشراكهم ،[٢] فقال الله : « وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » ، يقول : من القوة مما عزم الله عليه وأمركم به .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت فى كعب بن الأشرف ، وذلك أنه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتشبّب بنساء المسلمين .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣١٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى فى قوله : « ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً » ، قال : هو كعب بن الأشرف ، وكان يحرض المشركين على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى شعره ، ويهجو النبى صلى الله عليه وسلم . فانطلق إليه خمسة نفر من الأنصار ، فيهم محمد بن مسلمة ، ورجل

---

(١) انظر أخبار فنحاص اليهودى فى الآثار السالفة : ٨٣٠٠ — ٨٣٠٢ .

(٢) فى المطبوعة : « ويسمعون إشراكهم » بالواو ، وفى المخطوطة ، هذه الواو كأنها (د) ، فآثرت أن أجعلها « إذ » ، لأنها حق المعنى .

يقال له أبو عبس . فأتوه وهو فى مجلس قومه بالعَوَالى ،[١] فلما رآهم ذعر منهم ، فأنكر شأنهم ، وقالوا : جئناك لحاجة ! قال : فليدن إلىّ بعضكم فليحدثنى بحاجته. فجاءه رجل منهم فقال : جئناك لنبيعك أدراعاً عندنا لنستنفق بها .[٢] فقال : والله لئن فعلتم لقد جُهِدتم منذ نزل بكم هذا الرجل ! فواعدوه أن يأتوه عشاءً حين هدأ عنهم الناس ،[٣] فأتوه فنادوه ، فقالت امرأته : ما طَرقك هؤلاء ساعتهم هذه لشىء مما تحب ! قال : إنهم حدثونى بحديثهم وشأنهم .

[٤] قال معمر : فأخبرنى أيوب ، عن عكرمة : أنه أشرف عليهم فكلمهم فقال : أترهَنُونى أبناءكم؟ وأرادوا أن يبيعهم تمراً . قال ، فقالوا : إنا نستحيي أن تعير أبناؤنا فيقال : « هذا رهينة وَسْقٍ ، وهذا رهينة وسقين » ![٥] فقال : أترهنونى نساءكم ؟ قالوا : أنت أجملُ الناس ، ولا نأمنك ! وأى امرأة تمتنع منك لجمالك ! ولكنا نرهنك سلاحنا ، فقد علمت حاجتنا إلى السلاح اليوم . فقال : ائتونى بسلاحكم ، واحتملوا ما شئتم . قالوا : فانزل إلينا نأخذ عليك وتأخذ علينا . فذهب ينزل ،[٦]

---

(١) « العوالى » ، جمع عالية . و « العالية » : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة ، من قراها وعمائرها إلى تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهو « السافلة » . وعوالى المدينة ، بينها وبين المدينة أربعة أميال ، وقيل ثلاثة ، وذلك أدناها ، وأبعدها ثمانية .

(٢) استنفق بالمال : جعله نفقة يقضى بها حاجته وحاجة عياله .

(٣) هدأ عنهم الناس : سكن عنهم الناس وقلت حركتهم وناموا . وفى المخطوطة : « حين هدى عنهم الناس » بطرح الهمزة ، وهو صواب جيد ، جاء فى شعر ابن هرمة ، من أبياته الأليمة الموجعة :

لَيْتَ السِّبَاعَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً ... وَأَنَّنَا لا نَرَى مِمَّنْ نَرَى أَحَدَا

إنَّ السِّبَاعَ لَتَهْدَا عَنْ فَرَائِسِهَا ... وَالنَّاسُ لَيْسَ بِهَادٍ شَرُّهُمْ أَبَدَا

يريد : « لتهدأ » و « بهادئ شرهم » .

(٤) هذا بدأ سياق آخر للخبر ، منقطع عما قبله من خبر الزهرى ، ولم يتم خبر الزهرى ، بل أتم خبر عكرمة الذى أدخله على سياقه .

(٥) « الوسق » كيل معلوم ، قيل : هو حمل بعير ، وقيل : ستون صاعاً بصاع النبى صلى الله عليه وسلم .

(٦) قوله : « ذهب ينزل » ، أى تحرك لينزل ، و « ذهب » من ألفاظ الاستعانة التى تدخل على الكلام لتصوير حركة ، أو بيان فعل مثل قولهم : « قعد فلان لا يمر به أحد إلا سبه » ، أو « قعد لا يسأله سائل

فتعلقت به امرأته وقالت : أرسل إلى أمثالهم من قومك يكونوا معك . قال : لو وجدنى هؤلاء نائماً ما أيقظونى ! قالت : فكلِّمهم من فوق البيت. فأبى عليها ، فنزل إليهم يفوحُ ريحه . قالوا : ما هذه الريح يا فلان ؟ قال : هذا عطرُ أم فلان! امرأته . فدنا إليه بعضهم يشم رائحته ، ثم اعتنقه ، ثم قال : اقتلوا عدو الله! فطعنه أبو عَبْس فى خاصرته ، وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف ، فقتلوه ثم رجعوا . فأصبحت اليهود مذعورين ، فجاؤوا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : قتل سيدنا غيلة! فذكّرهم النبى صلى الله عليه وسلم صَنيعه ، وما كان يحضّ عليهم ويحرض فى قتالهم ويؤذيهم ، ثم دعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم صلحاً ، قال : فكان ذلك الكتابُ مع علىّ رضوان الله عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (١٨٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره: واذكر أيضاً من [أمر] هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم ، يا محمد ،[1] إذ أخذ الله ميثاقهم ليبيننّ للناس أمرك الذى أخذ ميثاقهم على بيانه للناس فى كتابهم الذى فى أيديهم ، وهو التوراة والإنجيل ، وأنك لله رسول مرسل بالحق ولا يكتمونه = « فنبذوه وراء

إلا حرمه » ، لا يراد به حقيقة القعود ، بل استمرار ذلك منه واتصاله ، وحاله عند رؤية الناس ، أو طروق السائل . واستعمال « ذهب » بهذا المعنى كثير الورود فى كلامهم ، وإن لم تذكره كتب اللغة.

(١) الزيادة بين القوسين مما لا يستقيم الكلام إلا بها أو بشبهها .

ظهورهم »، يقول : فتركوا أمر الله وضيعوه ، [١] ونقضوا ميثاقه الذى أخذ عليهم بذلك، فكتموا أمرك، وكذبوا بك=«واشتروا به ثمناً قليلا»، يقول : وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتموه من أمر نبوتك ، عوضاً منه خسيساً قليلا من عرض الدنيا[٢] = ثم ذم جل ثناؤه شراءهم ما اشتروا به من ذلك فقال : « فبئس ما يشترون ». [٣]

١٣٥/٤

* * *

واختلف أهل التأويل فيمن عُنِى بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها اليهود خاصّة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣١٨ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة : أنه حدثه ، عن ابن عباس : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » إلى قوله : « عذاب أليم » ، يعنى فنحاص وأشيع وأشباههما من الأحبار .

٨٣١٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس مثله . [٤]

---

(١) انظر تفسير « نبد » فيما سلف ٢ : ٤٠١ = وتفسير « وراء ظهورهم » فيما سلف ٢ : ٤٠٤ .

(٢) انظر تفسير « اشترى » فيما سلف ١ : ٣١٢ — ٣١٥/٢ : ٣٤٠ — ٣٤٢ ، ٣/ ٤٥٥ : ٣٣٠ / ٤ : ٢٤٦ : ٦ : ٥٢٧ /٧ : ٤٢٠ .

وانظر تفسير « الثمن » فيما سلف ١ : ٥٦٥/٣ : ٣٢٨/٦ : ٥٢٧ بولاق

(٣) انظر بيان معنى « بئس » فيما سلف ٢ : ٣٣٨ — ٣٤٠/٣ : ٥٦

(٤) الأثران : ٨٣١٨ ، ٨٣١٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٨٣٠٠ ، ٨٣٠١

٨٣٢٠ - حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم »، كان أمرهم أن يتبعوا النبىّ الأمىّ الذى يؤمن بالله وكلماته، وقال : ﴿ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٨] . فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ ﴾ [سورة البقرة : ٤٠]، عاهدهم على ذلك، فقال حين بعث محمداً : صدِّقوه، وتلقون الذى أحببتم عندى .

٨٣٢١ - حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس» الآية، قال : إن الله أخذ ميثاق اليهود ليبيننه للناس، محمداً صلى الله عليه وسلم، ولا يكتمونه :=«فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا » .

٨٣٢٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثورى، عن أبى الجحّاف، عن مسلم البطين قال : سأل الحجاج بن يوسف جُلساءه عن هذه الآية : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب »، فقام رجل إلى سعيد بن جبير فسأله فقال : « وإذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب »، يهود، « ليبيننه للناس »، محمداً صلى الله عليه وسلم، « ولا يكتمونه فنبذوه » .

٨٣٢٣ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه »، قال : وكان فيه أن الإسلام دين الله الذى افترضه على عباده، وأن محمداً يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل .

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك كل من أوتى علماً بأمر الدين .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٢٤ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم » الآية، هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم شيئاً فليعلِّمه، وإياكم وكتمانَ العلم، فإن كتمان العلم هَلَكة، ولا يتكلَّفن رجلٌ ما لا علم له به، فيخرج من دين الله فيكون من المتكلِّفين، كان يقال : « مثلُ علم لا يقال به، كمثل كنز لا ينفق منه ! ومثل حكمة لا تخرج، كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب ». وكان يقال : « طوبى لعالم ناطق، وطوبى لمستمع واعٍ ». هذا رجلٌ علم علماً فعلّمه وبذله ودعا إليه، ورجلٌ سمع خيراً فحفظه ووعاه وانتفع به.

٨٣٢٥ - حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة قال : جاء رجل إلى قوم في المسجد وفيه عبد الله بن مسعود فقال : إنّ أخاكم كعباً يقرئكم السلام، ويبشركم أن هذه الآية ليست فيكم : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ». فقال له عبد الله : وأنت فأقره السلام وأخبرهُ أنها نزلت وهو يهوديّ.

٨٣٢٦ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، بنحوه، عن عبد الله وكعب.

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم.

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٢٧ - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان قال، حدثني يحيى بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : إن أصحاب عبد الله يقرأون : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِيثَاقَهُمْ ﴾، قال : من النبيين على قومهم.

٤/١٣٦ ٨٣٢٨ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا قبيصة قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد قال ، قلت لابن عباس : إن أصحاب عبد الله يقرأون : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » ، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ ، قال فقال : أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم .

* * *

وأما قوله : « لتبيننه للناس » ، فإنه كما : —

٨٣٢٩ — حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثني أبي قال ، حدثنا محمد بن ذكوان قال ، حدثنا أبو نعامة السعدي قال : كان الحسن يفسر قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » ، لتتكلمن بالحق ، ولتصدقنه بالعمل.(١)

* * *

قال أبو جعفر : واختلف القرأة في قراءة ذلك :

فقرأه بعضهم : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّه لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ ﴾ بالتاء. وهي قراءة عُظْم قرأة أهل المدينة والكوفة ،(٢) على وجه المخاطب ، بمعنى : قال الله لهم : لَتُبيننّه للناس ولا تكتمونه .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ لِيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ يَكْتُمُونَه ﴾ بالياء جميعاً ، على وجه الخبر عن الغائب ، لأنهم في وقت إخبار الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك عنهم ، كانوا غير موجودين ، فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب .

* * *

---

(١) كانت الآية في المطبوعة : « ليبيننه للناس ولا يكتمونه » بالياء ، في جميع الآثار السالفة ، فجعلتها على قراءة مصحفنا بالتاء في الكلمتين .

(٢) في المطبوعة : «وهي قراءة أعظم قراء أهل المدينة . . . » وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة كما سلف عشرات من المرات . وعظم القوم : أكثرهم ومعظمهم.

قال أبو جعفر : والقول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان ، صحيحةٌ وجوههما ، مستفيضتان فى قرأة الإسلام ، غير مختلفتى المعانى ، فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب فى ذلك . غير أن الأمر فى ذلك وإن كان كذلك ، فإن أحب القراءتين إلىّ أن أقرأ بها : ﴿ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَه ﴾ ، بالياء جميعاً ، استدلالاً بقوله : « فنبذوه » ،(1) إذ كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب على سبيل قوله : «فنبذوه» — حتى يكون متسقاً كله على معنى واحد ومثال واحد . ولو كان الأول بمعنى الخطاب ، لكان أن يقال : « فنبذتموه وراء ظهوركم » أولى ، من أن يقال : « فنبذوه وراء ظهورهم » .

* * *

وأما قوله : « فنبذوه وراء ظهورهم » ، فإنه مثل لتضييعهم القيام بالميثاق وتركهم العمل به .

وقد بينا المعنى الذى من أجله قيل ذلك كذلك ، فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا إعادته .(2)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٣٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا يحيى ابن أيوب البَجَلى ، عن الشعبى فى قوله : « فنبذوه وراء ظهورهم » ، قال : إنهم قد كانوا يقرأونه ، إنما نبذوا العمل به .

٨٣٣١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « استدلالا بقوله فنبذوه ، أنه إذ كان قد خرج مخرج الخبر . . . » وهو كلام لا يستقيم ، فحذفت : « أنه » ، ويكون السياق : « فإن أحب القراءتين إلى أن أقرأ بها . . . حتى يكون متسقاً كله على معنى واحد » . وما بينهما فصل ، علل به اختيار قراءته .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٤٠٤ ، وما سلف ص : ٤٥٩ ، تعليق : ١ .

ابن جريج : « فنبذوه وراء ظهورهم » ، قال : نبذوا الميثاق .

٨٣٣٢ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا عثمان بن عمر قال ، حدثنا مالك بن مغول : قال ، نبئت عن الشعبى فى هذه الآية : « فنبذوه وراء ظهورهم » ، قال : قذفوه بين أيديهم ، وتركوا العمل به .

* * *

وأما قوله : « واشتروا به ثمناً قليلا » ، فإن معناه ما قلنا ، من أخذهم ما أخذوا على كتمانهم الحق وتحريفهم الكتاب ، [1] كما : —

٨٣٣٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واشتروا به ثمناً قليلا » ، أخذوا طمعاً ، وكتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقوله : « فبئس ما يشترون » ، يقول : فبئس الشراء يشترون فى تضييعهم الميثاق وتبديلهم الكتاب ، كما : —

٨٣٣٤ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فبئس ما يشترون » ، قال : تبديل اليهود التوراة .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ص : ٤٥٩ ، تعليق : ٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٨٨)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : عنى بذلك قومٌ من أهل النفاق كانوا يقعدون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا العدو ، فإذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه ، وأحبّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٣٥ — حدثنا محمد بن سهل بن عسكر وابن عبد الرحيم البرقى قالا ، حدثنا ابن أبى مريم قال ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير قال ، حدثنى زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى : أن رجالا من المنافقين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم إلى الغزو ، تخلّفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله . وإذا قدم النبى صلى الله عليه وسلم من السفر اعتذروا إليه ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا . فأنزل الله تعالى فيهم : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، الآية .[1] ١٣٧/٤

٨٣٣٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، قال : هؤلاء المنافقون ، يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم : لو قد خرجت لخرجنا معك ! فإذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم تخلّفوا وكذبوا ، ويفرحون بذلك ، ويرون أنها حيلة احتالوا بها .

* * *

(١) الحديث : ٨٣٣٥ — رواه البخارى من طريق شيخه سعيد بن أبى مريم ، كرواية الطبرى (الفتح : ٨ : ١٧٥) . وقال ابن كثير ٢ : ٣١٧ : « رواه مسلم من حديث ابن أبى مريم بنحوه »

وقال آخرون : عنى بذلك قوم من أحبار اليهود ، كانوا يفرحون بإضلالهم الناس ، ونسبة الناس إياهم إلى العلم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٣٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس أو سعيد بن جبير : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » إلى قوله : « ولهم عذاب أليم » ، يعنى فنحاص وأشيع وأشباههما من الأحبار ، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زيَّنوا للناس من الضلالة = « ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، أن يقول لهم الناس علماء ، وليسوا بأهل علم ، لم يحملوها على هدى ولا خير ، [1] ويحبون أن يقول لهم الناس : قد فعلوا . [2]

٨٣٣٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة : أنه حدثه عن ابن عباس بنحو ذلك = إلا أنه قال : وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هدى . [3]

* * *

وقال آخرون : بل عُنى بذلك قومٌ من اليهود ، فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحبون أن يحمدوا بأن يقال لهم : أهل صلاة وصيام .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) سيرة ابن هشام « هدى ولا حق » . وفى المطبوعة : « لم يحملوهم على هدى » غير ما فى المخطوطة ، ولكنها الصواب ، ويدل على ذلك الأثر التالى ، فإنه ذكر وجه الخلاف بين الروايتين .

(٢) الأثر : ٨٣٣٧ ، ٨٣٣٨ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٨ ، وهو تتمة الأثر السالف رقم : ٨٣١٨ ، والإسناد متصل إلى ابن عباس ، كما مضى مراراً .

(٣) فى المطبوعة : « ابن كريب » ، وهو خطأ ، قد مضى على صحته فى مئات من المواضع .

٨٣٣٩ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، فإنهم فرحوا باجتماعهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا : « قد جمع الله كلمتنا ، ولم يخالف أحد منا أحداً [أن محمداً ليس بنبى] » .[1] وقالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه ، ونحن أهل الصلاة والصيام » ، وكذبوا ، بل هم أهل كفر وشرك وافتراء على الله ، قال الله : « يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » .

٨٣٤٠ - حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، قال : كانت اليهود أمر بعضهم بعضاً ،[2] فكتب بعضهم إلى بعض : « أن محمداً ليس بنبى ، فأجمعوا كلمتكم ، وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذى معكم » ، ففعلوا ، وفرحوا بذلك ، وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

٨٣٤١ - حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، ففرحوا بذلك ، وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

٨٣٤٢ - حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى

---

(١) هذه الجملة بين القوسين ، كان مكانها فى المطبوعة : « أنه نبى » ، وفى المخطوطة « أن بنبى » ، والذى فى المطبوعة مخالف لما تمالأ عليه اليهود ، والذى فى المخطوطة بين الفساد والخرم ، واستظهرت ما بين القوسين من الأثر الذى رواه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٠٩ ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير عن الضحاك ، والذى سيأتى فى الأثر التالى ، ونصه : « إن اليهود كتب بعضهم إلى بعض أن محمداً ليس بنبى ، فأجمعوا كلمتكم ، وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذى معكم » . فمن هذا استظهرت صواب العبارة التى أثبتها .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « قال : قالت اليهود أمر بعضهم بعضاً » ، وهو كلام غير مستقيم ، صحفت « كانت » إلى « قالت » فأثبتها على الصواب إن شاء الله .

قال : كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه ، وكانوا يزكون أنفسهم فيقولون : « نحن أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الزكاة ، ونحن على دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم » ، فأنزل الله فيهم : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا »، من كتمان محمد صلى الله عليه وسلم = « ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، أحبوا أن تحمدهم العرب ، بما يزكون به أنفسهم ، وليسوا كذلك .

٨٣٤٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن أبى الجحاف ، عن مسلم البطين قال : سأل الحجاج جلساءه عن هذه الآية : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، قال سعيد بن جبير : بكتمانهم محمداً = « ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا »، قال : هو قولهم : « نحن على دين إبراهيم عليه السلام » .[1]

١٣٨/٤

٨٣٤٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، هم أهل الكتاب ، أنزل عليهم الكتاب فحكموا بغير الحق ، وحرفوا الكلم عن مواضعه ، وفرحوا بذلك ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا . فرحوا بأنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله ، وهم يزعمون أنهم يعبدون الله ويصومون ويصلون ويطيعون الله . فقال الله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، كفراً بالله وكفراً بمحمد صلى الله عليه وسلم[2] = « ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، من الصلاة والصوم ، فقال الله جل وعز لمحمد صلى الله عليه وسلم : « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » .

* * *

(١) الأثر : ٨٣٤٣ — انظر الأثر السالف رقم : ٨٣٢٢ .

(٢) فى المطبوعة : « كفروا بالله ، وكفروا بمحمد » ، والصواب من المخطوطة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، من تبديلهم كتاب الله ، ويحبون أن يحمَدهم الناس على ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٤٥ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، قال : يهودُ ، فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياهم عليه ، ولا تملك يهود ذلك .[1]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنهم فرحوا بما أعطى الله تعالى آل إبراهيم عليه السلام .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٤٦ — حدثنى محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبير أنه قال فى هذه الآية : « ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، قال : اليهود ، يفرحون بما آتى الله إبراهيم عليه السلام .

٨٣٤٧ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة عن أبي المعلى العطّار ، عن سعيد بن جبير قال : هم اليهود ، فرحوا بما أعطى الله تعالى إبراهيم عليه السلام .

* * *

وقال آخرون : بل عُنى بذلك قومٌ من اليهود ، سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شىء فكتموه ، ففرحوا بكتمانهم ذلك إياه .

ذكر من قال ذلك :

---

(١) قوله : « ولا تملك يهود ذلك » كأنه يعنى : ولا تملك يهود النجاة من عذاب الله ، كما أنذرهم فى الآية .

٨٣٤٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرنى ابن أبى مليكة: أن علقمة بن أبى وقاص أخبره : أن مروان قال لرافع : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له : « لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً ، ليعذبنا الله أجمعين » ! فقال ابن عباس : ما لكم ولهذه ! إنما دعا النبى صلى الله عليه وسلم يهود ، فسألهم عن شىء ، فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استجابوا لله بما أخبروه عنه مما سألهم ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه . ثم قال : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » ، الآية .

٨٣٤٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : أخبرنى عبد الله بن أبى مليكة : أن حميد بن عبدالرحمن بن عوف أخبره: أن مروان بن الحكم قال لبوابه : يا رافع ، اذهب إلى ابن عباس فقل له : « لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً، لنعذبن جميعاً » ! فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية ؟ إنما أنزلت فى أهل الكتاب ! ثم تلا ابن عباس : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس » إلى قوله : « أن يحمدوا بما لم يفعلوا » . قال ابن عباس : سألهم النبىّ صلى الله عليه وسلم عن شىء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما قد سألهم عنه ، فاستحمدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه .[1]

* * *

(١) الأثران : ٨٣٤٨ ، ٨٣٤٩ — أخرجهما البخارى فى كتاب التفسير ، الأول من طريق : « إبراهيم بن موسى عن هشام ، أن ابن جريج أخبرهم . . . » والآخر من طريق : « ابن مقاتل ، أخبرنا الحجاج ، عن ابن جريج » ، وأخرجه الترمذى فى كتاب التفسير . وقد استوفى الحافظ ابن حجر فى الفتح ٨ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، فى هذين الأثرين ، ذكر رافع ، الذى لم يروا له ذكراً فى كتب الرواة ، وفى اختلافهم على ابن جريج فى شيخ شيخه مرة « علقمة بن أبى وقاص » ، وأخرى « حميد بن عبد الرحمن بن عوف » . وانظر أسباب النزول للواحدى : ١٠١ ، ١٠٢ .

وقال آخرون : بل عنى بذلك قومٌ من يهود، أظهروا النفاق للنبي صلى الله عليه وسلم محبة منهم للحمد، والله عالم منهم خلاف ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٥٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : ذكر لنا أنّ أعداء الله اليهود، يهود خيبر، أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم، فزعموا أنهم راضون بالذى جاء به، وأنهم متابعوه، وهم متمسكون بضلالتهم، وأرادوا أن يحمَدهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لم يفعلوا، فأنزل الله تعالى : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا »، الآية . ١٣٩/٤

٨٣٥١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال : إن أهل خيبر أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا : « إنا على رأيكم وسنتكم،[1] وإنا لكم رِدْء » .[2] فأكذبهم الله فقال : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » الآيتين .

٨٣٥٢ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة قال : جاء رجل إلى عبد الله فقال : إن كعباً يقرأ عليك السلام ويقول : إن هذه الآية لم تنزل فيكم : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا »، قال : أخبروه أنها نزلت وهو يهودى .[3]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى تأويل قوله : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » الآية، قول من قال : «عنى بذلك أهل الكتاب الذين أخبر

---

(١) فى المطبوعة : « على رأيكم وهيئتكم »، والذى فى المخطوطة « على رأيكم وسكم » غير منقوطة، وأرجح أن صواب قراءتها ما أثبت . وأكثر من روى هذا الخبر حذف منه هذه الكلمة . و « السنة » : الطريقة والنهج .

(٢) « الردء » : العون والناصر، ينصره ويشد ظهره .

(٣) الأثر : ٨٣٥٢ — انظر الأثر السالف رقم : ٨٣٢٥، « وكعب » هو « كعب الأحبار » .

الله جل وعزّ أنه أخذ ميثاقهم ليبيننّ للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه ». لأن قوله : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، الآية ، فى سياق الخبر عنهم ، وهو شبيه بقصتهم ، مع اتفاق أهل التأويل على أنهم المعنيون بذلك .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : لا تحسبن ، يا محمد، الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناسَ أمرك ، وأنك لى رسول مرسل بالحق ، وهم يجدونك مكتوباً عندهم فى كتبهم ، وقد أخذت عليهم الميثاق بالإقرار بنبوتك، وبيان أمرك للناس، وأن لا يكتموهم ذلك ، وهم مع نقضهم ميثاقى الذى أخذت عليهم بذلك ، يفرحون بمعصيتهم إياى فى ذلك ، ومخالفتهم أمرى ، ويحبون أن يحمدهم الناس بأنهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم ، واتباع لوحيه وتنزيله الذى أنزله على أنبيائه ، وهم من ذلك أبرياء أخلياء ، لتكذيبهم رسوله ، ونقضهم ميثاقه الذى أخذ عليهم ، لم يفعلوا شيئاً مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه = « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » .

* * *

وقوله : « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » ، فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله الذى أعده لأعدائه فى الدنيا ، (١) من الخسف والمسخ والرجف والقتل ، وما أشبه ذلك من عقاب الله ، ولا هم ببعيد منه ، (٢) كما : —

٨٣٥٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » ، قال : بمنجاة من العذاب .

* * *

قال أبو جعفر : « ولهم عذاب أليم » ، يقول : ولهم عذابٌ فى الآخرة أيضاً مؤلم ، مع الذى لهم فى الدنيا معجل . (٣)

* * *

(١) انظر تفسير « فاز » فيما سلف قريباً ص : ٤٥٢

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٠

(٣) أخشى أن يكون صواب العبارة : « ولهم عذاب مؤلم فى الآخرة أيضاً مؤجل ، مع الذى لهم فى الدنيا معجل » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٨٩)

قال أبو جعفر : وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه الذين قالوا : « إن الله فقير ونحن أغنياء » . يقول تعالى ذكره ، مكذباً لهم : لله ملك جميع ما حوته السموات والأرض . فكيف يكون ، أيها المفترون على الله ، من كان ملك ذلك له فقيراً ؟

ثم أخبر جل ثناؤه أنه القادر على تعجيل العقوبة لقائلى ذلك ، ولكل مكذب به ومفتر عليه ، وعلى غير ذلك مما أراد وأحب ، ولكنه تفضل بحلمه على خلقه = فقال : « والله على كل شىء قدير » ، يعنى : من إهلاك قائلى ذلك ، وتعجيل عقوبته لهم ، وغير ذلك من الأمور .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١٩٠)

قال أبو جعفر : وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك ، وعلى سائر خلقه ، بأنه المدبر المصرّف الأشياء والمسخّر ما أحب ، وأن الإغناء والإفقار إليه وبيده ، فقال جل ثناؤه : تدبروا أيها الناس واعتبروا ، ففيما أنشأته فخلقته من السموات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم ، وفيما عقّبت بينه من الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم ،[1] تتصرفون فى هذا لمعاشكم ، وتسكنون فى

١٤٠/٤

(١) عاقب بين الشيئين : راوح بينهما ، لهذا مرة ولذاك مرة . واستعمل الطبرى « عقب » مشددة القاف ، بنفس المعنى ، كما يقال : « ضاعف وضعف » ، و « عاقد وعقد » . و « اعتقب الليل والنهار » جاء هذا بعد هذا ، دواليك .

هذا راحة لأجسادكم = معتبر ومدَّكر وآيات وعظات . فمن كان منكم ذا لُبٍّ وعقل ، يعلم أن من نسبني إلى أنّى فقير وهو غني ، كاذب مفتر ،[١] فإنّ ذلك كله بيدي أقلّبه وأصرّفه ، ولو أبطلت ذلك لهلكتم ، فكيف ينسب إلى فقر من كان كل ما به عيش ما في السموات والأرض بيده وإليه ؟[٢] أم كيف يكون غنيًّا من كان رزقه بيد غيره، إذا شاء رزقه ، وإذا شاء حرَمه ؟ فاعتبروا يا أولى الألباب .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

قال أبو جعفر : وقوله : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً » من نعت « أولى الألباب » ،و « الذين » في موضع خفض ردًّا على قوله : « لأولى الألباب » .

* * *

ومعنى الآية : إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذاكرين الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم = يعني بذلك : قياماً في صلاتهم ، وقعوداً في تشهدهم وفي غير صلاتهم ، وعلى جنوبهم نياماً ، كما : —

٨٣٥٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

---

(١) في المخطوطة : « يعلم أنه أن من نسبى إلى أنى فقير وهو غنى ، دادب معى » ، وهو كلام مصحف مضطرب ، والذى في المطبوعة أشبه بالصواب إن شاء الله .

(٢) في المطبوعة : « فكيف ينسب فقر إلى من كان . . . » ، أخر « إلى » ، والصواب الجيد تقديمها كما في المخطوطة .

ابن جريج قوله : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً » الآية ، قال : هو ذكر الله في الصلاة وفي غير الصلاة ، وقراءة القرآن .

٨٣٥٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » ، وهذه حالاتك كلها يا ابن آدم ، فاذكره وأنت على جنبك ، يُسراً من الله وتخفيفاً .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وكيف قيل : « وعلى جنوبهم » : فعطف بـ « على » وهي صفة ، (١) على « القيام والقعود » وهما اسمان ؟

قيل : لأن قوله : « وعلى جنوبهم » في معنى الاسم ، ومعناه : ونياماً ، أو : « مضطجعين على جنوبهم » ، فحسن عطف ذلك على « القيام » و « القعود » لذلك المعنى ، كما قيل : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ [سورة يونس : ١٢] ، فعطف بقوله : « أو قاعداً أو قائماً » على قوله : « لجنبه » ، لأن معنى قوله « لجنبه » ، مضطجعاً ، (٢) فعطف بـ « القاعد » و « القائم » على معناه . فكذلك ذلك في قوله : « وعلى جنوبهم » . (٣)

* * *

وأما قوله : « ويتفكرون في خلق السموات والأرض » ، فإنه يعني بذلك أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك ، فيعلمون أنه لا يصنع ذلك إلا مَن ليس كمثله شيء ، ومن هو مالك كل شيء ورازقه ، وخالق كل شيء ومدبره ، ومن هو على كل شيء قدير ، وبيده الإغناء والإفقار ، والإعزاز والإذلال ، والإحياء والإماتة ، والشقاء والسعادة .

* * *

---

(١) « الصفة » : حرف الجر ، كما سلف في مواضع كثيرة ، وانظر ١ : ٢٩٩ ، تعليق : ١ ، وفهرس المصطلحات في الأجزاء السالفة .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ٤٧٥

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٠

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١٩١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض » قائلين : « ربنا ما خلقت هذا باطلا » ، فترك ذكر « قائلين » ، إذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه

* * *

وقوله : « ما خلقت هذا باطلا » ، يقول : لم تخلق هذا الخلق عبثاً ولا لعباً ، ولم تخلقه إلا لأمر عظيم من ثواب وعقاب ومحاسبة ومجازاة ، وإنما قال « ما خلقت هذا باطلا » ، ولم يقل : « ما خلقت هذه ، ولا : هؤلاء » ، لأنه أراد بـ « هذا » ، الخلقَ الذى فى السموات والأرض. يدل على ذلك قوله : « سبحانك فقنا عذاب النار » ، ورغبتهم إلى ربهم فى أن يقيهم عذاب الجحيم . ولو كان المعنىّ بقوله : « ما خلقت هذا باطلا » ، السموات والأرض ، لما كان لقوله عقيب ذلك : « فقنا عذاب النار » ، معنى مفهوم . لأن « السموات والأرض » أدلة على بارئها ، لا على الثواب والعقاب ، وإنما الدليل على الثواب والعقاب ، الأمر والنهى .

وإنما وصف جل ثناؤه : « أولى الألباب » الذين ذكرهم فى هذه الآية : أنهم إذا رأوا المأمورين المنهيّين قالوا : « يا ربنا لم تخلُق هؤلاء باطلا عبثاً سبحانك » ، يعنى : تنزيهاً لك من أن تفعل شيئاً عبثاً ، ولكنك خلقتهم لعظيم من الأمر ، لجنة أو نار .

١٤١/٤ ثم فَزِعوا إلى ربهم بالمسألة أن يجيرهم من عذاب النار ، وأن لا يجعلهم ممن عصاه وخالف أمره ، فيكونوا من أهل جهنم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (١٩٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها ، فقد أخزيته . قال : ولا يخزى مؤمن مصيرُه إلى الجنة ، وإن عذِّب بالنار بعض العذاب .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٥٦ — حدثنى أبو حفص الجبيرى ومحمد بن بشار قالا ، أخبرنا المؤمل ، أخبرنا أبو هلال ، عن قتادة ، عن أنس فى قوله : « ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته » ، قال : من تُخلد .(١)

٨٣٥٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن رجل ، عن ابن المسيب : « ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته » ، قال : هى خاصة لمن لا يخرج منها .

٨٣٥٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد ابن زيد قال ، حدثنا قبيصة بن مروان ، عن الأشعث الحمْلى قال ، قلت للحسن : يا أبا سعيد ، أرأيت ما تذكر من الشفاعة ، حق هو ؟ قال : نعم ، حق . قال ، قلت : يا أبا سعيد ، أرأيت قول الله تعالى : « ربنا إنك من تدخل النار فقد

---

(١) الأثر : ٨٣٥٦ — « أبو حفص الجبيرى » ، لم أجده ، والذى يروى عنه أبو جعفر هو عمرو ابن على الفلاس ، « أبو حفص الصيرفى » ، وهو فى المخطوطة « الحبرى » غير منقوطة ، ولا أدرى أيقرأ « الجبيرى » أو « الحيبرى » ، ولم أجد هذه النسبة فى ترجمة « عمرو بن على الفلاس » . وعمرو بن على الفلاس يروى عن مؤمل بن إسماعيل كما مضى فى مواضع كثيرة منها رقم : ١٨٨٥ ، ١٨٩١ ، ١٨٩٨ ، وغيرها كثير .

أخزيته » و﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾[(١)] [سورة المائدة : ٣٧] ؟ قال فقال لى : إنك والله لا تسطو على بشىء ، [(٢)] إنّ للنار أهلاً لا يخرجون منها ، كما قال الله . قال قلت : يا أبا سعيد ، فيمن دخلوا ثم خرجوا ؟ قال : كانوا أصابوا ذنوباً فى الدنيا فأخذهم الله بها ، فأدخلهم بها ثم أخرجهم ، بما يعلم فى قلوبهم من الإيمان والتصديق به .[(٣)]

٨٣٥٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « إنك من تدخل النار فقد أخزيته » ، قال : هو من يخلد فيها .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ربنا إنك من تدخل النار ، من مخلد فيها وغير مخلد فيها ، فقد أخزى بالعذاب .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٦٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا الحارث بن مسلم ، عن بحر ، عن عمرو بن دينار قال : قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة ، فانتهيت إليه أنا وعطاء فقلت : « ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته » ؟ قال :

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة ، أسقط « الواو » بين الآيتين ، والصواب إثباتها كما يدل عليه سياق سؤاله ، وجواب الحسن له .

(٢) فى المطبوعة : « إنك والله لا تستطيع على شىء » ، وهو كلام لا خير فيه ، والصواب ما أثبته من المخطوطة ، غيره الناشرون إذ لم يفهموه . وقوله : « لا تسطو على بشىء » ، أى : إنك لا تحتج على بحجة تقهرنى بها وتغلبنى . وأصله من « السطو » ، وهو البطش والقهر . و « فلان يسطو على فلان » ، أى يتطاول عليه .

(٣) الأثر : ٨٣٥٨ — « قبيصة بن مروان بن المهلب » روى عن والان ، وروى عنه حماد بن زيد . مترجم فى الكبير ١٧٧/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٢٥/٢/٣ . والأشعث الحملى » منسوب إلى جده ، وهو : « الأشعث بن عبد الله بن جابر الحدانى الأعمى » ويقال : « الأزدى » ، و « حدان » بطن من الأزد . روى عن أنس ، والحسن ، وابن سيرين . وروى عنه شعبة ، وحماد بن سلمة ، ويحيى بن سعيد القطان ، مترجم فى التهذيب .

وما أخزاه حين أحرقه بالنار ! وإن دون ذلك لخزياً .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب عندى ، قول جابر : « إن من أدخل النار فقد أخزى بدخوله إياها وإن أخرج منها » . وذلك أن « الخزى » إنما هو هتك ستر المخزىّ وفضيحته ،(٢) ومن عاقبه ربه فى الآخرة على ذنوبه ، فقد فضحه بعقابه إياه ، وذلك هو « الخزى » .

* * *

وأما قوله : « وما للظالمين من أنصار » ، يقول : وما لمن خالف أمر الله فعصاه ، من ذى نُصرة له ينصره من الله ، فيدفع عنه عقابه ، أو ينقذه من عذابه .

* * *

---

(١) الأثر : ٨٣٦٠ — « الحارث بن مسلم الرازى » مضى برقم : ٨٠٩٧ ، و « بحر السقاء » ، هو « بحر بن كنيز الباهلى السقاء » مضى أيضاً برقم : ٨٠٩٧ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « الحارث ابن مسلم ، عن يحيى بن عمرو بن دينار » ، وهو خطأ صرف .

وهذا الأثر قد أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٠٠ ، ولم يقل فيه شيئاً ، وقال الذهبى فى تعليقه : « قلت : بحر هالك » ، ورواه بأتم مما هنا ، بيد أن السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١١١ ، خرجه ، ونسبه للحاكم وابن جرير ، وساق لفظ الأثر بأتم من لفظ أبى جعفر ، ومخالفاً لفظ الحاكم ، ولفظه : « قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة ، فانتهيت إليه أنا وعطاء ، فقلت : « وما هم بخارجين من النار » ؟ قال : أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم الكفار . قلت لجابر : فقوله : إنك من تدخل النار فقد أخزيته . . . » ، وسائر لفظه مطابق لما فى الطبرى .

وفى المخطوطة : « حين أحروه بالنار » ، والصواب ما فى المطبوعة ، موافقاً لفظ الحاكم والسيوطى . وفى المخطوطة والمطبوعة : « وما إخزاؤه » وهو لا يستقيم ، والصواب ما فى الدر المنثور . وقوله : « ما أخزاه » تعجب . والذى فى الحاكم « قد أخزاه حين أحرقه بالنار » . فهما روايتان تصحح إحداهما معنى الأخرى . ويدل على صواب ذلك ترجيح الطبرى لقول جابر فى الفقرة التالية .

(٢) انظر تفسير « الخزى » فيما سلف ٢ : ٣١٤ ، ٥٢٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٣)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل « المنادى » الذى ذكره الله تعالى فى هذه الآية .

فقال بعضهم : « المنادى » فى هذا الموضع ، القرآن .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٦١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب : « إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » ، قال : هو الكتاب ، ليس كلهم لقى النبى صلى الله عليه وسلم .(١)

٨٣٦٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا منصور بن حكيم ، عن خارجة ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى فى قوله : « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » ، قال : ليس كل الناس سمع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ولكن المنادى القرآن .(٢)

* * *

وقال آخرون : بل هو محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الأثر : ٨٣٦١ — « قبيصة بن عقبة بن محمد السوائى » مضى برقم : ٤٨٩ ، ٢٧٩٢ ، وهو ثقة معروف ، أخرج له الستة ، وتكلم بعضهم فى روايته عن سفيان الثورى : بأنه يخطىء فى بعض روايته ، بأنه سمع من الثورى صغيراً .

و « موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى » ، ضعيف جداً ، مضى برقم : ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ ، ٣٢٩١

(٢) الأثر : ٨٣٦٢ — « منصور بن حكيم » ، لم أعرفه ولم أجد له ترجمة ، وكذلك « خارجة » لم أعرف من يكون فيمن اسمه « خارجة » ، وأخشى أن يكون فيهما تصحيف أو تحريف .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٦٣ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » : قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

٨٣٦٤ - حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » ، قال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٤٢/٤

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قول محمد بن كعب ، وهو أن يكون « المنادى » القرآن . لأن كثيراً ممن وصفهم الله بهذه الصفة فى هذه الآيات ، ليسوا ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا عاينه فسمعوا دعاءه إلى الله تبارك وتعالى ونداءه ، ولكنه القرآن ، وهو نظير قوله جل ثناؤه مخبراً عن الجن إذ سمعوا كلام الله يتلى عليهم أنهم قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ ﴾ [سورة الجن : ١ ، ٢] .

وبنحو ذلك :-

٨٣٦٥ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » إلى قوله : « وتوفَّنَا مع الأبرار » ، سمعوا دعوة من الله فأجابوها فأحسنوا الإجابة فيها ، وصبروا عليها . ينبئكم الله عن مؤمن الإنس كيف قال ، وعن مؤمن الجنّ كيف قال . فأما مؤمن الجن فقال : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ وأما مؤمن الإنس فقال : « إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا » ، الآية .

* * *

وقيل : « إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » ، يعنى : ينادى إلى الإيمان ، كما

قال تعالى ذكره : ﴿ الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى هَدَانا لِهٰذَا ﴾ [سورة الأعراف : ٤٣] ، بمعنى : هدانا إلى هذا ،(١) وكما قال الراجز :(٢)

أَوْحَى لَها القَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ(٣)

بمعنى : أوحى إليها ، ومنه قوله : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ [سورة الزلزلة : ٥] .

* * *

وقيل : يحتمل أن يكون معناه : إننا سمعنا منادياً للإيمان ، ينادى أن آمنوا بربكم.(٤)

* * *

فتأويل الآية إذاً : ربنا سمعنا داعياً يدعو إلى الإيمان = يقول : إلى التصديق بك ، والإقرار بوحدانيتك ، واتباع رسولك ، وطاعته فيما أمرنا به ونهانا عنه مما جاء به من عندك = « فآمنا ربنا » ، يقول : فصدقنا بذلك يا ربنا .= « فاغفر لنا ذنوبنا » ، يقول : فاستر علينا خطايانا ، ولا تفضحنا بها فى القيامة على رؤوس الأشهاد ، بعقوبتك إيانا عليها ، ولكن كفّرها عنا ، وسيئات أعمالنا ، فامحها بفضلك ورحمتك إيانا = « وتوفنا مع الأبرار » ، يعنى بذلك : واقبضنا إليك إذا قبضتنا إليك ، فى عداد الأبرار ، واحشرنا محشرهم ومعهم .

* * *

و « الأبرار » جمع « بَرّ » وهم الذين برُّوا الله تبارك وتعالى بطاعتهم إياه وخدمتهم له ، حتى أرضوه فرضى عنهم .(٦)

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ١٦٩ .

(٢) هو العجاج .

(٣) سلف تخريجهما فى ٦ : ٤٠٥ ، تعليق : ٣ .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٠ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١١ .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١١ .

(٦) وانظر تفسير « البر » فيما سلف ٢ : ٨/٣:٣٣٦ - ٥٥٦،٣٣٨/٤:٤٢٥/٦:٥٨٧

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (١٩٤)

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وما وجه مسألة هؤلاء القوم ربَّهم أن يؤتيهم ما وعدهم ، وقد علموا أن الله منجز وعده ، وغيرُ جائز أن يكون منه إخلاف موعد ؟

قيل : اختلف فى ذلك أهل البحث .(١)

فقال بعضهم : ذلك قول خرج مخرج المسألة ، ومعناه الخبر . قالوا : وإنما تأويل الكلام : « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار » ، لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة . قالوا : وليس ذلك على أنهم قالوا : « إن توفيتنا مع الأبرار ، فأنجز لنا ما وعدتنا » ، لأنهم قد علموا أن الله لا يخلف الميعاد ، وأن ما وعد على ألسنة رسله ليس يعطيه بالدعاء ،(٢) ولكنه تفضل بابتدائه ، ثم ينجزه .(٣)

* * *

وقال آخرون : بل ذلك قول من قائليه على معنى المسألة والدعاء لله بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن رسله ،(٤) لا أنهم كانوا قد

---

(١) « أهل البحث » ، أهل النظر من المتكلمين ، وانظر ما سلف ٥ : ٣٨٧ ، تعليق ٢ ، وأيضاً : ٤٠٦ ، تعليق : ١ .

(٢) فى المخطوطة : « بعطية » ، وعلى الياء شدة ، وكأن الصواب ما فى المطبوعة على الأرجح .

(٣) فى المطبوعة : « تفضل بإيتائه » ، والصواب ما فى المخطوطة ، يعنى أن الله ابتدأه متفضلا به من غير سؤال ولا دعاء .

(٤) فى المطبوعة : « بل ذلك قول من قائله » على الإفراد ، وصواب السياق الجمع ، كما فى المخطوطة.

استحقوا منزلة الكرامة عند الله فى أنفسهم ، ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم ، فيكون ذلك منهم مسألة لربهم أن لا يُخلف وعده . قالوا : ولو كان القوم إنما سألوا ربهم أن يؤتيهم ما وعد الأبرار ، لكانوا قد زكَّوْا أنفسهم ، وشهدوا لها أنها ممن قد استوجب كرامة الله وثوابه . قالوا . وليس ذلك صفة أهل الفضل من المؤمنين .

* * *

وقال آخرون : بل قالوا هذا القول على وجه المسألة والرغبة منهم إلى الله أن يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر ، والظفر بهم ، وإعلاء كلمة الحق على الباطل ، فيعجل ذلك لهم . قالوا : ومحال أن يكون القوم = مع وصف الله إياهم بما وصفهم به ، كانوا على غير يقين من أن الله لا يخلف الميعاد ، فيرغبوا إلى الله جل ثناؤه فى ذلك ، ولكنهم كانوا وُعدوا النصرَ ، ولم يوقَّت لهم فى تعجيل ذلك لهم ، لما فى تعجّله من سرور الظفر ورَاحة الجسد .

١٤٣/٤

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى الأقوال بالصواب فى ذلك عندى ، أن هذه الصفة صفة من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه وداره ، مفارقاً لأهل الشرك بالله إلى الله ورسوله ، وغيرهم من تُبّاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين رغبوا إلى الله فى تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم ، فقالوا : ربنا آتنا ما وعدتنا من نُصرتك عليهم عاجلا ، فإنك لا تخلف الميعاد ، ولكن لا صبر لنا على أناتك وحلمك عنهم ، فعجل [لهم] خزيهم ، ولنا الظفر عليهم .(١)

يدل على صحة ذلك آخر الآية الأخرى ، وهو قوله : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ

---

(١) فى المطبوعة : « فعجل حربهم » ، وفى المخطوطة ، غير منقوطة ، إلا نقطة على الخاء ، وصواب قراءتها ما أثبت . وزدت « لهم » بين القوسين ، استظهاراً من قوله « ولنا الظفر عليهم » . ولو كان قوله « ولنا » تصحيف « وآتنا » ، لكان جيداً أيضاً ، ولما احتاج الكلام إلى زيادة « لهم » .

بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ الآيات بعدها . وليس ذلك مما ذهب إليه الذين حكيت قولهم فى شيء . وذلك أنه غير موجود فى كلام العرب أن يقال : « افعل بنا يارب كذا وكذا » ، بمعنى : « لتفعل بنا كذا وكذا » .[١] ولو جاز ذلك ، لجاز أن يقول القائل لآخر[٢] : « أقبل إلىّ وكلمنى » ، بمعنى : « أقبل إلىّ لتكلمنى » ، وذلك غير موجود فى الكلام ولا معروف جوازه .

وكذلك أيضاً غير معروف فى الكلام : « آتنا ما وعدتنا » ، بمعنى : « اجعلنا ممن آتيته ذلك » . وإن كان كل من أعطى شيئاً سنيًّا ، فقد صُيِّر نظيراً لمن كان مثله فى المعنى الذى أعطيه . ولكن ليس الظاهر من معنى الكلام ذلك ، وإن كان قد يؤول معناه إليه .[٣]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : ربنا أعطنا ما وعدتنا على ألسن رسلك : أنك تُعلى كلمتك كلمةَ الحق ، بتأييدنا على من كفر بك وحادّك وعبد غيرك[٤] = وعجّل لنا ذلك ، فإنا قد علمنا أنك لا تخلف ميعادك — ولا تخزنا يوم القيامة فتفضحنا بذنوبنا التى سلفت منا ، ولكن كفِّرها عنا ، واغفرها لنا ، وقد : —

٨٣٦٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك » ، قال : يستنجز موعود الله على رُسله .

* * *

(١) فى المطبوعة : « بمعنى أفعل بنالكذا الذى . ولو جاز ذلك ... » ، وهذا خلط ليس له معنى مفهوم . وفى المخطوطة : « بمعنى : افعل بنا كذى الذى . ولو جاز ذلك » ، وهذا خلط أشد فساداً من الأول . والصواب الذى لاشك فيه هو ما أثبته ، لأن هذا رد من أبى جعفر على أصحاب القول الأول الذين قالوا أنها بمعنى : « لتؤتينا ما وعدتنا » فى تفسير « وآتنا ما وعدتنا » ، ولأنه مثل بعد بقوله : « أقبل إلى وكلمنى » ، أنه غير موجود بمعنى « أقبل إلى لتكلمنى » .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « أن يقول القائل الآخر » وهو خطأ لاشك فيه .

(٣) وهذا رد على أصحاب القول الثانى من الأقوال الثلاثة التى ذكرها قبل . وهم الذين قالوا إن قوله : « وآتنا ما وعدتنا » ، على معنى المسألة والدعاء لله بإن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم .

(٤) فى المخطوطة : « بأيدينا على من كفر بك » ، وأرجح ما جاء فى المطبوعة .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : فأجاب هؤلاء الداعين = بما وصف من أدعيتهم أنهم دعوا به[1] = ربُّهم : بأنى لا أضيع عمل عامل منكم عمل خيراً ، ذكراً كان العامل أو أنثى .

* * *

وذكر أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بال الرجال يُذكرون ولا تذكر النساء فى الهجرة » ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك هذه الآية .

٨٣٦٧– حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، تُذكر الرجال فى الهجرة ولا نذكر ؟ فنزلت : « أنّى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » ، الآية .[2]

---

(١) فى المطبوعة « فأجاب هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوا به ربهم . . . » وهو كلام لا يستقيم . وفى المخطوطة : « فأجاب الله هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوه به ربهم . . » وهو أيضاً غير مستقيم ، والصواب الراجح ما أثبت . لأن الله عدد أدعيتهم التى دعوه بها قبل فى الآيات السالفة ، فكان صواباً أن يذكرها إجمالا فى بيان تفسير الآية . وغير مستقيم فى العربية أن يقال : « وصف عن فلان كذا » ، فلذلك رجحت قراءتها كما أثبت . والناسخ كما ترى كثير السهو والغلط . وسياق الكلام « فأجاب هؤلاء الداعين . . . ربهم » برفع « ربهم » ، وما بينهما فصل فى السياق ، وهو تأويل قوله : « فاستجاب لهم ربهم » .

(٢) الحديث : ٨٣٦٧ – هذا إسناد صحيح . ومؤمل : هو ابن إسمعيل ، وهو ثقة ، كما ذكرنا فى : ٢٠٥٧ .

سفيان – هنا – : هو الثورى ، وإن كان مؤمل يروى أيضاً عن ابن عيينة . ولكن بين أنه الثورى فى رواية الحاكم ، كما سنذكر فى التخريج ، إن شاء الله .

والحديث رواه الطبرى أيضاً ، فيما يأتى فى تفسير الآية : ٢٥ من سورة الأحزاب (ج ٢٢ ص ٨ بولاق) ، عن ابن حميد ، عن مؤمل ، بهذا الإسناد . وذكره سبباً لنزول تلك الآية .

٨٣٦٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت رجلا من ولد أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقول : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، لا أسمع الله يذكر النساء فى الهجرة بشىء ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » .

٨٣٦٩ ــ حدثنا الربيع بن سليمان قال ، حدثنا أسد بن موسى قال ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن رجل من ولد أم سلمة ، عن أم سلمة : أنها

والحديث مروى على أنه سبب فى نزول هذه الآية وتلك .

فرواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٤١٦ ، من طريق الحسين بن حفص ، عن سفيان بن سعيد [وهو الثورى] ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن أم سلمة ، قالت : « قلت : يا رسول الله ، يذكر الرجال ولا يذكر النساء ؟ فأنزل الله عز وجل : « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات » الآية ، وأنزل : « أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

والحسين بن حفص الهمدانى الإصبهانى : ثقة ، كما ذكرنا فى شرح : ٢٤٣٥ .

وقد ذكر ابن كثير رواية الطبرى الأخرى ، فى سورة الأحزاب ٦ : ٥٣٣ ، غير منسوب .

ورواه أحمد فى المسند ٦ : ٣٠١ (حلبى) ، سبباً لنزول آية الأحزاب . رواه من وجهين ، جمعهما فى إسناد واحد : من رواية عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، ومن رواية عبد الرحمن بن شيبة المكى الحجبى = كلاهما عن أم سلمة .

ثم أعاده مرة أخرى ، ص : ٣٠٥ من الوجهين ، فرقهما إسنادين .

ورواه المزى فى تهذيب الكمال ، فى ترجمة « عبد الرحمن بن شيبة » ، بإسناده إليه .

وذكر الحافظ فى تهذيب التهذيب أن النسائى رواه فى التفسير من طريق عبد الرحمن . فهو فى السنن الكبرى .

ورواه الطبرى ، فيما سيأتى (ج ٢٢ ص ٨ بولاق) ، من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أم سلمة ــ سبباً لنزول آية الأحزاب .

ويحيى بن عبد الرحمن : تابعى ثقة جليل رفيع القدر .

وذكر ابن كثير ٦ : ٥٣٣ أنه رواه النسائى من طريقه . ثم أشار إلى رواية الطبرى إياه .

وانظر أيضاً الدر المنثور ٥ : ٢٠٠ .

فالحديث فى الموضعين فى الطبرى ، من طريق مجاهد = مختصر .

وانظر الروايتين التاليتين لهذا .

قالت : يا رسول الله ، لا أسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشىء ؟ فأنزل الله تعالى : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عملٍ عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » .[1] ١٤٤/٤

* * *

وقيل : « فاستجاب لهم » : بمعنى : فأجابهم ، كما قال الشاعر[2] :

وَدَاعٍ دَعَا : يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى؟ فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[3]

بمعنى : فلم يجبه عند ذاك مجيب .

* * *

---

(١) الحديثان : ٨٣٦٨ ، ٨٣٦٩ — الرجل من ولد أم سلمة : أبهم هنا ، ولكنه عرف من إسناد آخر .

وكذلك ذكره الترمذى فى روايته مبهماً .

فرواه ٤ : ٨٨ ، عن ابن أبى عمر ، عن سفيان — وهو ابن عيينة — بهذا الإسناد .

وكذلك أبهمه سعيد بن منصور : فرواه عن سفيان ، به . فيما نقله عنه ابن كثير فى التفسير ٢ : ٣٢٦ .

وبينه الحاكم فى المستدرك .

فرواه ٢ : ٣٠٠ ، من طريق يعقوب بن حميد : « حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سلمة بن أبى سلمة : رجل من ولد أم سلمة ، عن أم سلمة » .

وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط البخارى ، ولم يخرجاه . سمعت أبا أحمد الحافظ — وذكر فى بحثين فى كتاب البخارى : يعقوب عن سفيان ، ويعقوب عن الدراوردى = فقال أبو أحمد : هو يعقوب بن حميد » . والذهبى وافق الحاكم على أنه على شرط البخارى .

ويعقوب بن حميد بن كاسب : مضى توثيقه فى : ٤٧٧٩ ، ٤٨٨٠ ، ومضى اعتراض الذهبى على الحاكم فى تصحيح حديثه هناك . فالعجب أن يوافقه هنا !

و « سلمة بن أبى سلمة » هذا : هو « سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة » ، نسب إلى جده الأعلى . وبعضهم يذكر نسبه كاملا ، وبعضهم ينسبه لجده ، يقول : « سلمة بن عمر بن أبى سلمة » . وأم سلمة أم المؤمنين : هى أم جده « عمر بن أبى سلمة » .

و « سلمة » هذا : مترجم فى تهذيب التهذيب ، ولم يترجم فى أصله « تهذيب الكمال » . وله ترجمة فى الكبير للبخارى ٢/٢/٨١ ، وابن أبى حاتم ٢/١/١٦٦ .

والحديث ذكره السيوطى ٢ : ١١٢ ، دون التقيد بتابعى معين عن أم سلمة ، وزاد نسبته لعبد الرزاق وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى .

(٢) كعب بن سعد الغنوى .

(٣) مضى البيت وتخريجه فيما سلف ١ : ٣٢٠ ، تعليق : ١/٣ : ٤٨٣ ، تعليق : ١

وأدخلت «من» في قوله: «من ذكر أو أنثى» على الترجمة والتفسير عن قوله: [١] «منكم»، بمعنى: «لا أضيع عمل عامل منكم»، من الذكور والإناث. وليست «من» هذه بالتي يجوز إسقاطها وحذفها من الكلام في الجحد، [٢] لأنها دخلت بمعنى لا يصلح الكلام إلا به.

* * *

وزعم بعض نحويي البصرة أنها دخلت في هذا الموضع كما تدخل في قولهم: «قد كان من حديث»، قال: و«من» ههنا أحسن، لأن النهي قد دخل في قوله: «لا أضيع».

* * *

وأنكر ذلك بعض نحويي الكوفة وقال: = لا تدخل «من» وتخرج إلا في موضع الجَحد. [٣] وقال: قوله: «لا أضيع عمل عامل منكم»، لم يدركه الجحد، لأنك لا تقول: «لا أضرب غلام رجل في الدار ولا في البيت»، فتدخل «ولا»، [٤] لأنه لم ينله الجحد، ولكن «مِنْ» مفسرة. [٥]

* * *

وأما قوله: «بعضكم من بعض»، فإنه يعني: بعضكم = أيها المؤمنون الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم = من بعض، في النصرة والملة والدين، [٦] وحكم جميعكم فيما أنا بكم فاعل، على حكم أحدكم في أني لا أضيع عمل ذكرٍ منكم ولا أنثى.

---

(١) «الترجمة»: البدل، كما سلف في ٢: ٣٤٠، تعليق: ١، ص: ٣٧٤، ٤٢٠، ٤٢٤ - ٤٢٦. أما «التفسير»، فكأنه عنى به «التبيين»، ولم يرد التمييز، وانظر فهرس المصطلحات في سائر الأجزاء السالفة.

(٢) انظر زيادة «من» في الجحد فيما سلف ٢: ١٢٦، ١٢٧، ٤٤٢، ٤٧٠/٥: ٥٨٦

(٣) انظر ما سلف ٢: ١٢٧

(٤) في المطبوعة «فيدخل» بالياء، وهو خطأ، وفي المخطوطة غير منقوطة، وهذا صواب قراءتها.

(٥) يعني بقوله «مفسرة» مبينة، وانظر التعليق السالف رقم: ١

(٦) في المطبوعة: «والمسألة والدين»، والصواب من المخطوطة.

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ (١٩٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : «فالذين هاجروا» قومَهم من أهل الكفر وعشيرتهم فى الله ، إلى إخوانهم من أهل الإيمان بالله والتصديق برسوله [١]= «وأخرجوا من ديارهم» ، وهم المهاجرون الذين أخرجهم مشركو قريش من ديارهم بمكة = «وأوذوا فى سبيلى» ، يعنى : وأوذوا فى طاعتهم ربَّهم ، وعبادتهم إياه مخلصين له الدين ، وذلك هو «سبيل الله» التى آذى فيها المشركون من أهل مكة المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهلها [٢]= «وقاتلوا» يعنى : وقاتلوا فى سبيل الله =«وقتلوا» فيها [٣]=«لأكفرن عنهم سيئاتهم» ، يعنى : لأمحونها عنهم ، ولأتفضلن عليهم بعفوى ورحمتى ، ولأغفرنها لهم [٤]= «ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً» ، يعنى : جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا فى الله وفى سبيله [٥]= «من عند الله» ، يعنى : من قبل الله لهم [٦] = «والله عنده حسن الثواب» ، يعنى : أن الله عنده من جزاء أعمالهم جميع صنوفه ،

---

(١) انظر تفسير «هاجر» فيما سلف ٤ : ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٢) انظر تفسير «سبيل الله» فيما سلف ٣ : ٥٦٣ ، ٥٨٣ ، ٥٩٢ / ٤ : ٥/٣١٨ : ٦/٢٨٠ : ٢٣٠

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : «وقتلوا : يعنى ، وقتلوا فى سبيل الله ، وقاتلوا فيها» قدم وأخر فى سياق الآية ، وفى سياقة المعنى ، والصواب ما أثبت ، وإن كانت إحدى القراءات تجيز ما كان فى المخطوطة ، وانظر القراآت فى الآية بعد .

(٤) انظر تفسير «التكفير» فيما سلف قريباً ص : ٤٨٢

(٥) انظر تفسير «الثواب» فيما سلف ٢ : ٤٥٨ / ٧ : ٢٦٢ ، ٣٠٤ .

(٦) انظر تفسير «عند» فيما سلف ٢ : ٥٠١ .

وذلك ما لا يبلغه وصف واصفٍ ، لأنه مما لا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خَطَر على قلب بشر ، كما : —

٨٣٧٠ — حدثنا عبد الرحمن بن وهب قال ، حدثنا عمى عبد الله بن وهب قال ، حدثنى عمرو بن الحارث : أن أبا عشانة المعافرى حدثه : أنه سمع عبد الله ابن عمرو بن العاص يقول : لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين الذين تُتَّقَى بهم المكاره ، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا ، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان ، لم تقض حتى يموت وهى فى صدره ، وأن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول : « أين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وقتلوا ، وأوذوا فى سبيلى ، وجاهدوا فى سبيلى؟ ادخلوا الجنة » ، فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب ، وتأتى الملائكة فيسجدون ويقولون : « ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ، ونقدس لك ، مَنْ هؤلاء الذين آثرتهم علينا » فيقول الرب جل ثناؤه : « هؤلاء عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وأوذوا فى سبيلى » . فتدخل الملائكة عليهم من كل باب : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ .(١)

[سورة الرعد : ٢٤]

* * *

(١) الحديث : ٨٣٧٠ — أبو عشانة ، بضم العين المهملة وتشديد الشين المعجمة ، المعافرى ، بفتح الميم : هو حى بن يؤمن بن عجيل المصرى . تابعى ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/١١٠ ، وابن سعد ٧/٢/٢٠١ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٧٦

والحديث رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٧١ — ٧٢ ، من طريق محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، عن ابن وهب — وهو عبد الله — بهذا الإسناد ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

ورواه أيضاً الطبرانى ، من طريق أحمد بن صالح ، عن ابن وهب — فيما نقل عنه ابن كثير ٤ : ٥١٩

ورواه أحمد فى المسند ، بنحوه : ٦٥٧٠ ، من طريق معروف بن سويد الجذامى ، عن أبى عشانة المعافرى.

ثم رواه — بنحوه أيضاً : ٦٥٧١ ، من طريق ابن لهيعة ، عن أبى عشانة .

ورواه أبو نعيم فى الحلية — مختصراً — من طريق معروف بن سويد ١ : ٣٤٧

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ : ٢٥٩ ، من روايتى المسند ، وذكر فى الأولى أنه رواه أيضاً البزار ، والطبرانى ، « ورجالهم ثقات » . وذكر فى الثانية أنه رواه أيضاً الطبرانى ، « ورجال الطبرانى رجال الصحيح ، غير أبى عشانة ، وهو ثقة » .

١٤٥/٤ قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وقاتلوا وقتلوا » .

* * *

فقرأه بعضهم : ﴿ وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ بالتخفيف ، بمعنى : أنهم قتلوا من قتلوا من المشركين .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِّلُوا ﴾ بتشديد «قتّلوا» ، بمعنى : أنهم قاتلوا المشركين وقتّلهم المشركون ، بعضاً بعد بعض ، وقتلا بعد قتل .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة وبعض الكوفيين : ﴿ وَقَاتَلُوا وَقَتَلُوا ﴾ بالتخفيف ، بمعنى : أنهم قاتلوا المشركين وقتلوا .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ وَقُتِلُوا ﴾ بالتخفيف . « وقاتلوا » ، بمعنى : أن بعضهم قُتِل ، وقاتل من بقى منهم .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أستجيز أن أعدوها ، إحدى هاتين القراءتين ، وهى : « وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا » بالتخفيف ، أو ﴿ وَقَتَلُوا ﴾ بالتخفيف ﴿ وَقَاتَلُوا ﴾ . لأنها القراءة المنقولة نقل وراثة ، وما عداهما فشاذ . وبأىّ هاتين القراءتين التى ذكرت أنى لا أستجيز أن أعدوَهما ، قرأ قارىء ، فمصيب فى ذلك الصوابَ من القراءة ، لاستفاضة القراءة بكل واحدة منها فى قرأة الإسلام ، مع اتفاق معنييهما .

* * *

وذكره السيوطى ٢ : ١١٢ ، ونسبه لابن جرير ، وأبى الشيخ ، والطبرانى ، والحاكم « وصححه » ، والبيهقى فى الشعب .

ثم ذكره مرة أخرى ٤ : ٥٧ — ٥٨ ، ونسبه لأحمد ، والبزار ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، وأبى الشيخ ، والحاكم « وصححه » ، وابن مردويه ، وأبى نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

ولم يذكره ابن كثير فى هذا الموضع ، بل ذكره فى ذاك الموضع ، فى تفسير سورة الرعد ، كما أشرنا إليه .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ولا يغرنك » يا محمد = « تقلب الذين كفروا فى البلاد » ، يعنى : تصرفهم فى الأرض وضربهم فيها ، [١] كما :–

٨٣٧١ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد » ، يقول : ضربهم فى البلاد .

* * *

= فنهى الله تعالى ذكره نبيّه صلى الله عليه وسلم عن الاغترار بضربهم فى البلاد ، وإمهال الله إياهم ، مع شركهم ، وجحودهم نعمه ، وعبادتهم غيره . وخرج الخطاب بذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، والمعنىُّ به غيره من أتباعه وأصحابه ، كما قد بينا فيما مضى قبل من أمر الله = ولكن كان بأمر الله صادعاً ، وإلى الحق داعياً . [٢]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال قتادة .

٨٣٧٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يغرّنك تقلب الذين كفروا فى البلاد » ، والله ما غرُّوا نبيَّ الله ، ولا وكل إليهم شيئاً من أمر الله حتى قبضه الله على ذلك .

* * *

وأما قوله : « متاع قليل » ، فإنه يعنى : أن تقلبهم فى البلاد وتصرفهم فيها ،

---

(١) انظر تفسير « التقلب » فيما سلف ٣ : ١٧٢

(٢) أخشى أن يكون سقط من هذه العبارة شىء ، وإن كان الكلام مفهوم المعنى ، وكأن أصل العبارة « كما قد بينا فيما مضى قبل – ولم يكل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الشرك والكفر شيئاً من أمر الله ، ولكن كان بأمر الله صادعاً ، وإلى الحق داعياً » .

متعة يمتّعون بها قليلا حتى يبلغوا آجالهم ، فتخترمهم منياتهم = « ثم مأواهم جهنم » ، بعد مماتهم .

* * *

و « المأوى » : المصير الذى يأوون إليه يوم القيامة ، فيصيرون فيه[١]

* * *

ويعنى بقوله : « وبئس المهاد » ، وبئس الفراش والمضجع جهنم .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه[٣] : « لكن الذين اتقوا ربهم » ، لكن الذين اتقوا الله بطاعته واتّباع مرضاته ، فى العمل بما أمرهم به ، واجتناب ما نهاهم عنه = « لهم جنات » يعنى : بساتين ،[٤] = « تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها » ، يقول : باقين فيها أبداً[٥] = « نزلا من عند الله » ، يعنى : إنزالا من الله إياهم فيها ، أنزلهموها .

* * *

ونصب « نزلاً » على التفسير من قوله : « لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » ،

---

(١) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ص : ٢٧٩ .

(٢) انظر تفسير « المهاد » فيما سلف ٤ : ٢٤٦/٦ : ٢٢٩ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بذلك جل ثناؤه » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « الجنة » فيما سلف ١ : ٣٨٤/٥ : ٥٣٥ ، ٥٤٢/٦ : ٢٦١ ، ٢٦٢/٧ : ٢٢٧ .

(٥) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف ٦ : ٢٦١ : ٢٦٢ تعليق : ١ ، والمراجع هناك ، وفهارس اللغة .

كما يقال : « لك عند الله جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً » ، وكما يقال : « هولك صدقة» : و«هولك هبة » .[1]

* * *

=وقوله : «من عند الله» ، يعنى : من قبل الله ،[2] ومن كرامة الله إياهم ، وعطاياه لهم .

* * *

وقوله : « وما عند الله خيراً للأبرار » ، يقول : وما عند الله من الحياة والكرامة وحسن المآب» ،= «خير للأبرار» ، مما يتقلب فيه الذين كفروا ، فإن الذى يتقلبون فيه زائل فان ، وهو قليلٌ من المتاع خسيس ، وما عند الله من كرامته للأبرار –[3] وهم أهل طاعته[4] – باقٍ ، غيرُ فانٍ ولا زائل .

* * *

٨٣٧٣ – حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول فى قوله : « وما عند الله خير للأبرار» ، قال : لمن يطيع الله .

٨٣٧٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن الأسود ، عن عبد الله قال : ما من نَفْس بَرَّة ولا فاجرة إلا والموتُ خير لها . ثم قرأ عبد الله : « وما عند الله خير للأبرار » ، وقرأ هذه الآية : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ﴾ .[5] ١٤٦/٤

[سورة آل عمران : ١٧٨]

---

(١) « التفسير» ، عند الكوفين ، هو التمييز عند البصريين ، وانظر ما سلف ٢ : ٣٣٨ ، تعليق : ٣/١ : ٩٠ ، تعليق : ٥/٢ : ٩١ ، تعليق : ٤ وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥١

(٢) انظر تفسير « عند» فيما سلف قريباً ص : ٤٩٠ ، تعليق ٦ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « وما عند الله خير من كرامته للأبرار » ، وهو فاسد المعنى ، وكان مثله فى المخطوطة ، إلا أنه ضرب على «خير» بإشارة الحذف ، ولكن الناشر لم يدرك معنى الإشارة فأبقاها . فأفسدت الكلام .

(٤) انظر تفسير « الأبرار » فيما سلف قريباً ص : ٤٨٢ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .

(٥) الحديث : ٨٣٧٤ – مضى برقم : ٨٢٦٧ ، عن محمد بن بشار ، عن عبد الرحمن – وهو ابن مهدى – عن سفيان .

ورواه ابن أبى حاتم ، من طريق أبى معاوية ، عن الأعمش كما نقله ابن كثير عنه ٢ : ٣٢٨ .

٨٣٧٥ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن فرج بن فضالة ، عن لقمان ، عن أبى الدرداء أنه كان يقول : ما من مؤمن إلا والموت خير له ، وما من كافر إلا والموت خير له ، ومن لم يصدقنى فإن الله يقول : « وما عند الله خير للأبرار » ، ويقول : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها أصحمة النجاشى ، وفيه أنزلت .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٧٦ - حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا أبو بكر الهذلىّ ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن جابر بن عبد الله : أن

---

(١) الحديث - : ٨٣٧٥ - فرج بن فضالة : ضعيف ، كما بينا فى : ١٦٨٨ .

لقمان : هو ابن عامر الوصابى الحمصى . وهو ثقة ، ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٤/١/٢٥١ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/١٨٢ - ١٨٣ . ولم يذكرا فيه جرحاً .

و « الوصابى » : بفتح الواو وتشديد الصاد المهملة ، كما ضبطه ابن الأثير فى اللباب ، والذهبى فى المشتبه ، ووهم الحافظ ابن حجر ، فضبطه فى التقريب بتخفيفها .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٣٢٨ - ٣٢٩ ، عن هذا الموضع من الطبرى . ووقع فى طبعته « نوح ابن فضالة » بدل « فرج بن فضالة » ؛ وهو خطأ مطبعى سخيف .

وذكره السيوطى ٢ : ١٠٤ ، عند الآية السابقة : ١٧٨ ، ونسبه أيضاً لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اخرجوا فصلوا على أخ لكم » . فصلى بنا ، فكبر أربع تكبيرات ، فقال : « هذا النجاشى أصحمة » . فقال المنافقون : انظروا إلى هذا يصلى على عِلْجٍ نصرانى لم يره قط ! [1] فأنزل الله : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله » . [2]

٨٣٧٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنا أبى عن قتادة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن أخاكم النجاشى قد مات فصلوا عليه . قالوا : يصلّى على رجل ليس بمسلم ! قال : فنزلت : « وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله » . قال قتادة : فقالوا : فإنه كان لا يصلى إلى القبلة ! فأنزل الله : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١١٥] .

٨٣٧٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم » ، ذكر

---

(١) « العلج » : الرجل من كفار العجم ، غير العرب ، والجمع « علوج » و « أعلاج » .

(٢) الحديث : ٨٣٧٦ — عصام بن رواد بن الجراح : مضت ترجمته وتوثيقه : ٢١٨٣ . ووقع هنا فى المطبوعة « عصام بن زياد بن رواد بن الجراح » ؛ فزيادة اسم « زياد » فى نسبه لا أصل لها . وثبت فى المخطوطة بحذفها ، على الصواب .

أبوه « رواد بن الجراح » : مضت ترجمته وتضعيفه : ١٢٦ ، ٢١٨٣ .

أبو بكر الهذلى : سبق بيان ضعفه جداً ، فى : ٥٩٧ ، وشرح : ٢٥٢٦ .

وهذا الحديث ذكره السيوطى ٢ : ١١٣ ، ولم ينسبه لغير الطبرى .

وذكره ابن كثير ٢ : ٣٣٠ ، عن الطبرى ، ولكن فى روايته خلاف فى بعض لفظه لما هنا ، ولم يذكر أول إسناده . فلعله نقله عن موضع آخر من الطبرى .

وهذا الحديث ضعيف كما ترى ، وسيأتى قول الطبرى ، ص : ٤٩٩ س : ١٥ « قيل : ذلك خبر فى إسناده نظر » .

والضعف إنما هو فى هذا الإسناد لحديث جابر ، أما أصل المعنى ، فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم على النجاشى صلاة الجنازة الغائبة ، فإنه ثابت صحيح لا شك فى صحته . رواه الشيخان وغيرهما من حديث جابر ، ومن حديث أبى هريرة . انظر المنتقى : ١٨٢١ — ١٨٢٤ .

لنا أن هذه الآية نزلت فى النَّجاشى ، وفى ناس من أصحابه آمنوا بنبى الله صلى الله عليه وسلم وصدَّقوا به . قال : وذكر لنا أن نبىَّ الله صلى الله عليه وسلم استغفر للنجاشى وصلى عليه حين بلغه موته ، قال لأصحابه : « صلّوا على أخ لكم قد مات بغير بلادكم » ! فقال أناس من أهل النفاق : « يصلى على رجل مات ليس من أهل دينه »؟ فأنزل الله هذه الآية : « وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب » .

٨٣٧٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم » ، قال : نزلت فى النجاشى وأصحابه ممن آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم = واسم النجاشى ، أصحمة .

٨٣٨٠ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، قال عبد الرزاق ، وقال ابن عيينة : اسم النجاشى بالعربية : عطية .

٨٣٨١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : لما صلى النبى صلى الله عليه وسلم على النجاشى ، طعن فى ذلك المنافقون ، فنزلت هذه الآية : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله » ، إلى آخر الآية .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك عبد الله بن سَلاَمٍ ومن معه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٨٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : نزلت — يعنى هذه الآية — فى عبد الله بن سلام ومن معه .

٨٣٨٣ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى ابن زيد فى

قوله : «وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم» ، الآية كلها = قال : هؤلاء يهود .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك مُسْلِمة أهل الكتاب.

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٨٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم » ، من اليهود والنصارى ، وهم مسلمة أهل الكتاب . ١٤٧/٤

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله مجاهد . وذلك أنّ الله جل ثناؤه عمّ بقوله : « وإنّ من أهل الكتاب » أهلَ الكتاب جميعاً ، فلم يخصص منهم النصارى دون اليهود ، ولا اليهود دون النصارى . وإنما أخبر أن من « أهل الكتاب » من يؤمن بالله . وكلا الفريقين = أعنى اليهود والنصارى = من أهل الكتاب .

* * *

فإن قال قائل : فما أنت قائلٌ فى الخبر الذى رويتَ عن جابر وغيره : أنها نزلت فى النجاشى وأصحابه ؟

قيل : ذلك خبر فى إسناده نظر. ولو كان صحيحاً لا شك فيه، لم يكن لما قلنا فى معنى الآية بخلاف .[1] وذلك أنّ جابراً ومن قال بقوله ، إنما قالوا : « نزلت فى النجاشىّ » ، وقد تنزل الآية فى الشىء ، ثم يعم بها كل من كان فى معناه . فالآية وإن كانت نزلت فى النجاشىّ ، فإن الله تبارك وتعالى قد جعل الحكم الذى حكم به للنجاشىّ ، حكماً لجميع عباده الذين هم بصفة النجاشىّ فى اتباعهم

(١) فى المطبوعة : « خلاف » ، والصواب ما فى المخطوطة . وقوله : « بخلاف » ، أى بمخالف .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتصديق بما جاءهم به من عند الله ، بعد الذى كانوا عليه قبل ذلك من اتباع أمر الله فيما أمر به عباده فى الكتابين ، التوراة والإنجيل .

* * *

فإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : « وإن من أهل الكتاب » . التوراة والإنجيل = « لمن يؤمن بالله » فيقرّ بوحدانيته =« وما أنزل إليكم » ، أيها المؤمنون ، يقول : وما أنزل إليكم من كتابه ووحيه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم = « وما أنزل إليهم » ، يعنى : وما أنزل على أهل الكتاب من الكتب ، وذلك التوراة والإنجيل والزبور = « خاشعين لله » ، يعنى : خاضعين لله بالطاعة ، مستكينين له بها متذلّلين ،[١] كما : —

٨٣٨٥ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى ابن زيد فى قوله : « خاشعين لله » ، قال : الخاشع ، المتذلل لله الخائف .

* * *

ونصب قوله : « خاشعين لله » ، على الحال من قوله : « لمن يؤمن بالله » ، وهو حال مما فى « يؤمن » من ذكر « من » .[٢]

* * *

= « لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلا » ، يقول : لا يحرِّفون ما أنزل إليهم فى كتبه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فيبدِّلونه ، ولا غير ذلك من أحكامه وحججه فيه ، لعَرَضٍ من الدنيا خسيس يُعطوْنه على ذلك التبديل ، وابتغاء الرياسة على الجهال ،[٣] ولكن ينقادون للحق ، فيعملون بما أمرهم الله به فيما أنزل إليهم من كتبه ، وينتهون عما نهاهم عنه فيها ، ويؤثرون أمرَ الله تعالى على هوَى أنفسهم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الخشوع » فيما سلف ٢ : ١٦ ، ١٧

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥١

(٣) انظر تفسير « الاشتراء » وتفسير « الثمن » فيما سلف قريباً : ٤٥٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿أُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه[١] : « أولئك لهم أجرهم » ، هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم = « لهم أجرهم عند ربهم » ، يعنى : لهم عوض أعمالهم التى عملوها ، وثواب طاعتهم ربَّهم فيما أطاعوه فيه[٢] = « عند ربهم » يعنى : مذخور ذلك لهم لديه ، حتى يصيروا إليه فى القيامة ، فيوفِّيهم ذلك = « إنّ الله سريع الحساب » ، وسرعة حسابه تعالى ذكره : أنه لا يخفى عليه شىء من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعد ما عملوها ، فلا حاجة به إلى إحصاء عدد ذلك ، فيقع فى الإحصاء إبطاء ، فلذلك قال : « إن الله سريع الحساب ».[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : « اصبروا على دينكم وصابروا الكفار ورابطوهم » .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٨٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ،

---

(١) فى المطبوعة : « يعنى بذلك جل ثناؤه » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف ٢ : ١٤٨ ، ٥/٥١٢ : ٥١٩

(٣) انظر تفسير « سريع الحساب » فيما سلف ٤ : ٢٠٧ ، ٦/٢٠٧ : ٢٧٩

عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن : أنه سمعه يقول فى قول الله : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا » ، قال : أمرهم أن يصبروا على دينهم ، ولا يدعوه لشدة ولا رخاء ولا سَرَّاء ولا ضراء ، وأمرهم أن يُصابروا الكفار ، وأن يُرابطوا المشركين .

٨٣٨٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا » ، أى : اصبروا على طاعة الله ، وصابروا أهل الضلالة ، ورابطوا فى سبيل الله = « واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

١٤٨/٤

٨٣٨٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « اصبروا وصابروا ورابطوا » ، يقول : صابروا المشركين ، ورابطوا فى سبيل الله .

٨٣٨٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : اصبروا على الطاعة ، وصابروا أعداء الله ، ورابطوا فى سبيل الله .

٨٣٩٠ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « اصبروا وصابروا ورابطوا » ، قال : اصبروا على ما أمرتم به ، وصابروا العدو ورابطوهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : اصبروا على دينكم ، وصابروا وَعدى إياكم على طاعتكم لى ، ورَابطوا أعداءكم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٩١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظى : أنه كان يقول فى هذه الآية : « اصبروا وصابروا ورابطوا » ، يقول : اصبروا على دينكم ، وصابروا الوعد الذى وعدتكم ، ورابطوا عدوِّى وعدوَّكم حتى يترك دينه لدينكم .[1]

* * *

---

(١) الأثر : ٨٣٩١ – « أبو صخر » هو : حميد بن زياد بن أبى المخارق ، أبو صخر الخراط ، صاحب العباء ، سكن مصر . ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب .

وقال آخرون : معنى ذلك ، اصبروا على الجهاد ، وصابروا عدوكم ورابطوهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٩٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا جعفر بن عون قال ، أخبرنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم في قوله : « اصبروا وصابروا ورابطوا » ، قال : اصبروا على الجهاد ، وصابروا عدوَّكم ، ورابطوا على عدوكم .

٨٣٩٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا مطرف بن عبد الله المدنيّ قال ، حدثنا مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم قال : كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر ابن الخطاب ، فذكر له جموعاً من الروم وما يتخوَّف منهم ، فكتب إليه عمر : « أما بعد ، فإنه مهما نزل بعبد مؤمن من منزلة شدة ، يجعل الله بعدها فرجاً ، وإنه لن يغلب عُسر يسرين ، وإن الله يقول في كتابه : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورَابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .[1]

* * *

(١) الأثر : ٨٣٩٣ - « مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان الهلالي ، المدني ، مولى ميمونة أم المؤمنين ، وأمه أخت مالك بن أنس . روى عن خاله مالك بن أنس ، وابن أبي ذئب ، وعبد الله بن عمر العمري ، وغيرهم . روى عنه البخاري والترمذي ، عن محمد بن أبي الحسن عنه وابن ماجة ، عن الذهلي عنه ، والربيع المرادي ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة وآخرون . قال أبو حاتم : « مضطرب الحديث صدوق » . وقال= ابن سعد « كان ثقة ، وبه صمم » . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٣٩٧ ، والجرح ٤/١/٣١٥ . وكان في المطبوعة : « المري » ، وفي المخطوطة مثلها ، وتقرأ « المزني » والصواب « المدني » أو « المديني » في نسبة كما جاء في المراجع ، وابن كثير ٢ : ٣٣٧ .

وفي ابن كثير ٢ : ٣٣٧ : « مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة » ، وفي الدر المنثور ٢ : ١١٤ « مهما ينزل بعبد مؤمن من شدة » ، وفي المطبوعة والمخطوطة : « مهما نزل بعبد مؤمن منزلة شدة » ، بحذف « من » والصواب إثباتها .

ومن الأخطاء الشائعة أن يقال إن « مهما » لا تدخل على الماضي ، وقد وردت في الآثار والأخبار والأشعار ، من ذلك قول أبي هريرة للفرزدق : « مهما فعلت فقنطك الناس فلا تقنط من رحمة الله » (الكامل ١ : ٧٠) وقول الأسود بن يعفر (نوادر أبي زيد : ١٥٩) :

أَلَا هَلْ لِهَذَا الدَّهْرِ مِنْ مُتَعَلَّلِ ... سِوَى النَّاسِ ، مَهْمَا شَاءَ بِالنَّاسِ يَفْعَلِ

وهذا الأثر رواه الحاكم مطولا في المستدرك ٢ : ٣٠٠ بإسناده قال :

وقال آخرون ، معنى : « ورابطوا » ، أى : رابطوا على الصلوات ، أى : انتظروها واحدة بعد واحدة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٩٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال ، حدثنى داود بن صالح قال ، قال لى أبو سلمة بن عبد الرحمن : يا ابن أخى ، هل تدرى فى أى شىء نزلت هذه الآية : « اصبروا وصابروا ورابطوا » ؟ قال قلت : لا ! قال : إنه يا ابن أخى لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم غزو يُرابَطُ فيه ، ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة .[1]

« أخبرنا أبو العباس السيارى ، حدثنا عبد الله بن على ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنه بلغه أن أبا عبيدة حُصِر بالشأم ، وقد تألّبَ عليه القوم ، فكتب إليه عمر : « سلام الله عليك ، أمّا بعد ، فإنه ما ينزلْ بعبد مؤمن من منزلة شدة ، إلا يجعل الله له بعدها فرجاً ، ولن يغلب عُسْرٌ يُسْرين ، ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصَابِرُوا ورَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

فكتب إليه أبو عبيدة : « سلامٌ عليك ، أما بعد ، فإن الله يقول فى كتابه : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ ﴾ — إلى آخرها » .

قال : فخرج عمر بكتابه ، فقعد على المنبر ، فقرأ على أهل المدينة ثم قال : يا أهل المدينة ، إنما يعرّضُ بكم أبو عبيدة : أنِ ارغبوا فى الجهادِ » .

قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

(١) الأثر : ٨٣٩٤ — « مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير » ، مضت ترجمته برقم : ٦٤٥٦ . و « داود بن صالح التمار المدنى » ، روى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف ، والقاسم ، وسالم ، وأبى سلمة . قال أحمد : « لا أعلم به بأساً » ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، مترجم فى التهذيب .

٨٣٩٥ — حدثنى أبو السائب قال، حدثنا ابن فضيل ، عن عبد الله بن سعيد المقبرى ، عن جده ، عن شرحبيل ، عن على قال : قال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم : ألا أدلكم على ما يكفر الله به الذنوب والخطايا؟ إسباغ الوضوء على المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلك الرباط .(١)

٨٣٩٦ — حدثنا موسى بن سهل الرملى قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا محمد بن مهاجر قال ، حدثنى يحيى بن يزيد ، عن زيد بن أبى أنيسة ،

و « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » من التابعين ، روى عن خلق من الصحابة والتابعين . كان ثقة فقيها كثير الحديث .

والأثر خرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٣٣٢ ، وذكر سياق ابن مردويه له (٢ : ٣٣١) من طريق « محمد بن أحمد ، حدثنا موسى بن إسحاق ، حدثنا أبو جحيفة على بن يزيد الكوفى ، أنبأنا ابن أبى كريمة ، عن محمد بن يزيد ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : أقبل على أبو هريرة يوماً فقال : أتدرى يا ابن أخى فيم نزلت هذه الآية » ، وساق الخبر بغير هذا اللفظ .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٠١ من طريق سعيد بن منصور ، عن ابن المبارك ، بمثل رواية الطبرى ، إلا أنه قال فى جواب السؤال : « قال : قلت : لا . قال : يا ابن أخى إنى سمعت أبا هريرة يقول : لم يكن فى زمان النبى . . . » بلفظه .

وكذلك خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١١٣ ، ونسبه لابن المبارك وابن المنذر ، والحاكم ، وصححه ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

وفى جميع هذه المواضع : « انتظار الصلاة بعد الصلاة » ، والثابت فى المخطوطة « خلف الصلاة » ، وكان الكاتب قد كتب فيها « بعد » ثم جعل الباء والعين خاء ، ومد الدال وعقد عليها فاء ، فالظاهر أنه كتبها كما كان يحفظها ، ثم استدرك ، لأنه رأى فى النسخة التى كتب عنها « خلف » .

(١) الحديث : ٨٣٩٥ — أبو السائب : هو سلم بن جنادة . وابن فضيل : هو محمد بن فضيل بن غزوان .

عبد الله بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى : ضعيف جداً ، رمى بالكذب . وقد مضى فى : ٧٨٥٥ .

شرحبيل : لست أدرى من هو ؟ والإسناد ضعيف من أجل عبد الله بن سعيد ، كما ترى .

ولو صح هذا الإسناد لظننت أنه « شرحبيل بن السمط الكندى » ، من كبار التابعين ، مختلف فى صحبته . وهو معاصر لعلى . ومن المحتمل أن يروى عنه أبو سعيد المقبرى ، الذى يروى عن على مباشرة .

والحديث نقله ابن كثير ٢ : ٣٣٢ ، عن هذا الموضع . ولم ينسبه لغير الطبرى .

وأشار إليه السيوطى ٢ : ١١٤ ، بعد حديث جابر ، الآتى بعد هذا ، فقال : « وأخرج ابن جرير عن على مثله » .

ومعنى الحديث ثابت عن على ، من وجه آخر صحيح . ولكن ليس فيه قوله : « فذلك الرباط » — ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢ : ٣٦ ، وقال : « رواه أبو يعلى ، والبزار ، ورجاله رجال الصحيح » .

وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ١ : ٩٧ ، وقال : « رواه أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح . والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم » .

عن شرحبيل ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألاأدلكم على ما يمحوالله به الخطايا ويكفِّـر به الذنوب ؟ قال : قلنا : بلى ، يارسول الله! قال : إسباغ الوضوء فى أماكنها، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط .[1]

٨٣٩٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خالد بن مخلد قال ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أدلكم على ما يحطُّ الله به الخطايا، ويرَفع به

---

(١) الحديث : ٨٣٩٦ — محمد بن مهاجر بن أبى مسلم ، الأنصارى الشامى : ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما . مترجم فى التهذيب . والكبير للبخارى ١/١/٢٢٩ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٩١ .

يحيى بن يزيد الجزرى ، أبو شيبة الرهاوى : قال البخارى فى الكبير ٤/٢/٣١٠ : « لم يصح حديثه» وذكره فى الضعفاء أيضا ، ص : ٣٧ ، وقال مثل ذلك . وقال ابن أبى حاتم ٤/٢/١٩٨ ، عن أبيه : « ليس به بأس ، أدخله البخارى فى كتاب الضعفاء ، يحول من هناك » .

فمثل هذا حديثه حسن . ثم هو لم ينفرد برواية هذا الحديث ، كما سنذكر فى التخريج ، إن شاء الله .

زيد بن أبى أنيسة الجزرى الرهاوى : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . قال ابن سعد ٧/٢/١٨٠ : « كان ثقة كثير الحديث ، فقيها راوية للعلم » . أخرج له الجماعة كلهم .

شرحبيل — هنا — : هو ابن سعد الخطمى المدنى مولى الأنصار . مختلف فيه ، والحق أنه ثقة . إلا أنه اختلط فى آخر عمره ، إذ جاوز المئة . وقد فصلنا القول فيه فى شرح المسند : ٢١٠٤ ، وأخرج له ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/٢/٢٥٢ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن سعد ٥ : ٢٢٨ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٣٨ — ٣٣٩ .

وقد بين ابن حبان فى صحيحه، فى رواية هذا الحديث ، أنه شرحبيل بن سعد .

والحديث رواه ابن حبان فى صحيحه (٢ : ٣٣٠ من مخطوطة الإحسان) ، من طريق أبى عبد الرحيم ، عن زيد بن أبى أنيسة ، عن شرحبيل بن سعد ، عن جابر ، به .

وأبو عبد الرحيم : هو خالد بن أبى يزيد الحرانى ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . فروايته متابعة صحيحة ، توثق رواية يحيى بن يزيد ، التى هنا ، وتؤيدها .

والحديث نقله ابن كثير ٢ : ٣٣٢ ، عن رواية الطبرى هذه .

وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ١ : ١٦٠ — ١٦١ ، عن رواية ابن حبان فى صحيحه ، وأشار إليه أيضاً قبل ذلك ، ص : ١٢٨ .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢ : ٣٧ ، ونسبه للبزار ، وذكر أن « فى إسناده شرحبيل بن سعد ، وهو ضعيف عند الجمهور ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وأخرج له فى صحيحه هذا الحديث » .

وذكره السيوطى ٢ : ١١٤ ، ونسبه لابن جرير ، وابن حبان .

الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : إسباغ الوضوء عند المكاره ، وكثرة الخُطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرِّباط ، فذلكم الرباط .(١)

٨٣٩٨ ـ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا إسمعيل بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .(٢)

١٤٩/٤

* * *

(١) الحديث : ٨٣٩٧ ـ خالد بن مخلد : هو القطوانى . ومحمد بن جعفر : هو ابن أبى كثير . وقد مضى مثل هذا الإسناد فى حديث آخر : ٢٢٠٦ .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٧٢٠٨ ، من طريق شعبة ، عن العلاء ، عن أبيه ، دون كلمة « فذلك الرباط » .

ورواه أحمد أيضاً : ٧٧١٥ ، مع هذه الكلمة ـ من طريق مالك عن العلاء .

ثم رواه ثالثاً : ٨٠٠٨ ، (ج ٢ ص ٣٠٣ حلبى) ، من طريق مالك أيضاً . وفى آخره : « فذلكم الرباط » ـ ثلاث مرات .

وهو بهذا اللفظ ، فى الموطأ ، ص : ١٦١ .

وكذلك رواه النسائى ١ : ٣٤ ، من طريق مالك .

وكذلك رواه ابن حبان فى صحيحه (٢ : ٣٢٩ ـ ٣٣٠ من مخطوطة الإحسان) ، من طريق مالك .

ونقله ابن كثير ٢ : ٣٣١ ، من رواية ابن أبى حاتم ، من حديث مالك ، كرواية الموطأ .

ورواه مسلم ١ : ٨٦ ، من طريق مالك ، ومن طريق شعبة . وذكر أن رواية مالك ـ عنده ـ « فذلكم الرباط » مرتين .

وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ١ : ٩٧ ، ١٢٨ ، ونسبه لمالك ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى .

وذكره السيوطى ٢ : ١١٤ ، وزاد نسبته للشافعى ، وعبد الرزاق .

وانظر الإسناد التالى لهذا .

(٢) الحديث : ٨٣٩٨ ـ القاسم : هو ابن الحسن ، والحسين : هو ابن داود المصيصى ، ولقبه « سنيد » .

وهذا الإسناد « القاسم ، عن الحسين » يدور عند الطبرى كثيراً ، فى التفسير والتاريخ ، فما مضى منه فى التفسير : ١٤٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨٨ . وفى التاريخ ـ مثلا ـ ١ : ٢١ ، ٤١ .

أما « سنيد » فقد ترجمنا له فى : ١٤٤ ، ١٦٨٨ .

وأما « القاسم بن الحسن » ـ شيخ الطبرى : فلم أجد له ترجمة . ولكن فى تاريخ بغداد ١٢ : ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ترجمة « القاسم بن الحسن بن يزيد ، أبو محمد الهمذانى الصائغ » ، المتوفى سنة ٢٧٢ . فهذا يصلح أن يكون هو المراد ، ولكن لا أطمئن إلى ذلك ، ولا أستطيع الجزم به ، بل لا أستطيع ترجيحه .

وعسى أن نجد ما يدل على حقيقة هذا الشيخ ، فى فرصة أخرى ، إن شاء الله .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات بتأويل الآية ، قول من قال فى ذلك : « يا أيها الذين آمنوا » ، يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، = « اصبروا » على دينكم وطاعة ربكم . وذلك أنّ الله لم يخصص من معانى « الصبر » على الدين والطاعة شيئاً ، فيجوز إخراجه من ظاهر التنزيل . فلذلك قلنا إنه عنى بقوله : « اصبروا » ، الأمرَ بالصبر على جميع معانى طاعة الله فيما أمر ونهى ، صعبها وشديدها ، وسهلها وخفيفها .(١)

= « وصابروا » ، يعنى : وصابروا أعداءكم من المشركين .

* * *

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن المعروف من كلام العرب فى « المفاعلة » أن تكون من فريقين ، أو اثنين فصاعداً ، ولا تكون من واحد إلا قليلا فى أحرف معدودة . فإذْ كان ذلك كذلك ، فإنما أمر المؤمنون أن يصابروا غيرهم من أعدائهم ، حتى يظفرهم الله بهم ، ويعلى كلمته ، ويخزى أعداءهم ، وأن لا يكون عدوُّهم أصبر منهم .(٢)

* * *

وكذلك قوله : « ورابطوا » ، معناه : ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك ، فى سبيل الله .

* * *

قال أبو جعفر : ورأى أن أصل « الرباط » ، ارتباط الخيل للعدوّ ، كما

إسمعيل : هو ابن جعفر بن أبى كثير الأنصارى القارىء ، وهو ثقة مأمون . مضت الإشارة إليه فى شرح : ٦٨٨٤ .

وهذا الحديث تكرار لما قبله .

وكذلك رواه مسلم ١ : ٨٦ ، والترمذى . (رقم : ٥١ بشرحنا) = كلاهما من طريق إسمعيل بن جعفر . ورواه الترمذى أيضاً : ٥٢ ، من طريق الدراوردى ، عن العلاء . وقال : « حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح » .

(١) انظر تفسير « الصبر » فيما سلف ٢ : ١١ ، ١٢٤/٣ : ٢١٤ ، ٣٤٩/٥ : ٣٥٢/ ٦ : ٢٦٤ / ١٨١:٧

(٢) فى المطبوعة : « وإلا يكن عددهم » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة .

ارتبط عدوهم لهم خيلهم ،[١] ثم استعمل ذلك فى كل مقيم فى ثغر يدفع عمن وراءه من أراده من أعدائهم بسوء ، ويحمى عنهم من بينه وبينهم ممن بغاهم بشر ، كان ذا خيل قد ارتبطها ، أو ذا رُجْلة لا مركب له .[٢]

* * *

وإنما قلنا معنى : « ورابطوا » ، ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم ، لأن ذلك هو المعنى المعروف من معانى « الرباط » . وإنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف فى استعمال الناس من معانيه ، دون الخفى ، حتى تأتى بخلاف ذلك مما يوجب صرفه إلى الخفى من معانيه = حجة يجب التسليم لها من كتاب ، أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع من أهل التأويل .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢٠٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : « واتقوا الله » ، أيها المؤمنون ، واحذروه أن تخالفوا أمره أو تتقدموا نهيه[٤] = « لعلكم تفلحون » ، يقول : لتفلحوا فتبقوا فى نعيم الأبد ، وتنجحوا فى طلباتكم عنده ،[٥] كما :ـــ

---

(١) فى المخطوطة : « كما ارتبط عددهم لهم حداهم » ، ولعل صواب قراءتها « جيادهم » ، ولكنى تركت ما فى المطبوعة على حاله ، فهو صواب حسن .

(٢) « الرجلة » (بضم الراء وسكون الجيم) : المشى راجلا غير راكب .

(٣) قوله : « حجة » ، فاعل قوله : « حتى تأتى بخلاف ذلك . . » . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « حتى يأتى بخلاف ذلك ما يوجب صرفه . . . » ، والصواب « مما يوجب » كما أثبتها ، وفى المطبوعة أيضاً : « إلى الخفى من معاينة » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) فى المطبوعة : « وتتقدموا » بالواو ، والصواب من المخطوطة . وقوله : « تتقدموا نهيه » هكذا جاء متعدياً ، وكأنه أراد : أو تسبقوا نهيه ، وتسبقهم نهيه . أن يخاطروا بالإسراع إلى المحارم بشهواتهم ، قبل أن يردهم نهى الله عن إتيانها .

(٥) انظر تفسير « لعل » فيما سلف ١ : ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ومواضع أخرى كثيرة . وانظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ١ : ٢٤٩ ، ٣/٢٥٠ : ٥٦١ /٧ : ٩١ .

٨٣٩٩ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنى أبو صخر، عن محمد بن كعب القرظى : أنه كان يقول فى قوله : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، واتقوا الله فيما بينى وبينكم ، لعلكم تفلحون غداً إذا لقيتمونى .

* * *

* آخر تفسير سورة آل عمران * (١)

---

(١) عند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها النساء .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وصحبه وسلم كثيرا »

ثم يتلوه ما أثبتناه فى أول تفسير سورة النساء .

تفسير

سورة النساء

٨٣٩٩ - حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني أبو صخر، عن محمد بن كعب القرظي: أنه كان يقول في هذه الآية: "واتقوا الله لعلكم تفلحون"، واتقوا الله فيما بيني وبينكم، لعلكم تفلحون غدًا إذا لقيتموني.

«آخر تفسير سورة آل عمران»(١)

تم بحمد الله

---

(١) في هذا الموضع، انتهى جزء من التقسيم القديم الذي نقلت عنه نسختنا، وفيها ما نصه:

«يتلوه القول في تفسير السورة التي يذكر فيها النساء.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم كثيرا»

ثم يليه ما نصه في أول تفسير سورة النساء

﴿القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها النساء﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ يسِّرْ

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » ، احذروا، أيها الناس ، ربكم فى أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم ، فيحلّ بكم من عقوبته ما لا قِبَل لكم به .

ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحِّد بخلق جميع الأنام من شخص واحد ، مُعَرِّفاً عباده كيف كان مُبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة ، (١) ومنبِّهَهم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة = وأن بعضهم من بعض ، وأن حق بعضهم على بعض واجبٌ وجوبَ حق الأخ على أخيه ، لاجتماعهم فى النسب إلى أب واحد وأم واحدة = وأن الذى يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض ، وإن بَعُدَ التلاقى فى النسب إلى الأب الجامع بينهم ، مثل الذى يلزمهم من ذلك فى النسب

(١) فى المطبوعة والمخطوطة « وعرف عباده . . . » ، واستظهرت من نهج أبى جعفر فى بيانه ، ومن قوله بعد : « ومنبههم » ثم قوله : « وعاطفاً » ، على أن الصواب « ومعرفاً » ، وهو مقتضى سياق الكلام بعد ذلك كله .

الأدنى =[١] وعاطفاً بذلك بعضهم على بعض ، ليتناصفوا ولا يتظالموا ، وليبذُل القوى من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله له ، فقال : « الذى خلقكم من نفس واحدة » ، يعنى : من آدم ، كما : –

٤/١٥٠

٨٤٠٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أمّا « خلقكم من نفس واحدة » ، فمن آدم عليه السلام.[٢]

٨٤٠١ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » ، يعنى آدم صلى الله عليه .[٣]

٨٤٠٢ – حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « خلقكم من نفس واحدة » ، قال : آدم .

* * *

ونظير قوله : « من نفس واحدة » ، والمعنىُّ به رجل ، قول الشاعر .

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى وَأَنتَ خَلِيفَةٌ ، ذَاكَ الكَمَالُ[٤]

فقال : « ولدته أخرى » ، وهو يريد « الرجل » ، فأنّث للفظ « الخليفة » . وقال تعالى ذكره : « من نفس واحدة » لتأنيث « النفس » ، والمعنى : من رجل واحد . ولو قيل : « من نفس واحد » ، وأخرج اللفظ على التذكير للمعنى ، كان صواباً .[٥]

* * *

(١) قوله : « وعاطفاً » ، عطف على قوله : « معرفاً عباده . . . ومنبههم . . . »

(٢) فى المطبوعة : « صلى الله عليه وسلم » ، وأثبت ما فيه المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « صلى الله عليه وسلم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) سلف البيت وتخريجه فى ٦ : ٣٦٢ .

(٥) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٥٢

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وخلق منها زوجها » ، وخلق من النفس الواحدة زوجها = يعنى بـ « الزوج » ، الثانى لها .[1] وهو فيما قال أهل التأويل ، امرأتها حواء .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٠٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وخلق منها زوجها » ، قال : حواء ، من قُصَيرى آدم وهو نائم ،[2] فاستيقظ فقال : « أثا » = بالنبطية ، إمرأة .

٨٤٠٤ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٤٠٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وخلق منها زوجها » ، يعنى حواء ، خلقت من آدم ، من ضِلَع من أضلاعه .

٨٤٠٦ — حدثنى موسى بن هرون قال ، أخبرنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أسكن آدمَ الجنة ، فكان يمشى فيها وَحْشاً ليس له زوج يسكن إليها .[3] فنام نومةً ، فاستيقظ ، فإذا عند رأسه امرأة قاعدة ، خلقها

---

(١) انظر تفسير « الزوج » فيما سلف ١ : ٥١٤/٢ : ٤٤٦ ، وأراد بقوله فى تفسير « الزوج » « الثانى لها » ، أن « الزوج » هو « الفرد الذى له قرين » ، فكل واحد من القرينين ، يقال له : « زوج » ، ثم قيل لامرأة الرجل ، وللرجل صاحب المرأة : « زوج » .

(٢) القصرى (بضم القاف وسكون الصاد وفتح الراء) والقصيرى (بضم القاف وفتح الصاد ، على التصغير) : أسفل الأضلاع ، أو هى الضلع التى تلى الشاكلة ، بين الجنب والبطن .

(٣) قوله : « وحشا » ، أى وحده ليس معه غيره .

الله من ضلعه ، فسألها ما أنت ؟ قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : تسكن إلىّ . (١)

٨٤٠٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ألقى على آدم صلى الله عليه وسلم السِّنة — فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم ، عن عبد الله بن العباس وغيره — ثم أخذ ضِلَعاً من أضلاعه ، من شِقّه الأيسر ، ولأم مكانه ، (٢) وآدم نائمٌ لم يهبَّ من نومته ، حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضِلَعه تلك زوجته حواء ، فسوّاها امرأة ليسكن إليها ، فلما كُشِفت عنه السِّنة وهبَّ من نومته ، رآها إلى جنبه ، فقال — فيما يزعمون ، والله أعلم — : لحمى ودمى وزوجتى ! فسكن إليها . (٣)

٨٤٠٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وخلق منها زوجها » ، جعل من آدم حواء .

* * *

وأما قوله : « وبثَّ منهما رجالا كثيراً ونساء » ، فإنه يعنى : ونشر منهما ، يعنى من آدم وحواء = « رجالا كثيراً ونساء » ، قد رآهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ [سورة القارعة : ٤] . (٤)

* * *

يقال منه : « بثَّ الله الخلق ، وأبثهم » . (٥)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) الأثر : ٨٤٠٦ — مضى هذا الأثر مطولا برقم : ٧١٠ ، وكان فى المطبوعة هنا : « لتسكن إلى » باللام فى أولها ، وأثبت نص المخطوطة ، وما سلف فى الأثر : ٧١٠

(٢) لأم الشىء لأماً ، ولاءمه ، فالتأم : أصلحه حتى اجتمع وذهب ما كان فيه من الصدع . وفى روايته فى الأثر رقم : ٧١١ : « ولأم مكانه لحما » .

(٣) الأثر : ٨٤٠٧ — مضى هذا الأثر برقم : ٧١١ ، وتخريجه هناك .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٢ .

(٥) انظر تفسير « بث » فيما سلف ٣ : ٢٧٥

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٠٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » ، وبثَّ ، خلق .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه عامة قرأة أهل المدينة والبصرة ﴿ تَسَّاءَلونَ ﴾ بالتشديد ، بمعنى : تتساءلون ، ثم أدغم إحدى « التاءين » فى « السين » ، فجعلهما « سيناً » مشددة .

* * *

وقرأه بعض قرأة الكوفة : ﴿ تَسَاءَلُونَ ﴾ ، بالتخفيف ، على مثال « تفاعلون » ،

* * *

وهما قراءتان معروفتان ، ولغتان فصيحتان = أعنى التخفيف والتشديد فى قوله : « تساءلون به » = وبأىِّ ذلك قرأ القارئ أصابَ الصواب فيه . لأن معنى ذلك ، بأىّ وجهيه قرئ ، غير مختلف . ١٥١/٤

* * *

وأما تأويله : واتقوا الله ، أيها الناس ، الذى إذا سأل بعضكم بعضاً سأل به ، فقال السائل للمسئول : « أسألك بالله ، وأنشدك بالله ، وأعزم عليك بالله » ، وما أشبه ذلك . يقول تعالى ذكره : فكما تعظّمون ، أيها الناس ، ربّكم بألسنتكم حتى تروا أنّ من أعطاكم عهده فأخفركموه ،[١] فقد أتى عظيماً . فكذلك فعظّموه بطاعتكم إياه فيما أمركم ،

(١) أخفر الذمة والعهد : نقضه وغدره وخاس به ، ولم يف بعهده .

واجتنابكم ما نهاكم عنه ، واحذروا عقابه من مخالفتكم إياه فيما أمركم به أو نهاكم عنه ، كما : —

٨٤١٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به » ، قال يقول : اتقوا الله الذى تعاقدون وتعاهدون به .

٨٤١١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « واتقوا الله الذى تساءلون به » ، يقول : اتقوا الله الذى به تعاقدون وتعاهدون .

٨٤١٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس مثله .

٨٤١٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، أخبرنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « تساءلون به » ، قال: تعاطفون به .

* * *

وأما قوله : « والأرحام » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : واتقوا الله الذى إذا سألتم بينكم قال السائل للمسئول : « أسألك به وبالرَّحِم »

* ذكر من قال ذلك :

٨٤١٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم : « اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام» ، يقول : اتقوا الله الذى تعاطفون به والأرحام . يقول : الرجل يسأل بالله وبالرَّحم .

٨٤١٥ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : هو كقول الرجل : « أسألك بالله ، أسألك بالرحم » ، يعنى قوله : «واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » .

٨٤١٦ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال يقول : « أسألك بالله وبالرحم » .

٨٤١٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : هو كقول الرجل : « أسألك بالرحم » .

٨٤١٨ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال يقول : « أسألك بالله وبالرحم » .

٨٤١٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن منصور – أو مغيرة – عن إبراهيم فى قوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال : هو قول الرجل : « أسألك بالله والرحم » .

٨٤٢٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الحسن قال : هو قول الرجل : « أنشدك بالله والرحم » .

* * *

قال محمد :[1] وعلى هذا التأويل قول بعض من قرأ قوله : ﴿وَالأَرْحَامِ﴾ بالخفض عطفاً بـ « الأرحام » ، على « الهاء » التى فى قوله : « به » ، كأنه أراد : واتقوا الله الذى تساءلون به وبالأرحام = فعطف بظاهر على مكنىّ مخفوض . وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب ، لأنها لا تَنسُق بظاهر على مكنىّ فى الخفض ،[2]

---

(١) قوله : « قال محمد » ، يعنى محمد بن جرير الطبرى ، أبا جعفر صاحب التفسير . وهذه أول مرة يكتب فيها الطبرى ، أو أحد تلامذته ، أو بعض ناسخى تفسيره « قال محمد » ، دون كنيته « أبو جعفر » . وانظر ما سيأتى ص : ٥٦٩ ، تعليق : ٢ .

(٢) قوله : « تنسق » ، أى تعطف . و « النسق » العطف ، انظر فهارس المصطلحات فى هذه الأجزاء من التفسير ، و « المكنى » الضمير ، انظر فهارس المصطلحات .

إلا فى ضرورة شعر ، وذلك لضيق الشعر. [١] وأما الكلام ، فلا شىء يضطر المتكلم إلى اختيار المكروه من المنطق ، والردىء فى الإعراب منه . ومما جاء فى الشعر من ردّ ظاهر على مكنىّ فى حال الخفض ، قول الشاعر : [٢]

نُعَلِّقُ فِى مِثْلِ السَّوَارِى سُيُوفَنَا وَمَا بَيْنَهَا والكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ [٣]

فعطف بـ « الكعب » وهو ظاهر ، على « الهاء والألف » فى قوله : « بينها » وهى مكنية .

* * *

٤/١٥٢ وقال آخرون : تأويل ذلك : واتقوا الله الذى تساءلون به ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها .

---

(١) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، وقد ذكر هذه القراءة بإسنادها إلى إبراهيم بن يزيد النخعى ، وهى قراءة حمزة وغيره .

(٢) هو مسكين الدارمى .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٣ ، الحيوان ٦ : ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، الإنصاف : ١٩٣ ، الخزانة ٢ : ٣٣٨ ، العينى (بهامش الخزانة) ٤ : ١٦٤ ، وهو من أبيات ذكرها الجاحظ ، وأتمها العينى ، يمجد نفسه وقومه ، قال :

لَقَدْ عَلِمَتْ قَيْسٌ وَخِنْدِفُ أَنَّنِى بِثَغْرِهِمُ مِنْ عَارِمِ النَّاسِ وَاقِفُ

وَقَدْ عَلِمُوا أَنْ لَنْ يُبَقِّى عَدُوُّهُم إِذَا قَذَفَتْه فى يَدَىّ القَوَاذِفُ

وأنَّ أَبَانَا بِكْرُ آدَمَ ، فَاعْلَمُوا ، وَحَوَّاءُ ، قَرْمٌ ذُو عَثَانِينَ شَارِفُ

كَأَنَّ عَلَى خُرْطُومِهِ مُتَهَافِتاً مِنَ القُطْنِ هَاجَتْهُ الأَكُفُّ النَّوَادِفُ

وَلِلصَّدَأُ المُسْوَدُّ أَطْيَبُ عِنْدَنَا مِنَ المِسْكِ، دَافَتْهُ الأَكُفُّ الدَّوَائِفُ

تُعَلَّقُ فى مِثْلِ السَّوَارِى سُيُوفُنَا وما بَيْنَهَا والكَعْبِ غُوطٌ نفانِفُ

وَتَضْحَكُ عِرْفَانَ الدرُوعِ جُلُودُنَا إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمُ اللَّوْنِ كَاسِفُ

فى أبيات أخر ، ورواية الحيوان : « والكعب منا تنائف » ، وفى الطبرى ومعانى القرآن والخزانة « نعلق » بالنون ، وكلتاهما صواب . و « السوارى » جمع سارية ، وهى الأسطوانة . و « الغوط » جمع غائط ، وهو المطمئن من الأرض . و « النفانف » جمع نفنف : وهو الهواء بين شيئين ، وكل شىء بينه وبين الأرض مهوى بعيد فهو نفنف .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٢١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، يقول : اتقوا الله ، واتقوا الأرحام لا تقطعوها .

٨٤٢٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً » ، ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : اتقوا الله ، وصِلُوا الأرحام ، فإنه أبقى لكم فى الدنيا ، وخير لكم فى الآخرة .

٨٤٢٣ — حدثنى على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قول الله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، يقول : اتقوا الله الذى تساءلون به ، واتقوا الله فى الأرحام فصِلُوها .

٨٤٢٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن فى قوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال : اتقوا الذى تساءلون به ، واتقوه فى الأرحام .

٨٤٢٥ — حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة فى قول الله : « الذى تساءلون به والأرحام » ، قال : اتقوا الأرحام أن تقطعوها .

٨٤٢٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال : هو قول الرجل : « أنشدك بالله والرَّحم » .

٨٤٢٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا الله ، وصلوا الأرحام .

٨٤٢٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « الذى تساءلون به والأرحام » ، قال : اتقوا الأرحام أن تقطعوها .

٨٤٢٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنى أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « الذى تساءلون به والأرحام » ، قال يقول : اتقوا الله فى الأرحام فصلوها .

٨٤٣٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال يقول : واتقوا الله فى الأرحام فصلوها .

٨٤٣١ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق ، عن عبد الرحمن بن أبى حماد – وأخبرنا أبو جعفر الخراز ، عن جويبر ، عن الضحاك : أن ابن عباس كان يقرأ : « والأرحام » ، يقول : اتقوا الله لا تقطعوها .

٨٤٣٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : اتقوا الأرحام .

٨٤٣٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : « اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، أن تقطعوها .

٨٤٣٤ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : «واتقوا الله الذى تساءلون به » ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها = وقرأ : ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [سورة الرعد : ٢١] .

* * *

قال أبو جعفر ، وعلى هذا التأويل قرأ ذلك من قرأه نصباً بمعنى : واتقوا الله الذى تساءلون به ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها = عطفاً بـ « الأرحام » ، فى إعرابها بالنصب

على اسم الله تعالى ذكره .

قال : والقراءة التى لا نستجيز لقارئٍ أن يقرأ غيرها فى ذلك ،[1] النصب : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءلُون بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ ، بمعنى : واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، لما قد بينا أن العرب لا تعطف بظاهرٍ من الأسماء على مكنىّ فى حال الخفض ، إلا فى ضرورة شعر ، على ما قد وصفت قبل .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : إنّ الله لم يزل عليكم رقيباً .

* * *

ويعنى بقوله : « عليكم » ، على الناس الذين قال لهم جل ثناؤه : « يا أيها الناس اتقوا ربكم » ، والمخاطب والغائب إذا اجتمعا فى الخبر ، فإن العرب تخرج الكلام على الخطاب ، فتقول : إذا خاطبتْ رجلا واحداً أو جماعة فعلتْ هى وآخرون غُيَّبٌ معهم فعلاً : « فعلتم كذا ، وصنعتم كذا » .

* * *

ويعنى بقوله : « رقيباً » ، حفيظاً ، مُحصياً عليكم أعمالكم ، متفقداً رعايتكم حرمةَ أرحامكم وصلتكم إياها ، وقطعكموها وتضييعكم حرمتها ، كما : — ٤/١٥٣

٨٤٣٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إن الله كان عليكم رقيباً » ، حفيظاً .

٨٤٣٥ م — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد فى قوله : « إن الله كان عليكم رقيباً » ، على أعمالكم ، يعلمها ويعرفها .

* * *

ومنه قول أبى دُؤاد الإيادىّ :

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « لا نستجيز القارىء أن يقرأ » بتعريف « القارىء » ، وهو خطأ صوابه ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ٥١٩، ٥٢٠ .

كَمَقَاعِدِ الرُّقَبَاءِ لِلضُّرَبَاءِ أَيْدِيهِمْ نَوَاهِدْ[(١)]

القول فى تأويل قوله ﴿ وَءَاتُوا ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره أوصياءَ اليتامى. يقول لهم : وأعطوا ، يامعشر أوصياء اليتامى [اليتامى] أموالهم إذا هم بلغوا الحلم ،[(٢)] وأونس منهم الرشد[(٣)] =

---

(١) تهذيب الألفاظ : ٤٧٥ ، المعانى الكبير : ١١٤٨ ، مجاز القرآن ١ : ١١٣ ، الميسر والقداح : ١٣٣ ، وغيرها ، وهو من أبيات جياد فى نعت الثور الأبيض ، لم أجدها مجتمعة ،منها :

وَقَوَائِمٌ خُذُفٌ ، لَهَا مِنْ خَلْفِهَا زَمَعٌ زَوَائِدْ
كَمَقَاعِدِ الرُّقَبَاءِ لِلضُّرَبَاءِ أَيْدِيهِمْ نَوَاهِدْ
لَهَقٌ كَنَارِ الرَّأْسِ بِالْعَلْيَاءِ تُذْكِيهَا الأَعَابِدْ
وَيُصِيخُ أَحْيَانًا كَمَا اسْتَمَعَ المُضِلُّ لِصَوْتِ نَاشِدْ

يصف قوائم هذا الثور ، « خذف » جمع خذوف ، وهى السريعة السير والعدو ، تخذف الحصى بقوائمها . أى تقذفه . و « الزمع » جمع زمعة ، وهى هنة زائدة ناتئة فوق ظلف الشاة والثور ، مدلاة فيها شعر . ثم وصف هذه الزمع الناتئة خلف أظلاف الثور ، وشبه إشرافها على الأظلاف بالرقباء المشرفين على الضرباء، وقد مدوا أيديهم . وهذا وصف فى غاية البراعة والحسن . و « الرقباء » جمع رقيب ، وهو أمين أصحاب الميسر ، يحفظ ضربهم بالقداح ويرقبهم. و « الضرباء » جمع ضريب ، وهو الضارب بالقداح . وزعم ابن قتيبة أن قوله : « أيديهم » أى : أيدى الضرباء ، وأخطأ ، إنما عنى أيدى الرقباء لا الضرباء . وقوله : « لهق » هو البياض ، يعنى بياض الثور ، فشبه بياضه بياض النار على رأس رابية مشرقة ، تذكى لهيبها العبيد . ثم وصف الثور عند الارتياع ، فقال إنه يصيخ — أى ينصت مميلا رأسه ناحية من الفزع — و « المضل » الذى أضاع شيئاً فهو يترقب أن يجده . « والناشد » ، هو الذى ينشد ضالة ، أى يعرفها ويصفها . فهو يصغى لصوت المنشد المعرف إصغاء من يرجو أن تكون هى ضالته . وهذا من جيد الشعر وبارعه .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة ، أسقط ما وضعته بين القوسين ، ولكن السياق يقتضى إثباتها ، وكأن الناسخ غره التكرار ، فأسقط إحداهما ، فأساء .

(٣) انظر تفسير « آتى » فى فهارس اللغة ، وتفسير « اليتامى » فيما سلف ٢ : ٢٩٢ ، ٣/٢٩٢ : ٤/٣٤٥ : ٢٩٥ .

« ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ، يقول : ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالهم بأموالكم الحلال لكم ، كما :—

٨٤٣٦ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله الله تعالى : « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ، قال : الحلال بالحرام.

٨٤٣٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله.

٨٤٣٨ — حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ، قال : الحرام مكان الحلال.

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل في صفة تبديلهم الخبيث كان بالطيب ، الذي نهوا عنه ، ومعناه.[1]

فقال بعضهم : كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيِّد من ماله والرفيعَ منه ، ويجعلون مكانه لليتيم الرديء والخسيس ، فذلك تبديلهم الذي نهاهم الله تعالى عنه.

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٣٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ، قال : لا تعط زيفاً وتأخذ جيِّداً.

٨٤٤٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي = وعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب = ومعمر عن الزهري ، قالوا : يعطي مهزولا ويأخذ سميناً.

٨٤٤١ — وبه عن سفيان ، عن رجل ، عن الضحاك قال : لا تعط فاسداً ، وتأخذ جيداً.

---

(١) في المطبوعة : « في صفة تبديلهم الخبيث بالطيب » ، أسقط الناشر « كان » لأن عربيته أنكرت عربية أبي جعفر ! ! وهي الصواب المحض ، فأثبتها.

٨٤٤٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ، كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ، ويقول : « شاة بشاة » ! ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ، ويقول : « درهم بدرهم » ! !

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لا تستعجل الرزق الحرام فتأكله قبل أن يأتيك الذى قُدِّر لك من الحلال .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٤٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ، قال : لا تعجِّل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال الذى قدِّر لك .

٨٤٤٤ – وبه عن سفيان ، عن إسمعيل ، عن أبى صالح مثله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، كالذى : –

٨٤٤٥ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ، قال : كان أهل الجاهلية لا يورِّثون النساءَ ولا يورِّثون الصغار ، يأخذه الأكبر = وقرأ ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ ، قال : إذا لم يكن لهم شىء : ﴿والْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ [سورة النساء : ١٢٧] ، لا يورثونهم.[1] قال : فنصيبه من الميراث طيِّب ، وهذا الذى أخذه خبيث .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، قول من قال : تأويل ذلك : ولا تتبدلوا أموال أيتامكم – أيها الأوصياء – الحرامَ عليكم الخبيثَ لكم ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « لا يورثوهم » ، والصواب ما أثبت .

فتأخذوا رفائعها وخيارَها وجيادَها ، بالطيب الحلال لكم من أموالكم = [أى : لا تأخذوا] الردىء الحسيس بدلاً منه .[١]

* * *

وذلك أنّ «تبدل الشىء بالشىء» فى كلام العرب : أخذ شىء مكان آخر غيره ، يعطيه المأخوذ منه أو يجعله مكان الذى أخذ .[٢]

١٠٤/٤

* * *

فإذْ كان ذلك معنى « التبدل » و« الاستبدال » ،[٣] فمعلوم أنّ الذى قاله ابن زيد = من أن معنى ذلك : هو أخذ أكبرِ ولد الميت جميع مالِ ميِّته ووالده ، دون صغارهم ، إلى ماله — قولٌ لا معنى له . لأنه إذا أخذ الأكبر من ولده جميع ماله دون الأصاغر منهم ، فلم يستبدل مما أخذ شيئاً . فما « التبدل » الذى قال جل ثناؤه : « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ، ولم يتبدَّل الآخذ مكان المأخوذ بدلاً ؟

* * *

وأما الذى قاله مجاهد وأبو صالح من أن معنى ذلك : لا تتعجل الرزق الحرام قبل مجىء الحلال = فإنهما أيضاً ، إن لم يكونا أرادا بذلك نحو القول الذى روى عن ابن مسعود أنه قال : « إن الرجل ليحرم الرزق بالمعصية يأتيها » ، ففساده نظير فساد قول ابن زيد . لأن من استعجل الحرام فأكله ، ثم آتاه الله رزقه الحلال ، فلم يبدِّل شيئاً مكان شىء . وإن كانا قد أرادا بذلك ،[٤] أن الله جل ثناؤه نهى عباده أن يستعجلوا الحرام فيأكلوه قبل مجىء الحلال ، فيكون أكلُهم ذلك

---

(١) هذا الذى زدته بين القوسين ، استظهار من تأويله الآتى . والجملة بغير هذه الزيادة لا تكاد تستقيم .

ثم انظر تفسير « الخبيث » فيما سلف ٥ : ٥٥٩/٧ : ٤٢٤ = وتفسير « الطيب » فيما سلف ٣ : ٣٠١/٥ : ٥٥٥/٦ : ٣٦١/٧ : ٤٢٤ .

(٢) انظر تفسير « تبدل » و « استبدل » فيما سلف ٢ : ١١٢ ، ١٣٠ ، ٤٩٤ .

(٣) فى المطبوعة : « التبديل » ، وأثبت الصواب من المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « وإن كانا أراد بذلك » بحذف « قد » وفى المخطوطة : « وإن كان قال أراد بذلك » وهو فساد من عجلة الناسخ ، ولكن صواب قراءتها ما أثبت .

سبباً لحرمان الطيِّب منه. فذلك وجه معروف، ومذهب معقول: يحتمله التأويل. غير أن أشبه [القولين] فى ذلك بتأويل الآية، ما قلنا.(١) لأن ذلك هو الأظهر من معانيه، لأن الله جل ثناؤه إنما ذكر ذلك فى قصة أموال اليتامى وأحكامها، فلأن يكون ذلك من جنس حُكم أول الآية وآخرها، [أولى] من أن يكون من غير جنسه.(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾

قال أبو جعفر: يعنى بذلك تعالى ذكره: ولا تخلِطوا أموالهم — يعنى أموال اليتامى بأموالكم — فتأكلوها مع أموالكم،(٣) كما: —

٨٤٤٦ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله: «ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم»، يقول: لا تأكلوا أموالكم وأموالهم، تخلطوها فتأكلوها جميعاً.

٨٤٤٧ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو زهير، عن مبارك، عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية فى أموال اليتامى، كرهوا أن يخالطوهم، وجعل ولىُّ اليتيم يعزل مالَ اليتيم عن ماله، فشكوا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم،

(١) فى المطبوعة: «غير أن الأشبه فى ذلك بتأويل الآية ما قلنا»، وهو غير جيد، وفى المخطوطة: «غير أن أشبه فى ذلك بتأويل الآية ما قلنا»، وبين أن الناسخ عاد فسها، فأسقط «القولين» وهو ما أثبته ما بين القوسين.

(٢) فى المطبوعة: «فلا يكون ذلك من جنس حكم أول الآية، فأخرجها من أن يكون من غير جنسه» جعل «وآخرها»، «فأخرجها»، فأنزل الكلام منزلة من الفساد لا مخرج منها. وأما المخطوطة فكان سياقها: «فلا يكون ذلك من جنس حكم أول الآية وآخرها من أن يكون من غير جنسه»، وهو سهو من الناسخ وعجلته أفسد الجملة، صواب «فلا يكون» «فلأن يكون»، والصواب أيضاً زيادة «أولى» التى وضعتها بين القوسين.

(٣) انظر تفسير «أكل الأموال» فيما سلف ٣: ٥٤٨، ٥٤٩ = وتفسير «إلى» بمعنى «مع» فيما سلف ١: ٢٩٩/٦: ٤٤٣، ٤٤٤.

فأنزل الله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٠] ، قال : فخالطوهم واتقوا . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره [بقوله] : (٢) « إنه كان حوباً كبيراً » ، إن أكلكم أموال أيتامكم ، حوبٌ كبير .

* * *

و « الهاء » فى قوله : « إنه » دالة على اسم الفعل ، أعنى « الأكل » .

* * *

وأما « الحوب » ، فإنه الإثم ، يقال منه : « حاب الرجل يَحُوب حَوباً وحُوباً وحِيَابة » ، ويقال منه : « قد تحوَّب الرجل من كذا » ، إذا تأثم منه ، ومنه قول أمية ابن الأسكر الليثى : (٣)

وَإِنَّ مُهَاجِرَيْنِ تَكَنَّفَاهُ غَدَاتَئِذٍ ، لَقَدْ خَطِئَا وحَابَا (٤)

ومنه قيل : « نزلنا بحَوبة من الأرض ، وبحِيبَةٍ من الأرض » ، إذا نزلوا بموضع سَوْءٍ منها .

* * *

و « الكبير » العظيم . (٥)

* * *

(١) الأثر : ٨٤٤٧ — هذا الأثر لم يروه أبو جعفر فى تفسير آية سورة البقرة ٤ : ٣٤٩ — ٣٥٥ ، وهو من الدلائل على اختصاره تفسيره هذا .

(٢) الذى بين القوسين زيادة لا يستقيم الكلام بغيرها .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « بن الأسكن » ، وهو خطأ صرف .

(٤) مضى البيت وتخريجه فى ٢ : ١١٠ ، وسيأتى فى ١٣ : ٣٧ (بولاق) ، وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٣ ، ولم أثبتت هناك ، مواضع تكراره فى التفسير ، فليقيد هناك ، وروايته هناك : « لعمر الله قد خطئا وخابا » بالخاء ، وأرجح أن أجود الروايتين ، روايته فى هذا الموضع ، بالحاء المهملة ؛ وإن كانت أكثر الكتب قد أثبتها بالخاء المعجمة ، وأرجح أيضاً أنه تصحيف قديم ، ومعنى رواية أبى جعفر أشبه بسياق الشعر إن شاء الله .

(٥) انظر تفسير « كبير » فيما سلف ٢ : ٣/١٥ : ١٦٦/٤ : ٣٠٠

فمعنى ذلك : إنّ أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم ، إثم عند الله عظيم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٤٨ — حدثنى محمد بن عمرو وعمرو بن على قالا ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « حوباً كبيراً » ، قال : إثماً .

٨٤٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٤٥٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إنه كان حوباً كبيراً » ، قال : إثماً عظيما .

٨٤٥١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كان حوباً » ، أما « حوبا » فإثماً .

٨٤٥٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله « حوباً » ، قال : إثماً .

٨٤٥٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنه كان حوباً كبيراً » ، يقول : ظلماً كبيراً . ٤/١٥٥

٨٤٥٤ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعت ابن زيد يقول فى قوله : « إنه كان حوباً كبيراً » ، قال : ذنباً كبيراً = وهى لأهل الإسلام .

٨٤٥٥ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا قرة بن خالد قال، سمعت الحسن يقول : « حوباً كبيراً » ، قال : إثماً والله عظيماً.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : وإن خفتم ، يا معشر أولياء اليتامى ، أن لا تقسطوا فى صداقهن فتعدلوا فيه ، وتبلغوا بصداقهن صدقات أمثالهن ، فلا تنكحوهن ، ولكن انكحوا غيرهن من الغرائب اللواتى أحلهن الله لكم وطيبهن ، من واحدة إلى أربع ، وإن خفتم أن تجوروا = إذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة = فلا تعدلوا ، فانكحوا منهن واحدة ، أو ما ملكت أيمانكم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٥٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، فقالت : يا ابن أختى ، هى اليتيمة تكون فى حجر وليها ، فيرغب فى مالها وجمالها ، ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة صداقها ، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن فى إكمال الصداق ، وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء .[1]

٨٤٥٧ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى عروة بن الزبير : أنه سأل عائشة

---

(١) الحديث : ٨٤٥٦ — روى الطبرى هذا الحديث — مطولا ومختصراً — بسبعة أسانيد : ٨٤٥٦ — ٨٤٦١ ، ٨٤٧٧ . وهو ثابت صحيح ، فى الصحيحين وغيرهما .

وهذا الإسناد : هو من رواية عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى . وسيأتى : ٨٤٦٠ ، من رواية عبد الرزاق ، عن معمر ، دون ذكر لفظه ، إحالة على هذه الرواية .

وقد رواه البخارى فى صحيحه اثنتى عشرة مرة ، سنشير إليها ، إن شاء الله .

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٧ : ١٤١ — ١٤٢ ، بأسانيد ، من أوجه متعددة .

زوج النبى صلى الله عليه وسلم عن قول الله تبارك وتعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طابَ لكم من النساء » ، قالت : يا ابن أختى ، هذه اليتيمة ، تكون فى حجر وليِّها تُشاركه فى ماله ، فيعجبه مالها وجمالها ، فيريد وليها أن يتزوّجها بغير أن يُقسِط فى صداقها ، فيعطيها مثل مايعطيها غيره ، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ، ويبلغوا بهن أعلى سُنَّتهن فى الصداق ، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن = قال يونس بن يزيد . قال ربيعة فى قول الله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، قال يقول : اتركوهنّ ، فقد أحللت لكم أربعاً .[(١)]

٨٤٥٨ — حدثنا الحسن بن الجنيد وأخبرنا سعيد بن مسلمة قالا ، أنبأنا إسمعيل ابن أمية ، عن ابن شهاب ، عن عروة قال : سألت عائشة أم المؤمنين فقلت : يا أم المؤمنين ، أرأيت قول الله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء » ؟ قالت : يا ابن أختى ، هى اليتيمة تكون فى حجر وليها ، فيرغب فى جمالها ومالها ، ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة صداق نسائها ، فنهوا عن ذلك : أن ينكحوهن إلاّ أن يقسطوا فيكمِّلوا لهن الصداق ، ثم أمروا أن ينكحوا سواهن من النساء إن لم يكملوا لهن الصداق .[(٢)]

---

(١) الحديث : ٨٤٥٧ — وهذا من رواية ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهرى .
وسيأتى : ٨٤٥٩ ، من رواية الليث بن سعد ، عن يونس ، عن الزهرى ، دون ذكر لفظه ، إحالة على هذه الرواية .

ورواه البخارى ٥ : ٩٤ — ٩٥ (فتح) ، من طريق الليث ، عن يونس ، عن الزهرى .

وقد رواه مسلم ٢ : ٣٩٨ — ٣٩٩ ، من طريق ابن وهب ، عن يونس — أطول مما هنا . لكن ليس فيه ما ذكر فى آخره هنا ، من كلام ربيعة الذى رواه عنه يونس . وليس هذا من صلب الحديث .

ورواه البخارى ٩ : ٩١ (فتح) ، من رواية حسان بن إبرهيم ، عن يونس ، عن الزهرى — بنحو مما هنا ، مع اختصار قليل . وليس فيه كلمة ربيعة .

وقوله : « أعلى سنتهن فى الصداق » — هذا هو الثابت فى صحيح مسلم أيضاً . وفى المخطوطة « سبيلهن » بدل « سنتهن » . والظاهر أنه تصحيف من الناسخ .

(٢) الحديث : ٨٤٥٨ — الحسن بن الجنيد بن أبى جعفر البزار البغدادى : ثقة . أخرج عنه ابن خزيمة فى صحيحه . وترجمه ابن أبى حاتم ١/٢/٤ ، فلم يذكر فيه جرحاً والخطيب ٧ : ٢٩٢ ،

٨٤٥٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى يونس ، عن ابن شهاب قال ، حدثنى عروة بن الزبير : أنه سأل عائشة زوجَ النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثل حديث يونس ، عن ابن وهب .

٨٤٦٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى عن عروة ، عن عائشة ، مثل حديث ابن حميد ، عن ابن المبارك .[1]

٨٤٦١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : نزل = تعنى قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، الآية = فى اليتيمة تكون عند الرجل ، وهى ذات مال ، فلعله ينكحها لمالها وهى لا تعجبه ، ثم يضربها ويسىء صحبتها ، فوُعظ فى ذلك .[2]

١٥٦/٤

* * *

كلاهما فى ترجمة « الحسن » . وترجمه الحافظ المزى فى التهذيب الكبير باسم « الحسين » . وتبعه الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب ، تبعاً لترتيب الكتاب ، ولكنه صرح بأنه « بفتح الحاء والسين » ، يعنى « الحسن » ، وهو الصواب .

سعيد بن مسلمة بن هشام بن عبد الملك بن مروان : ضعيف . قال البخارى فى الكبير ٢/١/٤٧٣ : « فيه نظر » . وذكر أن عنده « مناكير » . وقال فى الضعفاء ، ص ١٥ : « منكر » . وقال ابن معين : « ليس بشىء » . وقال أبو حاتم : « هو ضعيف الحديث ، منكر الحديث » – ابن أبى حاتم ٢/١/٦٧ .

ووقع فى المطبوعة هنا : « الحسن بن جنيد وأبو سعيد بن مسلمة » ، وهو خطأ ، كتب « وأبو » بدل « وأنا » اختصار « وأخبرنا » .

إسمعيل بن أمية الأموى : مضت ترجمته فى : ٢٦١٥ .

وضعف هذا الإسناد ، من أجل سعيد بن مسلمة ، لا يمنع صحة الحديث فى ذاته من أوجه أخر ، كما مضى ، وكما سيأتى .

(١) الحديثان : ٨٤٥٩ ، ٨٤٦٠ – هما تكرار للحديثين : ٨٤٥٧ ، ٨٤٥٦ . وقد أشرنا إلى كل منهما فى موضعه .

(٢) الحديث : ٨٤٦١ – القاسم : هو ابن الحسن . و « الحسين » : هو ابن داود الملقب « سنيد » . انظر ما مضى فى الإسناد : ٨٣٩٨ .

حجاج : هو ابن محمد المصيصى الأعور . مضت ترجمته فى : ١٦٩١ . وترجم له أخى السيد محمود ، فى ج ٦ ص ٥٤٨ ، تعليق : ٣ .

قال أبو جعفر : فعلى هذا التأويل، جواب قوله: « وإن خفتم ألا تقسطوا »، قوله : « فانكحوا » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : النهى عن نكاح ما فوق الأربع ، حِذاراً على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم .(١) وذلك أن قريشاً كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والأكثر والأقل ، فإذا صار معدماً ، مال على مال يتيمه الذى فى حجره فأنفقه أو تزوج به . فنهوا عن ذلك ، وقيل لهم : إن أنتم خفتم على أموال أيتامكم أن تنفقوها = فلا تعدلوا فيها ، من أجل حاجتكم إليها لما يلزمكم من مُؤن نسائكم ،

والحديث — من هذا الوجه — رواه البخارى ٨ : ١٧٩ (فتح) . من طريق هشام بن يوسف ، عن ابن جريج ، به ، نحوه . ولكن سياقه يوهم أنها نزلت فى شخص معين . فقال الحافظ : « والمعروف عن هشام بن عروة التعميم . وكذلك أخرجه الإسماعيلى ، من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج . ولفظه : أنزلت فى الرجل يكون عنده اليتيمة ، إلخ » .

أقول : ورواية حجاج ، هى هذه التى فى الطبرى أيضاً .

ورواه البخارى أيضاً ٨ : ١٩٩ (فتح) ، من طريق أبى أسامة ، عن هشام بن عروة ، على الصواب.
وكذلك رواه مسلم ، بنحوه ٢ : ٣٩٩ ، من طريق أبى أسامة ، عن هشام .

ورواه البخارى أيضاً ، بنحوه ٩ : ١١٩ ، من طريق عبدة ، وهو ابن سليمان ، عن هشام ابن عروة .

وسيأتى : ٨٤٧٧ ، من رواية وكيع ، عن هشام . ونخرجه هناك ، إن شاء الله .

ونحن ذاكرون هنا باقى طرقه فى الصحيحين — عدا رواية وكيع — تتمة للفائدة :

فرواه البخارى ٥ : ٩٤ — ٩٥ (فتح) ، ومسلم ٢ : ٣٩٩ = كلاهما من طريق صالح ، عن الزهرى ، عن عروة .

ورواه البخارى ٥ : ٢٩٢ (فتح) ، و ٩ : ١٦٩ — ١٧٠ . و ١٢ : ٢٩٨ = من طريق شعيب ، عن الزهرى .

ورواه أيضاً ٩ : ١١٧ ، ١٦٩ — ١٧٠ = من طريق عقيل ، عن الزهرى .

ورواه أيضاً ٩ : ١٦٢ ، من طريق أبى معاوية ، عن هشام بن عروة ، مختصراً .

وابن كثير ذكر حديث عائشة ٢ : ٣٤٢ — ٣٤٣ ، من روايتين من روايات البخارى . ولم يزد فى تخريجه شيئاً .

والسيوطى ذكره بثلاثة ألفاظ ، مطولا ومختصراً ٢ : ١١٨ . وزاد نسبته لعبد بن حميد ، والنسائى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم .

(١) فى المطبوعة : « حذراً على أموال اليتامى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فلا تجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربعٍ = وإن خفتم أيضاً من الأربع أن لا تعدلوا فى أموالهم ، فاقتصروا على الواحدة ، أو على ما ملكت أيمانكم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٦٢ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك قال ، سمعت عكرمة يقول فى هذه الآية : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، قال : كان الرجل من قريش يكون عنده النِّسوة ، ويكون عنده الأيتام ، فيذهب ماله ، فيميل على مال الأيتام ، قال : فنزلت هذه الآية : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » .

٨٤٦٣ — حدثنا هناد بن السرى قال : حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » ، قال : كان الرجل يتزوج الأربع والخمس والستّ والعشر ، فيقول الرجل : « مايمنعنى أن أتزوج كما تزوج فلان » ؟ فيأخذ مال يتيمه فيتزوج به ، فنهوا أن يتزوجوا فوق الأربع .

٨٤٦٤ — حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب ابن أبى ثابت ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قصر الرجال على أربعٍ من من أجل أموال اليتامى .

٨٤٦٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، فإن الرجل كان يتزوج بمال اليتيم ما شاء الله تعالى ، فنهى الله عن ذلك .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن القوم كانوا يتحوّبون فى أموال اليتامى أن لايعدلوا فيها ، ولا يتحوبون فى النساء أن لا يعدِلوا فيهن ، فقيل لهم : كما خفتم أن

لا تعدلوا فى اليتامى ، فكذلك فخافوا فى النساء أن لا تعدلوا فيهن ، ولا تنكحوا منهن إلا من واحدة إلى الأربع ، ولا تزيدوا على ذلك . وإن خفتم أن لا تعدلوا أيضاً فى الزيادة عن الواحدة ، فلا تنكحوا إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيهن ، من واحدة أو ما ملكت أيمانكم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٦٦ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قال : كان الناس على جاهليتهم ، إلاّ أن يؤمروا بشىء أو يُنْهوا عنه ، قال : فذكروا اليتامى ، فنزلت : «وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » ، قال : فكما خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى ، فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى النساء .

٨٤٦٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، إلى « أيمانكم » ، كانوا يشددون فى اليتامى ، ولا يشددون فى النساء ، ينكح أحدُهم النسوة فلا يعدل بينهن ، فقال الله تبارك وتعالى : كما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى ، فخافوا فى النساء ، فانكحوا واحدة إلى الأربع . فإن خفتم أن لا تعدلوا ، فواحدة أو ما ملكت أيمانكم .

٨٤٦٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » حتى بلغ « أدنى ألا تعولوا » ، يقول : كما خفتم الجور فى اليتامى وهمّكم ذلك ، فكذلك فخافوا فى جمع النساء ، [1] وكان الرجل فى الجاهلية يتزوج العشرة ‎٤/١٥٧

(١) فى المخطوطة : « جميع النساء » ، والصواب ما فى المطبوعة .

فما دون ذلك ، فأحل الله جل ثناؤه أربعاً ، ثم صيَّرهن إلى أربع قوله : (١) « مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » ، يقول ، إن خفت أن لا تعدل فى أربع فثلاث ، وإلا فثنتين ، وإلا فواحدة . وإن خفت أن لا تعدل فى واحدة، فما ملكت يمينك .

٨٤٦٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، يقول : ما أحل لكم من النساء = « مثنى وثلاث ورباع » ، فخافوا فى النساء مثل الذى خفتم فى اليتامى: أن لا تقسطوا فيهنّ .

٨٤٧٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قال : جاء الإسلام والناس على جاهليتهم ، إلا أن يؤمروا بشىء فيتّبعوه ، أو ينهوا عن شىء فيجتنبوه ، حتى سألوا عن اليتامى ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » .

٨٤٧١ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد ابن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قال : بعث الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم والناس على أمر جاهليتهم ، إلا أن يؤمروا بشىء أو ينهوا عنه ؛ وكانوا يسألونه عن اليتامى فأنزل الله تبارك وتعالى: « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، قال : فكما تخافون أن لا تقسطوا فى اليتامى ، فخافوا أن لا تقسطوا وتعدِلوا فى النساء .

٨٤٧٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، قال : كانوا فى الجاهلية ينكحون عشراً من النساء الأيامى ، وكانوا

(١) فى المطبوعة : « ثم الذى صيرهن إلى أربع » ، زاد « الذى » ، وما فى المخطوطة صواب جيد .

يعظمون شأن اليتيم ، فتفقدوا من دينهم شأن اليتيم ، وتركوا ما كانوا ينكحون فى الجاهلية ، فقال : « وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، ونهاهم عما كانوا ينكحون فى الجاهلية .[١]

٨٤٧٣ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، كانوا فى جاهليتهم لا يرزأون من مال اليتيم شيئاً ، وهم ينكحون عشراً من النساء ، وينكحون نساء آبائهم ، فتفقدوا من دينهم شأن النساء ، فوعظهم الله فى اليتامى وفى النساء ، فقال فى اليتامى : ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ إلى ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً ﴾ ، ووعظهم فى شأن النساء فقال : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » الآية ، وقال : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [سورة النساء : ٢٢] .

٨٤٧٤ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » إلى « ما ملكت أيمانكم » ، يقول : فإن خفتم الجور فى اليتامى وغمّكم ذلك ، فكذلك فخافوا فى جمع النساء ،[٢] قال :

---

(١) الحديث : ٨٤٧٢ — عبد الله بن صالح ، كاتب الليث بن سعد : مضت ترجمته وتوثيقه فى : ١٨٦ .

معاوية بن صالح الحضرمى : سبق توثيقه فى : ١٨٦ . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٤/١/٣٣٥ ، والصغير ، ص : ١٩٣ ، وابن سعد ٧/٢/٢٠٧ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٣٨٢-٣٨٣ . وتاريخ قضاة قرطبة ، ص : ٣٠ — ٤٠ ، وقضاة الأندلس للنباهى ، ص : ٤٣ .

على بن أبى طلحة : قد بينا فى : ١٨٣٣ أنه لم يسمع من ابن عباس . فيكون هذا الإسناد منقطعاً ، ضعيف الإسناد لانقطاعه .

والحديث رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٧ : ١٥٠ ، من طريق عثمان بن سعيد ، عن عبد الله بن صالح ، بهذا الاسناد .

وأشار إليه الحافظ فى الفتح ٨ : ١٧٩ — ١٨٠ ؛ فى شرح حديث عائشة ؛ قال : « وتأويل عائشة هذا ؛ جاء عن ابن عباس مثله . أخرجه الطبرى » .

وذكره السيوطى ٢ : ١١٨ ، ونسبه لابن جرير ، وابن أبى حاتم ، فقط .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة هنا «فى جميع النساء» ، والصواب ما أثبت ، وانظر التعليق السالف ص : ٥٣٦ ، تعليق : ١ .

رأى محمد شاكر فى إسناد عبد الله بن صالح

وكان الرجل يتزوج العشر فى الجاهلية فما دون ذلك ، وأحل الله أربعاً ، وصيَّرهم إلى أربع ، يقول : « فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة » ، وإن خفت أن لا تعدل فى واحدة ، فما ملكت يمينك .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فكما خفتم فى اليتامى ، فكذلك فتخوفوا فى النساء أن تَزْنُوا بهن ، ولكن انكحوا ما طاب لكم من النساء .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٧٥ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، يقول : إن تحرَّجتم فى ولاية اليتامى وأكل أموالهم إيماناً وتصديقاً ، فكذلك فتحرّجوا من الزّنا ، وانكحوا النساء نكاحاً طيباً = « مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » . ١٥٨/٤

٨٤٧٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى اللاتى أنتم وُلاتهن ، فلا تنكحوهن ، وانكحوا أنتم ما حل لكم منهن .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٧٧ — حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، قال : نزلت فى اليتيمة تكون عند الرجل ، هو وليها ليس لها ولى غيره ، وليس أحد ينازعه فيها ، ولا ينكحها لمالها ، فيضربها ويسىء صحبتها .[1]

(١) الحديث : ٨٤٧٧ — هذا إسناد ضعيف ، لضعف سفيان بن وكيع ، وقد بينا ضعفه مراراً ، أولها فى : ١٤٢ ، ١٤٣ .

ولكن الحديث فى ذاته صحيح ، كما مضى فى : ٨٤٥٦ — ٨٤٦١ ، وفى الروايات التى خرجناها من الصحيحين .

٨٤٧٨ - حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن فى هذه الآية : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم » أى : ما حلّ لكم من يتاماكم من قراباتكم = « مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التى ذكرناها فى ذلك بتأويل الآية ، قول من قال : تأويلها : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى ، فكذلك فخافوا فى النساء ، فلا تنكحوا منهن إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيه منهن ، من واحدة إلى الأربع . فإن خفتم الجورَ فى الواحدة أيضاً ، فلا تنكحوها ، ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم ، فإنه أحرى أن لا تجوروا عليهن » .

وإنما قلنا إنّ ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الله جل ثناؤه افتتح الآية التى قبلها بالنهى عن أكل أموال اليتامى بغير حقها وخلطها بغيرها من الأموال ، فقال تعالى ذكره : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيرًا ﴾. ثم أعلمهم أنهم إن اتقوا الله فى ذلك فتحرّجوا فيه ، فالواجب عليهم من اتقاء الله والتحرّج فى أمر النساء ، مثل الذى عليهم من التحرج فى أمر اليتامى. وأعلمهم كيف التخلص لهم من الجور فيهن ،[1] كما عرّفهم المخلص من الجور فى أموال اليتامى ، فقال : انكحوا إن أمنتم الجور فى النساء على أنفسكم ، ما أبحت لكم منهن وحلّلته ، مثنى وثُلاث ورباع . فإن خفتم أيضاً الجور على أنفسكم فى أمر الواحدة ، بأن لا تقدروا على إنصافها ، فلا تنكحوها ،

ثم هو ثابت صحيح من رواية وكيع ، من غير رواية ابنه سفيان عنه .

فرواه البخارى ٩ : ١٦٠ (فتح) ، بأطول مما هنا = عن يحيى ، عن وكيع ، بهذا الإسناد .

ويحيى - شيخ البخارى فى هذا الإسناد - قال الحافظ فى الفتح : « هو ابن موسى ، أو ابن جعفر . كما بينته فى المقدمة » .

والذى فى مقدمة الفتح ، ص : ٢٣٦ ، أن ابن السكن نسبه « يحيى بن موسى » .

(١) لعل الأجود أن يقول : « وأعلمهم كيف المخلص لهم » ، كالتى تليها .

ولكن تسرّوا من المماليك ، فإنكم أحرى أن لا تجوروا عليهن ، لأنهن أملاككم وأموالكم ، ولا يلزمكم لهن من الحقوق كالذى يلزمكم للحرائر ، فيكون ذلك أقرب لكم إلى السلامة من الإثم والجور .

ففى الكلام — إذ كان المعنى ما قلنا — متروك استغنى بدلالة ما ظهر من الكلام عن ذكره . وذلك أن معنى الكلام : وإن خفتم أن لا تقسطوا فى أموال اليتامى فتعدلوا فيها ، فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى حقوق النساء التى أوجبها الله عليكم ، فلا تتزوجوا منهن إلا ما أمنتم معه الجور مثنى وثلاث ورباع . وإن خفتم أيضاً فى ذلك فواحدة . وإن خفتم فى الواحدة ، فما ملكت أيمانكم = فترك ذكر قوله : « فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى حقوق النساء » ، بدلالة ما ظهر من قوله تعالى : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » .

* * *

فإن قال قائل ، فأين جواب قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ؟

قيل : قوله « فانكحوا ما طاب لكم » . غير أن المعنى الذى يدل على أن المراد بذلك ما قلنا قوله : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا » .

* * *

وقد بينا فيما مضى قبلُ أن معنى « الإقساط » فى كلام العرب : العدل والإنصاف = وأن « القسط » : الجور والحيف ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

وأما « اليتامى » ، فإنها جمع لذكران الأيتام وإناثهم فى هذا الموضع .[2]

* * *

(١) انظر ما سلف ٦ : ٧٧ ، ٢٧٠

(٢) انظر تفسير « اليتامى » فيما سلف قريباً ص : ٥٢٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : «فانكحوا ماطاب لكم من النساء » ، فإنه يعنى : فانكحوا ما حلَّ لكم منهن ، دون ما حُرِّم عليكم منهنّ ، كما : —

٨٤٧٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن إسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، ما حلّ لكم .

٨٤٨٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، يقول : ما حلّ لكم . ١٥٩/٤

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، ولم يقل : « فانكحوا مَنْ طاب لكم » ؟ وإنما يقال : « ما » فى غير الناس .

قيل : معنى ذلك على غير الوجه الذى ذهبتَ إليه ، وإنما معناه : فانكحوا نكاحاً طيباً ، كما : —

٨٤٨١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، فانكحوا النساء نكاحاً طيباً .

٨٤٨١ م — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

فالمعنىّ بقوله : « ما طاب لكم » ، الفعل ، دون أعيان النساء وأشخاصهنّ ، فلذلك قيل « ما » ولم يقل « من » ، كما يقال : « خذ من رقيقى ما أردت » ، إذا عنيت : خذ منهم إرادتك . ولو أردت : خذ الذى تريد منهم ، لقلت : « خذ من رقيقى من أردت منهم ».[1] وكذلك قوله : « أو ما ملكت أيمانكم » ، بمعنى : أو ملك أيمانكم .

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٣ ، ٢٥٤

وإنما معنى قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، فلينكح كل واحد منكم مثنى وثلاث ورباع ، كما قيل : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [سورة النور : ٤].

* * *

وأما قوله : « مثنى وثلاث ورباع » ، فإنما تُرك إجراؤهن ، لأنهن معدولات عن « اثنين » ، و « ثلاث » و « أربع » ، كما عدل « عمر » عن « عامر » ، و « زُفَر » عن « زافِر » فترك إجراؤه . وكذلك ، « أحاد » و « ثناء » و « مَوْحد » و « مثنى » و « مَثْلث » و « مَرْبع » ، لا يجرى ذلك كله للعلة التى ذكرت من العدول عن وجوهه . ومما يدلّ على أن ذلك كذلك ، وأن الذكر والأنثى فيه سواء ، ما قيل فى هذه السورة و « سورة فاطر » ، [١] : « مثنى وثلاث ورباع » يراد به « الجناح » ، و « الجناح » ذكر = وأنه أيضاً لا يضاف إلى ما يضاف إليه « الثلاثة » و « الثلاث » وأن « الألف واللام » لا تدخله = فكان فى ذلك دليل على أنه اسم للعدد معرفة ، ولو كان نكرة لدخله « الألف واللام » ، وأضيف كما يضاف « الثلاثة » و « الأربعة » .(١)

ومما يبين فى ذلك قول تميم بن أبىّ بن مقبل :

تَرَى النُّعَرَاتِ الزُّرْقَ تَحْتَ لَبَانِهِ أُحَادَ وَمَثْنَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهْ(٢)

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٢) من قصيدة له طويلة نقلتها قديماً ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٥ ، ٣٤٥ والحيوان ٧ : ٢٣٣ . واللسان (نعر) (فرد) (صعق) (ثنى) ، وغيرها ، وسيأتى فى التفسير ٧ : ١٨٤ (بولاق) . يصف فرسه ، و بعد البيت .

فَرِيساً ، ومَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، كأَنَّه خُيُوطَـةُ مَارِىٍّ لَوَاهُنَّ فَاتِلُهْ

ويروى البيت : « النعرات الخضر » ، و « أحاد ومثنى » و « فراد ومثنى » . والنعرات جمع نعرة (بضم النون وفتح العين والراء) : وهو ذباب ضخم ، أزرق العين ، أخضر ، له إبرة فى طرف ذنبه يلسع بها ذوات الحافر فيؤذيها ، وربما دخل أنف الحمار فيركب رأسه ، فلا يرده شيء .

و « اللبان » : الصدر من ذى الحافر . و « أصعقتها » : قتلتها . و « صواهله » جمع صاهلة ، وهو مصدر على « فاعلة » ، بمعنى « الصهيل » ، كما يقال : « رواغى الإبل » ، أى رغاءها . وقوله فى البيت

فرد « أحاد ومثنى » ، على « النعرات » وهى معرفة . وقد تجعلها العرب نكرة فتجريها ، كما قال الشاعر : (١)

وَإِنَّ الغُلَامَ المُسْتَهَامَ بِذِكْرِهِ قَتَلْنَا بِهِ مِنْ بين مَثْنَى وَمَوْحَدِ (٢)
بِأَرْبعَةٍ مِنْكُمْ وَآخَرَ خَامِسٍ وَسَادٍ مَعَ الإِظْلَامِ فِى رُمْحِ مَعْبَدِ

ومما يبين أن « ثناء » و « أحاد » غير جارية ، قول الشاعر : (٣)

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمُ ثُنَاءَ وَمَوْحَدًا وَتَرَكْتُ مُرَّةَ مِثْلَ أَمْسِ المُدْبِرِ (٤)

الثانى : « فريساً » ، أى قتيلا ، قد افترسه ودقه وأهلكه ، و « الخيوطة » جمع خيط ، كالفحولة والبعولة ، جمع فحل وبعل . « والمارى » : الثوب الخلق . يصف الذباب المغشى عليه ، كأنه من لينه فى تهالكه ، خيوط لواه لاو من ثوب خلق .

(١) لم أعرف قائلهما .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٤ ، وقد كان البيت فى المطبوعة والمخطوطة :

قتلنا به مِنْ بين مَثْنًى ومَوْحَدٍ بأربعةٍ مِنْكُمْ وآخر خامِسِ

وهو كما ترى ملفق من البيتين اللذين أثبتهما من معانى القرآن ، والذى قاله الطبرى هنا ، هو نص مقالة الفراء فى معانى القرآن . وقوله : « وساد » أى : سادس ، يقولون : « جاء سادساً وسادياً وساتاً » .

(٣) هو صخر بن عمرو السلمى ، أخو الخنساء .

(٤) مجاز القرآن ١ : ١١٥ ، والأغانى ١٣ : ١٣٩ ، والمخصص ٧ : ١٢٤ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقى : ٣٩٤ ، والبطليوسى : ٤٦٦ ، والخزانة ٤ : ٤٧٤ . وسيأتى فى التفسير ٢٢ : ٧٦ (بولاق) وغيرها ، إلا أن ابن قتيبة فى أدب الكاتب رواه « كأمس الدابر » وتابعه ناشر التفسير فى هذا الموضع فكتب « كأمس الدابر » ، ولكنه فى المخطوطة ، وفى الموضع الآخر من التفسير ، قد جاء على الصواب . وهما بيتان قالهما فى قتله دريد بن حرملة المرى ، فى خبر مذكور ، و بعده :

وَلَقَدْ دَفَعْتُ إلى دُرَيْدٍ طَعْنَةً نَجْلَاءَ تُزْغِلُ ، مِثْلَ عَطِّ المَنْحَرِ

والطعنة النجلاء : الواسعة . و « أزغلت » الطعنة بالدم : دفعته زغلة زغلة ، أى دفعة دفعة . وعط الثوب عطاً : شقه . والمنحر : هو نحر البعير ، أى أعلى صدره ، حيث ينحر ، أى : يطعن فى نحره ، فيتفجر منه الدم .

وأما رواية « كأمس الدابر » فقد ذكر الجواليقى أبياتاً ليزيد بن عمرو الصعق الكلابى هى :

وقول الشاعر : (١)

مَنَتْ لكَ أنْ تُلاقِينِى المَنَايَا أُحَادَ أُحَادَ فِى شَهْرٍ حَلَالِ (٢)

ولم يسمع من العرب صرف ما جاوز « الرُّبَاع » و« المَرْبع » عن جهته . لم يسمع منها «خماس» ولا « المخْمس» ، ولا « السباع » ولا « المسبع » ، وكذلك ما فوق « الرباع » إلا فى بيت للكميت . (٣) فإنه يروى له فى « العشرة » ، « عشار » وهو قوله :

فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتَّى رَمَيْ تَ فَوْقَ الرِّجَالِ خِصَالاً عُشَارَا (٤)

أعقرْتمْ جَمَلِى بِرَحْلِى قائماً ورَمَيْتمُ جارى بِسَهْمٍ ناقِرِ

فإذا ركبتمْ فالْبَسُوا أدْرَاعَكُمْ إنّ الرِّماحَ بَصِيرَةٌ بالحَاسِرِ

إذْ تَظْلِمُونَ وتأكُلُونَ صَدِيقَكُمْ فالظُّلْمُ تَارِكُكُمْ بجَاثٍ عاثِرِ

إنّى سأقتلكُمْ ثُنَاءَ ومَوْحَدًا وَتَرَكْتُ نَاصِرَكُمْ كأمْسِ الدَّابِرِ

(١) هو عمرو ذى الكلب ، أخو بنى كاهل ، وكان جاراً لهذيل . ونسبه أبو عبيدة فى مجاز القرآن لصخر الغى الهذلى ، وهو خطأ .

(٢) ديوان الهذليين ٣ : ١١٧ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١٥ ، والمعانى الكبير : ٨٤٠ ، المخصص ١٧ : ١٢٤ ، الأغانى ١٣ : ١٣٩ . ورواية الديوان « فى الشهر الحلال » ، وأخطأ صاحب الأغانى فنسب البيت لصخر بن عمرو ، ورواه « فى الشهر الحرام » . قوله : « منت لك » ، أى : قدرت لك منيتك أن تلقانى فى شهر حلال ، خلوين ، وحدى ووحدك ، فأصرعك لا محالة . وذلك أنه كان قد لقيه قبل ذلك فى شهر حرام ، فلم يستطع أن يرفع إليه سلاحاً . ويقول بعده :

وَمَا لَبْثُ القِتَالِ إذَا الْتَقَيْنَا سِوَى لَفْتِ اليَمِينِ عَلَى الشِّمَالِ

أى : لا يلبث القتال بينى وبينك إلا بمقدار ما ترد يمين إلى شمال .

(٣) فى المطبوعة : « فى بيت الكميت » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١٦ ، والأغانى ٣ : ١٣٩ ، واللسان (عشر) ، والمخصص ١٧ : ١٢٥ ، والجواليقى ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، والبطليوسى : ٤٦٧ ، والخزانة ١ : ٨٢ ، ٨٣ ، من قصيدة للكميت ، يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك ، وقبله :

رَجَوْكَ وَلَم تتكامَلْ سِنُوكَ عَشْرًا ، ولا نَبَتَ فِيكَ اتّغارَا

يريد : « عشراً ، عشراً » ، يقال : إنه لم يسمع غير ذلك .[١]

* * *

= وأما قوله : « فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » ، فإن نصب « واحدة » ، بمعنى : فإن خفتم أن لا تعدلوا = فيما يلزمكم من العدل فيما زاد على الواحدة من النساء عندكم بنكاح ،[٢] فيما أوجبه الله لهن عليكم = فانكحوا واحدة منهن .

ولو كانت القراءة جاءت فى ذلك بالرفع ، كان جائزاً ، بمعنى : فواحدة كافية ، أو : فواحدة مجزئة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾[٣] [سورة البقرة : ٢٨٢] .

* * *

٤/١٦٠ وإن قال لنا قائل : قد علمت أن الحلال لكم من جميع النساء الحرائر ، نكاحُ أربع ، فكيف قيل : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، وذلك فى العدد تسع ؟[٤]

قيل : إن تأويل ذلك : فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، إما مثنى إن أمنتم الجور من أنفسكم فيما يجب لهما عليكم = وإما ثلاث ، إن لم تخافوا ذلك = وإما أربع ، إن أمنتم ذلك فيهن .

يدل على صحة ذلك قوله : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ، لأن المعنى :

لِأَدْنَى خَسًا أَوْ زَكًا مِنْ سِنِيكَ إِلَى أَرْبَعٍ ، فَبَقُّوكَ انْتِظَارَا

وقوله : « ولا نبت فيك اتغارا » أى : لم تخلف سناً بعد سن ، فتنبت أسنانك : اتغر الصبى : سقطت أسنانه وأخلف غيرها . وقوله : « خسا أو زكا » ، أى فرداً ، وزوجاً . قوله : « فبقوك » من قولهم : « بقيت فلاناً بقياً » انتظرته ورصدته . و « استراثه » : استبطأه . يقول : تبينوا فيك السؤدد لسنة أو سنتين من مولدك ، فرجوا أن تكون سيداً مطاعاً رفيع الذكر ، فلم تكد تبلغ العشر حتى جازت خصالك خصال السادة من الرجال . وأما قول أبى جعفر « يريد : عشراً عشراً » ، فكأنه يعنى كثرة الخصال التى فاق بها الرجال .

(١) انظر هذا الفصل كله فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١٤ - ١١٦ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فيما يلزمكم من العدل ما زاد على الواحدة . . . » ، وهو لا يستقيم ، صوابه « فيما زاد » كما أثبتها .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٥ .

(٤) انظر الناسخ والمنسوخ ، لأبى جعفر النحاس : ٩٢

فإن خفتم فى الثنتين فانكحوا واحدة . ثم قال : وإن خفتم أن لا تعدلوا أيضاً فى الواحدة ، فما ملكت أيمانكم .

* * *

فإن قال قائل: فإن أمر الله ونهيه على الإيجاب والإلزام حتى تقوم حجة بأن ذلك على التأديب والإرشاد والإعلام ، وقد قال تعالى ذكره : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء »، وذلك أمر ، فهل من دليل على أنه من الأمر الذى هو على غير وجه الإلزام والإيجاب ؟

قيل : نعم ، والدليل على ذلك ، قوله : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » . فكان معلوماً بذلك أن قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، وإن كان مخرجه مخرج الأمر ، فإنه بمعنى الدلالة على النهى عن نكاح ما خاف الناكح الجورَ فيه من عدد النساء ، لا بمعنى الأمر بالنكاح ، فإن المعنىّ به : وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى ، فتحرجتم فيهن ، فكذلك فتحرّجوا فى النساء ، فلا تنكحوا إلا ما أمنتم الجورَ فيه منهن ، ما أحللته لكم من الواحدة إلى الأربع .

وقد بينا فى غير هذا الموضع أن العرب تُخرج الكلام بلفظ الأمر ومعناها فيه النهى أو التهديد والوعيد، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [سورة الكهف : ٢٩] ، وكما قال: ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل : ٥٥/سورة الروم : ٣٤] ، فخرج ذلك مخرج الأمر ، والمقصود به التهديد والوعيدُ والزجر والنهى ، [(١)] فكذلك قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، بمعنى النهى : فلا تنكحوا إلا ما طاب لكم من النساء .

* * *

وعلى النحو الذى قلنا فى معنى قوله : « أو ما ملكت أيمانكم » قال أهل التأويل .

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

ذكر من قال ذلك :

٨٤٨٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » ، يقول : فإن خفت أن لا تعدل فى واحدة ، فما ملكت يمينك .

٨٤٨٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أو ما ملكت أيمانكم »، السرارى .

٨٤٨٤ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فإن خفتم ألاتعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » ، فإن خفت أن لا تعدل فى واحدة ، فما ملكت يمينك .

٨٤٨٥ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا جويبر ، عن الضحاك ، قوله : « فإن خفتم ألا تعدلوا »، قال : فى المجامعة والحب .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ (٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره[١] : وإن خفتم أن لا تعدلوا فى مثنى أو ثلاث أو رباعَ فنكحتم واحدة ، أو خفتم أن لا تعدلوا فى الواحدة فتسررتم ملك أيمانكم، فهو « أدنى » يعنى : أقرب ، [٢] = « ألا تعولوا»، يقول: أن لا تجوروا ولا تميلوا .

* * *

يقال منه: « عال الرجل فهو يعول عَوْلاً وعِيالة » ، إذا مال وجار . ومنه : « عَوْل الفرائض » ، لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بقوله تعالى ذكره » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « أدنى » فيما سلف ٦ : ٧٨ .

وأما من الحاجة، فإنما يقال: «عال الرجل عَيْلة»، وذلك إذا احتاج، كما قال الشاعر:[1]

وَمَا يَدْرِى الفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَدْرِى الغَنِىُّ مَتَى يَعِيلُ[2]

بمعنى: يفتقر.

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

٨٤٨٦ـ حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا يونس، عن الحسن: «ذلك أدنى ألا تعولوا»، قال: العوْل الميل فى النساء.

٨٤٨٧ـ حدثنا ابن حميد قال، حدثنى حكام، عن عنبسة، عن محمد ابن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبى بزة، عن مجاهد فى قوله: «ذلك أدنى ألا تعولوا»، يقول: لا تميلوا.

٨٤٨٨ـ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله: «ذلك أدنى ألا تعولوا»، أن لا تميلوا.

٨٤٨٩ـ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد مثله.

٨٤٩٠ـ حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل

---

(١) هو أحيحة بن الجلاح الأوسى.

(٢) جمهرة أشعار العرب: ١٢٥، ومعانى القرآن للفراء ١: ٢٥٥، الجمهرة لابن دريد ٢: ١٩٣، وتاريخ ابن الأثير ١: ٢٧٨، اللسان (عيل)، وسيأتى فى التفسير ١٠: ٣٠/٧٥: ١٤٩ (بولاق)، من قصيدته التى قالها فى حرب بين قومه من الأوس وبنى النجار من الخزرج، قتل فيها أخوه، وكانت عنده امرأته سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية، فحذرت قومها مجىء أحيحة وقومه من الأوس، فضربها حتى كسر يدها وطلقها. وبعد البيت آخر قرين له:

وَمَا تَدْرِى، إذَا أَجْمَعْتَ أمْرًا، بِأَىِّ الأَرْضِ يُدْرِكُكَ المَقِيلُ

وكان فى المخطوطة: «لما يدرى الفقير»، وهو خطأ من الناسخ، وكأن صوابها «فما يدرى».

قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا داود بن أبى هند ، عن عكرمة : « ألا تعولوا » قال : أن لا تميلوا = ثم قال : أما سمعت إلى قول أبى طالب :

* بِمِيزان قِسْطٍ وَزْنُـهُ غَيْرُ عائِلِ *(١)

٨٤٩١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن الزبير ، عن حريث ، عن عكرمة فى هذه الآية : « ألا تعولوا » ، قال : أن لا تميلوا = قال : وأنشد بيتًا من شعر زعم أن أبا طالب قاله :

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لاَ يَخُسُّ شَعِيرَةً وَوَازِنِ صِدْقٍ وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلِ(١)

* * *

قال أبو جعفر ويروى هذا البيت على غير هذه الرواية :

بِمِيزَانِ صِدْقٍ لاَ يَغُلُّ شَعِيرَةً لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ(١)

* * *

٨٤٩٢ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « ألا تعولوا » ، قال : أن لا تميلوا .

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٩٦ ، وغيرها كثير . من القصيدة التى زعموا أن أبا طالب قالها وواجه بها قريشاً فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال فيها إنه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تاركه لشىء أبداً حتى يهلك دونه . يقول قبل البيت :

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ ونَوْفَلاً عُقُوبَةَ شَرٍّ عَاجِـلاً غَيْرَ آجِلِ

ويروى البيت بهذه الرواية التى ذكرها أبو جعفر ، ويروى أيضاً : « لا يحص شعيرة » من حص الشعر إذا أذهبه ، و « شعيرة » فى هذه الرواية تصغير « شعرة » ، وأما فى سائر الروايات فهى « شعيرة » بفتح الشين ، وكسر العين ، وهى واحدة « الشعير » ، وهو الحب المعروف ، وهو أقل موازين الذهب والفضة ، وهو حبة من شعير متوسطة لم تقشر ، وقد قطع من طرفيها ما امتد ، ويسمونه أيضاً « حبة » ، وانظر ما سلف ٤ : ٥٨٢ ، تعليق : ٢ ، فى تفسير « الحبة » ، وهذا معنى لم تقيده كتب اللغة ، فقيده هناك . وقوله : « لا تخس شعيرة » ، أى لا تنقص مقدار شعيرة . وقوله : « تغل » من قولهم : « غل يغل غلولا » ، إذا خان أو سرق .

٨٤٩٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم مثله .

٨٤٩٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم، عن أبى إسحق الكوفى قال : كتب عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى أهل الكوفة فى شىء عاتبوه عليه فيه : « إنِّى لست بميزان لا أعول » .

٨٤٩٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثّام بن على قال ، حدثنا إسمعيل ابن أبى خالد ، عن أبى مالك فى قوله : « أدنى ألا تعولوا » ، قال : لا تميلوا .[1]

٨٤٩٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، أدنى أن لا تميلوا .

٨٤٩٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ألا تعولوا » ، قال : تميلوا .

٨٤٩٨ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، يقول : أن لا تميلوا .

٨٤٩٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، يقول : تميلوا .

٨٥٠٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ابن صالح، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أدنى ألا تعولوا » ، يعنى : أن لا تميلوا .

٨٥٠١ — حدثنا محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، يقول : ذلك أدنى أن لا تميلوا .

---

(١) الأثر : ٨٤٩٥ — فى المطبوعة : « عباد بن على » ، وكان كاتب المخطوطة قد كتب « عباد » ثم جعل الدال ميما ، ولم ينقط الكلمة ، فاشتبه الأمر على الناشر ، والصواب « عثام » وهو « عثام بن على العامرى » شيخ أبى كريب ، وقد مضى مئات من المرات ، ومضت ترجمته فى رقم : ٣٣٧ .

٨٥٠٢ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن أبي مالك في قوله : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، قال : أن لا تجوروا .

٨٥٠٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون ، وعارم أبو النعمان قالا ، حدثنا هشيم، عن حصين ، عن أبي مالك مثله .

٨٥٠٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن يونس ، عن أبي إسحق ، عن مجاهد : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، قال : تميلوا .[1]

٨٥٠٥ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، ذلك أقل لنفقتك ، الواحدة أقل من ثنتين = وثلاث وأربع ، وجاريتك أهون نفقة من حرة = « أن لا تعولوا » ، أهون عليك في العيال .[2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره : وأعطوا النساء مهورهن عطية واجبة ،[3] وفريضة لازمة .

* * *

يقال منه : « نَحَلَ فلان فلاناً كذا فهو يَنْحَلُه نِحْلَة ونُحْلاً » ،[4] كما : —

٨٥٠٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ٨٥٠٤ — في المخطوطة والمطبوعة « عن ابن إسحق ، عن مجاهد » ، وهو خطأ ظاهر ، والصواب « عن أبي إسحق » ، وهو أبو إسحق السبيعي ، وقد مضت روايته عن مجاهد في هذا التفسير مئات من المرات .

(٢) في المخطوطة : « أهون عليك في القتال » ، والصواب ما في المطبوعة .

(٣) في المخطوطة : « عليه واجبة » ، ووضع على « عليه » حرف « ط » ، دلالة على الخطأ . والصواب ما كان في المطبوعة .

(٤) « نحلة » (بكسر النون وسكون الحاء) مصدر مثل « حكمة » . و « نحلا » (بضم النون وسكون الحاء) مصدر أيضاً مثل « حكم » (بضم الحاء) .

سعيد ، عن قتادة قوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، يقول : فريضة .

٨٥٠٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال : أخبرني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، يعني بـ« النحلة » ، المهر . ١٦٢/٤

٨٥٠٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، قال : فريضة مسماة .

٨٥٠٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول في قوله: « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، قال : « النحلة » في كلام العرب، الواجب = يقول : لا ينكحها إلاّ بشيء واجب لها ، صدقة يسميها لها واجبة ، وليس ينبغي لأحد أن ينكح امرأة ، بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا بصداقٍ واجب ، ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذباً بغير حق .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بقوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، أولياء النساء ، وذلك أنهم كانوا يأخذون صَدقاتهن .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥١٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن سيار ،عن أبي صالح قال: كان الرجل إذا زوج أيِّمه أخذ صداقها دونها، (١) فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك، ونزلت : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » .

* * *

وقال آخرون : بل كان ذلك من أولياء النساء ، بأن يعطي الرجل أخته لرجل ، على أن يعطيه الآخر أخته، على أن لا كثير مهر بينهما ، فنهوا عن ذلك . (٢)

---

(١) في المطبوعة : « إذا زوج أيمة » بالتاء في آخره ، وهو خطأ . يقال : « امرأة أيم ، ورجل أيم : » . وهي من النساء التي لا زوج لها ، بكراً كانت أو ثيباً = ومن الرجال ، الذي لا امرأة له .

(٢) وذلك هو « الشغار » شغار المتناكحين بغير مهر ، إلا بضع وليته أو أيمه . وكان ذلك من نكاح الجاهلية ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥١١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال : زعم حضرمىٌّ أن أناساً كانوا يعطى هذا الرجل أخته، ويأخذ أخت الرجل، ولا يأخذون كثير مهر ، فقال الله تبارك وتعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التى ذكرناها فى ذلك ، التأويل الذى قلناه. وذلك أن الله تبارك وتعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساءَ ، ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهن ، وعرّفهم سبيلَ النجاة من ظلمهن . ولا دلالة فى الآية على أن الخطاب قد صُرِف عنهم إلى غيرهم . فإذْ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الذين قيل لهم : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، هم الذين قيل لهم : « وآتوا النساء صدقاتهن » = وأن معناه : وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة ، لأنه قال فى أول [الآية] :[1] « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، ولم يقل: « فأنكحوا » ، فيكون قوله: « وآتوا النساء صدقاتهن » ، مصروفاً إلى أنه معنىٌّ به أولياء النساء دون أزواجهن .

وهذا أمرٌ من الله أزواجَ النساء المدخول بهن والمسمَّى لهن الصداق، أن يؤتوهن صدُقاتهن، دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسمّ لها فى عقد النكاح صداق .

* * *

(١) فى المخطوطة ، أسقط ذكر « الآية » التى وضعتها بين القوسين ، وفى المطبوعة جعلها « فى الأول » ، والسياق يقتضى الزيادة كما أثبتها .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن وهب لكم، أيها الرجال، نساؤكم شيئاً من صدقاتهن ، طيبة بذلك أنفسهن ، فكلوه هنيئاً مريئاً ، كما : —

٨٥١٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا عمارة ، عن عكرمة : « فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً » ، قال : المهر .

٨٥١٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنى حَرَمىّ بن عمارة قال ، حدثنا شعبة ، عن عمارة ، عن عكرمة، [عن عمارة] فى قوله الله تبارك وتعالى : « فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً » ، قال : الصدقات .(١)

٨٥١٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنى الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً »، قال : الأزواج .

٨٥١٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عبيدة قال ، قال لى إبراهيم : أكلتَ من الهنىء المرىء ! قلت : ما ذاك ؟ قال : امرأتك أعطتك من صَداقها .

٨٥١٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : دخل رجل على علقمة وهو يأكل من طعام بين يديه ، من شىء أعطته امرأته من صداقها أو غيره ، فقال له علقمة : ادْنُ فكل من الهنىء المرىء .

---

(١) الأثر : ٨٥١٣ — « حرمى بن عمارة بن أبى حفصة العتكى » . أبو روح ، روى عن شعبة . قال أحمد : « صدوق، كانت فيه غفلة »، مترجم فى التهذيب . و « عمارة » الراوى عن عكرمة ، هو أبو « حرمى بن عمارة » هذا ، وهو « عمارة بن أبى حفصة العتكى » . ثقة . مترجم فى التهذيب .

أما قوله « عكرمة ، عن عمارة » فلم أعرف فيمن روى عنه عكرمة من يسمى « عمارة » وظنى أنه خطأ من الناسخ ، إما أن يكون كرر « عمارة » ، أو يكون صوابه « عن ابن عباس » ، فسها وكتب « عن عمارة » . ولذلك وضعتها بين قوسين .

٨٥١٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » ، يقول : إذا كان غيرَ إضرار ولا خديعة ، فهو هنيء مريء ، كما قال الله جل ثناؤه .

٤/١٦٣

٨٥١٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً » ، قال : الصداق ، « فكلوه هنيئاً مريئاً » .

٨٥١٩ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول في قوله : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا » بعد أن توجبوه لهن وتُحلُّوه ، = « فكلوه هنيئاً مريئاً » . [1]

٨٥٢٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه قال : زعم حضرميٌّ أن أناساً كانوا يتأثمون أن يُراجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته ، [2] فقال الله تبارك وتعالى : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » .

٨٥٢١ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » ، يقول : ما طابت به نفساً في غير كَرْه أو هوان ، [3] فقد أحلَّ الله لك ذلك أن تأكله هنيئاً مريئاً .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بهذا القول أولياء النساء ، فقيل لهم : إن طابت أنفس النساء اللواتي إليكم عصمة نكاحهن ، بصدقاتهن نفساً ، فكلوه هنيئاً مريئاً .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٢٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا سيار ، عن أبي صالح في قوله : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً » ، قال : كان الرجل

---

(١) في المطبوعة : « سمعت ابن زيد يقول في قوله : فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » ، وهو كلام غير تام ، لم يذكر إلا نص الآية ، وأثبت ما في المخطوطة ، و إن كان سقط من الناسخ « فكلوه » ، فأثبتها .

(٢) في المطبوعة : « أن يرجع أحدهم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المخطوطة : « في غير ذكره أو هوان » ، والصواب ما في المطبوعة .

إذا زوّج ابنته ، عمد إلى صداقها فأخذه ، قال : فنزلت هذه الآية فى الأولياء : « فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » .

* * *

قال أبو جعفر وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب ، التأويلُ الذى قلنا = وأن الآية مخاطب بها الأزواج . لأن افتتاح الآية مبتدأ بذكرهم ، وقوله : « فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً » فى سياقه .

* * *

وإن قال قائل : فكيف قيل : « فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً » ، وقد علمت أنّ معنى الكلام : فإن طابت لكم أنفسهن بشىء ؟ وكيف وُحِّدت « النفس » ، والمعنى للجميع ؟ وذلك أنه تعالى ذكره قال : «وآتوا النساء صَدُقاتهن نحلة » .

قيل : أما نقل فعل النفوس إلى أصحاب النفوس ، فإن ذلك المستفيض فى كلام العرب . من كلامها المعروف : «ضِقت بهذا الأمر ذراعاً وذرعاً » = « وقررت بهذا الأمر عيناً » ،والمعنى ! ضاق به ذرعى ، وقرّت به عينى ، كما قال الشاعر : [1]

إذَا التَّيَّازُ ذُو العَضَلاتِ قُلْنَا : « إلَيْكَ ،إلَيْكَ »! ضَاقَ بِهاذِرَاعَا[2]

---

(١) هو القطامى .

(٢) ديوانه : ٤٤ ، معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٦ ،واللسان (تيز) ، ثم ج ٢٠ : ٣١٩ ، وقداستشهدت به فيما سلف ١ : ٤٤٦ ، تعليق : ٦ ، فانظره ،من قصيدته التى مجد فيها زفر بن الحارث ، وهذا البيت فى صفة ناقته التى أحسن القيام عليها حتى اشتدت وسمنت وامتلأت نشاطاً ، وقبله :

فَلَمَّا أن جَرَى سِمَنٌ عَلَيْهَا كَمَا بَطَّنْتَ بالفَدَنِ السَّيَاعَا
أَمَرْتُ بِهَا الرِّجَالَ لِيأْخُذُوهَا وَنَحْنُ نَظُنُّ أنْ لَنْ تُسْتَطَاعَا

« السياع » الطين ، و « الفدن » القصر . وقلب الكلام ، وأصله : كما بطنت الفدن بالسياع ، فصار أملس . يصف سمنها حتى امتلأت واشتدت كأنها قصر مشيد . و « التياز » : الكثير اللحم الغليظ الشديد . وقوله : « إليك ، إليك » ، أى خذها . يقول له : خذها واضبطها ،ولكنه لم يقو عليها ، وضاق بها ذراعاً. وقد رد ابن برى تفسير « إليك إليك » بمعنى : خذها لتركبها وتروضها ، وقال : « هذا فيه إشكال ، لأن سيبويه وجميع البصريين ذهبوا إلى أن « إليك » بمعنى : تنح ، وأنها غير متعدية إلى مفعول ، وعلى ما فسروه فى البيت ، يقتضى أنها متعدية ، لأنهم جعلوها بمعنى : خذها . ورواه أبو عمرو الشَّيبانى :

فنقل صفة « الذراع » إلى « رب الذراع » ، ثم أخرج « الذراع » مفسِّرة لموقع الفعل .

وكذلك وحد « النفس » فى قوله : « فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً » ، إذ كانت « النفس » مفسِّرة لموقع الخبر .[1]

* * *

وأما توحيد « النفس » من النفوس، لأنه إنما أراد « الهوى »، و « الهوى » يكون جماعة ، كما قال الشاعر :[2]

بِهَا جِيَفُ الحَسْرَى، فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ ، وأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ[3]

وكما قال الآخر :[4]

* فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا *[5]

* * *

« لديك لديك » ، عوضاً من « إليك إليك » . قال : وهذا أشبه بكلام العرب وقول النحويين ، لأن « لديك » بمعنى « عندك » و « عندك » فى الإغراء تكون متعدية » .

وعندى أن شرح الشراح فى « إليك » صواب جيد ، وقد استدرك ابن برى اجتهاده ، ولم يصب فيما استدرك .

(١) « التفسير ، والمفسر » : التمييز والمميز ، اصطلاح الكوفيين، انظر ما سلف فى فهرس المصطلحات . وانظر مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٥٦ .

(٢) هو علقمة بن عبدة (علقمة الفحل) .

(٣) ديوانه : ٢٧ ، وشرح المفضليات : ٧٧٧ ، وسيبويه ١ : ١٠٧ وسيأتى فى التفسير ١٧ : ١٠ (بولاق) ، من قصيدته فى الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغسانى ، حين أسر أخاه شأساً ، فرحل إليه علقمة يطلب فكه . وقوله : « بها جيف الحسرى » ، الضمير عائد إلى « العلوب » فى البيت السابق، وهى آثار الطريق فى متان الأرض، و « الحسرى » المعيية، يتركها أصحابها فتموت ، و « الصليب » : الودك الذى يسيل من جلودها إذا مضى على موتها زمن، وهى تحت الشمس ووقدتها. يقول : ماتت وتقادم بها العهد ، فابيضت عظامها ، وتفانى جلدها فلم يبق منه على أرض الطريق سوى آثار الودك الذى سال من جلودها . والسياق : وأما جلدها ، فلا جلد ، إنما هو الصليب وحده .

والشاهد فى البيت « جلدها » وقد أراد « جلودها » .

(٤) هو المسيب بن زيد مناة الغنوى .

(٥) سيبويه ١ : ١٠٧ ، وشرح المفضليات : ٧٧٨ ، واللسان (شجا) ، وقبله :

* لا تُنْكِرُوا القَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا *

وقال بعض نحويى الكوفة : جائز فى « النفس » فى هذا الموضع الجمع والتوحيد، «فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً »، و « أنفساً »، و « ضقت به ذراعاً » و « ذَرْعاً » و « أذْرُعاً » ، لأنه منسوب إليك وإلى من تخبر عنه، فاكتفى بالواحد عن الجمع لذلك ، ولم يذهب الوهم إلى أنه ليس بمعنى جمع ، لأن قبله جمعاً .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن « النفس » وقع موقع الأسماء التى تأتى بلفظ الواحد، مؤدِّيةً معناه إذا ذكر بلفظ الواحد، وأنه بمعنى الجمع عن الجميع .

* * *

وأما قوله : «هنيئاً »، فإنه مأخوذ من : «هنأت البعير بالقطران»، إذا جَرِب فعُولج به ، كما قال الشاعر : (١)

مُتَبَذِّلاً تَبْدُو مَحَاسِنُه يَضَعُ الهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ (٢)

١٦٤/٤

* * *

يذكر قوماً سبوا من قومه ، فجاء قومه فقتلوا منهم ، فقال لهم : لا تنكروا قتلنا لكم ، وقد وقع علينا السباء ، فإن نكن قتلنا منكم حتى صار القتل فى حلوقكم كالعظم اعترض فى مجراها ، فى حلوقنا نحن أيضاً شجا قد اعترض ، هو سباؤكم من سبيتم منا . يقول : هذه بهذه .

والشاهد قوله : « فى حلقكم » ، وقد أراد « حلوقكم » .

(١) هو دريد بن الصمة .

(٢) الشعر والشعراء ٣٠٢ ، والأغانى ١٠ : ٢٢ ، واللسان (نقب) ، وغيرها ، من أبياته التى قالها حين مر بالخنساء بنت عمرو بن الشريد ، وهى تهنأ بعيراً لها ، وقد تبذلت حتى فرغت منه ، ثم نضت عنها ثيابها فاغتسلت ، ودريد يراها وهى لا تشعر به ، فأعجبته ، فانصرف إلى رحله يقول :

حَيُّوا تُمَاضِرَ وَارْبَعُوا صَحْبِى وَقِفُوا ، فَإِنَّ وُقُوفَكُمْ حَسْبِى

أَخُنَاسَ ، قَدْ هَامَ الفُؤَادُ بِكُمْ وأَصَابَهُ تَبْلٌ مِنَ الحُبِّ

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلاَ سَمِعْتُ بِهِ كَاليَوْمَ طَالِىَ أَيْنُقٍ جُرْبِ

مُتَبَذِّلاً ... ...

مُتَحَسِّراً نَضَحَ الهِنَاءَ بِهِ نَضْحَ العَبِيرِ بِرَيْطَةِ العَصْبِ

فكأنّ معنى قوله : « فكلوه هنيئاً مريئاً » ، فكلوه دواء شافياً .

* * *

يقال منه : « هنأنى الطعام ومرَأنى » ، أى صار لى دواء وعلاجاً شافياً ، « وهنِئنى ومرِئنى » بالكسر ، وهى قليلة . والذين يقولون هذا القول، يقولون : «يهنَأنى ويمرَأنى» ، والذين يقولون: « هَنَأنى » يقولون : « يَهْنِينى ويَمْرِينى ». فإذا أفردوا قالوا : « قد أمرأنى هذا الطعام إمراء» . ويقال: «هَنَأت القوم »إذا عُلتهم ، سمع من العرب من يقول : « إنما سميت هانئاً لتهنأ» ، بمعنى : لتعول وتكفى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تُؤْتُوا ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ ﴾[1]

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى « السفهاء » الذين نهى الله جل ثناؤه عباده أن يؤتوهم أموالهم .[2]

فقال بعضهم : هم النساء والصبيان .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٢٣ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ،

فَسَلِيهِمُ عَنِّى خُنَاسَ ، إذَا عَضَّ الجَمِيعَ الخَطْبُ: مَا خَطْبِى؟

ثم خطبها إلى أبيها فردته ، فهجاها ، وزعم أنها ردته لأنه شيخ كبير ، فقيل للخنساء : ألا تجيبينه ؟ فقالت : لا أجمع عليه أن أرده وأهجوه . و « النقب » : (بضم النون وسكون القاف) و « النقب » (بضم ففتح) جمع نقبة : أول الجرب حين يبدو .

(١) كان فى المطبوعة والمخطوطة سياق الآية إلى « قياماً » . ولكن تفسير أبى جعفر شمل بقية الآية « وارزقوهم فيها واكسوهم » ، كما سيأتى فى ص : ٥٧١ ، فأتممتها .

(٢) انظر تفسير « السفه » و « السفهاء » فيما سلف ١/٢٩٣ — ٣/٢٩٥ : ٩٠ ، ٦/١٢٩ ٥٧ — ٦٠

حدثنا إسرائيل ، عن عبد الكريم ، عن سعيد بن جبير قال : اليتامى والنساء .

٨٥٢٤ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : لا تعطوا الصغار والنساء .

٨٥٢٥ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن يونس ، عن الحسن قال : المرأة والصبىّ .

٨٥٢٦ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن شريك ، عن أبى حمزة ، عن الحسن قال : النساء والصغار ، والنساء أسفه السفهاء .

٨٥٢٧ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : « السفهاء » ابنك السفيه ، وامرأتك السفيهة . وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الله فى الضعيفين ، اليتيم والمرأة » .

٨٥٢٨ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا حميد ، عن عبدالرحمن الرؤاسى ، عن السدى = قال : يردّه إلى عبد الله = قال : النساء والصبيان .

٨٥٢٩ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، أما « السفهاء » ، فالولد والمرأة .

٨٥٣٠ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، يعنى بذلك : ولد الرجل وامرأته ، وهى أسفه السفهاء .

٨٥٣١ ــ حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : « السفهاء » الولد ،

والنساء أسفه السفهاء ، فيكونوا عليكم أرباباً .

٨٥٣٢ – حدثنا أحمد بن حازم الغفارى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، قال : أولادكم ونساؤكم .

٨٥٣٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة ، عن الضحاك قال : النساء والصبيان .

٨٥٣٤ – حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : النساء والولدان .

٨٥٣٥ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا ابن أبى غَنِيَّة ، عن الحكم : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : النساء والولدان .(١)

٨٥٣٦ – حدثنا بشر بن معاذ : قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً » ، أمر الله بهذا المال أن يخزن فتُحسن خِزانته ، ولا يملكه المرأة السفيهة والغلامُ السفيه .

٨٥٣٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن إسمعيل ، عن أبى مالك قال : النساء والصبيان .

٨٥٣٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم »، قال : امرأتك

---

(١) الأثر : ٨٥٣٥ – « أبو نعيم » ، هو « الفضل بن دكين » . مضت ترجمته برقم : ٢٥٥٤ ، ٣٠٣٥ . و « ابن أبى غنية » (بفتح الغين وكسر النون وياء مشددة مفتوحة) هو : «عبدالملك بن حميد بن أبى غنية ، الخزاعى » ، روى عن أبيه ، وأبى إسحق السبيعى ، وأبى إسحق الشيبانى ، والحكم بن عتيبة . وروى عنه الثورى ، وهو من أقرانه ، ووكيع ، ويحيى بن أبى زائدة ، وعمارة بن بشر ، وأبو نعيم وآخرون. وهو ثقة . وكان فى المطبوعة : « ابن أبى عنبسة »، أما فى المخطوطة ، فإن الناسخ لم يحسن كتابة ما كتب فصارت كأنها « ابن أبى عنية » ، والصواب ما أثبت .

و « الحكم » ، هو « الحكم بن عتيبة الكندى » ، مضى مراراً ، فى رقم : ٣٢٩٧ .

وبنيك = وقال : « السفهاء » ، الولدان ، والنساء أسفه السفهاء .

* * *

٤/١٦٥

وقال آخرون : بل « السفهاء » ، الصبيان خاصة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٣٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : هم اليتامى .

٨٥٤٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنى أبى ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد قال : « السفهاء » ، اليتامى .

٨٥٤١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يونس ، عن الحسن فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، يقول : لا تَنْحَلوا الصغار .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك : السفهاء من ولد الرجل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٤٢ — حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن إسمعيل ابن أبى خالد ، عن أبى مالك قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : لا تعط ولدك السفيه مالك فيفسده ، الذى هو قوامك بعد الله تعالى .

٨٥٤٣ — حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، يقول : لا تسلط السفيه من ولدك = فكان ابن عباس يقول : نزل ذلك فى السفهاء ، وليس اليتامى من ذلك فى شىء .[1]

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وليسوا اليتامى » ، وهى لغة رديئة ، أخشى أن يكون ذلك من سهو الناسخ .

٨٥٤٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعرى أنه قال : ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم : رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلِّقْها ، ورجل أعطى ماله سفيهاً وقد قال الله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، ورجل كان له على رجل دين فلم يُشهد عليه .(١)

٨٥٤٥ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعت ابن زيد: « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » الآية ، قال: لا تعط السفيه من ولدك رأساً ولا حائطاً، ولا شيئاً هو لك قيماً من مالك .

* * *

وقال آخرون : بل « السفهاء » فى هذا الموضع ، النساء خاصة دون غيره .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٤٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمىٌّ أن رجلا عمد فدفع ماله إلى امرأته ، فوضعته فى غير الحق ، فقال الله تبارك وتعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » .

٨٥٤٧ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حميد ، عن مجاهد : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : النساء .

٨٥٤٨ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا سفيان ، عن الثورى ، عن حميد ، عن قيس ، عن مجاهد فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : هنّ النساء .

---

(١) الأثر : ٨٥٤٤ — أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٠٣ من طريق أبى المثنى معاذ بن معاذ العنبرى . عن أبيه ، عن شعبة ، مرفوعاً ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبى موسى ، وإنما أجمعوا على سند حديث شعبة بهذا الإسناد : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين » وقد اتفقا جميعاً على إخراجه » وقال الذهبى : « ولم يخرجاه ، لأن الجمهور رووه عن شعبة موقوفاً ، ورفعه معاذ بن معاذ عنه » .

٨٥٤٩ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » ، قال : نهى الرجال أن يعطوا النساء أموالهم ، وهنّ سفهاء مَنْ كُنّ ، أزواجاً أو أمهاتٍ أو بنات .

٨٥٥٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٥٥١ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا هشام ، عن الحسن قال : المرأة .

٨٥٥٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : النساء مِنْ أسفه السفهاء .

٨٥٥٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي عوانة ، عن عاصم ، عن مورّق قال : مرت امرأة بعبد الله بن عمر لها شارَة وهيْئة ، فقال لها ابن عمر : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » .

* * *

وقال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا ، أن الله جل ثناؤه عم بقوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، فلم يخصص سفيهاً دون سفيه . فغير جائز لأحد أن يؤتي سفيهاً ماله ، صبياً صغيراً كان أو رجلا كبيراً ، ذكراً كان أو أنثى .

و« السفيه » الذي لا يجوز لوليه أن يؤتِيَه ماله ، هو المستحقُّ الحجرَ بتضييعه مالَه وفسادِه وإفسادِه وسوء تدبيره ذلك . ١٦٦/٤

وإنما قلنا ما قلنا ، من أن المعنيَّ بقوله : « ولا تؤتوا السفهاء » هو من وصفنا دون غيره ، لأن الله جل ثناؤه قال في الآية التي تتلوها : « وابْتَلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » ، فأمر أولياء اليتامى بدفع أموالهم إليهم إذا

بلغوا النكاح وأونس منهم الرشد ، وقد يدخل فى «اليتامى» الذكور والإناث ، فلم يخصص بالأمر بدفع مالَـهُـم من الأموال ، الذكورَ دون الإناث ، ولا الإناث دون الذكور .

وإذْ كان ذلك كذلك ، فمعلومٌ أن الذين أمر أولياؤهم بدفعهم أموالهم ، إليهم ، وأجيز للمسلمين مبايعتهم ومعاملتهم ، غير الذين أمر أوليائهم بمنعهم أموالهم ، وحُـظِـر على المسلمين مداينتهم ومعاملتهم .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ أن « السفهاء » الذين نهى الله المؤمنين أن يؤتوهم أموالهم ، هم المستحقون الحجرَ والمستوجبون أن يُولى عليهم أموالهم ، وهم من وصفنا صفتهم قبل ، وأن من عدا ذلك فغير سفيه ، لأن الحجر لا يستحقه من قد بلغ وأونس رشده .

* * *

وأما قول من قال : « عنى بالسفهاء النساء خاصة » ، فإنه جعل اللغة على غير وجهها . وذلك أن العرب لا تكاد تجمع « فعيلا » على « فُعَـلاء » إلا فى جمع الذكور ، أو الذكور والإناث . وأما إذا أرادوا جمع الإناث خاصة لا ذكران معهم ، جمعوه على : « فعائل » و « فعيلات » ، مثل : « غريبة » ، تجمع « غرائب » و « غريبات » ، فأما « الغُـرَباء » ، فجمع « غريب » .[1]

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارْزُقوهم فيها واكسوهم » ،

فقال بعضهم : عنى بذلك : لا تؤتوا السفهاء من النساء والصبيان = على

---

(١) هذه الحجة من حسن النظر فى العربية ومعانى أبنيتها . والذى استنكره أبو جعفر من جعل اللغة على غير وجهها ، وتحميل العربية مالا سبيل إليه فى بنائها وتركيبها ، وتأويل كتاب الله خاصة بالانتزاع الشديد والجرأة على اللغة ، كأنه قد أصبح فى زماننا هذا ، هو القاعدة التى يركب فسادها كل مبتدع فى الدين برأيه ، وكل متورك فى طلب الصوت فى الناس بما يقول فى دين ربه الذى ائتمن عليه من أنزل إليهم كتابه ، ليعلمهم ويهديهم ، فخالفوا طريق العلم ، وجاروا عن سنن الهداية .

ما ذكرنا من اختلاف من حكينا قوله قبل = أيها الرشداء ، أموالكم التى تملكونها ، فتسلِّطوهم عليها فيفسدوها ويضيعوها ، ولكن ارزقوهم أنتم منها إن كانوا ممن تلزمكم نفقته ، واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفاً .

وقد ذكرنا الرواية عن جماعة ممن قال ذلك ، منهم : أبو موسى الأشعرى ، وابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وحضرمى ، وسنذكر قول الآخرين الذين لم يذكر قولهم فيما مضى قبل .

٨٥٥٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها » ، يقول : لا تعط امرأتك وولدك مالك ، فيكونوا هم الذين يقومون عليك ، وأطعمهم من مالك واكسُهم .

٨٥٥٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفاً » ، يقول : لا تسلط السفيه من ولدك على مالك ، وأمرَه أن يرزقه منه ويكسوه .

٨٥٥٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : لا تعط السفيه من مالك شيئاً هو لك .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « ولا تؤتوا السفهاء أموالهم » ، ولكنه أضيف إلى الولاة ، لأنهم قُوّامها ومدبِّروها .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٥٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ،

[هو مال اليتيم يكون عندك، يقول: لا تؤته إياه، وأنفقه عليه حتى يبلغ . وإنما أضاف إلى الأولياء فقال : « أموالكم » ، لأنهم قوّامها ومدبروها] .[١]

* * *

قال أبو جعفر : وقد يدخل فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم »، أموالُ المنهيِّين عن أن يؤتوهم ذلك ، وأموال « السفهاء ». لأن قوله: « أموالكم » غير مخصوص منها بعض الأموال دون بعض . ولا تمنع العرب أن تخاطب قوماً خِطاباً، فيخرج الكلام بعضه خبر عنهم ، وبعضه عن غُيَّب ، وذلك نحو أن يقولوا : « أكلتم يا فلان أموالكم بالباطل » ، فيخاطب الواحد خطاب الجمع ، بمعنى : أنك وأصحابك أو وقومك أكلتم أموالكم . فكذلك قوله : « ولا تؤتوا السفهاء »، معناه : لا تؤتوا، أيها الناس، سفهاءكم أموالكم التى بعضها لكم وبعضها لهم ، فيضيعوها. ٤/١٦٧

وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد عم بالنهى عن إيتاء السفهاء الأموال كلَّها، ولم يخصص منها شيئاً دون شىء، كان بيِّناً بذلك أن معنى قوله : « التى جعل الله لكم قياماً » ، إنما هو التى جعل الله لكم ولهم قياماً ، ولكن السفهاء دخل ذكرهم فى ذكر المخاطبين بقوله : « لكم » .

* * *

وأما قوله: « التى جعل الله لكم قياماً »، فإن « قياماً »و « قِيَمًا » و « قِوَاماً » فى

---

(١) الأثر : ٨٥٥٧ – هذا الذى بين القوسين زيادة ليست فى المطبوعة ولا المخطوطة ، زدتها من تفسير البغوى (بهامش ابن كثير) ٢ : ٣٤٩ . وهى أشبه بنص الطبرى فى ترجمة هذا القول . وقد نسب البغوى هذا القول الذى نقلته ، ورجحت أنها سقطت من ناسخ تفسير الطبرى = إلى سعيد بن جبير وعكرمة . والظاهر أن السيوطى أيضاً وقف على نسخة من تفسير الطبرى فيها هذا السقط ، فأغفل مقالة سعيد بن جبير التى نقلها البغوى ، ونقل عن ابن المنذر وابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير ما نصه :

« عن سعيد بن جبير فى قوله : ﴿ وَلَا تؤتوا السفهاء ﴾ ، قال : اليتامى — ﴿ أموالكم ﴾ ، قال : أموالهم ، بمنزلة قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾

وبين أن نص البغوى ، أقرب إلى ما ذكر أبو جعفر ، من نص السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٢٠ فلذلك أثبته . وأرجو أن لا يكون سقط من كلام أبى جعفر الآتى شىء .

معنى واحد . وإنما « القيام » أصله « القوام » ، غير أن « القاف » التى قبل « الواو » لما كانت مكسورة ، جعلت « الواو » « ياء » لكسرة ما قبلها ، كما يقال : « صُمْتُ صياماً » ، « وصُلْتُ صِيالا » ، [1] ويقال منه : « فلان قوام أهل بيته » و « قيام أهل بيته » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأ بعضهم : ﴿ الّتِى جَعَلَ اللهُ لَكُم قِيَماً ﴾ بكسر « القاف » وفتح « الياء » بغير « ألف » .

* * *

وقرأه آخرون : ﴿ قِيَاماً ﴾ بألف

* * *

قال محمد : [2] والقراءة التى نختارها : ﴿ قِيَاماً ﴾ بالألف ، لأنها القراءة المعروفة فى قراءة أمصار الإسلام ، وإن كانت الأخرى غير خطأ ولا فاسد . وإنما اخترنا ما اخترنا من ذلك ، لأن القرآت إذا اختلفت فى الألفاظ واتفقت فى المعانى ، فأعجبها إلينا ما كان أظهر وأشهر فى قرَأة أمصار الإسلام .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « قياماً » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٥٨ — حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن إسمعيل ابن أبى خالد ، عن أبى مالك : « أموالكم التى جعل الله لكم قياماً » ، التى هى قوامك بعد الله . [3]

٨٥٥٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أموالكم التى جعل الله لكم قياماً » ، فإن المال هو

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « حلت حيالا » بالحاء ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٢) هذه هى المرة الثانية التى كتب فيها « قال محمد » — يعنى محمد بن جرير الطبرى أبا جعفر — مكان : « قال أبو جعفر ، وانظر ٥١٩ تعليق : ١ ، فيما سلف قريباً .

(٣) الأثر : ٨٥٥٨ — هو مختصر الأثر السالف رقم : ٨٥٤٢ .

قيام الناس ، قِوَام معايشهم . يقول : كن أنت قيم أهلك ، فلا تعط امرأتك [وولدك] مالك ، فيكونوا هم الذين يقومون عليك .[1]

٨٥٦٠ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً » ، يقول الله سبحانه : لا تعمد إلى مالك وما خوّلك الله وجعله لك معيشة ، فتعطيه امرأتك أو بَنيك ، ثم تنظر إلى ما فى أيديهم . ولكن أمسك مالك وأصلحه ، وكن أنتَ الذى تنفق عليهم فى كسوتهم ورزقهم ومؤونتهم . قال : وقوله « قياماً » ، بمعنى : قوامكم فى معايشكم .

٨٥٦١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن قوله : « قياماً » ، قال : قيام عيشك .

٨٥٦٢ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا بكر بن شرود ، عن مجاهد : أنه قرأ : « التى جعل الله لكم قياماً » ، بالألف ، يقول : قيام عيشك .[2]

٨٥٦٣ - حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله :

---

(١) الأثر : ٨٥٥٩ - هو مختصر الأثر السالف رقم : ٨٥٥٤ ، والزيادة بين القوسين منه وبغيرها لا تستقيم الضمائر . وفى المخطوطة والمطبوعة : « كنت أنت » والصواب « كن أنت » كما أثبتها .

(٢) الأثر : ٨٥٦٢ - « إسحق » فى هذا الأثر ، هو « إسحق بن الضيف » ، ويقال : « إسحق بن إبراهيم بن الضيف ، الباهلى » ، ثقة . مترجم فى التهذيب . وأما « بكر بن شرود » فقد ترجم له البخارى فى الكبير ٢/١/٩٠ ، وقال : « صنعانى ، قال ابن معين : رأيته ، ليس بثقة » . أما ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ١/١/٣٣٨ ، فقد ترجم له باسم : « بكر بن عبد الله بن شروس = ويقال : ابن شرود ، الصنعانى » ، قال : « روى عن معمر . روى عنه إسحق بن إبراهيم بن الضيف . سمعت أبى يقول : هو ضعيف الحديث » . أما الحافظ ابن حجر ، فقد ترجم له فى لسان الميزان ٢ : ٥٢ - ٥٤ ، وروى عن ابن معين أنه قال : « كذاب ، ليس بشىء » ، واستوفى الكلام فيه . وأما « مجاهد » فهو « مجاهد ابن جبر التابعى الإمام المشهور . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عن ابن مجاهد » ، وزيادة « ابن » خطأ لا شك فيه . كأن الناسخ ظنه « ابن مجاهد » القارىء ، شيخ الصنعة ، أول من سبع القراءات السبعة ، وهو متأخر الميلاد . ولد سنة ٢٤٥ ، وهو « أبو بكر بن مجاهد » = « أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد التميمى » .

« أموالكم التى جعل الله لكم قياماً » ، قال : لاتعط السفيه من ولدك شيئاً ، هو لك قيِّم من مالك .[1]

* * *

وأما قوله : « وارزقوهم فيها واكسوهم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فأما الذين قالوا : إنما عنى الله جل ثناؤه بقوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، [أموالَ] أولياء السفهاء ، لا أموال السفهاء[2] = فإنهم قالوا : « معنى ذلك : وارزقوا ، أيها الناس ، سفهاءكم من نسائكم وأولادكم ، من أموالكم طعامهم ، وما لابد لهم منه من مُؤَنهم وكسوتهم » .

وقد ذكرنا بعض قائلى ذلك فيما مضى ، وسنذكر من لم يُذكر من قائليه .

٨٥٦٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : أمروا أن يرزقوا سفهاءهم — من أزواجهم وأمهاتهم وبناتهم — من أموالهم .

٨٥٦٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٥٦٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : « وارزقوهم » ، قال ، يقول : أنفقوا عليهم . ١٦٨/٤

٨٥٦٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وارزقوهم فيها واكسوهم » ، يقول : أطعمهم من مالك واكسهم .

* * *

وأما الذين قالوا : « إنما عنى بقوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، أموالَ السفهاء أن لا يؤتيهموها أولياؤهم » ، فإنهم قالوا : « معنى قوله : « وارزقوهم فيها

---

(١) الأثر : ٨٥٦٣ — انظر الأثر السالف رقم : ٨٥٤٥ ، اختلف لفظاهما مع اتفاق إسنادهما

(٢) هذه الزيادة بين القوسين ، استظهرتها من السياق ، وأثبتها للبيان . وكأن ذلك هو الصواب .

واكسوهم» ، وارزقوا، أيها الولاة ولاةَ أموال السفهاء، سفهاءكم من أموالهم، طعامهم وما لا بد لهم من مؤنهم وكسوتهم . وقد مضى ذكر ذلك.(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأما الذى نراه صواباً فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » من التأويل ، فقد ذكرناه ، ودللنا على صحة ما قلنا فى ذلك بما أغنى عن إعادته .

* * *

فتأويل قوله : « وارزقوهم فيها واكسوهم » ، على التأويل الذى قلنا فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » = وأنفقوا على سفهائكم من أولادكم ونسائكم الذين تجب عليكم نفقتهم من طعامهم وكسوتهم فى أموالكم ، ولا تسلِّطوهم على أموالكم فيهلكوها = وعلى سفهائكم منهم ، ممن لا تجب عليكم نفقته، ومن غيرهم الذين تَلُون أنتم أمورهم ، من أموالهم فيما لا بد لهم من مؤنهم فى طعامهم وشرابهم وكسوتهم .(٢) لأن ذلك هو الواجب من الحكم فى قول جميع الحجة، لا خلاف بينهم فى ذلك، مع دلالة ظاهر التنزيل على ما قلنا فى ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : معنى ذلك : عِدْهم عِدَةً جميلة من البرِّ والصلة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٦٨ - حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

---

(١) انظر الأثر رقم : ٨٥٥٧ .

(٢) انظر تفسير « الرزق » فيما سلف ٤ : ٢٧٤/٥ : ٤٤/٦ : ٣١١ = وتفسير « الكسوة » فيما سلف ٥ : ٤٤ ، ٤٨٠

عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وقولوا لهم قولا معروفاً » ، قال : أمروا أن يقولوا لهم قولا معروفاً فى البر والصلة = يعنى النساء ، وهن السفهاء عنده .

٨٥٦٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وقولوا لهم قولا معروفاً » ، قال : عِدَةً تَعِدُهم .[1]

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ادعوا لهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٧٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وقولوا لهم قولا معروفاً » ، إن كان ليس من ولدك ولا ممن يجب عليك أن تنفق عليه ، فقل لهم قولا معروفاً ، قل لهم : « عافانا الله وإياك » ، « بارك الله فيك » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال فى ذلك بالصحة ، ما قاله ابن جريج . وهو أن معنى قوله : « وقولوا لهم قولا معروفاً » ، أى : قولوا ، يا معشر ولاة السفهاء ، قولاً معروفاً للسفهاء : « إن صَلحتم ورشدتم سلَّمنا إليكم أموالكم ، وخلَّينا بينكم وبينها ، فاتقوا الله فى أنفسكم وأموالكم » ، وما أشبه ذلك من القول الذى فيه حث على طاعة الله ، ونهى عن معصيته .[2]

* * *

(١) فى المطبوعة : « تعدوهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ٣ : ٤/٣٧١ : ٥/٥٤٧ : ٧ ، ٤٤ ، ٧٦ ، ٩٣ ٧/١٣٧ : ٩١ ، ١٠٥ ، ١٣٠ = وتفسير « قول معروف » فيما سلف ٥ : ٥٢٠

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وابتلوا اليتامى » ، واختبروا عقول يتاماكم فى أفهامهم ، وصلاحهم فى أديانهم ، وإصلاحهم أموالهم ، كما : —

٨٥٧١ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن فى قوله : « وابتلوا اليتامى » ، قالا يقول : اختبروا اليتامى.

٨٥٧٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « ابتلوا اليتامى » ، فجرِّبوا عقولهم .

٨٥٧٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وابتلوا اليتامى » ، قال : عقولهم .

٨٥٧٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وابتلوا اليتامى » ، قال : اختبروهم .

١٦٩/٤

٨٥٧٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح » ، قال : اختبروه فى رأيه وفى عقله كيف هو. إذا عُرِف أنه قد أُنِس منه رُشد ، دفع ليه ماله. قال : وذلك بعد الاحتلام .

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى « الابتلاء » الاختبار ، بما فيه الكفاية عن إعادته .[1]

* * *

وأمّا قوله : « إذا بلغوا النكاح » ، فإنه يعنى : إذا بلغوا الحلم : كما : —

٨٥٧٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن

---

(١) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف ٢ : ٤٩ / ٣ : ٧ ، ٢٢٠ / ٥ : ٣٣٩ / ٧ : ٢٩٧ ، ٣٢٥ ، ٤٥٤

ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « حتى إذا بلغوا النكاح » ، حتى إذا احتلموا .

٨٥٧٧ — حدثنى على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « حتى إذا بلغوا النكاح » ، قال : عند الحلم .

٨٥٧٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « حتى إذا بلغوا النكاح » ، قال : الحلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « فإن آنستم منهم رُشداً » ، فإن وجدتم منهم وعرفتم ، كما : —

٨٥٧٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فإن آنستم منهم رشداً » ، قال : عرفتم منهم .

* * *

يقال : « آنست من فلان خيراً — وبِرًّا » — [1] بمد الألف = « إيناساً » ، و « أنست به آنَس أُنْساً » ، بقصر ألفها ، إذا ألِفه .

* * *

وقد ذكر أنها فى قراءة عبد الله : ﴿ فَإِنْ أَحْسَيْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ ، [2] بمعنى : أحسستم ، أى : وجدتم .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « آنست من فلان خيراً وقرئ بمد الألف » ، لم يحسن قراءة « وبراً » فى المخطوطة ، فأفسد الكلام إفساداً .

(٢) فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٧ : « فإن أحستم » بسين واحدة ساكنة ، وفى بعض نسخه كما فى تفسير الطبرى ، أما فى المخطوطة فقد كتب فى الموضعين : « أحسستم » بسينين ، وهو خطأ ، والصواب ما فى المطبوعة ، وما فى معانى القرآن للفراء .

واختلف أهل التأويل فى معنى : « الرشد » الذى ذكره الله فى هذه الآية .[١]

فقال بعضهم : معنى « الرشد » فى هذا الموضع ، العقل والصلاح فى الدين .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٨٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإن آنستم منهم رشداً » ، عقولا وصلاحاً .

٨٥٨١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فإن آنستم منهم رُشداً » ، يقول : صلاحاً فى عقله ودينه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : صلاحاً فى دينهم ، وإصلاحاً لأموالهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٨٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنى أبى ، عن مبارك ، عن الحسن قال : رشداً فى الدين ، وصلاحاً ، وحفظاً للمال .

٨٥٨٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فإن آنستم منهم رشداً » ، فى حالهم ، والإصلاحَ فى أموالهم .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك العقلُ ، خاصة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٨٤ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال : لا ندفع إلى اليتيم ماله وإن أخذ بلحيته ،[٢] وإن كان شيخاً ، حتى يؤنس منه رشده ، العقل .

---

(١) انظر تفسير « الرشد » فيما سلف ٣ : ٤٨٢ / ٥ : ٤١٦

(٢) قوله : « أخذ بلحيته » يعنى : الشيب أخذ بلحيته ، وانظر الأثر التالى : ٨٥٨٦ .

٨٥٨٥ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد : « آنستم منهم رشداً »، قال : العقل .

٨٥٨٦ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا أبو شبرمة، عن الشعبى قال : سمعته يقول : إن الرجل ليأخُذُ بلحيته وما بلغ رُشده .[1]

* * *

وقال آخرون : بل هو الصلاح والعلم بما يصلحه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٨٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج : « فإن آنستم منهم رشداً »، قال : صلاحاً وعلماً بما يصلحه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بمعنى « الرشد » فى هذا الموضع، العقل وإصلاح المال[2] = لإجماع الجميع على أنه إذا كان كذلك، لم يكن ممن يستحق الحجرَ عليه فى ماله، وحَوْزَ ما فى يده عنه، وإن كان فاجراً فى دينه . وإذْ كان ذلك إجماعاً من الجميع، فكذلك حكمه إذا بلغ وله مال فى يَدَى وصىٍّ أبيه، أو فى يد حاكم قد وَلِى ماله لطفولته = واجبٌ عليه تسليم ماله إليه، إذا كان عاقلا، بالغاً، مصلحاً لماله = غير مفسد، لأن المعنى الذى به يستحق أن يولَّى على ماله الذى هو فى يده، هو المعنى الذى به يستحق أن يمنع يده من ماله الذى هو فى يد ولىّ،[3] فإنه لا فرق بين ذلك . ٤/١٧٠

وفى إجماعهم على أنه غير جائز حيازة ما فى يده فى حال صحة عقله وإصلاح

---

(١) الأثر : ٨٥٨٦ — « أبو شبرمة » كنية « ابن شبرمة »، وهو القاضى الفقيه المفتى « عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبى » . وكان عفيفاً حازماً عاقلا فقيهاً، يشبه النساك، ثقة فى الحديث، شاعراً، حسن الخلق، جواداً . هكذا وصفوه رحمه الله .

(٢) انظر التعليق السالف ص : ٥٧٦، تعليق : ١، فى مراجع تفسير « الرشد »

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « فى يده ولى »، والصواب حذف هذه الهاء، فإنه مفسدة للكلام ولو قرئت : « فى يد وليه » لكانت جيدة .

ما فى يده ، الدليلُ الواضح على أنه غير جائز منْع يده مما هو له فى مثل ذلك الحال ، وإن كان قبل ذلك فى يد غيره ، لا فرْق بينهما . ومن فرّق بين ذلك ، عُكِس عليه القول فى ذلك ، وسئل الفرق بينهما من أصل أو نظير ، فلن يقول فى أحدهما قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

فإذ كان ما وصفنا من الجميع إجماعاً ، [1] فبيِّنٌ أن « الرشد » الذى به يستحق اليتيم ، إذا بلغ فأونس منه ، دَفْعَ ماله إليه ، ما قلنا من صحة عقله وإصلاح ماله .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره ولاةَ أموال اليتامى . يقول الله لهم : فإذا بلغ أيتامكم الحلم ، فآنستم منهم عقلا وإصلاحاً لأموالهم ، فادفعوا إليهم أموالهم ولا تحبسوها عنهم .

* * *

وأما قوله : « فلا تأكلوها إسرافاً » ، يعنى : بغير ما أباحه الله لك ، [2] كما : —

٨٥٨٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن : « ولا تأكلوها إسرافاً » ، يقول : لا تسرف فيها .

٨٥٨٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، [3] حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « فإن كان ما وصفنا » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « أباحه الله لكم » بالجمع ، وأثبت ما فى المخطوطة . وانظر تفسير « أكل المال » فيما سلف ٣ : ٥٤٨ — ٥٥١ / ٧ : ٥٢٨ .

(٣) الأثر : ٨٥٨٩ — « محمد بن الحسين بن موسى بن أبى حنين الكوفى » ، مضت ترجمته برقم : ٧١٢٠ ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « محمد بن الحسن » ، وهو خطأ ، فهذا إسناد دائر فى التفسير .

أسباط ، عن السدى : « ولا تأكلوها إسرافاً » ، قال : يسرف فى الأكل .

* * *

وأصل « الإسراف » : تجاوز الحد المباح إلى ما لم يُبَحْ . وربما كان ذلك فى الإفراط ، وربما كان فى التقصير . غير أنه إذا كان فى الإفراط ، فاللغة المستعملة فيه أن يقال : « أسْرف يُسرف إسرافاً » = وإذا كان كذلك فى التقصير ، فالكلام منه : « سَرِف يَسْرَف سَرَفاً » ، يقال : « مررت بكم فسَرَفْتكم » ، يراد منه : فسهوت عنكم وأخطأتكم ، كما قال الشاعر :[1]

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثَمَانِيَةٌ   مَا فِى عَطَائِهِمُ مَنٌّ وَلاَ سَرَفُ[2]

يعنى بقوله : « ولا سرف » ، لا خطأ فيه ، يراد به : أنهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطئونها .

* * *

---

(١) هو جرير .

(٢) ديوانه : ٣٨٩ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣٥٩ ، والاشتقاق : ٢٤١ ، واللسان (هند) (سرف) ، وغيرها ، وسيأتى فى التفسير ٨ : ٣٠/٤٦ : ١٥٩ (بولاق) ، من قصيدته التى مدح بها يزيد بن عبد الملك ، وهجا آل المهلب ، يقول ليزيد ، قبله :

أَرْجُو الفوَاضِلَ . إِنَّ اللهَ فَضَّلَكُمْ   يَا قَبْلَ نَفْسِكَ لاَقَى نَفْسِيَ التَّلَفُ
مَا مَنْ جَفَانَا إِذَا حَاجَاتُنَا نَزَلَتْ   كَمَنْ لَنَا عِنْدَه التَّكْرِيمُ وَاللَّطَفُ
كَمْ قَدْ نَزَلْتُ بِكُمْ ضَيْفاً ، فَتُلْحِفُنِى   فَضْلَ اللِّحَافِ ، وَنِعْمَ الفَضْلُ يُلْتَحَفُ

وقوله : « هنيدة » اسم لكل مئة من الإبل ، لا تصرف ، ولا تدخلها الألف واللام ، ولا تجمع ، ولا واحد لها من جنسها . و « هند » مثلها فى المعنى ، وبه سميت المرأة فيما أرجح ، تساق فى مهرها مئة من الإبل ، من كرامتها وعزها ورغبة الأزواج فيها لشرفها . وقوله : « ثمانية » أى ثمانية من العبيد يقومون بأمرها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وبداراً » ، ومبادرة .

* * *

وهو مصدر من قول القائل : « بادرت هذا الأمر مبادرة وبِداراً » .

* * *

وإنما يعنى بذلك جل ثناؤه ولاةَ أموال اليتامى . يقول لهم : لا تأكلوا أموالهم إسرافاً — يعنى ما أباح الله لكم أكله — ولا مبادرةً منكم بلوغَهم وإيناسَ الرشد منهم ، حذراً أن يبلغوا فيلزمكم تسليمه إليهم ، كما : —

٨٥٩٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إسرافاً وبداراً » ، يعنى : أكل مال اليتيم مبادراً أن يبلغ ، فيحول بينه وبين ماله .

٨٥٩١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن : « ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً » ، يقول : لا تسرف فيها ولا تبادره .(١)

٨٥٩٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وبداراً » ، تبادراً أن يكبروا فيأخذوا أموالهم .

٨٥٩٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إسرافاً وبداراً » ، قال : هذه لولى اليتيم يأكله ، جعلوا له أن يأكل معه ، إذا لم يجد شيئاً يضع يده معه ، فيذهب يؤخره ، يقول : « لا أدفع إليه ماله » ، وجعلتَ تأكله تشتهى أكله ، لأنك إذا لم تدفعه إليه لك فيه نصيب ، وإذا دفعته إليه فليس لك فيه نصيب .(٢)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ولا تبادر » بغير هاء فى آخره ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) كانت هذه الجملة فى المخطوطة هكذا فاسدة الكتابة غير منقوطة : « هذه لولى اليتيم يأكله جعلوا

وموضع « أن » فى قوله : « أن يكبروا » ، نصبٌ بـ « المبادرة » ، لأن معنى الكلام : لا تأكلوها مبادرة كِبرهم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ومن كان غنيًّا » ، من ولاة أموال اليتامى على أموالهم ، فليستعفف بماله عن أكلها – بغير الإسراف والبدار أن يكبروا – بما أباح الله له أكلها به ، كما : –

٤/١٧١

٨٥٩٤ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش = وابن أبى ليلى ، عن الحكم = عن مقسم ، عن ابن عباس فى قوله : « ومن كان غنيًّا فليستعفف » ، قال : بغناه من ماله ، (٢) حتى يستغنى عن مال اليتيم .

٨٥٩٥ – وبه قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم فى قوله : « ومن كان غنيًّا فليستعفف » ، بغناه .

٨٥٩٦ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس فى قوله : « ومن كان غنياً فليستعفف

له أن يأكل معه إذا لم يجد سببا يضع معه يده ، فيذهب بوجهه يقول لا أدفع إليه ماله وجعلت تأكله لسهى أكله ، لأنك لم تدفعه إليه . . . » ، وهى فاسدة . أما المطبوعة فقد صححها وكتب : « هذه لولى اليتيم خاصة وجعل له » ، وأساء فيما قرأ وفيما كتب . ثم كتب « فيذهب بوجهه » مكان « يؤخره » ، وقد أساء . ثم زاد « إن » فى قوله : « لأنك لم تدفعه إليه « فجعلها » « لأنك إن لم تدفعه إليه » ، وقد أصاب ، ولكنى آثرت « إذا » .

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٧ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « لغناه عن ماله » ، والصواب بالباء .

ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : من مال نفسه ، ومن كان فقيراً منهم ، إليها محتاجاً ، فليأكل بالمعروف .

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل فى « المعروف » الذى أذن الله جل ثناؤه لولاة أموالهم أكلها به ، إذا كانوا أهل فقر وحاجة إليها .[1]

فقال بعضهم : ذلك هو القرضُ يستقرضه من ماله ، ثم يقضيه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٩٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان وإسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن حارثة بن مُضَرِّب قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنّى أنزلت مالَ الله تعالى منى بمنزلة مال اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، فإذا أيسرت قضيت .[2]

٨٥٩٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن عطية ، عن زهير ، عن العلاء ابن المسيب ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف» ، قال : وهو القرض .

٨٥٩٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر قال ، سمعت يونس ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلمانى أنه قال فى هذه الآية : « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : الذى ينفق من مال اليتيم ، يكون عليه قرضاً .

٨٦٠٠ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين قال ، سألت عبيدة عن قوله : « ومن

---

(١) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ص : ٥٧٣ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ٨٥٩٧ — « حارثة بن مضرب الكوفى » ، روى عن عمر ، وعلى ، وروى عنه أبو إسحق السبيعى . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/ ٨٧ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٥٥ . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « حارثة بن مصرف » ، وهو خطأ وتصحيف .

كان غنيـًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إنما هو قرض ، ألا ترى أنه قال : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم » ؟ قال : فظننت أنه قالها برأيه .

٨٦٠١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا هشام ، عن محمد ، عن عبيدة فى قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، وهو عليه قرض .

٨٦٠٢ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم ، عن سلمة بن علقمة ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة فى قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : المعروف القرض ، ألا ترى إلى قوله : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم» ؟[1]

٨٦٠٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة = مثل حديث هشام .[2]

٨٦٠٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، يعنى القرض .

٨٦٠٥ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ومن كان غنيـًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، يقول : إن كان غنيـًّا ، فلا يحل له من مال اليتيم أن يأكل منه شيئاً ، وإن كان فقيراً ، فليستقرض منه ، فإذا وجد مَيْسرة فليعطه ما استقرض منه ، فذلك أكله بالمعروف .

---

(١) الأثر : ٨٦٠٢ – « سلمة بن علقمة التميمى » ، روى عن محمد بن سيرين . ثقة . مترجم فى التهذيب . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « سلمة عن علقمة » ، وهو خطأ ، وانظر الإسناد السالف رقم : ٨٦٠٠ ، جاء على الصواب .

(٢) يعنى رقم : ٨٦٠١ .

٨٦٠٦ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أبى يذكر ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير قال : يأكل قرضاً بالمعروف .[١]

٨٦٠٧ - حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن سعيد بن جبير قال : هو القرض ، ما أصاب منه من شىء قضاه إذا أيسر = يعنى قوله : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » .

٤/١٧٢

٨٦٠٨ - حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائى قال ، حدثنا حماد قال ، سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إن أخذ من ماله قدر قوته قرضاً ، فإن أيسر بعدُ قضاه ، وإن حضره الموت ولم يوسر ، تحلّله من اليتيم . وإن كان صغيراً تحلله من وليه .[٢]

٨٦٠٩ - حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا شعبة ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير : فليأكل قرضاً .[٣]

٨٦١٠ - حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : هو القرض .

٨٦١١ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن عطاء بن السائب ، عن الشعبى : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : لا يأكله إلاّ أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة ، فإن أكل منه شيئاً قضاه .

---

(١) الأثر: ٨٦٠٦ - « ابن إدريس » هو « عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودى» شيخ أبى كريب ، مضى مراراً . وكان فى المطبوعة والمخطوطة « أبو إدريس » ، وهو خطأ . و « أبوه » هو « إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودى » ، روى عن أبيه ، وأبى إسحق السبيعى ، وسماك بن حرب وغيرهم. مترجم فى التهذيب . وكان فى المخطوطة « سمعت أبى بكر » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) فى المخطوطة : « حلله من وليه » ، ولعلها « حلله منه وليه » ، والذى فى المطبوعة موافق للسياق .

(٣) فى المخطوطة : « فلا يأكل قرضاً » ، وهو خطأ ، والصواب ما فى المطبوعة .

٨٦١٢ — حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا شعبة ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فليأكل بالمعروف » ، قال : قرضاً .

٨٦١٣ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٦١٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فليأكل بالمعروف » ، قال : سَلَفاً من مال يتيمه .

٨٦١٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد = وعن حماد ، عن سعيد بن جبير = « فليأكل بالمعروف » ، قالا : هو القرض = قال الثورى : وقاله الحكم أيضاً ، ألا ترى أنه قال : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم » ؟

٨٦١٦ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، حدثنا حجاج ، عن مجاهد قال : هو القرض ،ما أصاب منه من شىء قضاه إذا أيسر = يعنى : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » .

٨٦١٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى، عن أبى جعفر ، عن الربيع، عن أبى العالية : « فليأكل بالمعروف » ، قال : القرض ، ألاترى إلى قوله : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم » ؟

٨٦١٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبى وائل قال : قرضاً .

٨٦١٩ — حدثنا ابن حميد قال ،حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير قال : إذا احتاج الولىُّ أو افتقر فلم يجد شيئاً ، أكل من مال

اليتيم وكَـتَبه ، فإن أيسر قضاه ، وإن لم يوسر حتى تحضره الوفاة ، دعا اليتيمَ فاستحلَّ منه ما أكل .

٨٦٢٠ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، من مال اليتيم ، بغير إسراف ، ولا قضاءَ عليه فيما أكل منه .

* * *

واختلف قائلو هذا القول في معنى : « أكل ذلك بالمعروف » .

فقال بعضهم : أن يأكل من طعامه بأطراف الأصابع ، ولا يلبس منه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٦٢١ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن السدي قال ، أخبرني من سمع ابن عباس يقول : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : بأطراف أصابعه .

٨٦٢٢ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبيد الله الأشجعي ، عن سفيان ، عن السدي ، عمن سمع ابن عباس يقول ، فذكر مثله .[١]

٨٦٢٣ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، يقول : « فمن كان غنيًّا » ، مَنْ وَلِيَ مال اليتيم ، فليستعفف عن أكله[٢] = « ومن كان فقيراً » ، مَنْ وَلِيَ مال اليتيم ، فليأكل معه بأصابعه ، لا يسرف في الأكل ، ولا يلبس .

---

(١) الأثر : ٨٦٢٢ - « عبيد الله الأشجعي » هو « عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي » . قال ابن معين : « ما كان بالكوفة أعلم بسفيان الثوري من الأشجعي » . وهو ثقة مأمون . مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة : « عبد الله الأشجعي » ، وهو خطأ .

(٢) في المطبوعة : « فليستعفف عن ماله » ، وأثبت الصواب من المخطوطة .

٨٦٢٤ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا حرمى بن عمارة قال ، حدثنا شعبة ، عن عمارة ، عن عكرمة فى مال اليتيم : يدُك مع أيديهم ، ولا تتخذ منه قَلَنْسُوة .

٨٦٢٥ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء وعكرمة قالا ، تضع يدك مع يده .

* * *

وقال آخرون : بل « المعروف » فى ذلك : أن يأكل ما يسدُّ جوعه ، ويلبس ما وارَى العورة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٦٢٦ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم قال : إن المعروف ليس بِلبس الكتّان ولا الحُلَل ، ولكن ما سدّ الجوع ووارى العورة .

٨٦٢٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : كان يقال : ليس المعروف بلبس الكتان والحلل ، ولكن المعروفَ ما سد الجوع ووارى العورة .

٨٦٢٨ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن مغيرة ، عن إبراهيم نحوه .

٨٦٢٩ — حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، حدثنا أبو معبد قال : سئل مكحول عن والى اليتيم ، ما أكله بالمعروف إذا كان فقيراً ؟ قال : يده مع يده . قيل له : فالكسوة ؟ قال : يلبس من ثيابه ، فأما أن يتخذ من ماله مالاً لنفسه فلا .

٨٦٣٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « فليأكل بالمعروف » ، قال : ما سد الجوع ووارى

العورة . أما إنه ليس لَبُوس الكتان والحلل .[١]

* * *

وقال آخرون : بل ذلك « المعروف » ، أكل تمْره ، وشرب رِسْل ماشيته ،[٢] بقيامه على ذلك ، فأما الذهب والفضة ، فليس له أخذ شيء منهما إلا على وجه القرض.

* ذكر من قال ذلك :

٨٦٣١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن القاسم بن محمد قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إن فى حجرى أموالَ أيتام ؟ وهو يستأذنه أن يصيب منها ، فقال ابن عباس : ألست تبغى ضالتها ؟[٣] قال : بلى ! قال : ألست تهنأ جَرْباها ؟[٤] قال : بلى ! قال : ألست تَلُطّ حياضها ؟[٥] قال : بلى ! قال : ألست تَفْرِط عليها يوم وِرْدها ؟[٦] قال : بلى ! قال : فأصِبْ من رسلها = يعنى : من لبنها .

٨٦٣٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد قال : جاء أعرابى إلى ابن عباس فقال : إن فى حجرى أيتاماً ، وإن لهم إبلا ولى إبل ، وأنا أمنح فى إبلى

---

(١) الأثر : ٨٦٣٠ – « الأشجعى » ، هو « عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعى » ، مضى قريباً فى التعليق على الأثر رقم : ٨٦٢٢ .

(٢) « الرسل » (بكسر الراء وسكون السين) : اللبن .

(٣) « بغى الضالة بغاء وبغية وبغاية » (كلها بضم الباء) : نشدها وطلبها .

(٤) هنأ البعير الأجرب يهنؤه ، إذا طلاه بالهناء (بكسر الهاء) ، وهو القطران ، يعالج به من الجرب .

(٥) « لط الحوض يلطه لطاً » : ألصقه بالطين حتى يسد خلله ، قال ابن الأثير : « كذا جاء فى الموطأ » انظر الموطأ : ٩٣٤ ، ويشير به إلى الرواية الأخرى « تلوط » ، كما ستأتى فى الأثر التالى . وكان فى المطبوعة هنا « تليط » ، وهى صواب أيضاً ، جاء فى رواية حديث أشراط الساعة : « ولتقومن وهو يليط حوضه » ، أى يطينه أيضاً . ولكنها لم تجىء فى المخطوطة ولا فى مكان غيره أعرفه .

(٦) « فرط يفرط فرطاً » : إذ سبق الواردة الإبل إلى الماء ، فهيأ لها الأرسان والدلاء ، وملأ الحياض واستقى لهم . و « يوم الورد » بكسر الراء ، وهو يومها الذى ترد فيه الماء . وكان فى المطبوعة : « يوم ورودها » ، وهى صحيحة المعنى ، والذى فى المخطوطة هو محض الصواب .

وأفقر ،[1] فماذا يحلّ لى من ألبانها ؟ قال : إن كنت تبغى ضالتها ، وتهنأ جرباها ، وتلوط حوضها ،[2] وتسقى عليها ،[3] فاشرب غير مُضرّ بنسل ،[4] ولا ناهكٍ فى الحلب .[5]

٨٦٣٣ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن أبى العالية فى هذه الآية : « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : من فَضل الرِّسل والتمرة .[6]

٨٦٣٤ - حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن أبى العالية فى والى مال اليتيم قال : يأكل من رسل الماشية ومن التمرة ، لقيامه عليه، ولا يأكل من المال. وقال: ألاترى أنه قال: « فإذا دفعتم إليهم أموالهم » ؟

٨٦٣٥ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال سمعت داود ، عن رُفيع أبى العالية قال : رُخّص لولى اليتيم أن يصيب من الرِّسل ويأكل من التمرة، وأما الذهب والفضة فلا بد أن تردّ . ثم قرأ : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم » ،

---

(١) « منح الشاة والناقة يمنحها منحاً » : أعارها من لا ناقة له ، يأخذ من لبنها ويرعى عليها . ثم يردها عليه . و « أفقرت فلاناً بعيراً » إذا أعرته بعيراً يركب ظهره فى سفره ثم يرده إليك ، وهو من « فقار » الظهر ، أى ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب .

(٢) « لاطه الحوض يلوطه لوطاً » : طلاه بالطين وملسه . انظر التعليق السالف ص : ٥٨٨ ، رقم : ٥

(٣) فى المخطوطة : « وتسعى عليها » وهو خطأ ، ورواية الموطأ : « وتسقيها يوم وردها » .

(٤) « نهكت الناقة حلباً أنهكها » ، إذا بالغت فى حلبها ونقصها ، فلم يبق فى ضرعها لبن . و « الحلب » (بفتح الحاء واللام) و « الحلب » (بسكون اللام) و « الحلاب » مصدر « حلب الشاء والإبل والبقر يحلبها » : إذا استخرج ما فى ضرعها من اللبن .

(٥) الأثران : ٨٦٣١ ، ٨٦٣٢ - رواه مالك فى الموطأ من طريق « يحيى بن سعيد ، عن القاسم ابن محمد » كرواية الأثر الثانى هنا ، مع اختلاف فى بعض اللفظ ، وأبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ٩٣ ، ونسبه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٢٢ ، إلى مالك ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والنحاس فى ناسخه .

(٦) فى المطبوعة : « والثمرة » بالثاء المثلثة ، وأثبت ما فى المخطوطة هنا ، وستأتى بالمثلثة فى المخطوطة فى الآثار التالية ، ولكن صوابها « بالتاء » ، وانظر حجتنا فى ذلك فى الأثر رقم : ٨٦٣٦ .

ألا ترى أنه قال : « لابد من أن يدفع » ؟[١]

٨٦٣٦ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عوف ، عن الحسن أنه قال : إنما كانت أموالهم إذْ ذاك النخل والماشية،[٢] فرخّص لهم إذا كان أحدهم محتاجاً أن يصيب من الرِّسْل .

٨٦٣٧ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن سالم ، عن الشعبي فى قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إذا كان فقيراً أكل من التمر ،[٣] وشرب من اللبن ، وأصاب من الرسل .

٨٦٣٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، ذكر لنا أن عمّ ثابت بن رفاعة = وثابت يومئذ يتيمٌ فى حجره = من الأنصار ، أتى نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله، إن ابن أخى يتيمٌ فى حجرى ، فما يحلُّ لى من ماله؟ قال : أن تأكل بالمعروف ، من غير أن تقى مالك بماله، ولا تتخذ من ماله وَفْراً.[٤] وكان اليتيم يكون له الحائط من النخل ،[٥] فيقوم وليه على صلاحه وسَقيه ، فيصيب من تمرته ،[٦] أو تكون له الماشية ، فيقوم وليه على صلاحها ، أو يلى علاجها

١٧٤/٤

---

(١) الأثر – ٨٦٣٥ – « رفيع بن مهران الرياحى » ، « أبو العالية » مضى برقم : ٤٤ ، ١٨٤ ومواضع غيرها ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا « رفيع عن أبى العالية » بزيادة « عن » وهو خطأ محض .

(٢) فى المطبوعة : « أدخال النخل والماشية » ، وفى المخطوطة : « ادحال » ، ولم أجد لشىء من ذلك معنى ، مع تقليبها على أكثر وجوه التصحيف ، ثم هديت إلى أن أرجح أن يكون صوابها ما أثبت ، وكأن الناسخ رأى « ذال » : « ذاك » متصلة بألفها فظنها « حاء » ، فكتب « الكاف » المتطرفة « لاماً » والذى أثبته هو حاق السياق إن شاء الله .

(٣) فى المطبوعة : « من الثمر » بالثاء المثلثة ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وانظر التعليق السالف ص : ٥٨٩ ، رقم : ٦ .

(٤) « وفر ماله وفراً » : حاطه حتى يكثر ويصير وافراً ، يعنى : أن يتأثل مالا لنفسه ويجمعه من مال يتيمه .

(٥) « الحائط » البستان من النخل ، إذا كان عليه حائط ، وهو الجدار ، فإذا لم يحط فهو « ضاحية » .

(٦) فى المطبوعة : « ثمرته » ، والصواب من المخطوطة ، وانظر ص ٥٨٩ تعليق : ٦ والتعليق السالف : ٣ .

ومؤونتها ، فيصيب من جُزَازها وَعوارضها ورِسْلها .[1] فأما رقاب المال وأصول المال ،[2] فليس له أن يستهلكه .[3]

٨٦٣٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، يعنى ركوب الدابة وخدمة الخادم . فإن أخذ من ماله قرضاً فى غنى ، فعليه أن يؤديه ، وليس له أن يأكل من ماله شيئاً .

* * *

وقال آخرون منهم : له أن يأكل من جميع المال ، إذا كان يلى ذلك ، وإن أتى على المال ، ولا قضاء عليه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٦٤٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا إسمعيل بن صبيح ، عن أبى أوَيس ، عن يحيى بن سعيد وربيعة جميعاً ، عن القاسم بن محمد قال : سئل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عما يصلُح لولىّ اليتيم قال : إن كان غنيًّا فليستعفف ، وإن كان فقيراً فليأكل بالمعروف .[4]

---

(١) الجزاز والجزازة (بضم الجيم) والجزز (بفتحتين) والجزة (بكسر الجيم وتشديد الزاى) ، وجمعها جزز (بكسر ففتح) : هو ما يجزه من صوف الشاة وغيرها . ورواية اللسان والفائق للزمخشرى « جزَزها » جمع « جزة » . « والعوارض » جمع عارضة ، وهى الشاة أو البعير تصيبه آفة أو كسر أو داء فيذبحونها ، ومن هجائهم : « بنو فلان لا يأكلون إلا العوارض » ، أى : لا ينحرون الإبل إلا من داء يصيبها . « والرسل » اللبن .

(٢) « رقاب المال » يعنى من الأنعام ، و « أصول المال » يعنى من النخيل .

(٣) الأثر : ٨٦٣٨ – ذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة ، فى ترجمة « ثابت بن رفاعة » ، ولم ينسبه لابن جرير ، ونسبه لابن مندة ، وابن فتحون ، من طريق عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، وقال : « هذا مرسل ، رجاله ثقات » .

(٤) الأثر : ٨٦٤٠ – « إسماعيل بن صبيح اليشكرى » مضى برقم : ٢٩٩٦ . و « أبو أويس » هو : « عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى » ، ابن عم مالك وصهره على أخته ، قال ابن معين : « صدوق ، وليس بحجة » . وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه ، ولا يحتج به ، وليس بالقوى » . مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة : « عن أبى إدريس » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة.

٨٦٤١ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا يحيي بن أيوب ، عن محمد بن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن عمر بن الخطاب كان يقول : يحل لوليِّ الأمر ما يحلّ لولى اليتيم: « من كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » .

٨٦٤٢ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال، أخبرنا الفضل ابن عطية ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف »، قال : إذا احتاج فليأكل بالمعروف ، فإن أيسر بعد ذلك فلا قضاء عليه .

٨٦٤٣ - حدثنا ابن حميد قال،حدثنا يحيي بن واضح قال ، حدثنا الحسين ابن واقد، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا: ذكر الله تبارك وتعالى مال اليتامى فقال : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، ومعروفُ ذلك : أن يتقى الله في يتيمه .

٨٦٤٤ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم : أنه كان لا يرى قضاءً على ولىّ اليتيم إذا أكل وهو محتاجٌ .

٨٦٤٥ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم : « فليأكل بالمعروف » ، في الوصى ، قال : لا قضاء عليه.

٨٦٤٦ - حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم أنه قال في هذه الآية : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إذا عمل فيه ولىُّ اليتيم أكل بالمعروف .

٨٦٤٧ - حدثنا بشر بن محمد قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : إذا احتاج أكل بالمعروف من المال، طُعْمَةً من الله له . (١)

---

(١) « طعمة » (بضم فسكون) : رزق ومأكلة ، يقال : « جعل السلطان ناحية كذا طعمة لفلان» أى : مأكلة يأكل منها كما يأكل من كسبه .

٨٦٤٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن الحسن البصرى قال : قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : إن فى حجرى يتيماً، أفأضرب به ؟ قال : فيما كنت ضارباً منه ولدك ؟ قال : أفأصيب من ماله ؟ قال : بالمعروف، غير متأثّل مالاً، ولا واقٍ مالك بماله.[1]

٨٦٤٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن ابن أبى نجيح، عن الزبير بن موسى ، عن الحسن البصرى ، مثله.[2]

٨٦٥٠ – حدثنا محمد بن عمرو قال ،حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء أنه قال : يضع يده مع أيديهم فيأكل معهم ، كقَدْرِ خدمته وقَدْرِ عمله . ١٧٥/٤

٨٦٥١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : والى اليتيم ، إذا كان محتاجاً ، يأكل بالمعروف ، لقيامه بماله .

٨٦٥٢ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد ، وسألته عن قول الله تبارك وتعالى : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إن استغنى كفَّ ، وإن كان فقيراً أكل بالمعروف. قال : أكل بيده معهم، لِقيامه على أموالهم ، وحفظه إياها ، يأكل مما يأكلون منه . وإن استغنى كفَّ عنه ولم يأكل منه شيئاً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : « المعروف »

---

(١) « تأثل مالا » : اتخذ أصل مال يجمعه ويثبته ويخزنه .

(٢) الأثر : ٨٦٤٩ – « الزبير بن موسى بن ميناء المكى » ، روى عن جابر ، وسعيد بن جبير ، وعمرو بن دينار ، وعمر بن عبد العزيز ، وغيرهم . روى عنه ابن جريج ، والثورى ، وابن أبى نجيح . مترجم فى التهذيب . وأخشى أن يكون : « أخبرنا الثورى وابن أبى نجيح » .

الذى عناه الله تبارك وتعالى فى قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة إليه ، على وجه الاستقراض منه = فأما على غير ذلك الوجه ، فغير جائز له أكله .[١]

وذلك أن الجميع مجمعون على أن والى اليتيم لا يملك من مال يتيمه إلاّ القيام بمصلحته . فلما كان إجماعاً منهم أنه غير مالكه ،[٢] وكان غيرَ جائز لأحد أن يستهلك مال أحد غيره ، يتيماً كان ربُّ المال أو مدركاً رشيداً = وكان عليه إن تعدّى فاستهلكه بأكل أو غيره ، ضمانه لمن استهلكه عليه ، بإجماع من الجميع = وكان والى اليتيم سبيلُه سبيل غيره فى أنه لا يملك مال يتيمه =[٣] كان كذلك حكمه فيما يلزمه من قضائه إذا أكل منه ، سبيلُه سبيلُ غيره ، وإن فارقه فى أنّ له الاستقراضَ منه عند الحاجة إليه ، كما له الاستقراض عليه عند حاجته إلى ما يستقرض عليه ، إذا كان قيِّماً بما فيه مصلحته .

* * *

ولا معنى لقول من قال : « إنما عنى بالمعروف فى هذا الموضع ، أكل والى اليتيم من مال اليتيم ،لقيامه عليه على وجه الاعتياض على عمله وسعيه » . لأنّ لوالى اليتيم أن يؤاجر نفسه منه للقيام بأموره ، إذا كان اليتيم محتاجاً إلى ذلك ، بأجرة معلومة ، كما يستأجر له غيره من الأُجَراء ، وكما يشترى له مَن يعينه ،[٤] غنيًّا كان الوالى أو فقيراً .

وإذ كان ذلك كذلك = وكان الله تعالى ذكره قد دل بقوله : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، على أن أكل مال اليتيم إنما أذن لمن أذن له من وُلاته فى حال الفقر والحاجة = وكانت الحالُ التى للولاة

---

(١) فى المخطوطة « له أكلها » ، وهو من سهو الناسخ .

(٢) فى المخطوطة : « إجماعاً منه » ، وهو أيضاً من سهو الناسخ .

(٣) السياق : « فلما كان إجماعاً منهم . . . كان كذلك حكمه . . . » وما بينهما عطف وفصل

(٤) فى المطبوعة : « وكما يشترى له من نصيبه » ، ولا معنى لذلك ، وهى فى المخطوطة غير بينة ، واجتهدت قراءتها كما أثبتها ، أى يشترى له رقيقاً يعينه .

أن يُؤجروا أنفسهم من الأيتام مع حاجة الأيتام إلى الأجراء ، غير مخصوص بها حال غِنًى ولا حال فقر =[١] كان معلوماً أن المعنى الذى أبيح لهم من أموال أيتامهم فى كل أحوالهم ، غير المعنى الذى أبيح لهم ذلك فيه فى حال دون حالٍ .

ومن أبى ما قلنا ، ممن زعم أن لولى اليتيم أكل مال يتيمه عند حاجته إليه على غير وجه القرض ، استدلالاً بهذه الآية = قيل له : أمجمَعٌ على أن الذى قلت تأويل قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ؟

فإن قال : لا !

قيل له : فما برهانك على أن ذلك تأويله ، وقد علمت أنه غيرُ مالك مالَ يتيمه ؟

فإن قال : لأن الله أذن له بأكله !

قيل له : أذن له بأكله مطلقاً أم بشرط ؟[٢]

فإن قال : بشرطٍ ، وهو أن يأكله بالمعروف .

قيل له : وما ذلك « المعروف » ؟ وقد علمت القائلين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن ذلك هو أكله قرضاً وسلَفاً ؟

ويقال لهم أيضاً مع ذلك : أرأيت المولَّى عليهم فى أموالهم من المجانين والمعاتيه ، ألولاة أموالهم أن يأكلوا من أموالهم عند حاجتهم إليه على غير وجه القرض لا الاعتياض من قيامهم بها ، كما قلتم ذلك فى أموال اليتامى فأبحتموها لهم ؟

فإن قالوا : ذلك لهم = خرجوا من قول جميع الحجة .

وإن قالوا : ليس ذلك لهم .

قيل لهم : فما الفرق بين أموالهم وأموال اليتامى ، وحكمُ ولاتهم واحدٌ : فى أنهم ولاة أموال غيرهم ؟ ١٧٦/٤

---

(١) السياق : « وإذ كان ذلك كذلك . . . كان معلوماً . . . » ، وما بينهما عطف وفصل .

(٢) فى المخطوطة : « أذن له بأكله مطلقاً بشرط بشرط » ، وهو سهو ناسخ ، والصواب ما فى المطبوعة .

فلن يقولوا فى أحدهما شيئاً إلا ألزموا فى الآخر مثله.[١]

ويسألون كذلك عن المحجور عليه : هل لمن يلى ماله أن يأكل ماله عند حاجته إليه ؟ نحو سؤالناهُمْ عن أموال المجانين والمعاتيه.

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإذا دفعتم ، يا معشرَ ولاة أموال اليتامى ، إلى اليتامى أموا لهم= « فأشهدوا عليهم » ، يقول : فأشهدوا على الأيتام باستيفائهم ذلك منكم ، ودفعكموه إليهم ، كما : —

٨٦٥٣ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم » ، يقول : إذا دفع إلى اليتيم ماله ، فليدفعه إليه بالشهود ، كما أمره الله تعالى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكفى بالله كافياً من الشهود الذين يشهدهم والى اليتيم على دفعه مال يتيمه إليه ، كما : —

٨٦٥٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكفى بالله حسيباً » ، يقول : شهيداً .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فلن يتمولوا فى أحدهم » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .

يقال منه : « قد أحسبنى الذى عندى » ، يراد به : كفانى . وسمع من العرب : « لأُحْسِبَنَّكم من الأسودين » = يعنى به : من الماء والتمر [١] = « والمُحسِب » من الرجال: المرتفع الحسب، « والمُحْسَب » ، المكفِىُّ .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ ﴿٧﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : للذكور من أولاد الرجل الميِّت حصة من ميراثه ، وللإناث منهم حصة منه ، من قليل ما خلَّف بعده وكثيره ، حصة مفروضة ،[٣] واجبةٌ معلومة مؤقتة .[٤]

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الجاهلية كانوا يُورِّثون الذكور دون الإناث ، كما : —

٨٦٥٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كانوا لا يورِّثون النساء ، فنزلت : « وللنساء نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون » .

---

(١) قيل فى شرح هذه الكلمة : « أى : لأوسعن عليكم » ، وهو بمعنى الكفاية .

(٢) وانظر تفسير « حسبه » فيما سلف ٤ : ٢٤٤/٧ : ٤٠٥

(٣) انظر تفسير « الفرض » فيما سلف ٤ : ١٢١/٥ : ١٢٠

(٤) موقتة : مقدرة محددة ، وأصلها من « الوقت » ثم اتسع فى استعمالها فى كل محدود ، ومنه حديث على رضى الله عنه . « فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوقت فيها شيئاً » ، أى : لم يفرض فى شرب الخمر مقداراً معيناً من الجلد . ومنه أخذ النحويون قولهم فى العلم الشخصى الذى يعين مسماه تعييناً مطلقاً غير مقيد ، مثل « زيد » هو : « معرفة موقتة » ، وانظر شرح ذلك فى ١ : ١٨١ ، تعليق : ١ .

٨٦٥٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قال : نزلت في أم كحلة وابنة كَحْلة ، وثعلبة وأوس بن سويد ، وهم من الأنصار . كان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها ، فقالت : يا رسول الله ، توفي زوجي وتركني وابنته ، فلم نورَّث ! فقال عم ولدها : يا رسول الله ، لا تركب فرساً ، ولا تحمل كلاًّ ، ولا تنكي عدوًّا ، يكسب عليها ولا تكتسب ! فنزلت : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلَّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً » .[1]

---

(١) الأثر : ٨٦٥٦ – خرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة « أم كجة » ، والسيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٢٢ ، ونسبه لابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم. أما الحافظ فذكر رواية الطبري وقال فيها : « نزلت في أم كجة ، وبنت أم كجة ، وثعلبة ، وأوس بن ثابت » فخالف نص الطبري في هذا الموضع ، في « أم كجة » ، و « أوس بن ثابت » كما ترى . وكانت في المطبوعة : « أم كحة » وبنت كحة بالحاء المهملة ، والصواب بضم الكاف وتشديد الجيم المفتوحة ، كما ضبطها الحافظ في الإصابة . وأما السيوطي فقال : « نزلت في أم كلثوم وابنة أم كحلة ، أو أم كحة » ، بالحاء المهملة أيضاً وهو خطأ . وأما « أم كحلة » كما جاء في المخطوطة ، وكما أثبتها ، فقد قال الحافظ في الإصابة أيضاً : « وأما المرأة ، فلم يختلف في أنها أم كجة – بضم الكاف وتشديد الجيم – إلا ما حكى أبو موسى عن المستغفري أنه قال فيها : أم كحلة – بسكون المهملة بعدها لام ، وإلا ما تقدم من أنها بنت كجة ، كما في روايتي ابن جريج ، فيحتمل أن تكون كنيتها وافقت اسم أبيها ، فيستفاد من رواية ابن جريج أنها أم كلثوم » .

وهذا كأنه ينفي أن تكون رواية الطبري : « أم كحلة » ، ولكن المخطوطة أثبتت ذلك واضحاً في الموضعين ، فلم أجد سبيلا إلى إغفالها أو تغييرها مع هذه الرواية التي رواها الحافظ عن المستغفري ، وثبوتها أيضاً في نص السيوطي ، فيما نقله عن الطبري ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر .

وسيأتي ذكر أم كجة في الأثر رقم : ٨٧٢٥ وأنها امرأة عبد الرحمن أخو حسان بن ثابت ، فانظر التعليق على الأثر هناك .

وأما « أوس بن سويد » فكما رأيت ، ذكره الحافظ منسوباً إلى ابن جرير « أوس بن ثابت » ، ولكن الثابت في أصول التفسير وما نقل عنه ، « أوس بن سويد » . وقد ترجم الحافظ لأوس بن ثابت الأنصاري وأوس بن سويد ، ولثعلبة بن ثابت الأنصاري ، وثعلبة بن سويد ، وذكر الاختلاف في اسميهما في هذه القصة نفسها . وقد تركت نص الطبري كما هو ، واكتفيت بإثبات الاختلاف الذي ذكر الحافظ ابن حجر ، ومن شاء فليستوفه من هناك ، ومن مظانه الأخرى .

* * *

وقوله : « لا تحمل كلا » : أي لا تلي أمر العيال والسعي عليهم . « والكل » : العيال ، يحتاجون إلى من يحملهم ويرزقهم ، كاليتيم وغيره .

وقوله : « ولا تنكي عدواً » ، يقال منه : « نكيت العدو أنكي (بكسر الكاف) نكاية » ، إذا أصاب

٨٦٥٧ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » ، قال : كان النساء لا يورَّثن فى الجاهلية من الآباء ، (١) وكان الكبير يرث ، ولا يرث الصغير وإن كان ذكراً ، فقال الله تبارك وتعالى : « للرجال نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون » إلى قوله : « نصيباً مفروضاً » .

* * *

قال أبو جعفر : ونصب قوله : « نصيباً مفروضاً » ، وهو نعت للنكرة ، لخروجه مخرجَ المصدر ، كقول القائل : « لك علىّ حقّ واجباً » . ولو كان مكان قوله : « نصيباً مفروضاً » اسم صحيح ، لم يجز نصبه . لا يقال : « لك عندى حق درهماً » . فقوله : « نصيباً مفروضاً » ، كقوله : نصيباً فريضة وفرضاً ، كما يقال : « عندى درهم هبةً مقبوضة » . (٢)

* * *

تم الجزء السابع من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الثامن ، وأوّله

القول فى تأويل قوله تعالى

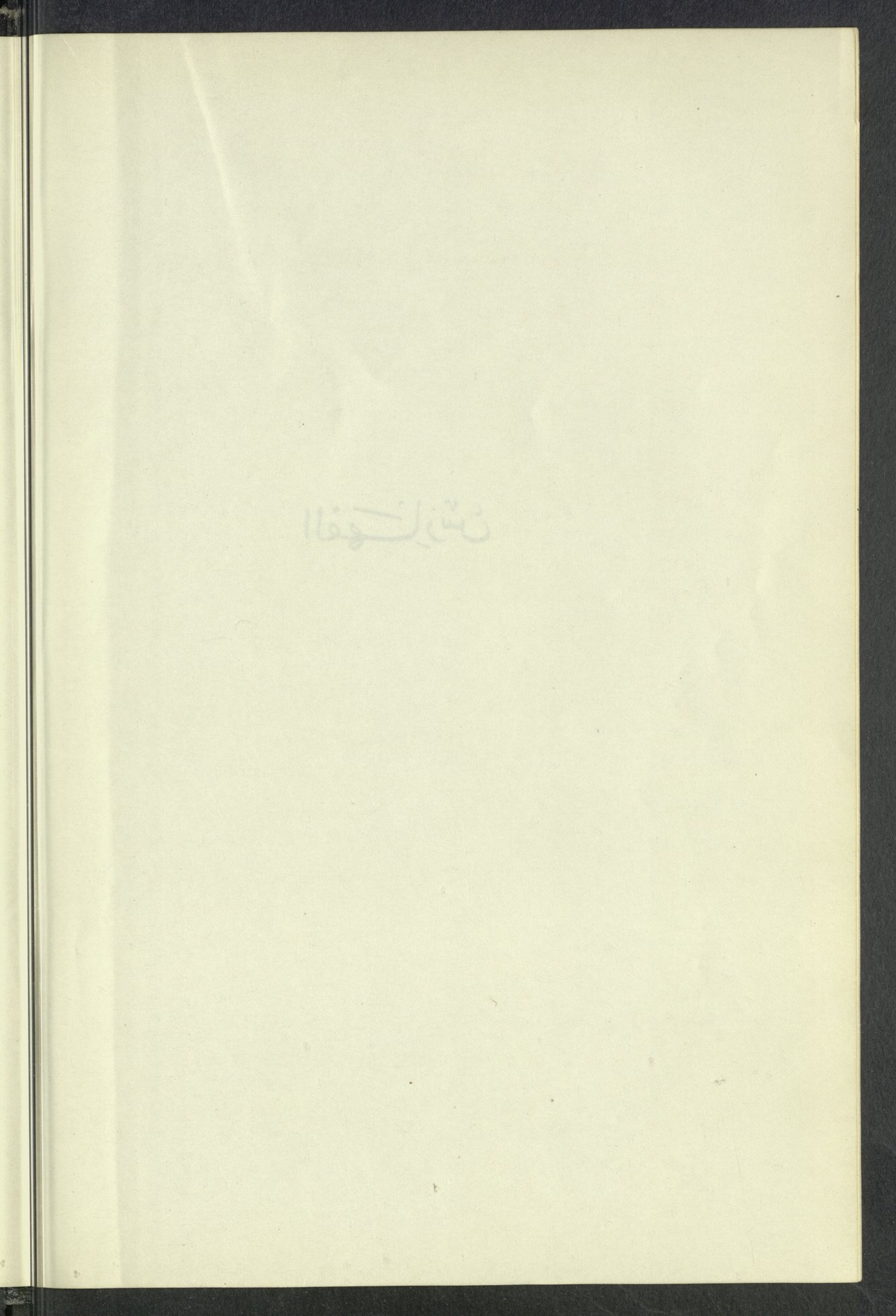
﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾

منهم ، فقتل وأكثر الجراح . ويقال فيه أيضاً : « ونكأت العدو » بالهمز ، بمعناه . وكان فى المطبوعة : « ولا تنكأ » بالهمز ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهما صواب جميعاً .

(١) فى المطبوعة : « لا يرثن » غير ما فى المخطوطة ، وهو ما أثبته .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٧ ، فهو كنص عبارته .

الفهارس



فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوّله فصلاً .

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرست هى أرقام الآثار ، لا الصفحات

فهرس المصطلحات

مباحث العربية والنحو وغيرها

* « إذا » و « إذ » يقال : « أكرمتك إذْ زرتنى » ولا يقال : « أكرمتك إذا زرتنى » ، لأن « إذا » لا تصحب مع الماضى إلاّ المستقبل : ٣٣٣

* « الألف واللام » فيها تأويل « مَنْ » و « أىّ » فى مثل قوله : « وليعلمنّ الكاذبين » أى : الكاذب من المؤمن ، أو : أيكم المؤمن : ٢٤٢

* « إلاّ » يرفع ما بعدها بإتباعه ما قبله ، إذا كان نكرة ومعه جحدٌ ، نحو : « ما فى الدار أحدٌ إلاّ أخوك » . فأما إذا قيل : « قام القوم إلاّ أباك » ، فالوجه النصب . فأما قوله : « ومن يغفر الذنوب إلاّ اللهُ » بالرفع ، فلأن معنى الكلام : ما يغفر الذنوب أحدٌ إلاّ الله : ٢٢٣

* « أما » لا بدّ بعدها من جواب بالفاء : ٩٣

* « أنْ » لا تكون إلاّ معرفة ، ولذلك تعرب اسم « كان » فى قوله : « وما كان قولهم إلاّ أن قالوا » ، فكانت أولى بذلك دون الأسماء التى قد تكون معرفة أحياناً ونكرة أحياناً : ٢٧٤

[انظر : « كان »]

* « أو » بمعنى « حتى » : ١٩٤

* « الباء » بمعنى « على » كقوله : « فأثابكم غماً بغم » ، أى على غم ، وقولهم : « نزلت ببنى فلان — وعلى بنى فلان » : ٣٠٤ ، ٣٠٥

* « تلك » بمعنى « هذه » : ٩٧

* « ذلك » بمعنى « هذا » : ٩٧

* « الذين » تذهب بها العرب مذهب الجزاء ، وتعاملها معاملة « مَنْ » و « ما » ، لتقارب معانى ذلك فى كثير من الأشياء ، وأن جميعهن أشياء مجهولات غير موقتات توقيت « عمرو » و « زيد » : ٣٣٤

* « الذين » فيها تأويل « مَنْ » و « أىّ » كقوله : « وليعلم الله الذين آمنوا » بمعنى : ليعلم الذين آمنوا من الذين نافقوا ، أو ليعلم الله أيكم المؤمن : ٢٤٢

* « سواء » مجيئها بمعنى التمام : ١١٩ ، ١٢٠

* « سواء » خطأ أن يقال : « سواء أقمت» وأنت تريد: «سواء أقمت أم قعدت» : ١٢٠

* « الفاء » التى فى جواب الجزاء ، تركها لعلم السامع بموضعها : ١٥٧

* « الفاء » إسقاطها من الكلام إذا سقط الجواب ، كقوله : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم » ، اسقط جواب« أما »، وهو : « فيقال لهم » :٩٣

* « فى » بمعنى « على » : ٣٠٤

* « كان » كل اسم ولى « كان » يختار فيه النصبُ ، إذا كان بعد «أن» الخفيفة كقوله : « فما كان جواب قومه إلاّ أن قالوا » .

فأما إذا كان الذى يلى « كان » اسما معرفة ، والذى بعده مثله ، فسواء الرفع والنصب فى الذى ولى « كان » نحو : « ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى » برفع « عاقبة » ونصبها : ٢٧٤

* « كان » إدخالها فى الكلام وإسقاطها سواء فى المعنى ، إذا كان الكلام معروفاً معناه ، كقوله « كنتم خير أمة » ، أى : أنتم خير أمة = وقوله : « واذكروا إذ أنتم قليل » وقال أيضاً : « واذكروا إذ كنتم قليلا » : ١٠٦

* « لا » بمعنى « ليس » : ١٥٧

* « العطف » عطف الأسماء على الحروف وما دخلت عليه مثل : « دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً » ، وقوله : « قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » : ٤٧٥

* خطأ أن يقال : « لتكرمنّ هذا الذى أكرمك إذا زرته » ، لأنّ « الذى » بدخول « هذا » صارت معرفة ، ولو لم يكن « هذا » فى الكلام جاز : ٣٣٤ ، ٣٣٥

* « الاستثناء المنقطع » الذى هو مخالف معنى ما قبله ، كقولهم : « ما اشتكى شيئاً إلاّ خيراً » : ١٠٨

* « الحال » لا تكون إلاّ بصور الأسماء والأفعال المستقبلة دون الماضى منها : ١٤٤

* « الحال » مجىء الخبر بلفظ الماضى فى محل الحال والقطع بعد تمام الخبر : ١٤٤

* « المضاف » حذفه لمعرفة السامع به ، كقوله :

حَسِبْتَ بُغَامَ رَاحِلَتِى عَنَاقاً وَمَا هِىَ وَيْبَ غَيْرِكَ بِالْعَنَاقِ

يريد : صوت عناق : ٢٠٨

* حرف الجرّ ، واجتلاب الفعل المضمر له فى الكلام ، كقوله :

رأتْنى بِحَبْلَيها فَصَدَّتْ مَخَافَةً وفى الحَبْلِ رَوْعاءُ الفُؤادِ فَرُوقُ

أراد : « أقبلت بحبليها » : ١١٣ ، ١١٤

* النكرة ، لا يصلح أن يتبع المعرفة فى الإعراب : ٢٥ ، ٢٦

* نقل فعل النفوس إلى أصحاب النفوس فى نحو قوله : « ضقت بهذا الأمر ذرعاً » والمعنى : ضاق به ذرعى : ٥٥٧

* الاكتفاء بالواحد عن الجمع فى مثل قولك : « ضقت به ذرعاً ، وأذرعاً » : ٥٩٩

* المقدم الذى معناه التأخير : ٢٩٢

* * *

* كتاب الله عز وجل ، لا توجه معانيه وما فيه من البيان ، إلى الشواذ من الكلام والمعانى ، وله فى الفصيح من المنطق والظاهر من المعانى المفهوم ، وجه صحيح موجود : ١٠٠

* إنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف فى استعمال الناس من معانيه ، دون الخفى ، حتى تأتى بخلاف ذلك مما يوجب صرفه إلى الخفى من معانيه — حجة يجب التسليم لها من كتاب ، أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع من أهل التأويل : ٥٠٩

* إذا اختلفت القراآت فى الألفاظ واتفقت فى المعانى ، فأعجبها إلى أبى جعفر ما كان أظهر وأشهر فى قرأة أمصار الإسلام : ٥٦٩

فهرس التفسير

٣٠ أن الحرم كذلك هو فى الإسلام ، لأن الإسلام زاده تعظيما ، وأن صاحب الجريرة يخرج منه ثم يقام عليه الحدّ ، والآثار فى ذلك .

٣٤ اختيار أبى جعفر أن المحدث إذا عاذ بالبيت ، أمن ، ولكن يخرج فيقام عليه الحدّ ، واحتجاجه لذلك .

٣٥ حجة أبى جعفر فى إخراج العائذ بالبيت .

٣٧ تفصيل القول فى السبيل التى يجب مع استطاعتها فرض الحج .

٣٨ القول فى حديث سبيل الحج ، وأنه الزاد والراحلة .

٣٩ بيان أن الكفر بالحج كفر بالله .

٥٤ ذكر الخبر عن اليهودى الذى أغرى بين الأوس والخزرج ، ورسول الله بين أظهرهم ، فى الآثار من ٧٥٢٤ – ٧٥٣٠ ، ثم ٧٥٣٥ .

٧٤ افتراق بنى إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة ، والأمر بالطاعة ولزوم الجماعة .

٧٧ أخبار الأوس والخزرج ، وتطاول الحرب بينهم فى الجاهلية عشرين ومئة سنة .

٧٨ خبر سويد بن الصامت ، ومجلة لقمان ، ولقاؤه رسول الله .

٧٩ خبر عرض رسول الله نفسه على القبائل ، ولقاؤه النفر من الأوس فيهم إياس ابن معاذ .

٨٢ خبر حرب ابن سمير ، بين الأوس والخزرج .

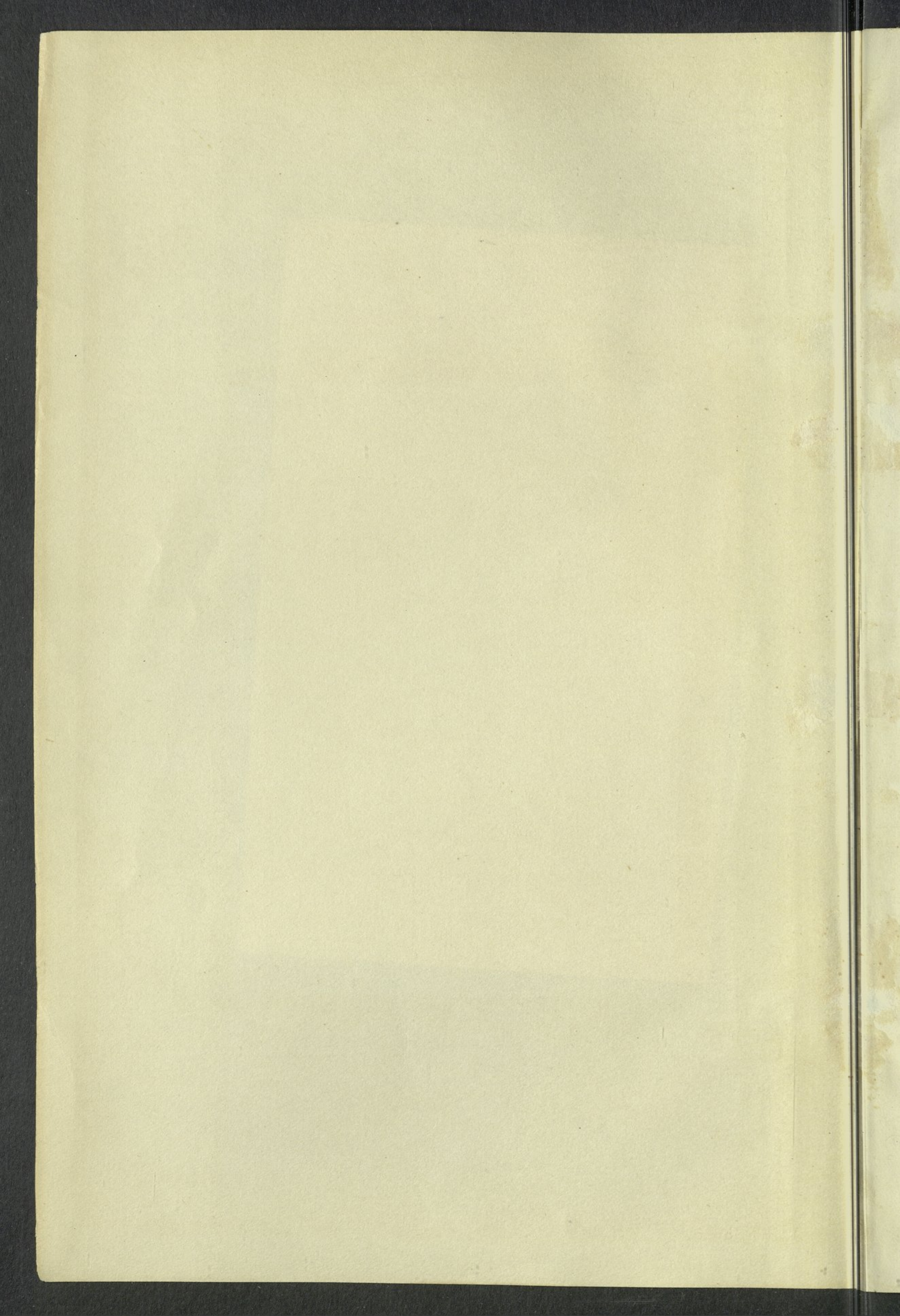
٨٧ خبر فى ذكر العرب وما كانوا عليه فى الجاهلية من الشقاء والخوف بين فارس والروم .

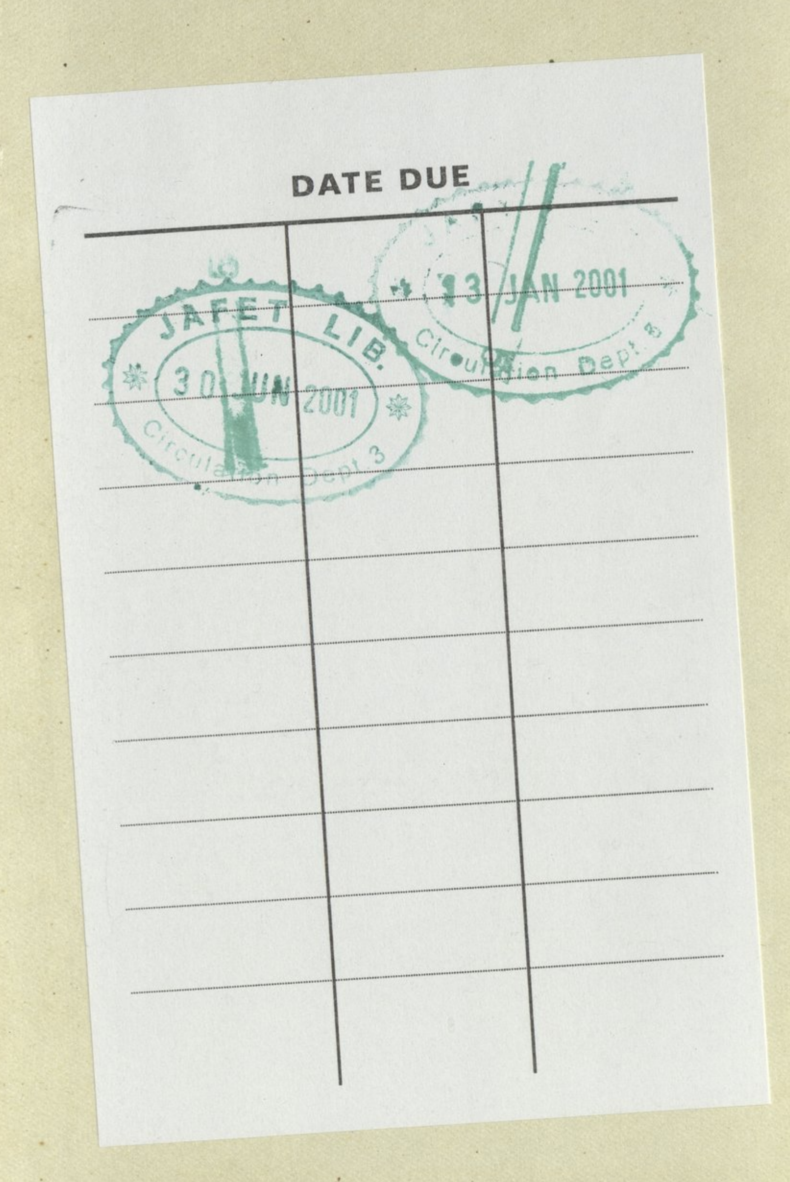
١٠٠ معنى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » والآثار فى ذلك .

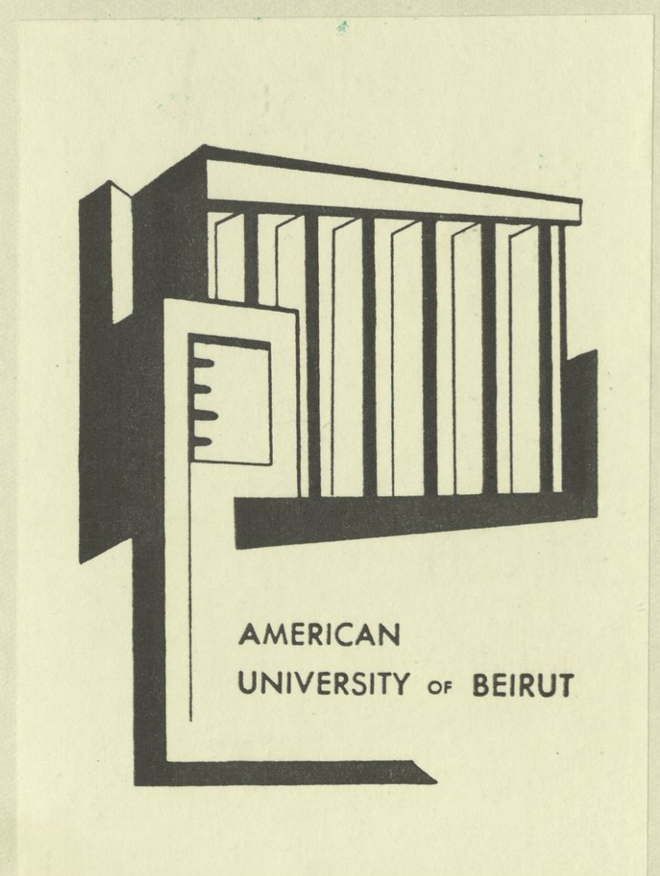
* * *

﴿ تَفْسِيرُ سُورَةِ النِّسَاء ﴾

* * *




DATE DUE


AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

